

# ملحق الكتاب الأول

## باب المشور

ذكرنا في مقدمة المجلد الأول من "عصر المأمون" أننا قسمنا المجلد الثاني الى ملحقات للكتب الثلاثة عن العصور الثلاثة، وعُنينا عناية خاصة الى جانب ذلك بذكر جملةصالحة من آثار كاتب خاص وشاعر خاص لتمثيل عصرهما . وآنخذنا من عبد الحميد الكاتب وعمر بن أبي ربيعة أنموذجا أمويًا ، ومن أبي الربيع محمد بن الليث وبشار بن بُردٍ مثالا عباسيا ، ومن عمرو بن مسعدة وأبي نُوَاسٍ نموذجا لتصوير الحياة الكتابية والشعرية في عصر الأئمين والمأمون، الى غير ذلك من النماذج والآثار مما يستدعيه المقام، وقد أوردناها من غير أن نعرض لها بتحليل أو بيان - اللهم إلا تفسير بعض ألفاظها الغريبة وشرح كلماتها الغامضة - فهي في وضوحها ودلالاتها على ما أردنا من إيرادها غير محتاجة الى شيء .  
وها نحن أولاء نذكر ما وعدناك به .

### ١ - رسالتنا أبي بكر وعلى

(١) قال أبو حيان على بن محمد التوحيدى البغدادي : سمرنا ليلة عند القاضي أبي حامد أحمد بن بشر المروروذى ببغداد، فتصرف في الحديث كل متصرف، وكان غزير الرواية،

(١) انظر كتاب صبح الأعشى ص ٢٣٧ ج ١

لطيف الدراية، بجرى حديث السقيفة، فركب كلُّ مركبا، وقال قولا، وعرض بشيء، ونزع الى فن. فقال: هل فيكم من يحفظ رسالة لأبي بكر الصديق<sup>(١)</sup>، رضى الله عنه، الى على بن أبي طالب كرم الله وجهه، وجواب على عنها، ومبايعته إياه عقيب تلك المناظرة؟ فقال الجماعة: لا والله؛ فقال: هي والله من بنات الحقائق، ونجبات الصنادق، ومنذ حفظتها ما رويتها إلا لأبي محمد المهلبى في وزارته، فكتبها عني بيده. وقال: لا أعرف رسالة أعقل منها ولا أئين؛ وإنما لتدل على علم وحلم، وفصاحة ونباهة، وبعد غور، وشدّة غوص. فقال له العبادانى: أيها القاضي، فلواتممت المنة علينا بروايتها! أسمعناها، فنحن أوعى لك من المهلبى، وأوجب ذماما عليك؛ فاندفع وقال:

حدثنا الخزاعى بمكة عن أبي ميسرة، قال حدثنا محمد بن أبي فليح عن عيسى بن دؤاب بن المتأح، قال سمعت مولاي أبا عبيدة يقول: لما آستقامت الخلافة لأبي بكر رضى الله عنه بين المهاجرين والأنصار، بعد فتنة كاد الشيطان بها، فدفع الله شرها ويسر

(١) هو أبو بكر عبد الله بن أبي قحافة عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة صاحب رسول الله وأول خليفة له في الإسلام وخطيب يوم السقيفة.

ويجتمع نسبه مع نسب رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرة بن كعب. ولد بعد مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم بسنتين وبضعة أشهر. ونشأ من أكرم قریش خلقا، وأرجحهم حلما، وأسماهم يدا، وأشدّهم عفة. وكان أعلمهم بالأنساب وأيام العرب ومفآخرها. صحب رسول الله قبل النبوة. وكان أول من آمن به من الرجال وصدقه في كل ما جاء به، ولذلك سمى الصديق، وأنفق أمواله في تأييد دعوته، وهاجر معه الى المدينة مؤثرا صحبته على كل أهله وولده، وشهد معه أكثر الغزوات. وما زال ينفق ماله وقوته في معاضدة رسول الله حتى انتقل صلى الله عليه وسلم الى الرفيق الأعلى. واختلفت العرب، وارتدت عن الإسلام، ومنعت الزكاة إلا أهل المدينة ومكة وتقيف بالطائف، فجزد عليهم الجيوش حتى قمعهم، وجمع العرب على الإسلام، وساقهم تورا إلى فتح ممالك كسرى وقيصر. وما مات إلا وجيوشه تهزم جيوش الفرس والروم وتستولى على مدائنهم وحصونهم. وكان رحمه الله فصيحاً بليغاً، خطيباً موقوفاً، حاضر البديهة، قوى الحجّة، شديد التأثير، يشهد بذلك خطبه يوم السقيفة، وذلك أنه لما مات رسول الله اختلفت الصحابة فيمن يبايعونه خليفة له عليهم؛ فأبت الأنصار إلا أن يكون الخليفة منهم، وأبى المهاجرون من قریش إلا أن يكون منهم. واشتدّ النزاع حتى كادت تقع الفتنة، فخطبهم خطبة لم يلبث الجميع بعدها أن بايعوه خليفة. وكانت وفاته سنة ١٣ هـ ومدّة خلافته سنتين وثلاثة أشهر وعشر ليال.

(١) بلغ أبا بكر عن عليّ تلْكُوْ وِشْمَاس ، وتهمم ونِفاَس ، فكره أن يتمادى الحال فتبدو العورة ، وتشتعَل الجمره ، وتُتفرَّق ذاتُ البين ؛ فدعاني بمحضرته في خلوة ، وكان عنده عمر ابن الخطّاب رضی الله عنه وحده ، فقال : يا أبا عبيدة ، ما أئین ناصيتك ، وأئین الخیر بین عینك ، وطالم أعزّ الله بك الإسلام وأصلح شأنه على يدك ، ولقد كنت من رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمكان المحوْط ، والمحلّ المغبوْط ؛ ولقد قال فيك في يوم مشهود : "لكل أمة أمينٌ وأمينُ هذه الأمة أبو عبيدة" ، ولم تزل للدين مُلتجأ ، وللؤمنين مُرتجى ، ولأهلك ركنا ، ولإخوانك رداء . قد أردتُك لأمرٍ خَطره مُحوف ، وإصلاحه من أعظم المعروف ، ولئن لم يندمِل جرحه بيسارك ورفقك ، ولم تجب حيتَه بُرقيتك ، وقع اليأس ، وأغضل البأس ؛ وأحتيج بعد ذلك الى ما هو أمرٌ منه وأعلق ، وأعسر منه وأغلق ؛ والله أسأل تمامه بك ، ونظامه على يدك . فتأت له أبا عبيدة وتلطّف فيه ، وأنصح لله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وسلم ، وهذه العصابة غير آل جهدا ، ولا قال حمدا ، والله كالكف وناصرك ، وهاديك ومبصرك ، ان شاء الله . امض الى عليّ واخفِض له جناحك ، وأغضض عنده صوتك ، واعلم أنه سلالة أبي طالب ، ومكانه ممن فقدناه بالأمس — صلى الله عليه وسلم — مكانه ، وقل له : البحر مغرقة ، والبرّ مفرقة ، والجو أكلف ، والليل أغدف ، والسما جلاء ، والأرض صلعاء ، والصعود متعذر ، والهبوط متعسر ، والحق عطوف رءوف ، والباطل عنوف عسوف ، والعجب قداحة الشر ، والضغن رائد البوار ، والتعريض شجار الفتنة ، والقحة ثقوب العداوة ، وهذا الشيطان متكى على شماله ، متحيل يمينه ، نافخ حصنيه لأهله ، ينتظر الشتات والفرقة ، ويدب بين الأمة بالشحناء والعداوة ، عنادا لله عز وجل

- (١) الشماس : المعادة والمعاودة . (٢) تهم الشيء : طلبه وتحسسه . (٣) نافس في الشيء منافسة : رغب فيه على وجه المباراة والمفاخرة . (٤) تجب : تقطع . (٥) تأتي فلان للأمر : تهبأ له وأتاه من وجهه . (٦) الجوا أكلف : أسود تلووه حمرة . (٧) الليل أغدف : مرخ سدوله مظلم . (٨) السماء جلاء : مصحبة . (٩) خالية لا شجر فيها . (١٠) أى مستعد لأن يعمل عمله من الشر .

أولاً، ولآدمَ ثانياً، ولنبيه — صلى الله عليه وسلم — ودينه ثالثاً، يوسوس بالفجور، ويُدلي بالغرور، ويمني أهل الشرور . يوحى الى أوليائه زخرف القول غروراً بالباطل، دأباً له منذ كان على عهد آيينا آدمَ صلى الله عليه وسلم، وعادة له منذ أهانته الله تعالى في سالف الدهر، لا منجى منه إلا بعض الناجذ على الحق، وغض الطرف عن الباطل، ووطء هامة عدو الله بالأشد فالأشد، والآكد فالآكد، وإسلام النفس لله عز وجل في ابتغاء رضاه . ولا بد الآن من قول ينفع إذا ضرت السكوت وخيف غبه؛ ولقد أُرشدك من أفاء ضالتك،<sup>(١)</sup> وصافاك من أحيا مودته بعنايك، وأراد لك الخير من أثر البقاء معك؛ ما هذا الذي تُسول لك نفسك، ويدوى به قلبك، وابتوى عليه رأيك، ويتخاوص<sup>(٢)</sup> دونه طرفك، ويسرى فيه ظعنك، ويتراذ معك نفسك، وتكثر عنده صعداؤك، ولا يفيض به لسانك . أعجمة بعد إفصاح ! أتليس بعد إفصاح ! أدين غير دين الله ! أخلق غير خلق القرآن ! أهدي غير هدي النبي صلى الله عليه وسلم ! أمثلي<sup>(٣)</sup> "تمشي له الضراء وتدب له الخمر" ! أم مثلك ينقض عليه الفضاء، ويكسف في عينه القمر ! ما هذه القعقة بالشنان ! وما هذه الوعوة باللسان ! إنك والله جد عارف بأستجابتنا لله عز وجل ولرسوله صلى الله عليه وسلم ، وبمخروجنا عن أوطاننا وأموالنا وأولادنا وأحبتنا ، هجرة إلى الله عز وجل، ونصرة لدينه في زمان أنت فيه في كن الصبا ، وخدر الغرارة ، وعفوان الشيبية ، غافل عما يشيب ويريب ، لا تعي ما يراد ويُسَاد، ولا تحصل ما يساق ويقاد، سوى ما أنت جارٍ عليه الى غايتك التي اليها عدل بك، وعندها حط رحلك، غير مجهول القدر ولا مجحود الفضل ؛ ونحن في أثناء ذلك نُعاني أحوالاً تُزِيل الرَاسِي ؛ ونُقاسِي أهوالاً تُشيب النواصي ، خائضين غمارها ، راكبين تيارها ، نتجوع صابها ، ونشرح عياها،<sup>(٥)</sup> ونُحْم آسأها، ونبرم

(١) أفاء : أرجع . (٢) يتخاوص : يفض من بصره . (٣) الضراء : الاستخفاء . والخمر :

ما وارك من شجر، وهو مثل يضرب لمن يخدع صاحبه . (٤) الشنان جمع شن وهو القربة الخلق

الصغيرة . والقعقة : الصوت، يريد أنه لا يخوف بمنل هذا . (٥) نشرح عياها : نضدها ونضم بعضها

الى بعض . والعياب : جمع عيبة ، وهي زبيل من آدم تجعل فيه الثياب .

(١) أمر أسها، والعيون تُحْدِجُ بالحسد، والأنوفُ تَعِطُسُ بالكِبَرِ، والصدور تَسْتَعِرُ بالغَيْظِ، والأعناق تَتَطاوَلُ بالفخر، والشَّفَارُ تُشْحَدُ بالمكر، والأرض تَمِيدُ بالخوف؛ لا ننتظر عند المساء صباحا، ولا عند الصباح مساء، ولا ندفع في نَحْرِ أمرٍ إلا بعد أن نَحْسُوَ الموتَ دونه، ولا نبلغ مرَادًا إلا بعد الإياس من الحياة عنده؛ فأدين في جميع ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم بالأب والأُم، والحال والعَم، والمال والنَّشَب، والسَّبْد (٢) واللَّبْد، والهَلَّة (٣) والبَلَّة، بِطِيبِ أَنْفُسٍ، وَقِرَّةِ أَعْيُنٍ، وَرَحْبِ أَعْطَانٍ، وَثَبَاتِ عِزَائِمٍ، وَصِحَّةِ عَقُولٍ، وَطَلَاقَةِ أَوْجِهٍ، وَذَلَاقَةِ أَلْسُنٍ؛ هذا مع خَفِيَّاتِ أَسْرَارٍ، وَمَكْنُونَاتِ أَخْبَارٍ، كُنْتَ عَنْهَا غَافِلًا، وَلَوْلَا سِنُّكَ لَمْ تَكُنْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهَا نَاقِلًا، كَيْفَ وَفَوَادُكَ مَشْهُومٌ، وَعُودُكَ مَعْجُومٌ! .

والآن قد بلغ الله بك وأنهض الخير لك، وجعل مرادك بين يديك، وعن علم أقول ما تسمع؛ فارتقب زمانك، وقلص أزدانك، ودع التقعس والتجسس لمن لا يظلع لك إذا خطأ، ولا يترشح عنك إذا عطا (٥)؛ فالأمر غص، والنفوس فيها مَصّ، وإنك أديم هذه الأمة فلا تحلم بلجاجا، وسيفها العضب، فلا تنب أعوجاجا، وماؤها العذب فلا تحل أجاجا.

والله لقد سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذا الأمر، فقال لي: «يا أبا بكر هو لمن يرغب عنه لا لمن يُجَاحِشُ عليه، ولن يتضاءل عنه لا لمن يتفجح إليه، هو لمن يقال هو لك لا لمن يقول هو لي» .

ولقد شاورني رسول الله صلى الله عليه وسلم في الصهر، فذكر فتيتاً من قريش، فقلت: أين أنت من علي! فقال صلى الله عليه وسلم: إني أكره لفاطمة ميعة شبابيه، وحدائة سنه. فقلت له: متى كنفته يدك، ورعته عينك، حفت بهما البركة، وأسبغت عليهما النعمة؛ مع كلام كثير خاطبته به رغبة فيك، وما كنت عرفت منك في ذلك لا حوجاء (٩)

(١) جمع مرس ككفت وهو الخيل . (٢) السيد: الشعر. واللبد: الصوف . (٣) يقال: جاءنا فلان فلم يأتنا بهلة ولا بلة أي لم يأتنا بشيء، فاهلة من الفرح والاستهلال، والبله من الليل والخير . (٤) مشوم (بالشين المعجمة): ذكي متوقد . (٥) عطا: مديك عنقه وأقبل نحوك . (٦) حلم الجلد (من باب فرح): فسد وثقب . (٧) أي يطلبه ويدافع عنه . (٨) يتظلع اليه ويفتخر به . (٩) أي ما كنت عرفت منك شيئا .

ولا لَوْجاء، فقلتُ ما قلتُ وأنا أرى مكانَ غيرك، وأجد رائحةَ سِوَاك، وَكُنْتُ إِذْ ذَاكَ خَيْرًا لَكَ مِنْكَ الْآنَ لِي . وَتِن كَانَ عَرَضَ بِكَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي هَذَا الْأَمْرِ، فَلَمْ يَكُنْ مُعْرِضًا عَنْ غَيْرِكَ: وَإِنْ كَانَ قَالَ فَيْكَ فَمَا سَكَتَ عَنْ سِوَاكَ؛ وَإِنْ تَلَجَّجَ فِي نَفْسِكَ شَيْءٌ فَهَلُمَّ، فَالْحَكْمَ مَرْضَى، وَالصَّوَابَ مَسْمُوعًا، وَالْحَقَّ مُطَاعًا . وَلَقَدْ نُقِلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَهُوَ عَنْ هَذِهِ الْعِصَابَةِ رَاضٍ، وَعَلَيْهَا حَنْدَرٌ، يَسْرُهُ مَا سَرَّهَا وَيَسُوءُهُ مَا سَاءَهَا، وَيَكِيدُهُ مَا كَادَهَا، وَيُرْضِيهِ مَا أَرْضَاهَا، وَيُسْخِطُهُ مَا أَسْخَطَهَا. أَمَّا تَعْلَمُ أَنَّهُ لَمْ يَدْعُ أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِهِ وَأَقْرَابِهِ وَسُجْرَائِهِ، إِلَّا أَبَانَهُ بِفَضِيلَةٍ، وَخَصَّهُ بِمِزْيَةٍ، وَأَفْرَدَهُ بِحَالَةٍ! أَتَظُنُّ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَرَكَ الْأُمَّةَ سُدىً بَدْدًا، عِبَاهِلَ مِبَاهِلَ، طَلَّاحِي مَفْتُونَةٌ بِالْبَاطِلِ، مَغْبُونَةٌ عَنِ الْحَقِّ، لَا رَائِدَ وَلَا ذَائِدَ، وَلَا ضَابِطَ وَلَا حَائِطَ، وَلَا سَاقِيَّ وَلَا وَاقِيَّ، وَلَا هَادِيَّ وَلَا حَادِيَّ! كَلَّا! وَاللَّهِ مَا أَشْتَاقُ إِلَى رَبِّهِ تَعَالَى وَلَا سَأَلُهُ الْمَصِيرَ إِلَى رِضْوَانِهِ وَقُرْبِهِ، إِلَّا بَعْدَ أَنْ ضَرَبَ الْمَدْيَ، وَأَوْضَعَ الْهُدَى، وَأَبَانَ الصُّوَى، وَأَتَمَّنَ الْمَسَالِكَ وَالْمَطَارِحَ، وَسَهَّلَ الْمُبَارِكَ وَالْمَهَائِجَ، وَإِلَّا بَعْدَ أَنْ شَدَّخَ يَافُوحَ الشَّرِكِ بِإِذْنِ اللَّهِ، وَشَرَّمَ وَجَهَ النِّفَاقِ لَوَجْهِ اللَّهِ سَبْحَانَهُ، وَجَدَّعَ أَنْفَ الْفِتْنَةِ فِي ذَاتِ اللَّهِ، وَتَفَلَّ فِي عَيْنِ الشَّيْطَانِ بَعُونَ اللَّهِ، وَصَدَّعَ بَمَلْءِ فِيهِ وَيَدِهِ بِأَمْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ .

وبعد ، فهؤلاء المهاجرون والأَنْصَارُ عِنْدَكَ وَمَعَكَ فِي بَقْعَةٍ وَاحِدَةٍ وَدَارِ جَامِعَةٍ ، إِنْ اسْتَقَالُونِي لَكَ وَأَشَارُوا عِنْدِي بِكَ ، فَأَنَا وَاضِعٌ يَدِي فِي يَدِكَ ، وَصَائِرٌ إِلَى رَأْيِهِمْ فِيكَ . وَإِنْ تَكُنِ الْأُخْرَى فَادْخُلْ فِيهَا دَخَلَ فِيهِ الْمَسْلُومُونَ ، وَكُنِ الْعَوْنَ عَلَى مَصَاحِلِهِمْ ، وَالْفَاتِحَ لِمَغَالِقِهِمْ ، وَالْمُرْشِدَ لِضَلَالَتِهِمْ ، وَالرَّادِعَ لِعَوَايَتِهِمْ . فَقَدْ أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِالتَّعَاوُنِ عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى ، وَالتَّنَاصُرِ عَلَى الْحَقِّ . وَدَعْنَا نَقِضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِصُدُورِ بَرِيئَةٍ مِنَ الْغِلِّ ، وَنَلْقَى اللَّهَ تَعَالَى بِقُلُوبِ سَلِيمَةٍ مِنَ الضَّغْنِ .

(١) سِجْرَائِهِ: أَصْدِقَائِهِ . (٢) عِبَاهِلَ مِبَاهِلَ (بِالْيَاءِ الْمُوَحَّدَةِ فِي الْكَلِمَتَيْنِ): مَهْمَلَةٌ . (٣) الصُّوَى:

الأَعْلَامُ . (٤) الْمَهَائِجُ: الطَّرِيقُ . (٥) الْيَافُوحُ (يَهْمَزُ وَلَا يَهْمَزُ) جِزْءُ الرَّأْسِ الَّذِي يَنْحَرُّ فِي الطِّفْلِ .

(٦) فِي صَبْحِ الْأَعْمَى: «فَهْذِهِ» .

وبعد، فالناس ثمامةً فارتق بهم وأحن عليهم وإن لهم، ولا تُسقى نفسك بنا خاصة فيهم،  
وأترك ناجم الحقد حصيدا، وطائر الشر واقعا، وباب الفتنة مغلقا، فلا قال ولا قيل ولا لوم  
ولا تبيع، والله على ما نقول شهيد، وبما نحن عليه بصير.

قال أبو عبيدة : فلما تاهبت للنهوض، قال عمر رضي الله عنه : كُنْ لَدَى الْبَابِ  
هَنِيئَةً فلي معك دورٌ من القول ؛ فوقفْتُ وما أدري ما كان بعدى ، إلا أنه لحقني بوجه  
يَنْدَى تَهْلًا ، وقال لي : قل لعلّي : الرقادُ محلّة ، والهوى مَقَحَمَة ، وما منّا إلا له مقامٌ  
معلوم ، وحق مشاعٌ أو مقسوم ، ونبأ ظاهر أو مكتوم ؛ وإن أكيس الكيس من منح  
الشارد تألّفًا ، وقاربَ البعيد تَلْفُفًا ، ووَزَنَ كلَّ شيءٍ بميزانه ، ولم يخلطْ خبره بعيانه ،  
ولم يجعلِ قُتره مكانَ شِبْره ، دِينًا كان أو دُنْيَا ، ضلالًا كان أو هُدًى . ولا خير في علم  
مستعملٍ في جهل ، ولا خير في معرفةٍ مشوبةٍ بِنُكْرٍ . ولسنا بجلدةٍ رَفَعُ البعير بين العجان  
والذنب . وكلُّ صالٍ فبناره ، وكلُّ سليلٍ فإلى قراره . وما كان سكوت هذه العصاة إلى  
هذه الغاية لعلّي وشي<sup>(٢)</sup> ، ولا كلامها اليوم لفرقي أوفقي . وقد جدع الله بمحمد  
صلى الله عليه وسلم أنف كل ذي كبر ، وقصم ظهر كل جبار ، وقطع لسان كل  
كذّوب ، فماذا بعد الحق إلا الضلال . ما هذه الخنزوانة التي في قرأش رأسك ! ما هذا  
الشجا المعترض في مدارج أنفاسك ! ما هذه القذاة التي تعشت ناظرًا ! وما هذه  
الوحرة التي أكلت شراسيفك ! وما هذا الذي لست بسببه جلد النمر ، وأشملت عليه  
بالشحناء والنكر ! ولسنا في كسروية كسرى ، ولا في قيصريّة قيصر ! تأمل لإخوان فارس  
وأبناء الأصفر ! قد جعلهم الله جزرًا لسيوفنا ، ودريةً لرماحنا ، ومرمى لبطعانا ، وتبعًا  
لسلطانتنا ؛ بل نحن في نور نبوة ، وضياء رسالة ، وثمرة حكمة ، وأثر رحمة ، وعنوان نعمة ،

(١) الرفغ : أصل الفخذ من باطن . والعجان : الاست . يريد أن منازلهم بين الأحياء والعشائر ليست  
حقيرة مهينة . (٢) الشى بالكسر إتباع للى . (٣) الخنزوانة : الكبر . . (٤) الوحرة  
(بالتحريك) : والحقد العداوة والشراسيف : جمع شرسوف ، والشرسوف مقطع الضلع .

وظلَّ عِصْمَةٌ ، بين أمة مهديَّة بالحق والصدق ، مأمونة على الرِّقِّ والفتق ، لها من الله قلبٌ  
أبيّ ، وساعدٌ قوى ، ويدٌ ناصرة ، وعينٌ باصرة . أنظنُّ ظنا ياعلى أن أبا بكر وثب على هذا  
الأمر مُقتاتاً على الأمة خادعاً لها أو متسلطاً عليها ! أترأه حلَّ عقودها وأحال عقولها ! أترأه  
جعل نهارها ليلاً ، ووزنها كيلاً ، ويقظتها رقاداً ، وصلاحها فساداً ! لا والله ! سلا عنها فولهت  
له ، وتطامن لها فلصقت به ، ومال عنها فالت إليه ، وأشماز دونها فأشتمت عليه ، حَبوةٌ  
حبابه الله بها ، وعاقبةٌ بلَّغه الله إليها ، ونعمةٌ سرَّبله جمالها ، ويدٌ أوجب الله عليه شكرها ،  
وأمةٌ نظر الله به إليها . والله أعلم بخلقه ، وأرأف بعباده ، يختار ما كان لهم الخيرة . وإنك  
بجيت لا يُجهل موضعك من بيت النبوة ، ومعدن الرسالة ، ولا يُحدد حُكك فيما آتاك الله ،  
ولكن لك من يزاحمك بمنكِبٍ أخغم من منكبك ، وقُربٍ أمس من قرابتك ، وسنٍّ أعلى من  
سنتك ، وشيئةٍ أروع من شبيبتك ، وسيادةٍ لها أصلٌ في الجاهلية وفرعٌ في الإسلام ،  
ومواقفٍ ليس لك فيها جملٌ ولا ناقة ، ولا تُذكر منها في مقدمة ولا ساقية ، ولا تُضرب فيها  
بذراع ولا إصبع ، ولا تُخرج منها ببازٍ ولا هبع . ولم يزل أبو بكر حبة قلب رسول الله  
صلى الله عليه وسلم وعلاقة نفسه ، وعيئة سره ، ومقرع رأيه ومشورته ، وراحة كفه ،  
ومرمق طرفه . وذلك كله بحضرة الصادر والوارد من المهاجرين والأنصار ، شهرته مغنيةٌ  
عن الدليل عليه . ولعمري إنك أقرب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قرابةً ، ولكنه  
أقرب منك قرابةً ، والقرابةُ لحم ودم ، والقربةُ نفس وروح . وهذا فرق عرَّفه المؤمنون ،  
ولذلك صاروا إليه أجمعون . ومهما شككت في ذلك ، فلا تشك أن يد الله مع الجماعة ،  
ورضوانه لأهل الطاعة . فادخل فيما هو خير لك اليوم وأنفع لك غدًا وألفظ من فيك  
ما يعاق بلهاتيك ، وأنفت بخيمة صدرك عن ثقاتك ، فإن يك في الأمد طولٌ ، وفي الأجل  
فُسحة ، فستا كله مريثاً أو غير مريء ، وستشربه هنيئاً أو غير هنيء ، حين لا راد لقولك إلا  
من كان آيساً منك ، ولا تابع لك إلا من كان طامعاً فيك ، يمض إهابك ، ويعرك أديمك ،

(١) البازل : الجمل القوى الذي دخل في سنته التاسعة . والهبع : الفصيل الذي ينتج في الصيف فيكون ضعيفاً .

(٢) يمض إهابك : يحرق جلدك . (٣) يعرك : يدلك .

وَيُرِي عَلَى هَدْيِكَ . هنالك تقَرَع السنن من ندم، وتَجَرَع الماء ممزوجاً بدم، وحينئذ تَأْسَى على ما مضى من عمرك ودارج قوتك ، فتود أن لو سُقِيَت بالكأس التي أبيتها ، ورُدِدَت إلى حالتك التي آستغويتها . والله تعالى فينا وفيك أمرٌ هو بالغه، وغيبٌ هو شاهده، وعاقبةٌ هو المرجو لسرّائها وضرّائها، وهو الولي الحميد، الغفور الودود .

قال أبو عبيدة : فتمشيت مترملاً أنوء كما ما أخطو على رأسي ، فرقا من الفرقة ، وشفقا على الأمة ، حتى وصلت إلى علي رضي الله عنه في خلّاء ، فابتثته بئى كله ، وبرئت إليه منه ، ورفقت به . فلما سمعها ووعاها ، وسرت في مفاصله حياها ، قال : "حلت معلوظة ، وولت مخروطة" ، وأنشأ يقول :<sup>(١)</sup>

إحدى لياليك فهيسى هيسى \* لا تنعمي الليلة بالتحريس<sup>(٤)</sup>

نعم يا أبا عبيدة ، أكل هذا في أنفس القوم ، ويحسون به ، ويضطغنون على ! قال أبو عبيدة : فقلت : لا جواب لك عندي ، إنما أنا قاض حق الدين ، ورائق فق المسلمين ، وسأد ثمة الأمة ، يعلم الله ذلك من جلجلان قلبي ، وقرارة نفسي .<sup>(٥)</sup>

(١) هو أمير المؤمنين أبو الحسن علي بن أبي طالب . وابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم . وزوج ابنته . ورابع الخلفاء الراشدين . وإمام الخطباء من المسلمين .

ولد رحمه الله بعد مولد النبي صلى الله عليه وسلم باثنتين وثلاثين سنة . وهو أول من آمن من الصبيان . وكان شجاعاً لا يشق له غبار . أيدا جليدا . شهد الغزوات كلها مع النبي إلا غزوة تبوك . وأبلى في نصرة رسول الله صلى الله عليه وسلم مالم يبيله أحد . ولما قتل عثمان بايعه الناس بالحجاز وامتنع عن بيعته معاوية وأهل الشام شيعة بنى أمية غضبا منهم لمقتل عثمان وقلة عنايته بالبحث عن القنلة على حسب اعتقادهم ، فحدث من جراء ذلك الفتنة العظمى بين المسلمين وافتراقهم إلى طائفتين فتحاربوا مدة من غير أن يستتب الأمر لعل أو معاوية حتى قتل أحد الخوارج عليا غيلة بمسجد الكوفة . وكان كرم الله وجهه أفصح الناس بعد رسول الله . وأكثرهم علما وزهدا وشدّة في الحق : وهو إمام الخطباء من العرب على الاطلاق بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وكانت وفاته سنة ٤٠ هـ ومدة خلافته خمس سنين إلا ثلاثة أشهر .

(٢) معلوظة : مقتحمة من غير روية . (٣) مخروطة : مسرعة . (٤) هيسى : سيري أى سيركان .

(٥) أى ينظرون على الضغن وهو الحقد . (٦) جلجلان قلبي ، أى حبه .

فقال عليّ رضي الله عنه : والله ما كان قعودي في كِنِّ هذا البيت قصداً للخلاف ، ولا إنكاراً للعروف ، ولا زراًيةً على مسلم ، بل لما قد وقَدَّني به رسول الله صلى الله عليه وسلم من فراقه ، وأودعني من الحزن لفقده . وذلك أنني لم أشهد بعده مشهداً إلا جدد عليّ حزنًا ، وذكرني شجناً . وإن الشوق إلى الخلق به كافٍ عن الطمع في غيره . وقد عكفتُ على عهد الله أنظر فيه ، وأجمع ما تفرق ، رجاء ثواب مُعدٍّ لمن أخلص لله عمله ، وأسلم لعلمه ومشيئته ، وأمره ونهيه . على أني ما علمت أن التظاهر عليّ واقع ، ولا عن الحق الذي سبق إليّ دافع . وإذ قد أُفيم الوادي بي ، وحشد النادى من أجلي ، فلا مرحباً بما ساء أحدًا من المسلمين وسرتني . وفي النفس كلامٌ لولا سابق عقد وسالف عهد ، لَشَفَّيتُ غيظي بِنِخْصِرى وبنِصْرى ، وخُصَّتْ لِحْتَه بِأَمْحِصِي ومَفْرِقِي ، ولكنني ملجُمٌ إلى أن ألقى الله ربي ، وعنده أحسب ما نزل بي . وإني غادٍ إلى جماعتكم ، فبإيع صاحبكم ، صابرٌ على ما ساءني وسرتكم ، لِيَقْضِيَ الله أمرا كان مفعولا .

قال أبو عبيدة : فعدتُ إلى أبي بكر رضي الله عنه فقَصَصْتُ عليه القول على غره ، ولم أحتزل شيئاً من حلوه ومره ، وبَكَرتُ غُدوةً إلى المسجد ، فلما كان صباحُ يومئذ وإذا عليّ محترق الجماعة إلى أبي بكر رضي الله عنهما فبايعه ، وقال خيراً ، ووصف جميلاً ، وجلس زميناً ، وأستاذن للقيام فضى وتبعه عمر مُكرماً له ، مستأثراً ما عنده .

فقال عليّ رضي الله عنه : ما قعدتُ عن صاحبكم كارهاً ، ولا أئيتُهُ فرقاً ، ولا أقول ما أقول تعلقة . وإني لأعرف منتهى طرفي ، ومحطَّ قدمي ، ومترع قوسي ، وموقع سهمي ؛ ولكن قد أزمْتُ على فأسِي ثقةً بربي في الدنيا والآخرة .

فقال له عمر رضي الله عنه : كَفِّكْفَ غَرَبَك ، وأَسْتَوْقِفَ سِرْبَك ، ودَعِ العِصِيَّ بِلِحَائِهَا ، والدِّلاءَ على رِشَائِهَا . فإننا من خَلْفِها وورائِها ، إن قَدَحْنَا أَوْرِينَا ، وإن مَتَحْنَا أَرْوِينَا ،

(١) على غره ، أي كما هو وكما قص عليّ . (٢) زميناً : حليماً وقوراً . (٣) يقال :

أزم الفرس على فأس الحمام إذا عضها وقبض عليها . وفأس الحمام : الحديد المعترضة منه في الخنك . يريد أنه ألجم نفسه ثقة الخ .

وإن قَرَحْنَا أَدْمِينَا . ولقد سمعتُ أمأثيلك التي لَغَزَتَ بها عن صدرٍ أُكِلَ بالجوَى ، ولو شئتُ  
لقلْتُ على مقالِكِ ما إن سمعته نَدِمْتَ على ما قلتَ . وزعمتَ أنك قعدتَ في كَنِّ بيتِكِ  
لما وَقَدَكَ به رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من فقْدِهِ ، فهو وَقَدَكَ ولم يَقْدُ غيرَكَ ! بل  
مصابهُ أعظم وأعم من ذلك ، وإن من حقِّ مُصابه ألا تصدع شَمْلُ الجماعة بفرقةٍ لا عصامَ  
لها ، ولا يؤمن كيدُ الشيطان في بقائها . هذه العرب حولنا ، والله لو تداعتْ علينا في صبحِ  
نهارٍ لم نلتقِ في مسائه . وزعمتَ أن الشوق إلى اللِّحاقِ به كافٍ عن الطمع في غيره ! فمن  
علامة الشوق إليه نصرَةٌ دينه ، ومؤازرةٌ أوليائه ومعاوَنَتُهُمْ . وزعمتَ أنك عكفتَ على  
عهدِ الله تجمع ما تفرق منه ؛ فمن العكوف على عهدِ الله النصيحةُ لعبادِ الله ، والرأفةُ على خلقِ  
الله ، وبذل ما يصلحون به ، ويرشُدون عليه . وزعمتَ أنك لم تعلم أن التظاهر واقعٌ عليك ،  
وأى حقٍّ لَطُّ دونك ! . قد سمعتَ وعلمتَ ما قال الأنصار بالأمس سِرًّا وجهرًا ، وتقلبتَ  
عليه بطنًا وظهرا ، فهل ذكرتَ أو أشارتَ بك ، أو وجدتَ رضاهم عنك ؟ هل قال أحدُ منهم  
بلسانه إنك تصلح لهذا الأمر ؟ أو أوما بعينه أو هم في نفسه ؟ أتظن أن الناس ضلُّوا من  
أجلك ، وعادوا كفارا زهدًا فيك ، وباعوا الله تحاملاً عليك ؟ . لا والله ! لقد جاءني عَقِيلُ  
ابن زياد الخَزْرَجِي في نَفَرٍ من أصحابه ومعهم سُرحَيْيل بن يعقوب الخَزْرَجِي وقالوا : إن  
علياً ينتظر الإمامة ، ويزعم أنه أولى بها من غيره ، ويُنكر على من يعقد الخِلافةَ ؛ فأنكرتُ عليهم ،  
ورددتُ القولَ في نحرهم حيث قالوا : إنه ينتظر الرُّوحِي ويتوكفُ <sup>(٢)</sup> مناجاةَ الملك ؛ فقلتُ :  
ذاك أمر طواه الله بعد نبيه محمد صلى الله عليه وسلم أكان الأمر معقوداً بأنشوطه <sup>(٣)</sup> ،  
أو مشدوداً بأطرافِ لِيطةٍ <sup>(٤)</sup> ؟ كلاً ! والله لا عجماءَ بجد الله إلا أفصححتُ ، ولا شوكاءَ إلا وقد  
تفتّحتُ . ومن أعجب شأنك قولك : « ولولا سالف عهد وسابق عقد ، لشفيتُ غيظِي »  
وهل ترك الدينُ لأهله أن يشفُوا غيظهم بيدٍ أو بلسانٍ ؟ تلك جاهليةٌ وقد استأصل الله شأقتها  
وأقتلع جُرمَها ، وهور ليلها ، وغور سيلها ، وأبدل منها الرُّوحَ والريحانَ ، والهَدْيَ والبرهانَ .

(١) لط : بجد . (٢) يتوكف : ينتظر . (٣) الأنشوطه : عقدة يسهل انحلالها ،

إذا أخذ بأحد طرفيها افتتحت . (٤) الليطة قشرة القصبه التي تليط بها أى تلتق .

وزعمت أنك مُلجَمٌ، ولعمري إنا من أتقى الله، وآثر رضاه، وطلب ما عنده، أمسك لسانه وأطبق فاه، وجعل سعيه لما وراه .

فقال على رضى الله عنه : مهلاً يا أبا حفص، والله ما بذلتُ ما بذلتُ وأنا أريد نكته، ولا أقررتُ ما أقررتُ وأنا أبتغي حَولاً عنه . وإنا أخسر الناس صفقةً عند الله من أثر النفاق، وأحتضن الشقاق، وفي الله سلوةٌ عن كل حادث، وعليه التوكل في جميع الحوادث . ارجع يا أبا حفص الى مجلسك نافع القلب، مبرود الغايل، فسيح اللبان، فصيح اللسان، فليس وراء ما سمعت وقلت إلا ما يشد الأزر، ويحطّ الوزر، ويضع الإصر، ويجمع الألفة بمشيئة الله وحسن توفيقه .

قال أبو عبيدة رضى الله عنه : فانصرف على وعمر رضى الله عنهما . وهذا أصعب ما مرّ على بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم .



## ٢ - ومن كلام عائشة<sup>(٢)</sup> رضى الله عنها في الانتصار لآبيها

يروى أنه بلغ عائشة رضى الله عنها أن أقواما يتناولون أبا بكر رضى الله عنه، فأرسلت الى أزفلة<sup>(٣)</sup> من الناس، فلما حضروا، أسدلت أستارها، وعلت وِسَادَها، ثم قالت: أبى، وما أبىه! أبى والله لا تعطوه الأيدي، ذاك طودٌ مُنيف، وفرعٌ مديد، هيئات، كذبت الظنون! أُنْجِحْ إِذْ أَكْذَيْتُمْ، وَسَبِّقْ إِذْ وَبَيْتُمْ؛ سَبِّقِ الْجَوَادِ إِذَا اسْتَوَى عَلَى الْأَمْدِ . ففى

(١) اللبان : الصدر . (٢) هى عائشة بنت أبى بكر الصديق بن أبى قحافة، عقد عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة وهى بنت ست سنين، ودخل بها فى المدينة وهى بنت تسع، وكان مولدها سنة أربع من النبوة، وأمها أم رومان بنت عامر بن عويمر، وكان صداقها أربعمئة درهم، وكانت أحب نساءه إليه، وكنيتها أم عبد الله، كنىته ببن أحبها أسماء، ولها خطب ووقائع . وكانت من أكبر العالمات فى وقعة الجمل المشهورة فى الاسلام صحبة الزبير وطلحة . وكانت أصح أهل زمانها وأبينهم منلقاً وأحفظهم للحديث وأفقههم . توفيت سنة سبع وخمسين ودفنت ليلاً بالقيع وصل عليها أبو هريرة رضى الله عنه . راجع ترجمتها فى طبقات ابن سعد (ج ٨ ص ٣٩) .

(٣) الأزفلة : الجماعة . (٤) لا تعطوه : لا تناله .

قريش ناشئاً، وكهفها كهلاً، يَفُكَّ عَانِيَهَا، وَيَرِيشُ مُمْلِقَهَا، وَيَرَأْبُ شَعْبَهَا، وَيَلْمُ شَعْمَهَا، حَتَّى حَلَيْتَهُ قَلْبُوبَهَا، ثُمَّ اسْتَشْرَى فِي دِينِ اللَّهِ فَمَا بَرِحَتْ شَكِيمَتُهُ فِي ذَاتِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ حَتَّى اتَّخَذَ بِفِنَائِهِ مَسْجِدًا يُحْيِي فِيهِ مَا أَمَاتَ الْمُبْطَلُونَ . وَكَانَ رَحِمَهُ اللَّهُ غَيْرَ الدَّمْعَةِ، وَقَيْدَ الْجَوَانِحِ، شَيْخِي النَّشِيحِ، فَاقْضَيْتَ إِلَيْهِ نِسْوَانُ مَكَّةَ وَوُلْدَانَهَا يَسْخَرُونَ مِنْهُ وَيَسْتَهْزِئُونَ بِهِ (اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِرُؤْيُومِهِ وَيَمْدُمُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْهَمُونَ) فَاكْبُرَتْ ذَلِكَ رِجَالَاتٌ مِنْ قَرِيشٍ فَخَنَّتْ قَيْسِيًّا، وَفَوَقَتْ سَهَامَهَا، وَانْتَلَوْهُ غَرَضًا، فَمَا قَلُّوا لَهُ صَفَاةً، وَلَا قَصَفُوا لَهُ قَنَاةً، وَمَرَّ عَلَى سَيْسَانَهُ، حَتَّى إِذَا ضَرَبَ الدِّينَ بِجِرَانِهِ، وَرَسَتْ أَوْتَادُهُ، وَدَخَلَ النَّاسُ فِيهِ أَفْوَاجًا، وَمِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ أَرْسَالًا وَأَشْتَاتًا، اخْتَارَ اللَّهُ لِنَبِيِّهِ مَا عِنْدَهُ، فَلَمَّا قَبِضَ اللَّهُ نَبِيَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ضَرَبَ الشَّيْطَانُ رِوَاقَهُ، وَمَدَّ طُنْبَهُ، وَنَصَبَ حَبَائِلَهُ، وَأَجْلَبَ بِحَيْلِهِ وَرَجَلَهُ، وَأَضْطَرَبَ حَبْلُ الْإِسْلَامِ، وَمَرَجَ عَهْدُهُ وَمَاجَ أَهْلُهُ، وَبُنِيَ الْغَوَائِلُ، وَظَنَّتْ رِجَالٌ أَنْ قَدْ أَكْثَبَتْ أَطْعَامُهُمْ نُهْرَهَا، وَوَلَاتَ حِينَ الَّذِي يَرْجُونَ، وَأَنَّى وَالصَّادِقِ بَيْنَ أَظْهَرِهِمْ ! فَفِصَامٌ حَاسِرًا مَشْمَرًا، بِجَمْعِ حَاشِيَتَيْهِ وَرَفَعَ قُطْرَيْهِ، فَردَّ رَسْنَ الْإِسْلَامِ عَلَى غَرْبِهِ، وَلَمْ شَعْنَهُ يَطْبَسَهُ، وَأَنْتَاشَ الدِّينَ فَنَعَشَهُ، فَلَمَّا أَرَاكَ الْحَقُّ عَلَى أَهْلِهِ، وَقَزَرَ الرِّعُوسَ عَلَى كَوَاهِلِهَا، وَحَقَّنَ الدَّمَاءَ فِي أَهْلِهَا، أَنْتَهُ مَنِيَّتَهُ، فَسَدَّ نَامَتَهُ بِنَظِيرِهِ فِي الرَّحْمَةِ، وَشَقِيقِهِ فِي السَّيْرِ وَالْمَعْدَلَةِ، ذَلِكَ ابْنُ الْخَطَّابِ، اللَّهُ دَرَّ أَمَّ حَمَلَتْ بِهِ وَدَرَّتْ عَلَيْهِ ! لَقَدْ أَوْحَدْتُ بِهِ، فَفَنَخَ الْكُفْرَةَ وَدَيَّحَهَا، وَشَرَّدَ الشَّرْكَ شَدْرَ مَادَرٍ، وَبَعَجَ الْأَرْضَ وَبَجَعَهَا، فَقَاءَتْ أَكْلَهَا، وَلَفَظَتْ خَبَأَهَا، تَرَامَهُ وَيَصْدِفُ عَنْهَا، وَتَصَدَّى لَهُ وَيَأْبَاهَا . ثُمَّ وَزَعَ فِيهَا فَيْئَهَا وَوَدَعَهَا كَمَا صَحَّيْهَا . فَأَرُونِي مَاذَا تَرْتُونَ، وَأَيُّ يَوْمِي أَيْ تَقِيمُونَ : أَيُّ يَوْمَ إِقَامَتِهِ إِذْ عَدَلْتُ فِيكُمْ، أَمْ يَوْمَ ظَنَعْتُهُ إِذْ نَظَرْتُ لَكُمْ؟ أَقُولُ قَوْلِي هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ . ثُمَّ أَقْبَلْتُ عَلَى النَّاسِ بِوَجْهِهَا فَقَالَتْ : أَنْشُدْكَ اللَّهَ هَلْ أَنْكَرْتُمْ مِمَّا قُلْتُ شَيْئًا؟ قَالُوا : اللَّهُمَّ لَا .

(١) على سيسانته، أي على دأبه وعادته . (٢) فَنَخَ : غَلَبَ وَقَهَرَ . (٣) خَبَأَهَا : مَا غَابَ عَنْهَا .

\* \* \*

٣ - كلمة أم الخير بنت الحريش<sup>(١)</sup>

ومن كلام أم الخير بنت الحريش البارقية يوم صفين في الانتصار لعلّي رضي الله عنه:

يروى أن معاوية كتب الى واليه بالكوفة أن يجمل اليه أم الخير بنت الحريش البارقية برحلتها، وأعلمه أنه مجازيه بقولها فيه بالخير خيرا وبالشر شرا . فلما ورد عليه كتابه ، ركب اليها فأقرأها الكتاب ، فقالت : أنا أنا فغير زائغة عن طاعة ولا معتلة بكذب ! ولقد كنت أحب لقاء أمير المؤمنين لأمر تختلج في صدري . فلما شيعها وأراد مفارقتها قال لها : يا أم الخير، إن أمير المؤمنين كتب اليّ أنه يجازيني بقولك في بالخير خيرا وبالشر شرا ، فما عندك؟ قالت : يا هذا لا يُطعمنك رُك بي أن أسرك بباطل ، ولا تؤيسك معرفتي بك أن أقول فيك غير الحق . فسارت خير مسير حتى قدمت على معاوية ، فأنزلها مع حريمه ثلاثا ، ثم أدخلها عليه في اليوم الرابع ، وعنده جلساؤه ، فقالت : السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته ؛ قال لها : وعليك السلام يا أم الخير ، وبالرغم منك دعوتني بهذا الاسم ؛ قالت : مه يا أمير المؤمنين ! فإن بديهة السلطان مدحضة لما يجب علمه ولكل أجل كتاب ؛ قال : صدقت ، فكيف حالك يا خالة؟ وكيف كنت في مسيرك؟ قالت : لم أزل في عافية وسلامة حتى صرتُ اليك فأنا في مجلس أنيق ، عند ملك رقيق ؛ قال معاوية : بحسن نيتي ظفرتُ بكم ؛ قالت : يا أمير المؤمنين أعيذك بالله من دحض المقال وما تُردى عاقبته ، قال : ليس هذا أردنا ، أخبريني كيف كان كلامك يوم قُتل عمار بن ياسر؟ قالت : لم أكن والله زورته قبل ولا رويته بعد ، وإنما كانت كلمات نَفَثَن لسانى حين الصدمة ، فان شئت أن أحدث لك مقالا غير ذلك فعلتُ ؛ قال : لا أشاء ذلك . ثم التفت الى أصحابه فقال : أيكم يحفظ كلام أم الخير؟ فقال رجل من القوم : أنا أحفظه يا أمير المؤمنين كحفظي سورة الحمد ؛ قال : هاتيه ؛ قال : نعم كأنى بها يا أمير المؤمنين في ذلك اليوم عليها

(١) منقولة عن صبح الأعشى ج ١ ص ٢٤٨ (٢) زور الكلام في نفسه : هياه .

برد زبدي كثيف الحاشية، وهي على جمل أرمك<sup>(١)</sup> وقد أحيط حولها، وبيدها سوط منتشر الضفر، وهي كالفحل يهدر في شقشقته تقول :

(يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ) ! ان الله قد أوضح الحق، وأبان الدليل، ونور السبيل، ورفع العلم، فلم يدعكم في عمياء مبهمة! ولا سوداء مدهمة، فإلى أين تريدون رحمكم الله! أفراراً عن أمير المؤمنين، أم فراراً من الزحف، أم رغبة عن الاسلام، أم ارتداداً عن الحق! أما سمعتم الله عز وجل يقول: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ﴾ .

ثم رفعت رأسها الى السماء وهي تقول :

قد عيل الصبر، وضعف اليقين، وانتشر الرعب، وبيدك يا رب أزممة القلوب، فاجمع الكلمة على التقوى، وألف القلوب على الهدى . هلموا رحمكم الله الى الإمام العادل، والوصى الوفي، والصديق الأكبر! إنها إحن بدرية، وأحقاد جاهلية، وضغائن أحديه؛ وثب بها معاوية حين الغفلة ليُدرك بها نارَاتِ بنى عبد شمس .

ثم قالت : قَاتِلُوا أُمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يُتَنَّهُونَ . صبراً معشر المهاجرين والأنصار، قاتلوا على بصيرة من ربكم، وثبات من دينكم، وكأني بكم غداً قد لقيتم أهل الشام كحمرٍ مستنيرة، فزت من قسورة، لا تدري أين يسلكُ بها من فجأج الأرض، باعوا الآخرة بالدنيا، واشتروا الضلالة بالهدى، وباعوا البصيرة بالعمى، وعمما قليل ليصبحن نادمين، حين تحل بهم الندامة، فيطلبون الإقالة! إنه والله من ضل عن الحق وقع في الباطل، ومن لم يسكن الجنة نزل في النار . أيها الناس، إن الأيكاس استقصروا عمر الدنيا فرفضوها واستبطئوا مدة الآخرة فسعوا لها . والله أيها الناس لولا أن تبطل الحقوق، وتُعطل الحدود، ويظهر الظالمون، وتقوى كلمة الشيطان، لما اخترنا ورود المنايا على خفض العيش وطيبه، فإلى أين تريدون - رحمكم الله - عن ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) جمل أرمك : لونه لون الرماد .

وزوج ابنته وأبى آبيه؟ حُلِقَ من طِينَتِهِ، وَتَفَرَّعَ عن نَبْتِهِ، وَخَصَّه بِسِرِّهِ، وَجَعَلَهُ باب مَدِينَتِهِ، وَأَعْلَمَ بِحُبِّهِ الْمُسْلِمِينَ، وَأَبَانَ بِبَغْضِهِ الْمُنَافِقِينَ . فلم يزل كذلك يؤيده الله بمعونته، ويمضى على سنن استقامته، لا يعترج لراحة اللذات . وهو مُفَلِّقُ الهَامِ، وَمَكْسَرُ الْأَصْنَامِ، إِذْ صَلَّى وَالنَّاسَ مُشْرِكُونَ، وَأَطَاعَ وَالنَّاسَ مُرْتَابُونَ . فلم يزل كذلك حتى قَتَلَ مُبَارِزِي بَدْرٍ، وَأَفْنَى أَهْلَ أَحُدٍ، وَفَرَّقَ جَمَعَ هَوَازِنَ، فَيَالِهَا وَقَائِعَ زَرَعْتَ فِي قُلُوبِ قَوْمِ نِفَاقًا، وَرِدَّةً وَشِقَاقًا . وقد آجَهْتُهُ فِي الْقَوْلِ، وَبَالَغْتُ فِي النَّصِيحَةِ، وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

فقال معاوية : والله يا أم الخير ما أردت بهذا إلا قتلى ! والله لو قتلتك ما حرجت في ذلك .

قالت : والله ما يسوءني يا بن هند أن يُجْرِيَ اللهُ ذلك على يَدِي من يُسعدني الله بشقائه ؛ قال : هيات يا كثيرة الفضول، ما تقولين في عثمان بن عفان؟ قالت : وما عسيت أن أقول فيه، استخلفه الناس وهم كارهون، وقتلوه وهم راضون ؛ فقال : إيهًا يا أم الخير، هذا والله أصلك الذي تبين عليه ؛ قالت : لكن الله يشهد وكفى بالله شهيدا، ما أردتُ بعثمان نقصا، ولقد كان سبًا قًا إلى الخيرات، وإنه لرفيع الدرجة . قال : فما تقولين في طلحة بن عبيد الله؟ قالت : وما عسى أن أقول في طلحة، اغتيل من مأمنه، وأُتِيَ من حيث لم يَحْدَرُ، وقد وصده رسول الله صلى الله عليه وسلم الجنة . قال : فما تقولين في الزبير؟ قالت : يا هذا لا تدعني كَرَجِيعِ الصَّبِيغِ يُعْرَكُ فِي الْمِرْكَنِ<sup>(١)</sup> ؛ قال : حَقًّا لتقولن ذلك وقد عزمْتُ عليك ؛ قالت : وما عسيتُ أن أقول في الزبير ابن عمِّ رسول الله صلى الله عليه وسلم وحواريِّه، وقد شهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة، ولقد كان سبًا قًا إلى كلِّ مَكْرَمَةٍ فِي الْإِسْلَامِ . وإني

(١) المِرْكَنُ : الإِجَانَةُ وَهِيَ إِذَا تَغَسَّلَ فِيهِ الثِّيَابُ . وَيُعْرَكُ : يَحْكُ . وَالرَّجِيعُ الْمُرْدُودُ . أَيْ لَا تَجْعَلُنِي كَالثُّوبِ الْمَصْبُوغِ يَحْكُ فِي الْإِنَاءِ مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى لِإِنْتِزَاجِ صَبْغِهِ مِنْهُ : تَشْبَهُ بِمُحَاوَرَةِ مُعَاوِيَةَ إِيَاهَا وَسُؤَالِهِ لَهَا مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ لِاسْتِخْرَاجِ مَا فِي نَفْسِهَا بِمَا يَفْضَلُ مِنَ الثِّيَابِ الْمَصْبُوغَةِ لِاسْتِخْرَاجِ صَبْغِهَا مِنْهَا .

أسألك بحق الله يا معاوية، فإن قرشنا تحدث أنك من أحلبها، أن تَسَعِنِي بفضل حملك، وأن تُعَفِّنِي من هذه المسائل، وأمض لما شئت من غيرها؛ قال: نعم وكرامة، قد أَعْفَيْتُكَ؛ ووردها مكرمة إلى بلدها.



### ٣ - كلمة الزرقاء<sup>(١)</sup> بنت عدى

ومن كلام الزرقاء بنت عدى بن قيس الهمدانية ما قالته يوم صَفَّين أيضا :

يروى أنها ذُكرت عند معاوية يوما، فقال لجلسائه : أَيُّكُمْ يَحْفَظُ كلامها؟ قال بعضهم : نحن نحفظه يا أمير المؤمنين ؛ قال : فأشيروا عليّ في أمرها ؛ فأشار بعضهم بقتلها، فقال : بئس الرأي ! أَيَحْسُنُ بمثل أن يقتل امرأة ! ثم كتب إلى عامله بالكوفة أن يُوفدها إليه مع ثقة من ذوى محرمها وعدة من فرسان قومها، وأن يمهد لها وطاءً لينا، ويستترها بستر خَصِيف<sup>(٢)</sup>، ويوسع لها في النفقة . فلما دخلت على معاوية، قال : مرحباً بك وأهلاً ! قَدِمْتِ خيرَ مَقْدَمٍ قَدِمه وافد، كيف حالك ؟ قالت : بخير يا أمير المؤمنين، أدام الله لك النعمة ! قال : كيف كنتِ في مسيرك؟ قالت : ربيبة بيتٍ أو طفلاً ممهداً؛ قال : بذلك أمرناهم . أتدريين فيم بعثتُ إليك؟ قالت : وأنى لي بعلم ما لم أعلم؟ وما يعلم الغيب إلا الله عز وجل؛ قال : ألسيتِ الراكبةَ الجملِ الأحمر، والواقفةَ بين الصَّفِيفِينِ بِصَفِيفِينِ مُحْضِيفِينِ الناسِ على القتال، وتوقدين الحرب؟ فما حملك على ذلك؟ قالت : يا أمير المؤمنين، مات الرأس، وبُتِرَ الذَّنْبُ، ولن يعود ما ذهب؛ والدهر ذو غير، ومن تفكّر أبصر، والأمرُ يحدث بعسده الأمر؛ قال

(١) هي الزرقاء بنت عدى بن غالب بن قيس الهمدانية، كانت من أهل الكوفة، وكانت ذات شجاعة فاتها، وبلاغة نادرة، شهدت مع قومها واقعة صفين، ولها عدة خطب تحرض الناس فيها على القتال ضد معاوية . وبعد أن تم لمعاوية ما أراد كتب إلى عامله بالكوفة باستدائها، فأحضرت إليه، وبعد محاوره بينه وبينها سأها حاجتها، فقالت : « يا أمير المؤمنين، آليت على نفسي ألا أسأل أميراً أعنت عليه أبداً » ثم انصرفت، وبعد ذلك أرسل لها معاوية جائزة .

(٢) خصيف : غليظ .

لها معاوية: أتخفظين كلامك يومئذ؟ قالت: لا والله، ولقد أنسيتُه؛ قال: لكني أحفظه،  
لله أبوك حين تقولين:

أيها الناس، إرعووا وأرجعوا! إنكم أصبحتم في فتنَةٍ غَشَّتكم جلايبَ الظلم، وجارت  
بكم عن قصد المحجة. فيالها فتنَةٌ عمياء، صمَاءٌ بكاء، لا تسمع لنا عقها، ولا تسلس لقائدها.  
إن المصباح لا يضيء في الشمس، والكواكب لا تثير مع القمر، ولا يقطع الحديد  
إلا الحديد. ألا من أسترشد أرشدناه، ومن سألنا أخبرناه.

أيها الناس، إن الحق كان يطلب ضالته فأصابها! فصبراً يامعاشر المهاجرين والأنصار  
على الغصص؛ فكان قد أندمل شعبُ الشتات، وألنمت كلمةُ التقوى، ودمع الحق باطله!  
فلا يجهلن أحدٌ فيقول: كيف العدلُ وأنى! ليقضى الله أمراً كان مفعولاً. ألا وإن خضاب  
النساء الحنأ، وخضاب الرجال الدماء! ولهذا اليوم ما بعده، والصبر خيرٌ في عواقب  
الأمر. إيها إلى الحرب قُدماً غير ناكسين ولا متشاكسين.

ثم قال لها: يازرقاء، لقد شَرِكْتِ علياً في كل دم سَفَكه؛ قالت: أحسن الله بشارتك،  
وأدام سلامتك؛ فمثلك من بشر بخير وسرّ جلسه؛ قال: ويسرك ذلك؟ قالت: نعم سررتُ  
بالخبر فأنتى لى بتصديق الفعل! فضحك معاوية وقال: لوفاؤكم له بعد موته أعجب عندي  
من حُكم له في حياته! أذكرى حاجتك؛ قالت: يا أمير المؤمنين، آليت على نفسي ألا  
أسأل أميراً أعنتُ عليه أبداً، ومثلك من أعطى من غير مسألة، وجاد من غير طلبه؛ قال:  
صدقت، وأمر لها وللذين جاءوا معها بجوائز وكسا.

#### ٤ — عكرشة بنت الأطرش

ومن كلام عكرشة بنت الأطرش ما قالته يوم صفتين أيضاً:  
يروى أنها دخلت على معاوية متوكئة على عكازها، فسأمت عليه بالخلافة ثم جلست؛  
فقال لها معاوية: الآن صرتُ عندك أمير المؤمنين؟ قالت: نعم إذ لا على حى! قال:

ألسيت المتقلدة حائل السيف بصفين وأنت واقفة بين الصفيين تقولين : أيها الناس ، عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا أهديتكم . إن الجنة لا يحزن من قطنها ، ولا يهرم من سكنها ، ولا يموت من دخلها ، فابتاعوها بدار لا يدوم نعيمها ، ولا تنصرم همومها . وكونوا قوماً مستبصرين في دينهم ، مستظهريين على حقهم ؛ إن معاوية دلف إليكم بعجم العرب ، لا يفقهون الإيمان ، ولا يدرون ما الحكمة . دعاهم الى الباطل فأجابوه ، واستدعاهم إلى الدنيا فلبّوه . فالله الله عباد الله في دين الله ! وإياكم والتواكل فإن ذلك ينقض عرى الإسلام ، ويطنئ نور الحق . هذه بدر الصغرى ، والعقبة الأخرى . يامعشر المهاجرين والأنصار ، أمضوا على بصيرتكم ، وأصبروا على عزيمتكم ، فكأنى بكم غداً وقد لقيتم أهل الشام كالحجر الناهقة تقصع قصع البعير<sup>(١)</sup> .

ثم قال : فكأنى أراك على عصاك هذه قد انكفأ عليك العسكران يقولون هذه عكرشة بنت الأطرش ، فإن كدت لتغلين أهل الشام لولا قدر الله ، وكان أمر الله قدراً مقدوراً ، فما حملك على ذلك ؟ قالت : يا أمير المؤمنين ، يقول الله جل ذكره : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنَ أَشْيَاءَ إِن تُبَدَّلَ لَكُمْ تَسْؤُكُمْ ﴾ الآية ، وإن اللبيب إذا كره أمراً لا يحب إعادته ؛ قال : صدقت ، فاذكري حاجتك ؛ قالت : كانت صدقاتنا تؤخذ من أغنيائنا فترد على فقرائنا ، وقد فقدنا ذلك ، فما يجبر لنا كسير ، ولا يُنعش لنا فقير ؛ فإن كان عن رأيك فمثلك من أنتبه من الغفلة وراجع التوبة ، وإن كان عن غير رأيك فما مثلك من استعان بالحنونة ، ولا استعمل الظلمة ؛ قال معاوية : يا هذه ، إنه ينوبنا من أمور رعيتنا ثغور نتفتق ، وبحور نتدقق ؛ قالت : سبحان الله ! والله ما فرض الله لنا حقاً فجعل فيه ضرراً لغيرنا وهو علام الغيوب ؛ قال معاوية : هيات يا أهل العراق ، نهبكم على فلن تطاقوا . ثم أمر برد صدقاتهم فيهم وإنصافهم .

(١) يقال : قصع البعير بجزته يقصع قصعا : مضعها .

٦ - رسالة لعبد الحميد الكاتب<sup>(١)</sup>

كتب عبد الحميد بن يحيى الكاتب عن مروان بن محمد لبعض من ولّاه<sup>(٢)</sup> :

أما بعدُ ، فإنَّ أمير المؤمنين - عند ما اعترَمَ عليه من توجيهك الى عدوّ الله الخلف الجافي الأعرابي ، المتسكِّع في حيرة الجهالة ، وظلم الفتنه ، ومهاوى الهلكة ، ورعاعه الذين عاثوا في أرض الله فسادًا ، وأتتهكوا حرمة الإسلام استخفافًا ، وبدلوا نعمة الله كفرًا ، وآستحلوا دماء أهل سائمه جهلا - أحبُّ أن يَهْدَ اليك في لطائف أمورك ، وعوامِّ شؤونك ، ودخائل أحوالك ، ومُضْطَرَف تنقلك عهدًا يحمِّلك فيه أدبه ، ويشرع لك به

(١) هذه الرسالة منقولة عن صبح الأعشى ج ١٠ ص ١٩٥ (٢) هو عبد الحميد بن يحيى بن سعيد العامريّ ولّاه الشامي دارا ، شيخ الكتاب الأوائل ، وأول من أطال الرسائل .

كان عبد الحميد من أهل الشام من موالى بني طامر ، وتخرج في البلاغة والكتابة على نخته أبي العلاء سالم مولى هشام بن عبد الملك ، وكان دولته وأحد بلغاء العالم والنقلة من اليونانية . وكان عبد الحميد في أول أمره معلم صبيان ينتقل في البلدان حتى فطن له مروان بن محمد أيام توليته أرمينية وانتداه لتسكين فتنها ، فكتب له مئة ولاية ، حتى إذا بلغه مبايعة أهل الشام له بالخلافة سجد مروان لله شكرًا وسجد أصحابه لإعبد الحميد ، فقال له مروان لم لا تسجد؟ فقال : ولم أسجد؟ أعلی أن كنت معنا فطرت عنا ! قال : إذا تطير معي قال : الآن طاب لي السجود وسجد ، فاتخذ مروان كاتب دولته ، فصدر عنه من الرسائل ما صار نموذجًا يحاكيه من بعده من البلغاء .

ولما دهمت مروان جيوش خراسان أنصار الدعوة العباسية وتوالت عليه الهزائم كان عبد الحميد يلازمه في كل هذه الشدة ، فقال له مروان : قد احتجت أن تصير مع عدوّي وتظهر العدرى ، فإن إيجابهم بأدبك ، وحاجتهم إلى كتابتك ، تحوجهم إلى حسن الظن بك ، فإن استطعت أن تنفعي في حياتي وإلا لم تعجز عن حفظ حرمي بعد وفاتي ، فقال له : إن الذي أشرت به على أنفع الأمرين لك وأقبحهما بي ، وما عندي إلا الصبر حتى يفتح الله عليك أو أقتل معك . وأنشد :

أسرّ وفاء ثم أظهر غدره \* فنلى بعذريوسع الناس ظاهره

وبقي معه حتى قتل مروان سنة ١٣٢ هـ ففروا خبأ عند صديقه ابن المقفع ففاجأه الطلب وهو في بيته ، فقال الذين دخلوا عليهم : أيكما عبد الحميد؟ فقال كل منهما : أنا ، خوفا على صاحبه ، وخاف عبس الحميد أن يسرعوا إلى ابن المقفع فقال : ترفقوا بنا فإن كلامنا له علامات ، فوكوا بنا بعضكم ويمضى بعض آخر ويذكر تلك العلامات لمن وجهكم ففعلوا وأخذ عبد الحميد إلى السفاح فقتله سنة ١٣٢ هـ . انظر ترجمته في ابن خلكان (ج ١ ص ٤٣٦) . (٣) هو عبد الله بن مروان أرسله لقتال الضحاك بن قيس الشيباني الخارجي .

عِظَتَهُ ، وَإِنْ كُنْتَ بِحَمْدِ اللَّهِ مِنْ دِينِ اللَّهِ وَخِلَافَتِهِ بِحَيْثُ أَصْطَنَعَكَ اللَّهُ لَوْلَايَةِ الْعَهْدِ مَخْتَصًّا  
لَكَ بِذَلِكَ دُونَ لِحْمَتِكَ وَبَنِي أَبِيكَ . وَلَوْلَا مَا أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ دَالًّا عَلَيْهِ ، وَتَقَدَّمَتْ فِيهِ  
الْحِكْمَاءُ أَمِيرِينَ بِهِ : مِنْ تَقْدِيمِ الْعِظَةِ ، وَالتَّذْكَيرِ لِأَهْلِ الْمَعْرِفَةِ ، وَإِنْ كَانُوا أَوْلَى سَابِقَةٍ  
فِي الْفَضْلِ وَخِصِّيْصَاءِ فِي الْعِلْمِ ، لِأَعْتَمَدِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى أَصْطِنَاعِ اللَّهِ بِإِيَّاكَ وَتَفْضِيلِهِ لَكَ  
بِمَارَاكَ أَهْلَهُ فِي مَحَلِّكَ مِنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَسَبِّكَ إِلَى رَغَائِبِ أَخْلَاقِهِ ، وَاتِّزَاعِكَ بِمَجْدِ شَيْبِهِ ،  
وَأَسْتِدْلَاثِكَ عَلَى مَشَابِهِ تَدْبِيرِهِ . وَلَوْ كَانَ الْمُؤَدَّبُونَ أَخَذُوا الْعِلْمَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ ، أَوْ لَقَّنُوهُ  
إِلْهَامًا مِنْ تَلْقَائِهِمْ وَلَمْ نُنْصِبْهُمْ تَعَلَّمُوا شَيْئًا مِنْ غَيْرِهِمْ ، لَنَحَلْنَاهُمْ عِلْمَ الْغَيْبِ ، وَوَضَعْنَاهُمْ بِمَنْزِلَةِ  
قَصْرِهَا عَنْهُمْ خَالِقَهُمُ الْمُسْتَأْتَرِ بِعِلْمِ الْغَيْبِ عَنْهُمْ بِوَحْدَانِيَّتِهِ فِي فِرْدَانِيَّتِهِ وَسَابِقِ لَاهُوتِيَّتِهِ ،  
أَحْتِجَابًا مِنْهُمْ لَتَعَقُّبِ فِي حِكْمِهِ ، وَتَثْبُتِ فِي سُلْطَانِهِ وَتَنْفِيذِ إِرَادَتِهِ ، عَلَى سَابِقِ مَشِيئَتِهِ .  
وَلَكِنَّ الْعَالِمَ الْمَوْفَّقَ لِلْخَيْرِ ، الْمَخْصُوصَ بِالْفَضْلِ ، الْمَحْبُوبَ بِمِزِيَةِ الْعِلْمِ وَصِفَوْتِهِ ، أَدْرَكَهُ مُعَانًا عَلَيْهِ  
بِلُطْفِ بَحْتِهِ ، وَإِذْلالِ كَنَفِهِ ، وَصِحَّةِ فَهْمِهِ ، وَهَجْرِ سَامَتِهِ .

وَقَدْ تَقَدَّمَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ إِلَيْكَ ، آخِذًا بِالْحِجَّةِ عَلَيْكَ ، مُؤَدِّيًا حَقَّ اللَّهِ الْوَاجِبَ عَلَيْهِ  
فِي إِرْشَادِكَ وَقَضَاءِ حَقِّكَ ، وَمَا يَنْظُرُ بِهِ الْوَالِدُ الْمَعْنِيُّ الشَّفِيقُ لَوْلَدِهِ . وَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ يَرْجُو أَنْ  
يَتَزَهَّقَ اللَّهُ عَنْ كُلِّ قَبِيحٍ يَهْشُ لَهُ طَمَعٌ ، وَأَنْ يَعِصَمَكَ مِنْ كُلِّ مَكْرُوهٍ حَاقٍ بِأَحَدٍ ، وَأَنْ  
يُحْصِنَكَ مِنْ كُلِّ آفَةٍ أَسْتَوْلَتْ عَلَى أَمْرِيٍّ فِي دِينٍ أَوْ خُلُقٍ ، وَأَنْ يَبْلُغَهُ فِيكَ أَحْسَنَ مَا لَمْ يَزَلْ  
يَعُودُهُ وَيُرِيهِ مِنْ آثَارِ نِعْمَةِ اللَّهِ عَلَيْكَ ، سَامِيَةً بِكَ إِلَى ذِرْوَةِ الشَّرْفِ ، مُتَبَحِّحَةً بِكَ بِسَطَّةِ  
الْكَرَمِ ، لِأَمْحَةِ بَكَ فِي أَزْهَرِ مَعَالِي الْأَدَبِ ، مُورِثَةً لَكَ أَنْفَسَ ذَخَائِرِ الْعِزِّ ، وَاللَّهُ يَسْتَخْلِفُ  
عَلَيْكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَيَسْأَلُ حَيَاطَتَكَ ، وَأَنْ يَعِصَمَكَ مِنْ زَيْغِ الْهَوَى ، وَيُحْضِرَكَ دَاعِيَ  
التَّوْفِيقِ ، مُعَانًا عَلَى الْإِرْشَادِ فِيهِ ، فَإِنَّهُ لَا يُعِينُ عَلَى الْخَيْرِ وَلَا يُوَفِّقُ لَهُ إِلَّا هُوَ .

اعْلَمْ أَنَّ لِلْحِكْمَةِ مَسَالِكَ تُفْضِي مَضَائِقُ أَوَائِلِهَا بَيْنَ أَمَّهَا سَالِكًا ، وَرِكَبَ أخطَارِهَا  
قَاصِدًا ، إِلَى سَعَةِ عَاقِبَتِهَا ، وَأَمْنِ سَرْحِهَا ، وَشَرَفِ عِزِّهَا . وَأَنَّهَا لَا تُعَارِ بِسُخْفِ الْخَلْقَةِ ،  
وَلَا تُنْشَأُ بِتَفْرِيطِ الْغَفْلَةِ ، وَلَا يُتَعَدَّى فِيهَا بِأَمْرِيٍّ حُدُّهُ . وَرَبِّمَا أَظْهَرَتْ بِسَطَّةِ النَّوَى

مستور العيب . وقد تلقتك أخلاق الحكمة من كل جهة بفضلها ، من غير تعب البحث في طلبها ، ولا متناولٍ لمناولة ذروتها ؛ بل تأثلت منها أكرم نبعاتها ، وأستخلصت منها أعتق جواهرها ؛ ثم سموت الى لباب مصاصها <sup>(١)</sup> ، وأحرزت منفس ذخاؤها ، فاقتعد ما أحرزت ، ونافس فيما أصبت .

وَأَعْلَمُ أَنْ أَحْتَوَاكَ عَلَى ذَلِكَ وَسَبَقَكَ إِلَيْهِ بِإِخْلَاصِ تَقْوَى اللَّهِ فِي جَمِيعِ أُمُورِكَ مُؤَثِّرًا لَهَا ، وَإِضْمَارِ طَاعَتِهِ مَنْطَوِيًّا عَلَيْهَا ، وَإِعْظَامِ مَا أَنْعَمَ اللَّهُ بِهِ عَلَيْكَ شَاكِرًا لَهُ ، مَرْتَبطًا فِيهِ لِلزَّيْدِ بِحَسَنِ الْحَيَاةِ لَهُ وَالذَّبِّ عَنْهُ مِنْ أَنْ تَدْخُلَكَ مِنْهُ سَامَةٌ مَلَالٌ ، أَوْ غَفْلَةٌ ضَيَاعٌ ، أَوْ سِنَةٌ تَهْوَانُ ، أَوْ جَهَالَةٌ مَعْرِفَةٍ ، فَإِنَّ ذَلِكَ أَحَقُّ مَا يُدْئِي بِهِ وَنُظِرَ فِيهِ ، مَعْتَمِدًا عَلَيْهِ بِالْقُوَّةِ وَالآلَةِ وَالْعُدَّةِ وَالْأَنْفِرَادِ بِهِ مِنَ الْأَصْحَابِ وَالْحَامَةِ . فَتَمَسَّكَ بِهِ لِاجْتِنَاءِ إِلَيْهِ ، وَأَعْتَمَدَ عَلَيْهِ مُؤَثِّرًا لَهُ ، وَالتَّجَيَّ إِلَى كَنَفِهِ مَتَحِيَّرًا إِلَيْهِ : فَإِنَّهُ أْبْلَغُ مَا طُلِبَ بِهِ رِضَا اللَّهِ وَأَنْجَحُهُ مَسْأَلَةٌ ، وَأَجْزَلُهُ ثَوَابًا ، وَأَعْوَدُهُ نَفْعًا ، وَأَعْمَهُ صِلَاحًا ؛ أَرْشَدَكَ اللَّهُ لِحُطِّكَ ، وَفَهَّمَكَ سَدَادَهُ ، وَأَخَذَ بِقَلْبِكَ إِلَى مَحْمُودِهِ . ثُمَّ أَجْعَلِ اللَّهُ فِي كُلِّ صَبَاحٍ يُنْعِمُ عَلَيْكَ بِلُؤْغِهِ ، وَيُظْهِرُ مِنْكَ السَّلَامَةَ فِي إِشْرَاقِهِ ، مِنْ نَفْسِكَ نَصِيبًا تَجْعَلُهُ لَهُ شُكْرًا عَلَى إِبْلَاغِهِ إِيَّاكَ يَوْمَكَ ذَلِكَ بِصِحَّةِ جَوَارِحِ وَعَافِيَةِ بَدَنٍ ، وَسُبُوحِ نِعَمٍ ، وَظُهُورِ كِرَامَةٍ ، وَأَنْ تَقْرَأَ فِيهِ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ — تَبَارَكَ وَتَعَالَى — جِزَاءً تُرَدُّ رَأْيِكَ فِي آيِهِ ، وَتُرْتَلُّ لِفِظِكَ بِقِرَاءَتِهِ ، وَتُحْضَرُ عَقْلَكَ نَاطِرًا فِي مُحْكَمِهِ ، وَتُنْفَهَمُهُ مَفْكَرًا فِي مُتَشَابِهِهِ : فَإِنَّ فِي الْقِرَاءَنِ شِفَاءَ الصَّدُورِ مِنْ أَمْرَاضِهَا ، وَجِلَاءَ وَسَاوِسِ الشَّيْطَانِ وَصَعَاصِعِهِ <sup>(٣)</sup> ، وَضِيَاءَ مَعَالِمِ النُّورِ ، تَبَيَّنَا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهَدَى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ . ثُمَّ تَعَهَّدْ نَفْسَكَ بِجَاهِدَةِ هَوَاكَ ، فَإِنَّهُ مَغْلَاقُ الْحَسَنَاتِ ، وَمِفْتَاحُ السَّيِّئَاتِ ، وَخَصَمُ الْعَقْلِ .

وَأَعْلَمُ أَنَّ كُلَّ أَهْوَاؤِكَ لَكَ عَدُوٌّ يُجَاوِلُ هَلَكَتِكَ ، وَيَعْتَرِضُ غَفْلَتَكَ ، لِأَنَّهَا خُدْعُ إِبْلِيسَ ، وَخَوَاتِلُ مَكْرِهِ ، وَمَصَائِدُ مَكِيدَتِهِ ؛ فَاحْذَرِهَا مَجَانِبًا لَهَا ، وَتَوَقَّهْهَا مُحْتَرِسًا مِنْهَا ؛ وَأَسْتَعِذْ

(١) المصاص : خالص كل شيء .

(٢) كذا في صبح الأعشى وفي مفتاح الأفكار (ص ٢٨٢) وغيره « وترين » . (٣) الصعاصع :

جمع صعصع وهو طائر أشهب يصيد الجنادب ، شبه وسوسة الشيطان به . وفي بعض المؤلفات « وسفاسفه » .

بالله عزّ وجلّ من شرها، وجَاهِدْهَا إِذَا تَنَاصَرْتَ عَلَيْكَ بِعَزْمٍ صَادِقٍ لَا وِثْيَةَ فِيهِ، وَحَزْمٍ نَافِذٍ لَا مَثْنِيَّةَ لِرَأْيِكَ بَعْدَ إِصْدَارِهِ، وَصِدْقٍ غَالِبٍ لَا مَطْمَعٍ فِي تَكْذِيبِهِ؛ وَمَضَاءَ صَارِمَةٍ لَا أُنَاةَ مَعَهَا، وَنِيَّةٍ صَحِيحَةٍ لَا خَلْجَةَ شَكٍّ فِيهَا: فَإِنْ ذَلِكَ ظَهَرَ صِدْقٍ لَكَ عَلَى رَدِّعِهَا عَنْكَ، وَقَعِهَا دُونَ مَا نَتَطَلَّعُ إِلَيْهِ مِنْكَ؛ فَهِيَ وَاقِيَةٌ لَكَ سُخْطَةَ رَبِّكَ، دَاعِيَةٌ إِلَيْكَ رِضَا الْعَامَّةِ عَنْكَ، سَاتِرَةٌ عَلَيْكَ عَيْبٍ مِنْ دُونِكَ؛ فَازِدْ فِيهَا مَتَحَلِّيًّا، وَأَصِبْ بِأَخْلَاقِكَ مَوَاضِعَهَا الْحَمِيدَةَ مِنْهَا، وَتَوَقَّ عَلَيْهَا الْآفَةَ الَّتِي تَقْتَطِعُكَ عَنْ بَلُوغِهَا، وَتَقْصُرُ بِكَ دُونَ شَأْوَاهَا: فَإِنْ الْمُؤُونَةُ إِنَّمَا أَشْتَدَّتْ مُسْتَصْعِبَةً، وَفَدَّحَتْ بَاهُظَةً أَهْلَ الْطَلْبِ لِأَخْلَاقِ أَهْلِ الْكِرْمِ الْمُتَحَلِّينِ سَمُوَ الْقَدْرُ، بِجَهَالَةِ مَوَاضِعِ ذَمِيمِ الْأَخْلَاقِ وَمَجْمُودِهَا، حَتَّى فَرَطَ أَهْلُ التَّقْصِيرِ فِي بَعْضِ أُمُورِهِمْ، فَدَخَلَتْ عَلَيْهِمُ الْآفَاتُ مِنْ جِهَاتٍ أَمْنُوها، فَنُسِبُوا إِلَى التَّفْرِيطِ، وَرَضُوا بِذَلِكَ الْمَنْزِلِ، فَأَقَامُوا بِهِ جَاهِلِينَ بِمَوْضِعِ الْفَضْلِ، عَمَّهِينَ عَنِ دَرَجِ الشَّرْفِ، سَاقِطِينَ دُونَ مَنْزِلَةِ أَهْلِ الْحِجَا. فَحَاوِلْ بَلُوغَ غَايَاتِهَا مُحَرِّزًا لَهَا بِسَبْقِ الطَّلْبِ إِلَى إِصَابَةِ الْمَوْضِعِ، مُحَصِّنًا أَعْمَالَكَ مِنَ الْعُجْبِ: فَإِنَّهُ رَأْسُ الْهَوَى، وَأَوَّلُ الْغَوَايَةِ، وَمَقَادِمُ الْمَلَكَةِ؛ حَارِسًا أَخْلَاقَكَ مِنَ الْآفَاتِ الْمُتَّصِلَةِ بِمَسَاوِي الْأَلْقَابِ وَذَمِيمِ تَنَابُزِهَا، مِنْ حَيْثُ أَتَتْ الْغَفْلَةَ، وَأَنْتَشَرَ الضِّيَاعَ، وَدَخَلَ الْوَهْنَ. فَتَوَقَّ غُلُوبَ الْآفَاتِ عَلَى عَقْلِكَ، فَإِنْ شَوَاهِدَ الْحَقِّ سَتُظْهِرُ بِأَمَارَاتِهَا تَصْدِيقَ آرَائِكَ عِنْدَ ذَوِي الْحِجَا حَالَ الرَّأْيِ وَفَخِصَ النَّظَرَ. فَاجْتَلِبْ لِنَفْسِكَ مَجْمُودَ الذِّكْرِ وَبَاقِيَ لِسَانِ الصِّدْقِ بِالْحَذَرِ لِمَا تَقَدَّمَ إِلَيْكَ فِيهِ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، مَتَحَرِّزًا مِنْ دُخُولِ الْآفَاتِ عَلَيْكَ مِنْ حَيْثُ أَمْنِكَ وَقِلَّةِ ثِقَّتِكَ بِمُحْكَمِهَا: مِنْ ذَلِكَ أَنْ تَمْلِكَ أُمُورَكَ بِالْقَصْدِ، وَتَدَارِيَ جُنْدَكَ بِالْإِحْسَانِ، وَتَصُونَ سِرَّكَ بِالْكِتْمَانِ، وَتَدَاوِيَ حَقْدَكَ بِالْإِنْصَافِ، وَتَذَلَّلَ نَفْسَكَ بِالْعَدْلِ، وَتَحَصَّنَ عَيْبُكَ بِتَقْوِيمِ أَوْدِكَ، وَتَمْنَعَ عَقْلَكَ مِنْ دُخُولِ الْآفَاتِ عَلَيْهِ بِالْعُجْبِ الْمُرْدِيِّ. وَأَنَاؤُكَ فَوْقَهَا الْمَلَالَ وَفُوتَ الْعَمَلِ، وَمَضَاءَ تَكَ فِدْرَعِهَا رِوِيَّةَ النَّظَرِ وَأَكْنُفِهَا بِأَنَاةِ الْحِلْمِ. وَخَلُوتَكَ فَاحْرُسْهَا مِنَ الْغَفْلَةِ وَأَعْمَادِ الرَّاحَةِ، وَصَمْتِكَ

فأنف عنه عيَّ اللفظ ، وخفَّ سوء القالة ؛ وأستماعتك فأرعه حُسن التفهيم ، وقوه بإشهاد  
الفكر ؛ وعطاءك فأمهده بيوتات الشرف وذوى الحسب ، وتحزُّز فيه من السرف وأستطالة  
البدخ وأمتنان الصنعة ؛ وحياءك فامنعه من الخجل وبلادة الحصر ؛ وحلمك فرعه عن  
التهاون وأخضره قوة الشكيمة ؛ وعقوبتك فقصر بها عن الإفراط ، وتعمد بها أهل  
الاستحقاق ؛ وعفوك فلا تُدخله تعطيل الحقوق ، وخذ به واجب المفترض ، وأقم به أود  
الدين ؛ وأستثناسك فأمنع منه البداء وسوء المناقثة <sup>(١)</sup> . وتعهدك أمورك فحده أوقاتا ، وقدره  
ساعات لا تستفرغ قوتك ، ولا تستدعي سآمتك ؛ وعزماتك فانف عنها عجلة الرأي ،  
ولحاجة الإقدام ؛ وفرحاتك فاشكها عن البطر ، وقيدتها عن الزهو ؛ وروعاتك فخطها من  
دهش الرأي وأستسلام الخضوع ؛ وحدراتك فامنعها من الجبن ، وأعمد بها الحزم ؛  
ورجاءك فقيده بخوف الفات ، وأمنعه من أمن الطلب .

هذه جوامع خلال ، دخال التقص منها واصل إلى العقل بلطائف أبنه ، وتصاريف  
حويله ، فأحكها عارقا بها ، وتقدم في الحفظ لها ، معتزما على الأخذ بمراشدها والانتها منها <sup>(٢)</sup>  
إلى حيث بلغت بك عظة أمير المؤمنين وأدبه إن شاء الله .

ثم لتكن بطانتك وجلسائك في خلواتك ودخلائك في سرك ، أهل الفقه والورع من  
خاصة أهل بيتك ، وعامة قوادك من قد حنكته السن بتصاريف الأمور ، وخبطته فضالها  
بين فراسن البزل منها ، وقلبته الأمور في فنونها ، وركب أطوارها ، عارقا بحاسن الأمور <sup>(٣)</sup>  
ومواضع الرأي وعين المشورة ؛ مأمون النصيحة ، منطوي الضمير على الطاعة . ثم أخضهم  
من نفسك وقاراً يستدعي لك منهم الهيبة ، وأستثناسا يعطف إليك منهم المودة ، وإنصاتا  
يقل إفاضتهم له عندك بما تكره أن يُنشر عنك من سخافة الرأي وضياع الحزم . ولا يغلب  
عليك هواك فيصرفك عن الرأي ويقتطعك دون الفكر . وتعلم أنك وإن خلوت بسير

(١) يقال : ناقث فلان فلانا بالكلام : آذاه . (٢) الحويل : الخلق والقدرة على التصرف .

(٣) الفراسن : واحدها فرسن وهو طرف خف البعير .

فألقيت دونه سُتورك، وأغلقت عليه أبوابك، فذلك لا محالة مكشوفٌ للعامة، ظاهرٌ عنك وإن آسترت برّما ولعلّ وما أرى إذاعة ذلك وأعلم، بما يرون من حالاتٍ من يتقطع به في تلك المواطن. فتقدّم في إحكام ذلك من نفسك، وأسدد خلكه عنك: فإنه ليس أحدٌ أسرعُ إليه سوء القالة ولغظ العامة بخيرٍ أو شرٍّ من كان في مثل حالك ومكانك الذي أصبحت به من دين الله والأمل المرجو المنتظر فيك. وإياك أن يغمز فيك أحدٌ من حامتك ويطانة خدمتك بضعفةٍ يجد بها مساعا إلى النطق عندك بما لا يعترلك عيبه، ولا تخلو من لائمه، ولا تأمنُ سوء الأحدثوة فيه، ولا يرخصُ سوء القالة به إن نجم ظاهرا أو علنَ باديا، ولن يجترئوا على تلك عندك إلا أن يروا منك إصغاء إليها وقبولها وترخيصا لهم في الإفاضة بها. ثم إياك وأن يُفاض عندك بشيءٍ من الفكاهات والحكايات والمزاح والمصاحك التي يستخف بها أهل البطالة، ويتسرع نحوها ذوو الجهالة؛ ويجد فيها أهل الحسد مقالا لعب يدعيونه، وطعنا في حق يحدونه؛ مع ما في ذلك من نقص الرأي، ودرن العرض، وهدم الشرف، وتأثيل الغفلة، وقوة طباع السوء الكامنة في بني آدم ككؤون النار في الحجر الصلد، فاذا قُدح لاح شره، وتلهّب وميضه، ووقد تضمره. وليست في أحد أقوى سطوة، وأظهر توقدا، وأعلى كونا، وأسرع إليه بالعب وتطرق الشين منها لمن كان في مثل سنك: من أغفال الرجال وذوى العنقوان في الحدائث الذين لم يقع عليهم سمات الأمور، ناطقا عليهم لأئحها، ظاهرا فيهم وسمها، ولم تمحضهم شامتها، مظهرة للعامة فضلهم، مديعة حسن الذكر عنهم؛ ولم يبلغ بهم الصيت في الحنكة مستمعا يدفعون به عن أنفسهم نواطق ألسن أهل البغي، ومواد أبصار أهل الحسد.

ثم تعهد من نفسك لطيف عيب لازم لكثير من أهل السلطان والقدرة: من إبطار الدرع ونخوة الشرف والتية وعيب الصلّف؛ فإنها تُسرّع بهم إلى فسادٍ وتهجين

(١) الأغفال جمع غفل وهو الذي لم يجرب الأمور. (٢) يقال: أبطره ذرعه إذا جمله فوق

ما يطبق. وفي صبح الأعشى (ج ١٠ ص ٢٠١) «أبطال الدرع». وقد توقف فيها مصححه.

عقولهم في مواطن جمّة، وأنحاء مُصَطَّرِفة، منها قلة آفتدارهم على ضبط أنفسهم في مواكبتهم ومسائرتهم العامة: فن مُقلِّل شخصه بكثرة الالتفات عن يمينه وشماله، تَرْدِيهِ الخِفة، وَيُطِرُهُ إجلابُ الرجال حوله؛ ومن مُقْبِل في موكبه على مداعبة مسائره بالمفاكهة له والتضاحك إليه، والإيجاف في السير مَرَحًا، وتحريك الجوارح متسرعا يخال أن ذلك أسرع له وأحث لمطيته. فلتَحَسِّن في ذلك هيئتَكَ، ولتَجَمَّل فيه دَعَتَكَ؛ وليَقَلَّ على مسارك إقبالكَ إلا وأت مطرق النظر، غير ملتفت إلى محدث، ولا مقبل عليه بوجهك في موكبك لمحدثه، ولا مَوْجِف في السير مُقلِّل لجوارحك بالتحريك والاستنهاض؛ فإن حسن مسaire الوالى وأتداعه في تلك الحالة دليل على كثير من غيوب أمره ومستتر أحواله.

وأعلم أن أقواما يتسرعون إليك بالسعاية، ويأتونك على وجه النصيحة، ويستميلونك بإظهار الشفقة، ويستدعونك بالإغراء والشبهة، ويوطئونك عشوة الخيرة: ليجعلوك لهم ذريعة إلى استئكال العامة بموضعهم منك في القبول منهم والتصديق لهم على من قرفوه بتهمة، أو أسرعوا بك في أمره إلى الظننة؛ فلا يَصِلُ<sup>(١)</sup> إلى مشافهتك ساج بشبهة، ولا معروف بتهمة، ولا منسوب<sup>(٢)</sup> إلى بدعة فيعرضك لإيتاغ دينك<sup>(٣)</sup>، ويملك على رعيتك بما لاحقيقة له عندك، ويُلِحِّمك أعراض قوم لا علم لك بدخلهم، إلا بما أقدم به عليهم ساعيا وأظهر لك منهم مُتَّصِحًا. وليكن صاحب شُرطتك المتولى لإنهاء ذلك هو المنصوب لأولئك، والمستمع لأقاويلهم، والفاحص عن نصائحهم؛ ثم لينه ذلك إليك على ما يُرْفَع إليه منه لتأمره بأمرك فيه، وتقفه على رأيك من غير أن يظهر ذلك للعامة: فإن كان صوابا نالتك خيرته، وإن كان خطأ أقدم به عليك جاهل، أو فرطه سعى بها كاذب، فنالت الساعى منها أو المظلوم عقوبة<sup>(٤)</sup>، أو بدر من واليك إليه عقوبة ونكال، لم يعصب ذلك الخطأ بك ولم تُنْسَب إلى تفریط، وخلوت من موضع الدم فيه مُحْضرا إليه ذهنك وصواب رأيك.

(١) أوتغ دينه بالإثم: أفسده . (٢) أله عرض فلان: أمكنه منه يشتمه . (٣) دخل الرجل (بالفتح والكسر): نيته ومذهبه . (٤) لم يعصب أى لم يلحق .

وتقدّم الى من تُوّلى ذلك الأمر وتعمد عليه فيه ألا يُقدّم على شيء ناظرًا فيه ، ولا يحاول أخذ أحد طارقًا له ، ولا يُعاقب أحداً مُنكلاً به ، ولا يُجلى سبيل أحد صاحبًا عنه لإسحار<sup>(١)</sup> براءته وصحة طريقتيه ، حتى يرفع إليك أمره ، ويُنبئ إليك قضيتَه على جهة الصدق ، ومنحى الحق ، ويقين الخبر ؛ فإن رأيت عليه سبيلاً لمحبس أو مجازاً لعقوبة ، أمرته بتوّل ذلك من غير إدخاله عليك ، ولا مشافهة لك منه ؛ فكان المتوّل لذلك ولم يجر على يديك مكروه رأى ولا غلظة عقوبة . وإن وجدت إلى العفو عنه سبيلاً ، أو كان مما قُوف به خلياً ، كنت أنت المتوّل للإنعام عليه بتخليّة سبيله ، والصفح عنه بإطلاق أسرهِ ؛ فتولّيت أجزلك وأستحققت ذنره ، وأنطقت لسانه بشكرك ، وطوّقت قومه حمدك ، وأوجبت عليهم حقك ؛ فقرنت بين خصمتين ، وأحرزت حظوتين : ثواب الله فى الآخرة ، ومحمود الذكر فى الدنيا .

ثم إياك أن يصل إليك أحد من جنّدك وجلسائك وخاصّتك ويطانك بمسألة يكشفها لك ، أو حاجة يبدّك بطلبها ، حتى يرفعها قبل ذلك إلى كاتبك الذى أهدفته لذلك ونصبتَه له ، فيعرضها عليك مُنهيًا لها على جهة الصدق عنها ، وتكون على معرفة من قدرها : فإن أردت إسعافها ونجاح ما سأل منها ، أذنت له فى طلبها ، باسطاً له كفك ، مُقبلاً عليه بوجهك ؛ مع ظهور سرورك بما سألك ، وفُسحة رأى وبسطة ذرع ، وطيب نفس . وإن كرهت قضاء حاجته ، وأحببت رده عن طلبته ؛ وثقل عليك إجابته إليها وإسعافه بها ، أمرت كاتبك فصفحه عنها ، ومنعه من مواجهتك بها ؛ نخفت عليك فى ذلك المؤونة ، وحسن لك الذكْر ، ولم يُنشر عنك تجهم الرد ، ويتلك سوء القالة فى المنع ، وحمل على كاتبك فى ذلك لائمة أنت منها برىء الساحة .

وكذلك فليكن رأيك وأمرك فيمن طرأ عليك من الوفود وأتاك من الرسل ، فلا يصلن إليك أحد منهم إلا بعد وصول علمه إليك ، وعلم ما قدّم له عليك ، وجهة ما هو مكلمك

(١) أى لوضوح براءته ، فى حديث على : فأصح لعدوك ، أى كن من أمره على أمر واضح .

(٢) صفحه عنها ، رده عنها .

به ، وقدر ما هو سائلك إياه إذا هو وصل إليك ، فأصدرت رأيك في حوائجه ، وأجلت فكرك في أمره ، وأخترت معترماً على إرادتك في جوابه ، وأنفذت مصدر رويتك في مرجوع مسألته قبل دخوله عليك ، وعلمه بوصول حاله إليك ؛ فرفعت عنك مؤونة البديهة ، وأرخت عن نفسك خناق الروية ، وأقدمت على رد جوابه بعد النظر وإجالة الفكر فيه . فإن دخل إليك أحد منهم فكلمك بخلاف ما أنهى إلى كاتبك وطوى عنه حاجته قبلك ، دفعته عنك دفعا جميلا ، ومنعته جوابك منعا وديعا ؛ ثم أمرت حاجبك بإظهار الخفية له والغلظة عليه ، ومنعه من الوصول إليك ؛ فإن ضبطك لذلك مما يحكم لك تلك الأسباب ، صارفاً عنك مؤوتها ، ومسهلاً عليك مستصعبها .

احذر تضييع رأيك وإهمالك أدبك في مسالك الرضا والغضب واعتوارهما إياك ، فلا يزددهنك إفراط عجب تستخفك روائعه ، ويستهويك منظره ، ولا يبدرت منك ذلك خطأ ونزق خفة لمكروه إن حل بك ، أو حادث إن طرأ عليك . وليكن لك من نفسك ظهري ملجأً تحجز به من آفات الردى ، وتستعضده في مهم نازل ، وتتعقب به أمورك في التدبير . فإن أحتجت إلى مادة من عقلك ، وروية من فكرك ، أو أنيساط من منطقك ؛ كان أنحيازك إلى ظهريك مُزدادا مما أحببت الأمتياح منه والامتيار ؛ وإن استدبرت من أمورك بوادِر جهل أو مضى زلل أو معاندة حق أو خطل تدبير ، كان ما أحتجت إليه من رأيك عنذرا لك عند نفسك ، وظهرياً قوياً على رد ما كرهت ، وتحقيقاً لمؤونة الباغين عليك في القالة وانتشار الذكر ؛ وحصناً من غلوب الآفات عليك ، وأستعلائها على أخلاقك .

وأمع أهل بطانتك وخاصة خديمك من أستلحام أعراض الناس عندك بالغبية ، والتقريب اليك بالسعاية ، والإغراء من بعض ببعض ؛ أو النيمة اليك بشيء من أحوالهم

(١) في صبح الأعشى : « وتستعضد في موهم النازل » . وفي رسائل البلاغ : « وتستعده في مهم نازل » .

وأخترنا من العبارتين ما يناسب المقام . (٢) كذا في صبح الأعشى والمفتاح ورسائل البلاغ ، ولعله

وإن ابتدرت ... الخ .

المستترة عنك ، أو التحميل لك على أحد منهم بوجه النصيحة ومذهب الشفقة : فإن ذلك أبلغ بك سموًا الى منالة الشرف ، وأعونك لك على محمود الذكر ، وأطلق لعنان الفضل في جزالة الرأي وشرف الهمة وقوة التدبير .

وأملك نفسك عن الإنبساط في الضحك والأنفهاق ، وعن القطوب بإظهار الغضب وتثقله : فإن ذلك ضعف عن ملك سؤرة الجهل ، وخروج من آتجال آسيم الفضل . وليكن ضحكك تيسماً أو كشرًا في أحيان ذلك وأوقاته ، وعند كل رائق مستخف مطرب ، وقطوبك إطرارقا في مواضع ذلك وأحواله ، بلا عجلة الى السطوة ، ولا إسراع الى الطيرة ، دون أن تكنفها روية الحلم ، وتملك عليها بادرة الجهل .

إذا كنت في مجلس مائك ، وحيث حضور العامة مجلسك ، فإياك والرعى بنظرك الى خاص من قوادك ، أو ذى أثره عندك من حشمك . وليكن نظرك مقسوماً في الجميع ، وإراعتك سمعك ذا الحديث بدعة هادئة ، ووقار حسن ، وحضور فهم مجتمع ، وقلة تضجر بالحدث . ثم لا يبرح وجهك الى بعض حرسك وقوادك متوجها بنظر ركين ، وتفقد محض . وإن وجه اليك أحد منهم نظره محققا ، أو رماك ببصره مليحا ، فاخفض عنه إطرارقا جميلا بانداع وسكون . وإياك والتسرع في الإطراق ، والحلقة في تصريف النظر ، والإلحاح على من قصد اليك في مخاطبته إياك رامقا بنظره .

واعلم أن تصفحك وجوه جلسائك وتفقدك مجالس قوادك من قوة التدبير ، وشهامة القلب ، وذكاء الفطنة ، وأتباها السنة . فتفقد ذلك عارفا بمن حضرك وغاب عنك ، عالما بمواضعهم من مجلسك ، ثم أعدبهم عن ذلك سائلا لهم عن أشغالهم التي منعهم من حضور مجلسك ، وعاقمتهم بالتخلف عنك .

إن كان أحد من حشمك وأعاونك تثق منه بغيب ضمير ، وتعرف منه لين طاعة ، وتشرف منه نلى صحة رأى ، وتأمنه على مشورتك ، فإياك والإقبال عليه في كل حادث يرد عليك ، والتوجه نحوه بنظرك عند طوارق ذلك ، وأن تربيه أو أحدا من أهل مجلسك أن

بك حاجةً إليه مُوحِشة ، أو أن ليس بك عنه غنى في التدبير، أو أنك لا تقضي دونه رأيا، إشراكاً منك له في رويتك، وإدخالاً منك له في مشورتك، وأضطرارا منك الى رأيه في الأمر يعرّوك: فإن ذلك من دخائل العيوب التي ينتشر بها سوء القالة عن نظرائك، فانفها عن نفسك خائفاً لاعتلاقها ذكرك، وأحجبها عن رويتك فاطعاً لأطاع أوليائك عن مثلها عندك ، أو غلّوبهم عليها منك .

وأعلم أن للشورة موضع الخلوة وأنفراد النظر، ولكل أمرٍ غاية تُحيط بمجوده، وتجمع معالمة . فابغها مُحَرِّزا لها، ورُمها طالباً لئليها؛ وإياك والقصورَ عن غايتها أو العجزَ عن دركها، أو التفريط في طلبها . إن شاء الله تعالى .

إياك والإغرامَ عن حديثٍ ما أعجبك، أو أمرٍ ما أزهاك بكثرة السؤال، أو القطعَ لحديثٍ من أرادك بحديثه حتى تنقضه عليه بالخوض في غيره أو المسألة عما ليس منه : فإن ذلك عند العامة منسوب الى سوء الفهم وقصر الأدب عن تناول محاسن الأمور والمعرفة بمساويها ، ولكن أنصت لمحدثك وأرعه سمعك حتى يعلم أن قد فهمت حديثه، وأحطت معرفةً بقوله ؛ فإن أردت إجابته فعن معرفةً بحاجته وبعد علم بطلبته ؛ وإلا كنت عند أنقضاء كلامه كالمتعجب من حديثه بالتيسم والإغضاء، فأجزى عنك الجواب، وقطع عنك ألسن العتب .

إياك وأن يظهر منك تبرم بطول مجلسك ، أو تضجّر ممن حضرك؛ وعليك بالثبوت عند سورة الغضب ، وحمية الأنف ، وملا ل الصبر : في الأمر تستعجل به والعمل تأمر بإنفاذه؛ فإن ذلك يُخفف شائناً، وخفة مُردية ، وجهالة بادية . وعليك بثبوت المنطق ، ووقار المجلس ، وسكون الريح ، والرفض لحشو الكلام ، والترك لفضوله والإغرام بالزيادات في منطقك، والترديد للفظك : من نحو أسمع، وأفهم عني، ويا هنأه، وألا ترى، أو ما يلهج به من هذه الفضول المقصرة بأهل العقل، الشائنة لذوى الجحأ في المنطق، المنسوبة إليهم بالعي، المُردية لهم بالذكر . وخصالٌ من معايب الملوك ، والسوقة عنها غيبة

النظر إلا من عرفها من أهل الأدب ، وقلما حامل لها ، مضطلع بها ، صابر على نقلها ، أخذ لنفسه بجوامعها ، فأنفها عن نفسك بالتحفظ منها ، وأملك عليها أعتيادك إياها معتنيا بها ، منها كثرة التنخيم ، والتبصق ، والتنخع ، والثوباء ، والتمطى ، والحشاء ، وتحريك القدم ، وتنقيض الأصابع ،<sup>(١)</sup> والعبث بالوجه واللحية أو الشارب أو المخرصة أو ذؤابة السيف ، أو الإيماض بالنظر ، أو الإشارة بالطرف إلى بعض خدمك بأمر إن أردته ، أو السرار في مجلسك ، أو الاستعجال في طعمك أو شربك . وليكن طعمك متدعا ، وشربك أنفاسا ، وجرعك مصا . وإياك والتسرع إلى الأيمان فيما صغر أو كبر من الأمور ، والشئمة بقول :  
يا بن الهنأه ، أو الغميرة لأحد من خاصتك بتسويغهم مقارفة الفسوق بحيث محضرك أو دارك وفناؤك : فان ذلك كله مما يبيح ذكره ، ويسوء موقع القول فيه ، وتجل عليك معابيه ، وينالك شينه ، وينتشر عليك سوء النبا به . فاعرف ذلك متوقيا له ، وأحذره جانبا لسوء عاقبته .

أستكثر من فوائد الخير : فانها تنشر المحمدة ، وتقبل العثرة ، وأصبر على كظم الغيظ :  
فانه يورث الراحة ، ويؤمن الساحة ، وتعهد العامة بمعرفة دخلهم ، وتبطن أحوالهم ، وأستنارة دفاتنهم ؛ حتى تكون منها على رأي عين ، ويقين خبرة ؛ فتنعش عديهم ، وتجبر كسيرهم ؛ وتقيم أودهم ، وتعلم جاهلهم ، وتستصلح فاسدهم : فان ذلك من فلك بهم يورثك العزة ، ويقدمك في الفضل ؛ ويبقى لك لسان الصدق في العاقبة ، ويحجز لك ثواب الآخرة ، ويرد عليك عواطفهم المستنفرة منك ، وقلوبهم المتنحية عنك .

قس بين منازل أهل الفضل في الدين والحجج والرأى والعقل والتدبير والصيت في العامة ، وبين منازل أهل النقص في طبقات الفضل وأحواله ، والحمول عند مباحاة النسب ؛ وأنظر بصحبة أيهم تنال من مودته الجميل ، وتستجمع لك أقاويل العامة على التفضيل ؛ وتبلغ درجة الشرف في أحوالك المتصرفه بك . فاعتمد عليهم مدخلا لهم في أمرك ، وآثرهم بمجالستك لهم مستمعا منهم ؛ وإياك وتضييعهم مفرطا ، وإهمالهم مضيعا .

(١) يقال : أنقض أصابعه : صوت بها وليس في كتب اللغة نقض بالتضعيف . (٢) الغميرة : المظن .

هذه جوامع خصال قد نلخصها لك أمير المؤمنين مفسراً، وجمع لك شواذها مؤلفاً،  
وأهداها إليك سرّيسداً، فقف عند أوامرها، وتناه عن زواجرها، وثبتت في مجامعها،  
وخذ بوثائق عرّاهها، تسلّم من معاطب الردى، وتسلّ أنفوس الحظوظ ورغيب الشرف،  
وأعلى درج الذكرا، وتأمل سطر العز. والله يسأل لك أمير المؤمنين <sup>(١)</sup> حُسن الإرشاد،  
وثناع المزيد، وبلوغ الأمل، وأن يجعل عاقبة ذلك بك الى غبطة يسوّك إياها، وطاقية  
يُحلك أكلها، ونعمة يلهمك شكرها: فإنه الموفق للخير، والمعين على الإرشاد، منه تمام  
الصالحات، وهو مؤتي الحسنات، عنده مفاتيح الخير، وبيده الملك وهو على كل شيء  
قدير.

فاذا أفضيت نحو عدوك، وأعترمت على لقائهم، وأخذت أهبة قتالهم، فاجعل دعاتك  
التي تلجأ إليها، وثقتك التي تأمل النجاة بها، وركك الذي ترتجى منالة الظفر به وتكتف به <sup>(٢)</sup>  
لمعالي الحذر، تقوى الله مستشعراً لها بمراقبته، والاعتصام بطاعته متبعاً لأمره، مجتنباً  
لسخطه، محتدياً سنته، والتوقى لمعاصيه في تعطيل حدوده، أو تعدى شرائعه؛ متوكلاً عليه  
فيما صمدت له، واثقاً بنصره فيما توجهت نحوه، متبرئاً من الحول والقوة فيما نالك من ظفر  
وتلقاك من عز، راغباً فيما أهاب بك أمير المؤمنين إليه من فضل الجهاد، ورحى بك إليه <sup>(٣)</sup>  
محمود الصبر فيه عند الله من قتال عدو المسلمين، أكلبهم عليه وأظهره عداوة لهم، وأفدحه  
ثقلاً لعاقبتهم، وأخذته بريقهم، وأعلاه عليهم بغيا، وأظهره عليهم فسقا وبخورا، وأشدّه  
على قيئهم الذي أصاره الله لهم وقتحه عليهم مؤونة <sup>(٤)</sup> وكلا. والله المستعان عليهم، والمستنصر  
على جماعتهم، عليه يتوكل أمير المؤمنين، وإياه يستصرخ عليهم، وإليه يفوض أمره، وكفى  
بالله ولياً وناصراً ومعيناً، وهو القوى العزيز.

ثم خذ من معك من تباعك وجندك بكف معرفتهم، وردة مشتعل جهلهم، وإحكام  
ضبايع عملهم، وضمّ منتشر قواصيمهم، ولمّ شعث أطرافهم، وتقبيد همهم عن مروا به من

(١) تأمل: تثبت . (٢) اكتف الكهف: دخله . (٣) أهاب بك: دعلك .

(٤) من قولهم كلب الدهر على أهله إذا اشتد وألح . (٥) الكل: النقل .

أهل ذِمَّتِكَ ومَلَّتِكَ بِحُسْنِ السَّيْرَةِ، وَعِفَافِ الطَّعْمَةِ، وَدَعَةِ الْوَقَارِ، وَهَدَى الدَّعَةَ، وَجَمَامِ  
 الْمُسْتَجِيمِ، بِحِكْمِ ذَلِكَ مِنْهُمْ، مُتَفَقِّدًا لَهُمْ تَفَقُّدَكَ إِيَّاهُ مِنْ نَفْسِكَ . ثُمَّ أَحْمَدُ لِعَدْوِكَ الْمُسَمَّى  
 بِالْإِسْلَامِ، الْخَارِجِ مِنْ جَمَاعَةِ أَهْلِهِ، الْمُتَحِلِّ لِوَالِيَةِ الدِّينِ مُسْتَحِلًّا لِدِمَائِهِ أَوْلِيَائِهِ، طَاعِنًا  
 عَلَيْهِمْ، رَاغِبًا عَنْ سُنَّتِهِمْ، مُفَارِقًا لِشَرَائِعِهِمْ، يَبْغِيهِمُ الْغَوَائِلَ، وَيَنْصِبُ لَهُمُ الْمَكَائِدَ، أَضْرَمَ  
 حَقْدًا عَلَيْهِمْ، وَأَرْصَدَ عِدَاوَةً لَهُمْ، وَأَطْلَبَ لِفِرَاتِ فُرْصِهِمْ مِنَ التُّرْكِ وَأُمَمِ الشُّرْكِ وَطِوَاغِي  
 الْمَلْلِ، يَدْعُو إِلَى الْمَعْصِيَةِ وَالْفُرْقَةِ، وَالْمُرُوقِ مِنْ دِينِ اللَّهِ إِلَى الْفِتْنَةِ، مُخْتَرِعًا بَهْوَاهُ لِلْأَدْيَانِ  
 الْمُتَحَلَّةِ وَالْبِدْعِ الْمُنْفَرِقَةِ خَسَارًا وَتَحْسِيرًا، وَضَلَالًا وَتَضْلِيلًا، بِغَيْرِ هَدًى مِنْ اللَّهِ وَلَا بَيَانَ .  
 سَاءَ مَا كَسَبَتْ لَهُ يَدَاهُ وَمَا اللَّهُ بِظَلَامٍ لِلْعَبِيدِ، وَسَاءَ مَا سَوَّلَتْ لَهُ نَفْسُهُ الْأَمَّارَةَ بِالسُّوءِ،  
 وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِ بِالْمِرْصَادِ : ( وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ) .

حَصَّنَ جَنْدَكَ، وَأَشْكُمُ نَفْسَكَ بِطَاعَةِ اللَّهِ فِي مَجَاهَدَةِ أَعْدَائِهِ، وَأَرْجُ نَصْرَهُ، وَتَجَبَّرْ  
 مَوْعُودَهُ، مُتَقَدِّمًا فِي طَلْبِ ثَوَابِهِ عَلَى جِهَادِهِمْ، مُعْتَرِمًا فِي آبْتِغَاءِ الْوَسِيلَةِ إِلَيْهِ عَلَى لِقَائِهِمْ :  
 فَإِنْ طَاعَتِكَ إِيَّاهُ فِيهِمْ، وَمِرَاقَبَتِكَ لَهُ وَرَجَاءَكَ نَصْرَهُ مَسْهَلٌ لَكَ وَعُورَةٌ، وَعَاصِمُكَ مِنْ كُلِّ  
 سُبَّةٍ، وَمُنْجِيكَ مِنْ كُلِّ هُوَّةٍ، وَنَاعِشُكَ مِنْ كُلِّ صَرَعَةٍ، وَمُقِيلُكَ مِنْ كُلِّ كَبُوءَةٍ، وَدَارِيٌّ  
 عَنْكَ كُلِّ شِبْهَةٍ، وَمُدْهِبُ عَنكَ لَطْخَةَ كُلِّ شَكٍّ، وَمُقَوِّيكُ بِكُلِّ أَيْدٍ وَمَكِيدَةٍ، وَمُعَزِّكُ  
 فِي كُلِّ مُعْتَرِكٍ قِتَالٍ، وَمَوْيِدُكَ فِي كُلِّ تَجْمَعٍ لِقَاءٍ، وَكَالِئُكَ عِنْدَ كُلِّ فِتْنَةٍ مُغْشِيَةٍ، وَحَاطِئُكَ  
 مِنْ كُلِّ شِبْهَةٍ مُرْدِيَةٍ، وَاللَّهُ وَلِيُّكَ وَوَلِيُّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فِيكَ، وَالْمُسْتَخْلَفُ عَلَى جَنْدِكَ  
 وَمِنْ مَعِكَ .

اعْلَمْ أَنَّ الظَّفَرَ ظَفَرَانِ : أَحَدُهُمَا — وَهُوَ أَعَمُّ مَنْفَعَةٌ، وَأَبْلَغُ فِي حَسَنِ الذِّكْرِ قَالَةٌ، وَأَحْوِطُهُ  
 سَلَامَةٌ، وَأَمَّمُهُ عَافِيَةٌ، وَأَحْسَنُهُ فِي الْأُمُورِ وَأَعْلَاهُ فِي الْفَضْلِ شَرْفًا، وَأَصْحَبُهُ فِي الرَّوِيَةِ حَزْمًا،  
 وَأَسْلَمُهُ عِنْدَ الْعَاقِمَةِ مَصْدَرًا — مَا نَبِيلُ بِسَلَامَةِ الْجُنُودِ، وَحُسْنِ الْحِيلَةِ، وَلُطْفِ الْمَكِيدَةِ  
 وَيَمْنِ النَّقِيْبَةِ، وَأَسْتِنْزَالِ طَاعَةِ ذَوِي الصُّدُوفِ بِغَيْرِ إِخْطَارِ الْجِيُوشِ فِي وَقْدَةِ جَمْرَةِ الْحَرْبِ،

(١) الأيد : القوة . (٢) أي مدلهمة سوداء، من قرهم : أغشى الليل إذا أظلم .

ومبارزة الفرسان في معترك الموت؛ وإن ساعدتك طلوق الظفر، وذلك مزيد السعادة في الشرف، ففي مخاطرة التلف مكروه المصائب، وعِضاضُ السيف وألم الجراح، وقصاص الحروب وسجالتها بمُغاورَةٍ<sup>(١)</sup> أبطالها. على أنك لا تدري لأى يكون الظفر في البديهة، ومن المغلوب بالدولة، ولعلك أن تكون المطلوب بالتحريض. فحاول إصابة أبلغهما في سلامة جنديك ورعيّتك، وأشهرهما صينياً في بدو تديريك ورأيك، وأجمعهما لألفة وليك وعدوك، وأعونهما على صلاح رعيّتك وأهل ملّتك، وأقواهما شكيمَةً في حزمك، وأبعدهما من وضم عزمك، وأعلقهما بزمام النجاة في آخرتك، وأجزلها ثواباً عند ربك.

وأبدأ بالإعذار إلى عدوك، والدعاء لهم إلى مراجعة الطاعة وأمر الجماعة وعزّ الألفة، آخذاً بالحق عليهم، متقدماً بالإندار لهم، باسماً أمانك لمن جأ إليك منهم، داعياً لهم إليه بالين لفظك والطف حيلك، متعظفاً برأفتك عليهم، مترقفاً بهم في دعائك، مشفقاً عليهم من غلبة العواية لهم وإحاطة الهلكة بهم، منفذاً رُسلك إليهم بعد الإندار: تعدّهم إعطاء كل رغبة يهش إليها طمّعهم في موافقة الحق، وتبسّط كل أمان سألوه لأنفسهم ومن معهم ومن تبعهم؛ موطناً نفسك فيما تبسّط لهم من ذلك على الوفاء بعهدك، والصبر على ما أعطيتهم من وثائق عقدك؛ قابلاً توبة نازعهم عن الضلالة، ومراجعة مسيئتهم إلى الطاعة؛ مُرصداً للنجاز إلى فئة المسادين وجماعتهم إجابةً إلى مادعوته إليه وبصرته إياه من حَقك وطاعتك، بفضل المنزلة، وإكرام المثوى، وتشريف الجاه. وليظهر من أترك عليه وإحسانك إليه ما يرغب في مثله الصادف عنك، المُصر على خلافك ومعصيتك؛ ويدعو إلى اعتلاق جبل النجاة وما هو أملك به في الاعتصام عاجلاً، وأنجي له من العقاب<sup>(٢)</sup> أجلاً، وأحوطه على دينه ومهجته بدءاً وطاقبةً؛ فإن ذلك مما يستدعى به من الله نصره عليهم، ويعتضد به في تقديمه الحجّة إليهم، مُعذراً أو مُنذراً، إن شاء الله.

(١) المغاوره : المقالة . (٢) كذا في صبح الأعشى و يظهر أن السياق يقتضى معمولاً لهذا الفعل

أما ضميراً أو اسماً ظاهراً .

ثم أذكِ عيونك على عدوك متطلعا لعلم أحوالهم التي يتقبلون فيها، ومنازِلهم التي هم بها، ومطامِعهم التي قد مدُّوا أعناقهم نحوها، وأى الأمور أدعى لهم إلى الصلح، وأقودها لرضاهم إلى العافية، وأسهلها لاسْتِنزال طاعتهم، ومن أى الوجوه مأتاهم : أمن قبل الشدة والمنافرة والمكيدة والمباعدة والإرهاب والإبعاد، أم التريغ والإطاع، أم التثبنا في أمرك، متخيِّرا في رويتك، مستميكا من رأيك، مستشيرا لذوى النصيحة الذين قد حنكهم السنُّ، وخبطهم التجربة، ونجذتهم الحروب، مُتَشَرِّزا في حربك، آخذا بالحزم في سوء الظن، مُعَدَّا للحدْر، محترسا من الغرة، كأنك في مسيرك كله ونزولك أجمع مواقف لعدوك رأى عين تنظر حملاتهم، وتتحوف كراتهم، مُعَدَّا أقوى مكائيدك، وأرهب عتادك، وأنكأ جذك، وأجد تسميرك، معظما أمر عدوك لأعظم مما بلغك، حدرا يكاد يفريط : لتعد له من الاحتراس عظيما، ومن المكيدة قويا، من غير أن يفشأك ذلك عن إحكام أمورك، وتدبير رأيك، وإصدار رويتك، والتأهب لما يحزُبك، مصغرا له بعد استدشعار الحدْر، وأضطار الحزم، وإعمال الزوية، وإعداد الأهبة . فإن ألفت عدوك كليل الحد، وقم الحزم، نضيض الوفر،<sup>(٤)</sup> لم يضرك ما اعتدت له من قوة وأخذت له من حزم، ولم يزدك ذلك إلا جراءة عليه، وتسرا إلى لقائه . وإن ألفتته متوقفا الحرب، مستكنف الجمع، قوى التبع، مستعلي سورة الجهل، معه من أعوان الفتنة وتبع إبليس من يؤقد لهب الفتنة مسعرا، ويتقدم الى لقاء أبطالها متسرا، كنت لأخذك بالحزم، وأستعدادك بالقوة، غير مهين الجند، ولا مفرط في الرأي، ولا متلهف على إضاعة تدبير، ولا محتاج الى الإعداد وعجلة التأهب مبادرة تدهشك، وخوفا يقلقك . ومتى تغتر بتريق المرققين، وتأخذ بالهويينا في أمر عدوك لتصغير المصغرين، ينتشر عليك رأيك، ويكون فيه أنتقاض أمرك ووهن تدبيرك، وإهمال الحزم في جندك،

(١) تشرن للامر : استعد له .

(٢) يفشأك (بالفاء والياء المثلثة) أى يكسرك ويؤنرك . (٣) كذا في صحح الأعشى . ولعلها

موقوم الحزم أى مقهورة أو لعلها محرفة عن كلمة أخرى بمعنى الضعف أو القلة . (٤) نضيض : قليل .

والوفر : المال .

وتضييع له وهو ممكن الإصحار، رَحْبِ المَطْلَبِ، قُوَى العِصْمَةِ، فسيح المضطرب؛ مع ما يدخل رعيك من الاعتزاز والغفلة عن إحكام أحراسهم، وضبط مراكرهم، لما يرون فيه من استنابتك إلى العزة، ورؤوك إلى الأمن، وتهاونك بالتدبير، فيعود ذلك عليك في انتشار الأطراف، وضياع الأحكام، ودخول الوهن بما لا يستقال محذوره، ولا يدفع مخوفه.

احفظ من عيونك وجواسيسك ما يأتونك به من أخبار عدوك. وإياك ومعاينة أحد منهم على خبر إن أتاك به أتهمته فيه أو سؤت به ظناً وأتاك غيره بخلافه، أو أن تكذبه فيه فترده عليه، ولعله أن يكون قد محضك النصيحة وصدقك الخبر وكذبك الأول، أو خرج جاسوسك الأول متقدماً قبل وصول هذا من عند عدوك، وقد أبرموا لك أمراً، وحاولوا لك مكيده وأرادوا منك غيرة فازدلفوا إليك في الأهبة، ثم أنتقض بهم رأيهم وأختلف عنه جماعتهم، فأرادوا رأياً، وأحدثوا مكيده، وأظهروا قوة، و ضربوا موعداً، وأموأ مسلكاً لمدد أتاهم، أو قوة حدثت لهم، أو بصيرة في ضلالة شغلهم؛ فالأحوال بهم متنقلة في الساعات، وطوارق الحادثات. ولكن ألبسهم جميعاً على الانتصاح، وأرضخ لهم بالمطامع، فإنك لن تستعدهم بمثلها. وعدهم جزالة المثاروب، في غير ما استنابتك منك إلى ترقيقهم أمر عدوك، والاعتزاز إلى ما يأتونك به دون أن تعمل رويتك في الأخذ بالحزم، والاستكثار من العدة. وأجعلهم أوثق من تقدر عليه، وآمن من تسكن إلى ناحيته، ليكون ما يبرم عدوك في كل يوم وليلة عندك إن استطعت ذلك، فتنقض عليهم برأيك وتديرك ما أبرموا، وتأتيهم من حيث أمنوا، وتأخذ لهم أهبة ما عليه أقدموا، وتستعد لهم بمثل ما حذروا.

وأعلم أن جواسيسك وعيونك ربما صدقوك وربما غشوك، وربما كانوا لك عليك: فنصحوا لك وغشوا عدوك، وغشوك ونصحوا عدوك؛ وكثيراً ما يصدفونك ويصدفونك. فلا تبدرن منك قرطة عقوبة إلى أحد منهم، ولا تعجل بسوء الظن إلى من أتهمته على

ذلك ؛ وأستنزِل نصحهم بالمياحة<sup>(١)</sup> والمثالة ، وأبسُط من آمالمهم فيك من غير أن يرى أحدٌ منهم أنك أخذت من قوله أخذَ العامل به والمتبجح له ، أو عملت على رأيه عمَل الصادر عنه ، أو ردّدته عليه ردّ المكذّب به ، المتهم له ، المستخفّ بما أتاك منه ، ففُسدَ بذلك نصيحته ، وتُستدعى غشّه ، وتُجترّ عداوته . وأحذّر أن يُعرفوا في عسكريك أو يُشار إليهم بالأصابع . وليكن منزّلهم على كاتب رسائلك وأمين سرك ، ويكون هو الموجه لهم ، والمدخل عليك من أردت مشافهته منهم .

وأعلم أن لعدوك في عسكريك عيوناً راصدة ، وجواسيس متجسّسة<sup>(٢)</sup> ، وأنه لن يقع رأيه<sup>(٣)</sup> عن مكيدتك بمثل ما تكايد به ، وسيحتال لك كاحتيالك له ، ويُعدّ لك كأعدادك فيما تُزاوله منه ، ويُحاولك كحاولتك إياه فيما تقارعه عنه ؛ فاحذّر أن يُشهر رجلٌ من جواسيسك في عسكريك فيبلغ ذلك عدوك ويعرف موضعه ، فيُعدّ له المراصد ، ويحتال له بالمكايد . فإن ظفّر به فأظهر عقوبته ، كسر ذلك ثقات عيونك ، وخذّلم عن تطلّب الأخبار من معادنها ، وأستقصائها من عيونها ، وأستعذاب آجتنائها من ينابيعها ، حتى يصيروا إلى أخذها مما عرّض من غير الثقة ولا المعانيّة ، لقطّ لها بالأخبار الكاذبة ، والأحاديث المُرجفة . واحذّر أن يعرف بعض عيونك بعضاً : فإنك لا تأمن تواطؤهم عليك ، ومُمالأتهم عدوك ، واجتماعهم على غشك ، وتطابقتهم على كذبك ، وإصفاقتهم<sup>(٤)</sup> على خيانتك ، وأن يورط بعضهم بعضاً عند عدوك . فأحكم أمرهم فإنهم رأس مكيدتك ، وقوام تدبيرك ، وعليهم مدار حربك ، وهو أول ظفرك . فاعمل على حسَب ذلك وحيث رجاؤك به ، تتلّ أملك من عدوك ، وقوتك على قتاله ، واحتيالك لإصابة غرّاته وأتهازِ فرصه ، إن شاء الله .

فإذا أحكمت ذلك وتقدّمت في إتقانه ، وأستظهرت بالله وعونه ، فولّ شُرطتك وأمر عسكريك أوثق قوادك عندك ، وأظهرهم نصيحةً لك ، وأنفذهم بصيرةً في طاعتك ، وأقواهم

(١) المياحة : الإعطاء .

(٢) في مفتاح الأفكار ورسائل البلغاء : « كامنسة » . (٣) في رسائل البلغاء : « وأن رأيه

في مكيدتك مثل ما تكايد به » . (٤) إصفاقتهم : اجتماعهم .

شكيمة في أمرك، وأمضاهم صريمة<sup>(١)</sup>، وأصدقهم عفافا، وأجزأهم غناء، وأكفاهم أمانة، وأصحهم ضميرا، وأرضاهم في العامة ديناً، وأحمدهم عند الجماعة خلقاً، وأعطفهم على كآبتهم رافة، وأحسنهم لهم نظراً، وأشدّهم في دين الله وحقه صلابة. ثم فوض إليه مقويًا له، وأبسّط من أمّله مظهرًا عنه الرضا، حامدًا منه الأبتلاء. وليكن عالمًا بمرآة الجنود، بصيرا بتقدم المنازل، مجربًا، ذا رأي وحزم في المكيّدة؛ له نباهة في الذكر، وصيت في الولاية؛ معروف البيت، مشهور الحسب. وتقدم إليه في ضبط معسكره، وإذكاء أحراره في آناء ليله ونهاره؛ ثم حدّره أن يكون منه إذن لجنوده في الانتشار والأضطراب، والتقدم لطلائع، فتصاب لهم غزوة يجترئ بها عدوك عليك، ويسرع إقداما إليك، ويكسر من إيراد جندك ويوهن من قوتهم: فإن الصوت في إصابة عدوك الرجل الواحد من جندك أو عبيدهم مطمع لهم فيك، مقو لهم على شخذ أتباعهم عليك وتصغيرهم أمرك، وتوهينهم تدبيرك. فحدّره ذلك وتقدم إليه فيه؛ ولا يكون منه إفراط في التضييق عليهم، والحصر لهم، فيعمهم أزله<sup>(٢)</sup>، ويشملهم ضنكهم؛ وتسوء عليهم حاله، وتشتد به المؤونة عليهم، وتخبث له ظنونهم. وليكن موضع إنزاله إياهم ضامًا لجماعتهم، مستديرًا بهم جامعًا لهم؛ ولا يكون منبسّطًا منتشرًا متبددًا، فيشقى ذلك على أصحاب الأحرار، وتكون فيه التهزّة للعدو، والبعد من المادّة إن طرقت طارق في فجاء الليل وبقناته. وأوعز إليه في أحراره، وتقدم إليه فيهم كأشدّ التقدم وأبلغ الإيعاز. ومرّه فليول عليهم رجال ركينًا مجربًا جرى الإقدام، ذاكي الصرامة، جلد الحوارح، بصيرا بمواضع أحراره، غير مصانع ولا مشفع للناس في التنجى إلى الرفاهية والسعة، وتقدم العسكر والتأخر عنه، فإن ذلك مما يضعف الوالي ويوهنه لأستنامته إلى من ولّاه ذلك وأمنه به على جيشه.

وأعلم أن مواضع الأحرار من معسكرك، ومكانها من جندك، بحيث الغناء عنهم والرد عليهم، والحفظ لهم، والكلاءة لمن بغتهم طارقًا، أو أرادهم خاتلاً؛ ومرأصدها المنسل

(١) الصريمة: العزيمة. (٢) في مفتاح الأفكار وغيره: «أفئدة». وإياد كل شيء. ما يقوى به من جانبه ومنه إيادا العسكر وهما ميمته وميسرته. (٣) الصوت: كالصيت والصات: الذكر والشهرة. (٤) الأزل: الضيق والشدة. (٥) المادة: كل مدد تستعين به في حرب أو غيره.

منها والآبق من أرقائهم وأعبدهم؛ وحفظها من العيون والجواسيس من عدوهم. واحذر أن تضرب على يديه أو تشكّه عن الصرامة بمؤامرتك في كل أمر حادّ وطارئ إلا في المهمّ النازل والحدّث العام : فإنك إذا فعلت ذلك به ، دعوته إلى نصّحك ، وأستوليت على محصول ضميره في طاعتك ؛ وأجهّد نفسه في ترتيبك ، وأعمل رأيه في بلوغ موافقتك وإعانتك ؛ وكان ثقتك وردّك وقوتك ودعامتك ، وتفترغت أنت لمكايده عدوك ، مريحا لنفسك من همّ ذلك والعناية به ، ملقيا عنك مؤونة باهظة وكلفة فادحة .

وأعلم أن القضاء من الله بمكان ليس به شيء من الأحكام ، ولا بمثل محلّه أحد من الولاية : لما يجري على يديه من مغاليل الأحكام ومجاري الحدود . فليكن من تويّه القضاء في عسكريك [من ذوى] الخير والقناعة والعفاف والتزاهة والفهم والوقار والعصمة والورع ، والبصر بوجوه القضايا ومواقفها ، قد حنّكته السنّ وأيدته التجربة وأحكمته الأمور ، ممن لا يتصنّع للولاية ويستعدّ للنهزة ، ويحترى على المحاباة في الحكم ، والمداهنة في القضاء ، عدلّ الأمانة ، عفيف الطعمة ، حسن الإنصاف ، فهم القلب ، ورع الضمير ، متخشّع السمّت ، بادى الوقار ، محتسبا للخير . ثم أجر عليه ما يكفيه ويسعه ويصلحه ؛ وفرغه لما حملته ، وأعنه على ما وليته : فإنك قد عرضته لهلكة الدنيا وبوار الآخرة ، أو شرف الدنيا وحظوة الآجلة ، إن حسنت نيته ، وصدقت رويته ، وصحّت سريرته ، وسلّط حكم الله على رعيته ، مطلقا عنانه ، منفذا قضاء الله في خلقه ، عاملا بسنته في شرائعه ، آخذاً بحدوده وفرائضه .

وأعلم أنه من جندك بحيث ولايتك ، الجارية أحكامه عليهم ، النافذة أقضيته فيهم ؛ فأعرف من تويّه ذلك وتسنده إليه . ثم تقدّم في طلائعك فإنها أول ميكيدتك ، ورأس حربك ، ودعامة أمرك ، فانتخب لها من كلّ قادة وصحابة رجالا ذوى تجلدة وبأس ، وصرامة وخبرة ، حمة كفاة ، قد صلّوا بالحرب وذاقوا سبها ، وشربوا مرار كؤوسها ، وتجرعوا

(١) الزيادة عن مفتاح الأفكار (ص ٢٥٠) وغيره . (٢) الطعمة بالضم والكسر وجه الكسب

الطيب أو الخيث . (٣) في مفتاح الأفكار وغيره : « بحيث ولايتك وفي الموضع الجارية » الخ .

غُصَصَ دِرْتِهَا؛ وَزَبْنَتَهُمْ بِتَكَرُّرِ عَوَاطِفِهَا، وَحَمَلْتَهُمْ عَلَى أَصْعَبِ مَرَاكِبِهَا، وَذَلَّلْتَهُمْ بِتَقَافِ  
 أَوْدِهَا . ثُمَّ أَنْتَقَيْتَهُمْ عَلَى عَيْنِكَ، وَأَعْرِضْ كُرَاعَهُمْ بِنَفْسِكَ؛ وَتَوَخَّ فِي آتِنَاكَ ظَهْرَ الْجَلْدِ،  
 وَشَهَامَةَ الْخُلُقِ، وَكَيْالَ الآلَةِ . وَإِيَّاكَ أَنْ تَقْبَلَ مِنْ دَوَابِّهِمْ إِلَّا الْإِنَاثَ مِنَ الْخَيْلِ الْمَهْلُوبَةِ ،  
 فَإِنَّهُنَّ أَسْرَعُ طَلْبًا، وَأَنْجَى مَهْرَبًا، وَأَلَيْنَ مَعْطَفًا، وَأَبْعَدُ فِي الْمُهْوَقِ غَايَةً، وَأَصْبَرُ فِي مَعْتَرِكِ  
 الْأَبْطَالِ إِقْدَامًا . وَخُذْهُمْ مِنَ السَّلَاحِ بِأَبْدَانِ الدَّرُوعِ، مَازِيَّةِ الْحَدِيدِ، شَاكَّةِ النَّسِجِ، مِتْقَارِبَةِ  
 الْحَلِاقِ، مِتْلَاحِمَةِ الْمَسَامِيرِ وَأَسْوَقِ الْحَدِيدِ، مُمَوَّهَةِ الرِّكْبِ، مُحْكَمَةِ الطَّعْجِ خَفِيفَةِ الصَّوْغِ؛  
 وَسَوَاعِدَ طَبْعُهَا هِنْدِيَّةً، وَصَوَّغُهَا فَارِسِيَّةً؛ رِقَاقِ الْمَعَاطِفِ بِأَكْفَفِ وَاقِيَةِ وَعَمَلِ مُحْكَمِ .  
 وَيَأْتِي الْبَيْضُ مُدْهَبَةً وَنَجْمَزْدَةً، فَارِسِيَّةَ الصَّوْغِ، خَالِصَةَ الْجَوْهَرِ، سَابِغَةَ الْمَلْبَسِ، وَاقِيَةَ  
 الْجُنَنِ، مِسْتَدِيرَةَ الطَّعْجِ، مُبْهَمَةَ السَّرْدِ، وَاقِيَةَ الْوِزْنَ كَثْرِيكَ النِّعَامِ فِي الصَّنِيعَةِ وَأَسْتَدَارَةَ  
 التَّقْبِيبِ، وَأَسْتَوَاءِ الصَّوْغِ، مُعَلِّمَةَ بِأَصْنَافِ الْحَرِيرِ وَأَلْوَانِ الصَّبِغِ؛ فَإِنَّهَا أَهْيَبُ لِعَدْوِهِمْ،  
 وَأَفْتَى لِأَعْضَادِ مَنْ لَقِيَهُمْ، وَالْمُعَلِّمُ نَخْشِيٌّ مَحْذُورٌ، لَهُ بِيَدِيَّةٌ رَادِعَةٌ، وَهَيْبَةٌ هَائِلَةٌ؛ مَعَهُمْ  
 السَّيُوفُ الْهِنْدِيَّةُ، وَذُكُورُ الْبَيْضِ الْيَمَانِيَّةُ؛ رِقَاقُ الشَّفَرَاتِ، مَسْنُونَةُ الشَّحْدِ، مَشْطَبَةُ  
 الضَّرَائِبِ . مَعْتَدَاةُ الْجَوَاهِرِ، صَافِيَّةُ الصَّفَاحِ؛ لَمْ يَدْخُلْهَا وَهْنُ الطَّعْجِ، وَلَا عَابَهَا أَمْتُ  
 الصَّوْغِ، وَلَا شَانِهَا خِفَّةُ الْوِزْنِ، وَلَا فَدَحَ حَامِلِهَا بِهِرُ التَّقْلِ؛ قَدْ أَشْرَعُوا لُدْنَ الْقَنَا،  
 طَوَالَ الْهَوَادِي، مُقَوِّمَاتُ الْأَوْدِ، زُرُقُ الْأَسِنَّةِ، مَسْتَوِيَّةُ الثَّعَالِبِ؛ وَمِيضُهَا مَتَوَقِّدٌ،  
 وَسِنْخُهَا مِتْلَهَّبٌ، مَعَاقِصُ عَقْدِهَا مَنْجُوتَةٌ، وَوُصُومُ أَوْدِهَا مَقْوَمَةٌ، وَأَجْنَاسُهَا مُخْتَلِفَةٌ،  
 وَكُوعُوبُهَا جَعْدَةٌ، وَعُقْدُهَا حَبْكَةٌ؛ شَطْبَةُ الْأَسْنَانِ، مُمَوَّهَةُ الْأَطْرَافِ، مَسْتَحْدَةُ الْجَنْبَاتِ،  
 دِقَاقُ الْأَطْرَافِ، لَيْسَ فِيهَا التَّوَاءُ أَوْدٌ، وَلَا أَمْتُ وَصَمٌ، وَلَا بِهَا مَسْقَطُ عَيْبٍ، وَلَا عِنْبَا

- (١) المهلوبة : المتوفة الهلب ، وهو شعر الذنب أو الشعر كله . (٢) أى خالصة وحيدته .  
 (٣) اليلقي : القباء المحشو . (٤) التريك : بيضة النعام خاصة ، ومنه قوله :  
 \* وتلقى بها بيض النعام ترائكا \*  
 (٥) سيف شطب : ذو شطب وهي طراقة التي في منته . (٦) الأمت : العوج والاختلاف .  
 (٧) الثعلب : طرف الرمح الداخل في جبة السنان . (٨) في مفتاح الأفكار وغيره : «وشحدها متلهب»  
 وسنخ النصل : الحديدية التي تدخل في رأس السهم . (٩) المعاقص : السهام المعوجة .

وقوع أمنية؛ مُسْتَحْقِبِي كَثَائِنِ النَّبْلِ وَوَيْسَى الشُّوْحَطِ وَالنَّبْعِ؛ أَمْرًا بِيَسَةِ التَّعْقِيبِ ، رُومِيَّةِ النَّصُولِ ، مَسْمُومَةِ الصَّوْغِ؛ وَلِتَكُنَّ سِهَامَهَا عَلَى نَحْمِسِ قَبْضَاتِ سِوَى النَّصُولِ ، فَإِنَّمَا أَبْلَغُ فِي الْغَايَةِ ، وَأَنْفَذُ فِي الدَّرْوَعِ ، وَأَشْكُ فِي الْحَدِيدِ؛ سَامِطِينَ حَقَائِبِهِمْ عَلَى مَتُونِ خِيُولِهِمْ ، مُسْتَحْقِفِينَ مِنَ الْآلَةِ وَالْأَمْتِيَّةِ وَالزَّادِ ، [إِلَّا مَا لَا غَنَاءَ بِهِمْ عَنْهُ] .<sup>(١)</sup>

وأحذر أن تكل مباشرة عرضهم وانتخابهم إلى أحد من أعوانك وتحابك : فإنك إن وكلته إليهم أضعت مواضع الحزم ، وفترطت حيث الرأي ، ووقفت دون عزم الروية ، ودخل عملك ضياع الوهن ، وخلص إليك عيب المحاباة ، وناله فساد المداهنة ، وغلب عليه من لا يصلح أن يكون طليعة للمسلمين ولا عدة ولا حصنا يدرئون به ، ويكتفون بموضعه . والطلائع حصون المسلمين وعميوتهم ، وهم أول مكيدتك ، وعروة أمرك ، وزمام حرك . فليكن اعتناؤك بهم ، وانتقاؤك إياهم بحيث هم من مهم عملك ، ومكيدة حرك ؛ ثم آتخب للولاية عليهم رجلا بعيد الصوت ، مشهور الاسم ، طاهر الفضل ، نبيه الذكر ؛ له في العدو وقعات معروفة ، وأيام طوال وصلوات متقدمات ؛ قد عرفت نكايته ، وحذرت شوكته ، وهيب صوته ، وتكلم لقاؤه ؛ أمين السريرة ، ناصح الجيب ؛ قد بلوت منه ما يسئلك إلى ناحيته : من لين الطاعة ، وخالص المودة ، وركانة الصرامة ، وغلوب الشهامة ، وأستجماع القوة ، وحصافة التدبير . ثم تقدم إليه في حسن سياستهم ، وأستنزال طاعتهم ، وأجتلاب موداتهم وأستعذاب ضمائرهم ؛ وأجر عليهم وعليه أرزاقا تسعهم ، وتمتد من أطاعهم سوى أرزاقهم في العاقبة ، فإن ذلك من القوة لك عليهم ، والأستنامة إلى ما قبلهم .

وأعلم أنهم في أهم الأماكن لك ، وأعظمها غناء عنك وعمن معك ، وأقمعها كتبنا لمخادك ، وأشجها غيظا لعدوك : ومن يكن في الثقة ، والجلد ، والبأس ، والطاعة ، والقوة ، والنصيحة والعدة ، والنجدة حيث وصف لك أمير المؤمنين وأمرك به ، يضع عنك مؤونة لهم ، ويربخ

(١) الشوحط : شجر تتخذ منه القسي . (٢) الزيادة عن مفتاح الأفكار (ص ٢٥١) .

(٣) يقال : فلان ناصح الجيب يراد بذلك قلبه وصدوره أي أمين .

من خناقك روع الخوف ، وتلتجئ إلى أمرٍ منيع ، وظهر قویّ ، ورأيٍ حازم ، تأمن به بجاتٍ عدوك ، وغمراتٍ بقاتهم ، وطوارقٍ أحداثهم ؛ ويصير إليك علم أحوالهم ، ومتقدّمات خيولهم ؛ فاتخيمهم رأي عين ، وقوهم بما يصلحهم من المنالات والأطاع والأرزاق ، وأجعلهم منك بالمنزل الذي هم به من محارز علاقتك ، وحصانة كهوفتك ، وقوة سياره عسكرك . وإياك أن تدخل فيهم أحدا بشفاعه ، أو تحتمله على هواده ، أو تقدمه لأثرة ؛ أو أن يكون مع أحدٍ منهم بغل نفل<sup>(١)</sup> ، أو فضل من الظهر ، أو ثقل فادح<sup>(٢)</sup> ، فتشتد عليهم مؤونة أنفسهم ، ويدخلهم كلال السامة فيما يعالجون من أنقالهم ، ويشغلون به عن عدوهم إن دهمهم منه راع ؛ أو فخاهم منه طليعة . فتفقد ذلك محكاه ، وتقدم فيه آخذا بالحزم في إمضائه ؛ أرشدك الله لإصابة الحظ ، ووفقتك لئمن التدبير ، وقصدك لأسهل الرأي وأعوده نفعا في العاجل والآجل ، وأكتبته لعدوك وأشجاه لهم ، وأردعه لعاديّتهم .

ولّ دراجة عسكرك وإخراج أهله إلى مصافهم ومرأكرهم رجلا من أهل بيوتات الشرف ، محمود الخبرة ، معروفا بالنجدة ، ذا سنّ وتجربة ، لينّ الطاعة ، قديم النصيحة ، مأمون السريرة ، له بصيرة بالحق نافذة تقدمه ، ونية صادقة عن الإدهان تحجزه . وأضم إليه عدّة نفر من نقات جندك ودوى أسنانهم يكونون شرطة معه ؛ ثم تقدم إليه في إخراج المصاف ، وإقامة الأحراس وإذكاء العيون ، وحفظ الأطراف ، وشدة الحدّر ؛ ومره فليضع القواد بأنفسهم مع أصحابهم في مصافهم ، كلّ قائد بإزاء مكانه ، وحيث منزله ، قد سد ما بينه وبين صاحبه بالرّماح شارعة ، والترسة موضونة<sup>(٤)</sup> ، والرجال راصدة ، ذاكية الأحراس ، وجلة الروع ، خائفة طوارق العدو وبياته . ثم مره فليخرج كلّ ليلة قائدا في أصحابه أو عدّة منهم إن كانوا كثيرا ، على غلوة أو اثنتين من عسكرك ، متبدا عنك محيطا بمنزلك ، ذاكية أحراسه ، قلقلة التردد ، مفرطة الحدّر ، معدة للزوع ، متأهبة للقتال ، آخذة على أطراف المعسكرونواحيه ، متفرقين في اختلافهم كردوسا كردوسا ؛ يستقبل بعضهم بعضا

(١) النفل محرّكة: الغنيمه والهبة . (٢) النقل: متاع المسافر . (٣) الإدهان: المداهنة وهي أن يظهر

الانسان خلاف ما يبطن . (٤) الترسه موضونه ، أي منسوجة حلقتين حلقتين . (٥) أي كتيبة كتيبة .

[ في الاختلاف ] <sup>(١)</sup> وَيَكْسَعُ تَالٍ مُتَقَدِّمًا فِي التَّرَدُّدِ ؛ وَأَجْعَلْ ذَلِكَ بَيْنَ قُودَاكَ وَأَهْلِ عَسْكَرِكَ نُوْبًا مَعْرُوفَةً ، وَحِصَصًا مَقْرُوضَةً ، لَا تُعْرِ مِنْهَا مُزْدَلِفًا مِنْكَ بِمُودَةٍ ، وَلَا تُحَامِلْ فِيهِ عَلَى أَحَدٍ بِمُوجِدَةٍ . إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

فَوْضٌ إِلَى أَمْرَاءِ أَجْنَادِكَ وَقُودَاكَ خَيْلِكَ أُمُورَ أَصْحَابِهِمْ ، وَالْأَخْذَ عَلَى قَافِيَةِ أَيْدِيهِمْ ، رِيَاضَةً مِنْكَ لَهُمْ عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ لِأَمْرَائِهِمْ ، وَالْأَتْبَاعِ لِأَمْرِهِمْ ، وَالْوُقُوفِ عِنْدَ نَهْيِهِمْ ؛ وَتَقَدُّمٌ إِلَى أَمْرَاءِ الْأَجْنَادِ فِي النُّوَابِ الَّتِي أَلْزَمْتَهُمْ بِهَا ، وَالْأَعْمَالِ الَّتِي اسْتَنْجَدْتَهُمْ لَهَا ، وَالْأَسْلِحَةَ وَالْكَرَاعَ الَّتِي كَتَبْتَهَا عَلَيْهِمْ ؛ وَأَحْذَرِ اعْتِلَالَ أَحَدٍ مِنْ قُودَاكَ عَلَيْكَ بِمَا يَحْوُلُ بَيْنَكَ وَبَيْنَ تَأْدِيبِ جُنْدِكَ ، وَتَقْوِيمِهِمْ لَطَاعَتِكَ ، وَقَمْعِهِمْ عَنِ الْإِخْلَالِ بِمَرَاكِمِهِمْ لِشَيْءٍ مِمَّا وَكَلَّوَابَهُ مِنْ أَعْمَالِهِمْ ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ مَفْسَدَةٌ لِلْجُنْدِ ، مَفْتَاةٌ لِلْقُودَاكَ عَنِ الْحَدِّ وَالْإِيثَارِ لِلْمُنَاصِحَةِ ، وَالتَّقَدُّمِ فِي الْأَحْكَامِ .

وَأَعْلَمُ أَنَّ فِي اسْتِخْفَافِهِمْ بِقُودَاهُمْ وَتَضْيِيعِهِمْ أَمْرَ رُؤَسَائِهِمْ دُخُولًا لِلضِّيَاعِ عَلَى أَعْمَالِكَ ، وَاسْتِخْفَافًا بِأَمْرِكَ الَّذِي يَأْتُمُّونَ بِهِ وَرَأْيِكَ الَّذِي تَرْتَبِي . وَأَوْعِزْ إِلَى الْقُودَاكَ أَلَّا يُقَدِّمَ أَحَدٌ مِنْهُمْ عَلَى عَقُوبَةِ أَحَدٍ مِنْ أَصْحَابِهِ ، إِلَّا عَقُوبَةَ تَأْدِيبٍ فِي تَقْوِيمِ مَيْلٍ ، وَتَنْقِيفِ أَوْدٍ ؛ فَأَمَّا عَقُوبَةٌ تَبْلُغُ تَلْفَ الْمُهْجَةِ ، وَإِقَامَةٌ حَدٍّ فِي قَطْعٍ ، أَوْ إِفْرَاطٌ فِي ضَرْبٍ ، أَوْ أَخْذُ مَالٍ ، أَوْ عَقُوبَةٌ فِي شَعْرٍ ، فَلَا يَلِيَنَّ ذَلِكَ مِنْ جُنْدِكَ أَحَدٌ غَيْرُكَ ، أَوْ صَاحِبُ شُرْطَتِكَ بِأَمْرِكَ وَعَنْ رَأْيِكَ وَإِذْنِكَ ؛ وَمَتَى لَمْ تُدَلِّلِ الْجُنْدَ لِقُودَاهُمْ ، وَتَضْرِعَهُمْ لِأَمْرَائِهِمْ ؛ تُوجِبُ لَهُمْ عَلَيْكَ الْحِجَّةَ بِتَضْيِيعِ - إِنْ كَانَ مِنْهُمْ - لِأَمْرِكَ ، أَوْ حَلَّلَ - إِنْ تَهَاوَنُوا بِهِ - مِنْ عَمَلِكَ ، أَوْ عَجَزَ - إِنْ فَرَطَ مِنْهُمْ - فِي شَيْءٍ مِمَّا وَكَلَّتَهُمْ بِهِ أَوْ أَسْنَدْتَهُ إِلَيْهِمْ ؛ وَلَا تَجِدُ إِلَى الْإِقْدَامِ عَلَيْهِمْ بِاللُّومِ وَعَضِّ الْعُقُوبَةِ عَلَيْهِمْ مَجَازًا تَصِلُ بِهِ إِلَى تَعْنِيفِهِمْ ، بِتَفْرِيطِكَ فِي تَذْلِيلِ أَصْحَابِهِمْ لَهُمْ ، وَإِسْفَادِكَ إِيَّاهُمْ عَلَيْكَ وَعَلَيْهِمْ . فَانظُرْ فِي ذَلِكَ نَظْرًا مُحْكَمًا ، وَتَقَدَّمْ

(١) الزيادة عن مفناح الأفكار (ص ٢٥٢) . (٢) أى يقعد بهم عن الجدا الخ .

فيه برفقك تقدما بليغا؛ وإياك أن يدخل حزمك وهن<sup>١</sup>، أو يشوب عزمك إثارة، أو يخلط رأيك ضياع؛ والله يستودع أمير المؤمنين نفسه ودينك .

إذا كنت من عدوك على مسافة دانية وسنن لقاء مختصر، وكان من عسكريك مقترباً قد شامت طلائعك مقدمات ضلّاته وحمّة فتنته، فتأهب أهبة المناجز، وخذ أعتداد الحذر، وكتب<sup>(١)</sup> خيولك، وعبّ جندك . وإياك والمسير إلا في مقدمة وثيمة وميسرة وسافة، قد شهروا الأسلحة، ونشروا البنود والأعلام . وعرف جندك مراكرهم سائرين تحت ألويتهم قد أخذوا أهبة القتال، وأستعدوا للقاء؛ ملتجئين إلى موافقهم، عارفين بمواضعهم في مسيرهم ومسكرهم . وليكن ترحلهم وتنزطهم على راياتهم وأعلامهم وفي مراكرهم، قد عرف كل قائد منهم أصحابه موافقهم : من الميمنة والميسرة والقلب والسافة والطليعة، لازمين لها، غير محلين بما أستنجدوا له، ولا متهاوين فيما أهيب بهم إليه؛ حتى تكون عساكرك في منهل تصل إليه، ومسافة تختارها، كأنها عسكريك واحد في اجتماعها على العدو، وأخذها بالحزم، ومسيرها على راياتها، ونزولها في مراكرها، ومعرفتها بمواضعها : إن ضلت دابة من مواضعها، عرف أهل العسكر من أي المراكز هي، ومن صاحبها، وفي أي المحل حلوله منها، فرددت إليه، هداية معروفة بسمت صاحب قيادتها؛ فان تقدمك في ذلك وإحكامك له طارح عن جندك مؤونة الطلب، وعناية المعرفة، وأبتغاء الضالة .

ثم اجعل على ساقنتك أوثق أهل عسكريك في نفسك صرامة ونفاذا ورضا في العاقبة، وإنصافاً من نفسه للرعية، وأخذاً بالحق في المعدلة، مستشعراً تقوى الله وطاعته؛ أخذاً بهديك وأدبك، واقفاً عند أمرك ونهيك، معتزماً على مناصحتك وتزيتك، نظيراً لك في الحال، وشيهاً بك في الشرف، وعديلاً في الموضع، ومقارِباً في النسب؛ ثم أكتف مع الجمع، وأيدّه بالقوة، وقوه بالظهور، وأعنه بالأموال، وأعمده بالسلاح، ومره بالتعطف على ذوي الضعف من جندك ومن أزحفت به دابته وأصابته نكبة : من مرض أو رجلة أو آفة<sup>(٣)</sup>،

(١) كتب الجيش أو الخيل : جعلها كائب . (٢) في مفتاح الأفكار وغيره : « في الصيت » .

(٣) الرجلة بالضم : أن يشكو رجله وقد رجل كفرح أصابه في رجله ما يكره .

من غير أن يأذن لأحدٍ منهم في التنحّي عن عسكره، أو التخلف بعد ترحله، إلا للجهودِ سَقَمًا، أو لمطروقٍ بأفةٍ جائحةٍ . ثم تقدم إليه محذرا، ومُرّه زاجرا، وأنه مُغلظا في الشدّة على من مرّ به منصرفًا عن معسكرك من جنسك بغير جوازك، شادًا لهم أسرًا، وموقرهم حديدًا، ومُعاقبهم موجعا، وموجههم إليك فتنهكهم عقوبةً، وتجعلهم لغيرهم من جنسك عِظة .

وأعلم أنه إن لم يكن بذلك الموضع من تسكن إليه واثقا بنصيحتته قد بلوت منه أمانةً تُسكّك إليه، وصرامةً تؤمنك مهانته، ونفاذاً في أمرك يُرنخي عنك خِناق الخوف في إضاعته — لم يأمن أمير المؤمنين تسأل الجند عنك لوأداً<sup>(١)</sup>، ورَفَضهم مراكرهم، وإخلاقهم بمواضعهم، وتحلفهم عن أعمالهم، آمين تغيير ذلك عليهم، والشدّة على من آجرته منهم، فأوشك ذلك في وهنك، وخذل من قوتك، وقلل من كثرتك .

اجعل خلف ساقينك رجلا من وجوه قوادك، جليداً، ماضياً، عفيفاً، صارماً، شهيم الرأى، شديد الحذر، شكيم القوة، غير مُداهن في عقوبة، ولا مهين في قوّة، في خمسين فارسا يحشُر إليك جنسك، ويلحق بك من تخلف عنك بعد الإبلاغ في عقوبتهم، والنهك لهم، والتنكيل بهم . وليكن بعقوتك في المنزل الذي ترحل عنه، والمنهل الذي تتقوض منه، مُفريطاً في النفض له، والتبع لمن تخلف عنك به، مشتداً في أهل المنزل وساكبه بالتقدم، موعزاً اليهم في إزعاج الجند عن منازلهم، وإخراجهم عن مكائهم، وإبعاد العقوبة الموجهة والنكال المُبسل في الأشعار والأبشار، وأستصفاء الأموال وهدم العقار لمن آوى منهم أحداً أو ستر موضعه، أو أخفى محله . وحذره عقوبتك إياه في الترخيص لأحد، والمحابة لذي قرابة، والأختصاص بذلك لذي أثرة وهوادة . ولتكن فرسانه مستخين في القوّة، معروفين بالنجدة؛ عليهم سوابغُ الدروع دونها شعارُ الحشو وجبب الاستيجان؛ متقلدين سيوفهم، سامطين كتابتهم، مستعدين لهيج إن بدّهم [ أو كمين إن يظهر لهم<sup>(٤)</sup> ] . وإياك

(١) لوأدا : مراوغة أى مستحقين يستتر بعضهم ببعض . (٢) القوّة : ما حول الدار أو ساحتها .

(٣) سامطين : معلقين . (٤) الزيادة عن مفتاح الأفكار وغيره .

أن تقبل منهم في دوابهم إلا فرسا قويا أو برذونا<sup>(١)</sup> وبيجا : فإن ذلك من أقوى القوة لهم ،  
وأعون الظهري على عدوهم ، إن شاء الله .

ليكن رحيلك إباناً واحداً ، وقتاً معلوماً : لتخف المؤونة بذلك على جندك ، ويعلموا  
أوان رحيلهم ، فيقدموا فيما يريدون من معالجة أطعمتهم ، وأعلاف دوابهم ، وتسكن قلوبهم  
الى الوقت الذى وقفوا عليه ، ويطمئن ذوو الرأى الى إبان الرحيل . ومتى يكن رحيلك  
مختلفاً ، تعظم المؤونة عليك وعلى جندك ولا يزال ذوو السفه [والنزق] يترحلون بالإرجاف  
ويترلون بالتوهم ، حتى لا ينتفع ذو رأي بنوم ولا طمأينة .

إياك أن تظهر استقلالا ، أو تئادى برحيل من منزل تكون فيه ، حتى تأمر صاحب  
تعبتك بالوقوف بأصحابه على معسكرك أخذاً بجنتى فوهته ، بأسلحتهم عدة لأمرى إن حضر  
أو مفاجأة من طليعة العدو إن رأت منكم نهزة ، أو لحمت عندكم غرة . ثم أمر الناس  
بالرحيل وخيلك واقفة ، وأهبتك معدة ، وجنتك واقفة ، حتى إذا استقلتم من معسكركم ،  
وتوجهتم من منزلكم ، سرتم على تعبثكم بسكون ريح ، وهدو حمله ، وحسن دعة . فاذا  
أنتهيت الى منزل أردت نزوله أو هممت بالمعسكره ، فإياك ونزوله إلا بعد العلم بأهله ،  
والمعرفة بمراقفه ؛ وممر صاحب طليعتك أن يعرف لك أحواله ، ويستتير لك علم دفينه ،  
ويستبين علم أموره ثم ينهبها اليك على ما صارت اليه : لتعلم كيف احتماله لعسكرك ، وكيف  
ماؤه وأعلافه وموضع معسكرك منه ، وهل لك — إن أردت مقاما به ، أو مطاولة عدوك  
أو مكايده فيه — قوة تحملك ومدد يأتيه ؛ فإنك إن لم تفعل ذلك ، لم تأمن أن تهجم على  
منزل يعجزك ويزعجك عنه ضيق مكانه ، وقلة مياهه ، وأنقطاع موائده ، إن أردت بعدوك  
مكيدة ، أو أحتجت من أمورهم الى مطاولة ، فإن ارتحلت منه كنت غرضا لعدوك ،  
ولم تجد الى المحاربة والإخطار سبيلا ؛ وإن أقمت به أقمت على مشقة وحصر وفى أزل

(١) برذونا وبيجا : كثير اللحم .

(٢) كذا فى صبح الأعشى (ج ١٠ ص ٢٢٦) ولعل فيه تحريفا صوابه : قوة تصلك ومدد يأتيك .

وضيق ، فاعرف ذلك وتقدم فيه . فإن أردت نزولاً أمرت صاحب الخيل التي وكلت بالناس فوقفت خيله متنجية من معسكرك ، عُدَّةً لأمرٍ إن غالك ، ومفزعاً لبيده إن راعك ، فقد أمنت بحمد الله وقوته بقاءً عدوك ، وعرفت موقعها من حرك ، حتى يأخذ الناس منازلهم ، وتوضع الأثقال مواضعها ، ويأتيك خبر طلائعك ، وتخرج دبابتك من معسكرك دراجةً ودباباً محيطين بمعسكرك ، وعُدَّةً إن احتجت إليها . ولتكن دبابات جنك أهل جلد وقوة ، قائداً أو اثنين أو ثلاثة بأصحابهم ، في كل ليلةٍ ويومٍ نوباً بينهم . فاذا غربت الشمس ووجب نورها ، أخرج اليهم صاحبُ تعيينك أبدالهم ، عَسَسًا بالليل في أقرب من مواضع دبابي النهار ، يتعاور ذلك قوادك جميعاً بلا محابةٍ لأحدٍ فيه ولا إدهان .

إياك وأن يكون منزلك إلا في خندقٍ وحصنٍ تأمن به بيات عدوك وتستقيمُ فيه الى الحزم من مكيدتك . اذا وضعت الأثقال وحطت أبنية أهل العسكر ، لم يمدد طنبٌ ، ولم يرفع خباء ، ولم ينصب بناء حتى تقطع لكل قائدٍ ذرعاً معلوماً من الأرض بقدر أصحابه ، فيحفروه عليهم خندقاً يطيفون به بعد ذلك بخنادق الحسك<sup>(٢)</sup> ، طارحين لها دون اشتجار الرياح ، ونصب الترس ، لها بابان قد وكلت بحفظ كل باب منهما رجلاً من قوادك في مائة رجلٍ من أصحابه ؛ فإذا فرغ من الخندق كان ذانك الرجلان القائدان بمن معهما من أصحابهما أهل ذلك المركز ، وموضع تلك الخيل ، وكانوا هم البوابين والأحراس لذيك الموضعين ، قد كفوهما وضبطوهما وأعفوا من أعمال العسكر ومكروهه غيرهما .

وأعلم أنك إذا كنت في خندق ، أمنت بإذن الله وقوته طوارق عدوك وبغائتهم ، فإن راموا تلك منك ، كنت قد أحكمت ذلك وأخذت بالحزم فيه ، وتقدمت في الإعداد له ، ورتقت مخوف الفتق منه ؛ وإن تكن العافية أستحقت حمد الله عليها ، وأرتبطت شكره بها ، ولم يضرك أخذك بالحزم : لأن كل كلفة ونصبٍ ومؤونة إنفاقٍ ومشقةٍ عملٍ مع

(١) أي ذهب وغاب . (٢) الحسك : أسلاك كالشوك تعمل من الحديد تلقى حول المعسكر لتثقب

في رجل من يدوسها من الخيل والناس الطارقين له ، وهي المعروفة الآن : « بالأسلاك الشائكة » .

السلامة غمٌ وغير خطرٍ بالعاقبة، إن شاء الله . فإن أبتليتَ ببياتِ عدوكِ أو طرقتَ راعياً في ليالك، فليُلقِك حِذراً مشمراً عن ساقك، حاسراً عن ذراعك، متشزناً<sup>(١)</sup> لحربك؛ قد تقدّمتَ دزاجتُك إلى مواضعِها على ما وصفه لك أمير المؤمنين، ودبّابتك في أوقاتها التي قدر لك، وطلّعتُك حيث أمرك، وجندك على ما عبأ بك، قد خطرت عليهم بنفسك؛ وتقدّمتَ إلى جندك، إن طرقتهم طارقاً أو فاجأهم عدو، ألا يتكلم منهم أحد رافعا صوته بالتكبير مُغرِقاً في الإجلاب، مُعلّناً بالإرهاب لأهل الناحية التي يقع بها العدو طارقاً، وليشرعوا رماحهم ناشيين بها في وجوههم، ويرشقوهم بالنبل مكثّين بترسهم، لازمين لمراكزهم، غير مُزِيلِ قدم عن موضعها، ولا متجاوزين إلى غير مراكزهم، وليكبروا ثلاث تكبيرات متوالياتٍ وسائر الجند هادون، لتعرف موضع عدوك من معسكرك، فتمدّ أهل تلك الناحية بالرجال من أعوانك وشرطتك، ومن آتخبت قبل ذلك عدّةً للشدائد بحضرتك، وتدسّ إليهم النشاب والرماح .

وإياك وأن يشهروا سيفاً يتجالدون به، وتقدّم إليهم ألا يكون قتالهم في تلك المواضع لمن طرقتهم إلا بالرماح مُسْنِدِينَ لها إلى صدورهم، والنشاب راشقين به وجوههم؛ قد ألبدوا بالأتريسة، وأستجنوا بالبيض، وألقوا عليهم سوايغ الدروع وجباب الحشو . فإن صد العدو عنهم حاملين على جهةٍ أخرى، كبر أهل تلك الناحية التي يقع فيها كفعل الناحية الأولى، وبقية العسكر سكوتٌ والناحية التي صد عنها العدو لازمةً لمراكزهم منتطقة الهدوء ساكنة الريح، ثم عمّلت في تقويتهم وإمدادهم بمثل صنيعك في إخوانهم .

وإياك أن تُخد نار رواقك؛ وإذا وقع العدو في معسكرك فأبجها ساعراً لها وأوقدها حطباً جزلاً يعرف به أهل العسكر مكانك وموضع رواقك، فيسكن نافر قلوبهم، ويقوى واهي قوتهم، ويشتد منخدل ظهورهم، ولا يرحمون بك الظنون، ويجعلون لك آراء

(١) متشزنا : متجهزا .

السوء، ويُرْجِفون بك آتاء الخوف؛ وذلك من فعلك رَأْدُ عَدُوِّكَ بغيظه لم يستفيل منك ظُفْرًا، ولم يبلغ من نكابتك سرورا . وإن أنصرف عنك عدوك ونكَل عن الإصابة من جندك وكانت بجيالك قُوَّةً على طلبه أو كانت لك من فرسانك خيلٌ معدَّةٌ وكتيبةٌ منتخبةٌ، [و] قدرت على أن تركب بهم أكساءهم<sup>(١)</sup>، وتمجِّلهم على سننهم؛ فأتبعهم جريدة خيل عليها الثقات من فرسانك وأولو النجدة من حماتك؛ فإنك ترهق عدوك<sup>(٢)</sup> وقد أمن من بيأتك، وشغل بكلاله عن التحرز منك والأخذ بأبواب معسكره والضبط لمحارسه عليك، مؤهنةً لحماهم لغلبة أبطالهم : لما ألقوكم عليه من التشمير والجد، قد عقر الله فيهم، وأصاب منهم، وجرح من مقاتلتهم، وكسر من أمانى ضلالهم، ورد من مستعلي جاحهم .

وتقدّم إلى من توجّهه في طلبهم، وتبعه أكساءهم : في سكون الرياح، وقلة الرّفت، وكثرة التسبيح والتهليل، وأستنصار الله عز وجل بالسنتهم وقلوبهم سرًّا وجهرا، بلا لحبّ صحّة، ولا ارتفاع ضوضاء، دون أن يردوا على مطلبهم، ويتهزوا فرصتهم . ثم ليشهروا السلاح، ويتنصّوا السيوف، فإن لها هيبة رائعة، وبديهة مخوفة، لا يقوم لها في بهمة الليل وحندسه إلا البطل المحارب، وذو البصيرة المحامي، والمستميت المقاتل، وقليل ما هم عند تلك الحمية وفي ذلك الموضع .

ليكن أوّل ما نتقدّم به في التهيؤ لعدوك، والاستعداد للقاءه، انتخابك من فرسان عسرك وحماة جندك ذوى البأس والحنكة والجلد والصرامة، ممن قد اعتاد طراد الكفاة، وكثر عن ناجذه في الحرب، وقام على ساق في منازلة الأقران، ثقّف الفروسية، مجتمع القوة، مستحصدا الميرة، صبوراً على هول الليل، عارفاً بمناهزة الفرص؛ لم تتمهنة الحنكة ضعفاً، ولا بلغت به السن كلالاً، ولا أسكرته غيرة الحدائث جهلاً، ولا أبطرتة نجدة الأعمار صلفاً، جريئاً على مخاطرة التلّف، مقدّماً على أدراع الموت، مكابراً لمهيب الهول، متقحماً مخشى الختوف، خائضاً غمرات المهالك؛ برأى يؤيده الحزم، ونية لا يُجالحها الشك،

(١) الأكساء : الأبار، واحداها كس . . (٢) ترهق عدوك : تعشاه .

وأهواء مجتمعة، وقلوب مؤتلفة؛ عارفين بفضل الطاعة وعزّها وشرفها، وحيث محل أهلها من التأيد والظفر والتكين؛ ثم أعرضهم رأى عين على كراعهم وأسلحتهم . ولتكن دوابهم إناث عتاق الخيل، وأسلحتهم سوابغ الدروع وكال آلة المحارب، متقلّدين سيوفهم المستحلّصة من جيد الجوهر وصافي الحديد، المتخيّرة من معادن الأجناس، هندية الحديد يمانية الطبع، رفاق المضارب، مسمومة الشّحذ، مشطّبة الضريبة؛ ملبّدين بالترّسة الفارسية، صينيّة التعقيب، معلّمة المقايض بحلق الحديد، أنحاؤها مربعة، ومخارزها بالتجليد مضاعفة، محمّلها مستخف؛ وكائن النبل وجعاب القسيّ قد استحقّبوها، وقسيّ الشريان والنّبع أعرابيّة الصّنع، مختلفة الأجناس، مُحكّمة العمل، مقومة التثقيف؛ ونصول النبل مسمومة، وعملها مّصيّ، وتركيبها عراقى، وتريشها بدوى؛ مختلفة الصوغ في الطبع، شتىّ الأعمال في التشطيب والتجنيح والإستدارة . ولتكن الفارسيّة مقلوبة المقايض، منبسطة السيّة، سهلة الأنعطاف، مقربة الأنحاء، ممكنة المرعى، واسعة الأسمم؛ فرضها سهلة الورود، ومعاطفها غير مقترّبة المواتاة . ثم ولّ على كل مائة رجل منهم رجلاً من أهل خاصّتك وثقاتك ونصّحائك، له صيت في الرياسة، وقدم في السابقة، وأولية في المشايعة . وتقدّم إليه في ضبّطهم، وكفّ معرتهم، وأستنزال نصائحهم، وأستعداد طاعتهم، وأستخلاص ضمائرهم، وتعاهد كراعهم وأسلحتهم : مُعفياً لهم من النوائب التي تلزم أهلّ عسكري وعامة جنّدك؛ وأجعلهم عدّة لأمر إن حزبك، أو طارق إن أنك؛ ومرهم أن يكونوا على أهبة معدّة، وحدّر ناف لسنّة الغفلة عنهم؛ فإنك لا تدري أىّ الساعات من ليّلك ونهارك تكون إليهم حاجتك . فليكونوا كرجل واحد في التشمير والترأف وسرعة الإجابة؛ فإنك عسيّت ألاّ تجد عند جماعة جنّدك في مثل تلك الرّوعة والمباغته — إن أحتجت إلى ذلك منهم — معونة كافية، ولا أهبة معدّة . بل ذلك كذلك فليكن هؤلاء القوم الذين تنتخب عدّتك وقوتك، بعوناً قد وظّفتها على القواد الذين وليّتهم أمورهم، فسميت أولاً وثانياً وثالثاً ورابعاً وخامساً وسادساً؛ فإن أكتفيت فيما يطرقك ويبيدهك

(١) الشريان بفتح الشين وكسرهما : شجر من عصاه الجبال تعمل من القس .

بَعَثَ واحد، كان مُعَدًّا لم تَحْتَجِ إلى آتِخَابِهِمْ في سَاعَتِكَ تلكَ، فَقَطَّعَ البَعَثَ عَلَيْهِمْ عِنْدَ مَا يَرَهَّقُكَ . وَإِنْ أَحْتَجَجْتَ إِلَى أَثْنَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةٍ ، وَجَّهْتَ مِنْهُمْ إِرَادَتَكَ أَوْ مَا تَرَى قُوَّتَكَ ، إِنْ شَاءَ اللهُ .

وَكُلُّ بَخْرَائِكَ وَدَوَاوِينِكَ رَجُلًا نَاصِحًا أَمِينًا، ذَا وَرَعٍ حَاجِزٍ، وَدِينٍ فَاصِلٍ، وَطَاعَةٍ خَالِصَةٍ، وَأَمَانَةٍ صَادِقَةٍ؛ وَاجْعَلْ مَعَهُ خِيَلًا يَكُونُ مَسِيرَهَا وَمَنْزِلَهَا وَمَرْحَلَهَا مَعَ خِزَانَتِكَ وَحَوْلَهَا . وَتَقَدَّمْ إِلَيْهِ فِي حِفْظِهَا، وَالتَّوَقَّى عَلَيْهَا، وَأَتِّهَامِ كُلَّ مَنْ تُسْنِدُ إِلَيْهِ شَيْئًا مِنْهَا عَلَى إِضَاعَتِهِ وَالتَّهَوُّنِ بِهِ، وَالثَّدَّةِ عَلَى مَنْ دَنَا مِنْهَا فِي مَسِيرِ، أَوْ صَامَهَا فِي مَنْزِلٍ، أَوْ خَالَطَهَا فِي مَنْهَلٍ . وَليكنَ عَامَّةُ الجُنْدِ وَالجَيْشِ — إِلاَّ مَنْ اسْتَخْلَصْتَ لِلسَّيْرِ مَعَهَا — مُتَنَحِّينَ عِنْدَهَا، مُجَانِبِينَ لَهَا فِي المَسِيرِ وَالمَنْزِلِ؛ فَانْهَ رَبَّمَا كَانَتْ الجَوْلَةُ وَحَدَّثَتِ الفَرْعَةَ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لِخِزَانَتِكَ مَنْ يُؤَكِّلُ بِهَا أَهْلَ حِفْظِهَا وَذَبَّ عَنْهَا، وَحَيَاظَةَ دُونِهَا، وَقُوَّةَ عَلَى مَنْ أَرَادَ أَتْيَابَهَا، أَسْرَعَ الجُنْدُ إِلَيْهَا وَتَدَاعَوْا نَحْوَهَا، حَتَّى يَكَادُ يَتَرَامَى ذَلِكَ بِهِمْ إِلَى أَتْيَابِ العَسْكَرِ وَأَضْطِرَابِ الفِتْنَةِ؛ فَإِنْ أَهْلُ الفِتْنِ وَسُوءِ السَّيْرِ كَثُرُوا، وَإِنَّمَا هَمَّتْهُمُ الشَّرُّ؛ فَيَأْبَأكَ أَنْ يَكُونَ لِأَحَدٍ فِي خِزَانَتِكَ وَدَوَاوِينِكَ وَبُيُوتِ أَمْوَالِكَ مَطْمَعٌ، أَوْ يَجِدُ سَبِيلًا إِلَى اغْتِيَابِهَا وَمَرْزَأَتِهَا .

وَاعْلَمْ أَنَّ أَحْسَنَ مَكِيدَتِكَ أَثْرًا فِي العَامَةِ، وَأَبْعَدَهَا صِينًا فِي حَسَنِ القَالَةِ؛ مَا نِلْتَ الظَّفَرَ فِيهِ بِعِزِّ الرُّوِيَّةِ، وَحَسَنِ السَّيْرِ، وَلُطْفِ الحِيلَةِ . فَلْتَكُنْ رُوِيَّتِكَ فِي ذَلِكَ وَحِرْصُكَ عَلَى إِصَابَتِهِ بِالْحَيْلِ لَا بِالْقِتَالِ وَأَخْطَارِ التَّافِ؛ وَأَدُسُّسْ إِلَى عَدُوِّكَ، وَكَاتِبْ رُؤْسَاءَهُمْ وَقَادَتَهُمْ وَعِدْهُمْ المَنَالَاتِ، وَمَنْبِهِمُ الوِلَايَاتِ، وَسَوْغَهُمُ التُّرَاثِ، وَضَعْ عَنْهُمْ الإِحْنَ، وَأَقْطَعْ أَعْنَاقَهُمْ بِالْمَطَامِعِ، وَأَسْتَدْعِهِمْ بِالمَثَاوِبِ؛ وَأَمَلْ قُلُوبَهُمْ بِالتَّرْهِيْبِ إِنْ أَمَكْتِكَ مِنْهُمُ الدَّوَائِرِ، وَأَصَارَتَهُمْ إِلَيْكَ الرُّوَايَجِ؛ وَأَدْعُهُمْ إِلَى الوَثُوبِ بِصَاحِبِهِمْ أَوْ أَعْتَرَالِهِ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ بِالْوَثُوبِ عَلَيْهِ طَاقَةٌ؛ وَلَا عَلَيْكَ أَنْ تَطْرَحَ إِلَى بَعْضِهِمْ كِتَابًا كَأَنَّهَا جَوَابُ كِتَابِهِمْ إِلَيْكَ، وَتَكْتُبَ عَلَى أَسْتِنْتِهِمْ كِتَابًا إِلَيْكَ تَدْفَعُهَا إِلَيْهِمْ وَتَحْمِلُ بِهَا صَاحِبَهُمْ عَلَيْهِمْ، وَتَنْزِلُهُمْ عِنْدَهُ بِمَنْزِلَةِ التَّهْمَةِ وَمَحَلِّ

الظَّنة ؛ ففعل مَكِيدَتِكَ في ذلك أن يكون فيها أَفْتَرَاقُ كلمتهم ، وتَشْتِيَتْ جماعتهم ، وإِجْنُ قلوبهم ، وسوءُ الظنِّ من واليهم بهم ، فيوحشهم منه خوفهم إِيَّاه على أنفسهم إذا أيقنوا بآتِهامه إِيَّاهم ؛ فان بَسَطَ يَدَهُ فقتلهم ، وأولغ سيفه في دِمَائِهِمْ ، وأسرع الوثوبَ بهم ، أشعرهم جميعا الخوف ، وشَمِلَهُم الرُّعب ، ودعاهم إليك الهَرَب ، فتهاقنوا نحوكَ بالنصيحة وأموك بالطلب . وإن كان متأنياً محتَمِلاً رجوت أن يستميل إليك بعضهم ، ويستدعى الطمع ذوى الشره منهم ، وتنال بذلك ما تُحِب من أخبارهم ، إن شاء الله .

إذا تَدَانَى الصَّفَان ، وتواقف الجمعان ، وأحضرَت الحرب ، وعبأت أصحابك لقتال عدوهم ؛ فأكثر من قول : لا حول ولا قوة إلا بالله ، والتوكل على الله عز وجل والتفويض إليه ، ومسألته توفيقك وإرشادك ، وأن يعزم لك على الرشد المُنْجِي ، والعصمة الكائنة ، والحياطة الشاملة . ومُرْ جنسك بالصمت وقلة التلُف عند المصاولة ، وكثرة التكبير في أنفسهم والتسبيح بضائرهم ، ولا يُظهروا تكبيراً إلا في الكرات والحملات ، وعند كل زُلْفَةٍ يزدلفونها ؛ فأما وهم وقوفٌ فان ذلك من الفشل والجن ؛ وليذكروا الله في أنفسهم ويسألوه نصرهم وإعزازهم ، وليكثر من قول : ”لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، حسبنا الله ونعم الوكيل ، اللهم أنصُرنا على عدوك وعدونا الباغى ، وأكفنا شوكته المستحدة ، وأيدنا بملائكتك الغالبين ، وأعصمنا بعونك من الفشل والعجز إنك أرحم الراحمين“ .

ولیکن في معسرك المكبرون في الليل والنهار قبل المواقعة . وقومٌ موقوفون يحضونهم على القتال ويحرضونهم على عدوهم ، ويصفون لهم منازل الشهداء وثوابهم ، ويذكرونهم الجنة ودرجاتها ، ونعيم أهلها وسكانها ، ويقولون : أذكروا الله يذكركم ، وأستنصروه ينصركم ، وألتجئوا إليه يمتعكم . وإن استطعت أن تكون أنت المباشرة لتعبية جنك ووضعهم مواضعهم من رأيك ، ومعك رجالٌ من ثقات فرسانك ذوو سنٍّ وتجربةٍ ونجدةٍ على التعبية التي أمير المؤمنين واصفها لك في آخر كتابك فافعل ، إن شاء الله تعالى .

أيديك الله بالنصر، وغب لك على القوّة ، وأعانك على الرّشد، وعصمك من الزنغ،  
وأوجب لمن آستشهد معك ثواب الشهداء ومنازل الأصفياء، والسلام عليك ورحمة الله  
وبركاته .

وكتب سنة تسع وعشرين ومائة .

## ٧ - رسالة ثانية لعبد الحميد الكاتب

ومن رسائل عبد الحميد الرسالة التي أوصى فيها الكاتب<sup>(١)</sup>

بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد، حفّظكم الله يا أهل صناعة الكتابة ، وحاطكم ووقفكم وأرشدكم؛ فإن الله عز  
وجل جعل الناس بعد الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، ومن بعد الملوك  
المكرّمين أصنافاً، وإن كانوا في الحقيقة سواءً؛ وصرفهم في صنوف الصناعات، وضروب  
المحاولات، إلى أسباب معاشهم، وأبواب أرزاقهم، فجعلكم معشر الكُتّاب في أشرف  
الجهات، أهل الأدب والمروءات والعلم والرّزانة؛ بكم تنتظم للخلافة محاسنها، وتستقيم  
أمورها؛ وبنصائحكم يصلحُ الله للخلق سلطانهم، وتعمّر بلدانهم؛ لا يستغنى الملك عنكم،  
ولا يوجد كاف إلا منكم؛ فموقعكم من الملوك موقعُ أشماعهم التي بها يسمعون، وأبصارهم  
التي بها يبصرون، وألسنتهم التي بها ينطقون، وأيديهم التي بها يبطشون؛ فأمتعكم الله بما خصّكم  
من فضل صناعتكم، ولا تزغ عنكم ما أضفاه من النّعمة عليكم؛ وليس أحدٌ من أهل  
الصناعات كلّها أحوَج إلى اجتماعِ خلال الخير المحمودة، وخصال الفضل المذكورة المعدودة  
منكم . أيها الكُتّاب إذا كنتم على ما يأتي في هذا الكُتاب من صفتكم، فإن الكُتاب يحتاج  
في نفسه، ويحتاج منه صاحبه الذي يثق به في مهمّات أموره، أن يكون حليماً في موضع  
الحلم، فهيماً في موضع الحكم، مقدّماً في موضع الإقدام، مجّاماً في موضع الإنجام، مؤثراً

(١) هذه الرسالة من مقدّمة ابن خلدون (ص ٢٠٦ طبعة بلاق) . (٢) أضفاه : آتاه .

للعفاف والعدل والإنصاف، كَتُومًا للأسرار، وفيًا عند الشدائد، عالمًا بما يأتي من النوازل، يَضَعُ الأمورَ مواضعها، والطَّوارقَ في أمَّا كُنْها؛ قد نَظَرَ في كلِّ فنٍّ من فُنُونِ العِلْمِ فأَحْكَمَهُ، وإن لم يُحْكَمْه أخذ منه بمقدار ما يكتفى به؛ يَعْرِفُ بغريزة عَقْلِهِ، وحُسْنِ أدَبِهِ، وفَضْلِ تَجْرِبَتِهِ، ما يَرِدُ عليه قَبْلَ وُرُودِهِ، وعاقِبَةُ ما يَصْدُرُ عنه قَبْلَ صُدُورِهِ؛ فَيُعَدُّ لكلِّ أمرٍ عُدَّتَهُ وَعَتَادَهُ، وَيُهَيِّئُ لكلِّ وجهٍ هَيْئَتَهُ وعادَتَهُ . فتَنافَسُوا يا معشرَ الكُتَّابِ في صُنُوفِ الآدابِ، وَتَفَهَّمُوا في الدينِ، وأَبْدُوا بعِلْمِ كِتَابِ اللَّهِ عزَّ وجلَّ والفرائضِ، ثمَّ العَرَبِيَّةِ فإنَّها تَقَافُ أَلْسِنَتِكُمْ، ثمَّ أَجِيدُوا الخَطَّ فإنَّه حَلِيَّةُ كُتُبِكُمْ، وَأَرُوُوا الأشعارَ وأَعْرِفُوا غَرِيبَها وَمَعَانِيها، وَأَيَّامَ العَرَبِ والعَجَمِ وأَحاديثَها وَسِيَرِها؛ فإنَّ ذلكَ مُعِينٌ لَكُمْ على ما تَسْمُو إليه هَمَمُكُمْ، ولاتُضَيِّعُوا النَظَرَ في الحِسابِ، فإنَّه قِوامُ كُتُبِ الخِراجِ، وَأَرغَبُوا بأنفُسِكُمْ عن المَطامِعِ سَنِيها ودَنِيها، وسَفَسَفُوا الأمورَ ومَحَاقِرِها؛ فإنَّها مَدَلَّةٌ للرقابِ، مَفْسَدَةٌ للكُتَّابِ، ونَزْهوا صِناعَتِكُمْ عن الدَّناءَةِ، وَأَرَبُّوا بأنفُسِكُمْ عن السَّعائَةِ والئِمَّةِ وما فيه أهلُ الجَهالاتِ .

وإيَّاكم والكِبَرِ والسُّخْفِ والعِظَمَةِ، فإنَّها عَدَاوَةٌ مُجْتَلِبَةٌ من غيرِ إِحْتِناءٍ؛ وَتَحَابُّوا في اللَّهِ عزَّ وجلَّ في صِناعَتِكُمْ، وتَوَاصَّوا عليها بالذي هو أَلْيَقُ لأهلِ الفضلِ والعدْلِ والنُّبْلِ من سَلَفِكُمْ؛ وإنَّ نَبأَ الزِمانِ <sup>(١)</sup> بِرِجُلٍ مِنْكُمْ، فأَعْظَفُوا عليه ووَأَسُوهُ حتى يَرْجِعَ إليه حالُهُ، وَيَثُوبَ إليه أَمْرُهُ، وإنَّ أَقْعَدَ أَحَدًا مِنْكُمْ الكِبَرُ عن مَكْسَبِهِ ولِقائِهِ إِخْوانَهُ، فَزُورُوا وَعَظَّمُوا وشاورُوا؛ وَأَسْتَظْهَرُوا بِفَضْلِ تَجْرِبَتِهِ، وَقَدِيمِ مَعْرِفَتِهِ؛ وَلْيَسْكُنِ الرِجُلُ مِنْكُمْ على ما أَصْطَنَعَهُ وَأَسْتَظْهَرَ بِهِ لِيَوْمِ حاجَتِهِ إليه أَحْوَطَ مِنْهُ على وَلَدِهِ وأَخِيهِ، فإنَّ عَرَضَتْ في الشُّغْلِ مَحْمَدَةٌ فلا يَصْرِفُها إِلا إلى صاحِبِهِ، وإنَّ عَرَضَتْ مَدْمَةٌ فَلْيَحْمِلْها هو من دونِهِ؛ وَلْيَحْذَرِ السَّقَطَةَ والزَّلَّةَ والمَلالَ عندَ تَغْيِيرِ الحالِ، فإنَّ العَيْبَ اليكُم مَعَشَرَ الكُتَّابِ أَسْرَعُ مِنْهُ إلى الفِرْأاءِ، وهو لَكُمْ أَفْسَدُ مِنْهُ لها؛ فَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّ الرِجُلَ مِنْكُمْ إِذا صَحِبَهُ مَنْ يَبْدُلُ له من نَفْسِهِ، ما يَجِبُ له عليه من حَقِّهِ؛ فواجِبٌ عليه أَنْ يَعتَقِدَ له من وفائِهِ وشُكْرِهِ، وأَحْتِمالِهِ ونصيحَتِهِ، وكِتْمانِ سِرِّهِ وتَدْيِيرِ أَمْرِهِ،

(١) نَبأُ : تَحَابُّوا وتَباعَدوا ؛

ما هو جزاء لحقه، ويصدق ذلك فعله عند الحاجة اليه، والأضطرار الى ما لديه، فاستشعروا ذلك — وفقكم الله — من أنفسكم في حالة الرِّخاء، والشدة والحُرمان والمُواساة والإحسان والسَّراء والضَّراء؛ فنعمت الشيمة هذه لمن وُسم بها من أهل هذه الصناعة الشريفة؛ وإذا ولى الرجل منكم أو صير إليه من أمرٍ خلق الله وعيًّا أمرًا، فليراقب الله عز وجل وليؤثر طاعته؛ وليكن على الضعيف رقيقًا، وللظلم منصفًا؛ فإن الخلق عيال الله، وأحبهم إليه أرفقهم بعيله؛ ثم ليكن بالعدل حاكمًا، وللأشراف مُكرما، وللفتيء مُوفرا، وللبلاد عامرا، وللرعية مُتألِّفا، وعن أذاهم متخلفا؛ وليكن في مجلسه متواضعا حلما، وفي سبجات خواجه وأستقضاء حقوقه دقيقا؛ وإذا صحب أحدكم رجلا فليختبر خلائقه، فإذا عرَّف حسنًا وقيحها أعانه على ما يوافق من الحسن، وأحتال على صرفه عما يهواه من القبيح بالطف حيلة وأجمل وسيلة.

وقد علمتم أن سائس البهيمة إذا كان بصيرا بسياستها التمس معرفة أخلاقها، فإن كانت رموحا لم يهجها إذا ركبها، وإن كانت شبوبا آتقها من بين يديها، وإن خاف منها شُرودا توقاها من ناحية رأسها، وإن كانت حرؤنا تقع برفق هواها في طرفها، فإن آسترت عطفها يسيرا، فيسلس له قيادها، وفي هذا الوصف من السياسة دلائل لمن ساس الناس وعاملهم وجربهم وداخلهم.

والكاتب لفضل أدبه وشريف صنعته ولطيف حيلته، ومعاملته لمن يحاوله من الناس ويناطره، ويفهم عنه أو يخاف سطوته، أولى بالرفق لصاحبه ومداراته وتقويم أوده، من سائس البهيمة التي لا تُجبر جوابا، ولا تعرف صوابا، ولا تفهم خطابا، إلا بقدر ما يُصيرها إليه صاحبها الراكب عليها؛ ألا فارقوا رحمكم الله في النظر، وأعملوا ما أمكنكم فيه من الروية والفكر، تأمنوا بإذن الله ممن صحبتموه النبوة والأستئقال والجفوة؛ وبصير منكم الى الموافقة، وتصيروا منه الى المؤاخاة والشفقة، إن شاء الله؛ ولا يُجاوزن الرجل منكم في هيئة مجلسه، وملبسه ومركبه، ومطعمه ومشربه وخدمه، وغير ذلك من فنون أمره قدر حقه؛ فإنكم مع ما فضلكم الله به من شرف صنعكم، خدمة لا يُحملون في خدمتكم على التقصير، وحفظه

لأُحْمَلُ مِنْكُمْ أَفْعَالُ التَّضْيِيعِ وَالتَّبْذِيرِ، وَاسْتَعِينُوا عَلَى أَفْعَالِكُمْ بِالْقَصْدِ فِي كُلِّ مَا ذَكَرْتَهُ لَكُمْ، وَقَصَصْتُهُ عَلَيْكُمْ، وَأَحْذَرُوا مَتَالِفَ السَّرْفِ، وَسُوءَ عَاقِبَةِ التَّرَفِّ؛ فَإِنَّهُمَا يُعْقَبَانِ الْفَقْرَ، وَيُذَلِّلَانِ الرِّقَابَ وَيَفْضَحَانِ أَهْلَهُمَا، وَلَا سِيَمَا الْكُتَّابَ وَأَرْبَابَ الْآدَابِ . وَلَا أُمُورَ أَشْبَاهِ وَبَعْضُهَا دَلِيلٌ عَلَى بَعْضٍ؛ فَاسْتَدَلُّوا عَلَى مُؤْتَنَفِ أَعْمَالِكُمْ، بِمَا سَبَقَتْ إِلَيْهِ تَجَرُّبَتُكُمْ؛ ثُمَّ أَسْلُكُوا مِنْ مَسَالِكِ التَّبْذِيرِ أَوْصَحَّهَا حُجَّةً، وَأَصْدَقَهَا حُجَّةً، وَأَحَدَهَا عَاقِبَةً .

وَأَعْلَمُوا أَنَّ لِلتَّبْذِيرِ آفَةً مُتَلَفَةً، وَهُوَ الْوَصْفُ الشَّاعِلُ لِصَاحِبِهِ، عَنْ إِنْفَاقِ عِلْمِهِ وَرَوِيَّتِهِ؛ فَلْيَقْصِدِ الرَّجُلُ مِنْكُمْ فِي مَجْلِسِهِ، قَصْدَ الْكَافِي فِي مَنَطِقِهِ؛ وَلْيُوجِزْ فِي آبْتِدَائِهِ وَجَوَابِهِ، وَلْيَأْخُذْ بِجَمَاعٍ حُجَّجَةٍ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ مَصْلِحَةٌ لِفِعْلِهِ، وَمَدْفَعَةٌ لِلشَّاعِلِ مِنْ إِكْثَارِهِ؛ وَلْيَضْرَعْ إِلَى اللَّهِ فِي صَلَاةِ تَوْفِيقِهِ، وَإِمْدَادِهِ بِتَسْهِيدِهِ؛ مَخَافَةَ وَقُوعِهِ فِي الْغَلْطِ الْمُضِرِّ بِبَدَنِهِ، وَعَقْلِهِ وَأَدَبِهِ، فَإِنَّهُ إِنْ ظَنَّ مِنْكُمْ ظَانًّا أَوْ قَالَ قَائِلًا: إِيَّاكَ الَّذِي بَرَزَ مِنْ جَمِيلِ صَنَعْتِهِ وَقُوَّةِ حَرَكَتِهِ، إِنَّمَا هُوَ بِفَضْلِ حِيلَتِهِ وَحُسْنِ تَبْذِيرِهِ؛ فَقَدْ تَعَرَّضَ بِحُسْنِ ظَنِّهِ أَوْ مَقَاتِلَتِهِ إِلَى أَنْ يَكَلِّهَ اللَّهُ عِزَّ وَجَلَّ إِلَى نَفْسِهِ، فَيَصِيرُ مِنْهَا إِلَى غَيْرِ كَافٍ، وَذَلِكَ عَلَى مَنْ تَأَمَّلَهُ غَيْرُ خَافٍ؛ وَلَا يَقُولُ أَحَدٌ مِنْكُمْ إِنَّهُ أَبْصَرَ بِالْأُمُورِ، وَأَحْمَلَ لِأَعْيَابِ التَّبْذِيرِ؛ مِنْ مُرَاقِقِهِ فِي صِنَاعَتِهِ، وَمُصَاحِبِهِ فِي خِدْمَتِهِ؛ فَإِنَّ أَعْقَلَ الرَّجُلَيْنِ عِنْدَ ذَوِي الْأَلْبَابِ مَنْ رَمَى بِالْعُجْبِ وَرَاءَ ظَهْرِهِ، وَرَأَى أَنَّ أَصْحَابَهُ أَعْقَلُ مِنْهُ وَأَجْمَلُ فِي طَرِيقَتِهِ؛ وَعَلَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ أَنْ يَعْرِفَ فَضْلَ نِعَمِ اللَّهِ جَلَّ شَأْؤُهُ مِنْ غَيْرِ اغْتِرَارِ بِرَأْيِهِ، وَلَا تَرْكِيَةِ لِنَفْسِهِ؛ وَلَا يُكَاثِرَ عَلَى أَخِيهِ أَوْ نَظِيرِهِ، وَصَاحِبِهِ وَعَشِيرَتِهِ؛ وَحَمْدُ اللَّهِ وَاجِبٌ عَلَى الْجَمِيعِ .

وَذَلِكَ بِالتَّوَاضُعِ لِعَظَمَتِهِ، وَالتَّذَلُّلِ لِعِزَّتِهِ، وَالتَّحَدُّثِ بِنِعْمَتِهِ؛ وَأَنَا أَقُولُ فِي كِتَابِي هَذَا مَا سَبَقَ بِهِ الْمَثَلُ: "مَنْ تَلَزَمَهُ النَّصِيحَةُ يَلْزَمَهُ الْعَمَلُ" وَهُوَ جَوْهَرُ هَذَا الْكِتَابِ وَغُرَّةُ كَلَامِهِ، بَعْدَ الَّذِي فِيهِ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ عِزَّ وَجَلَّ، فَلِذَلِكَ جَعَلْتُهُ آخِرَهُ وَتَمَّتْ بِهِ . تَوَلَّانا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ يَا مَعْشَرَ الطَّلَبَةِ وَالْكَتَبَةِ بِمَا يَتَوَلَّى بِهِ مَنْ سَبَقَ عِلْمُهُ بِإِسْعَادِهِ وَإِرْشَادِهِ، فَإِنَّ ذَلِكَ إِلَيْهِ وَيُهِدِيهِ . وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ .

## ٨ - رسالة الثالثة لعبد الحميد الكاتب

ومن رسائل عبد الحميد رسالة في الشطرنج<sup>(١)</sup> :

أما بعد ، فإن الله شرع دينه بإنهاج سُبُلِهِ ، وإيضاح معالمه بإظهار فرائضه ، وبعث رسلته الى خلقه دلالة لهم على ربوبيته ، واحتجاجاً عليهم برسالاته ، ومقدمات اليهم بإنذاره ووعيده ، ليهلك من هلك عن بينة ، ويحيى من حى عن بينة ؛ ثم حتم بنبيه صلى الله عليه وسلم وحيه ، وفقى به رسله ، وأبتعثه لإحياء دينه الدارس مرتضياً له على حين انطمست الأعلام<sup>(٢)</sup> مخفية ، وتشتت السبل متفرقة ، وعفت آثار الدين دارسة ، وسطع رَجْحُ الفتن ، وأعتلى قَتَامُ الظلم ، وأستهد الشُّركُ ، وأسدف الكفر<sup>(٣)</sup> ، وظهر أولياء الشيطان لطموس الأعلام ، ونطق زعيم الباطل بسكته الحق ، وأستطرق الجور وأستنكح الصدوف عن الحق ، وأقمطر سلهب<sup>(٤)</sup> الفتنة ، وأستضرم لقاحها ، وطبقت الأرض ظلمة<sup>(٥)</sup> كفرٍ وغواية فساد ؛ فصدع بالحق مأمورا ، وأبلغ الرسالة معصوما ، ونصح الإسلام وأهله ، دالاً لهم على المرآشد ، وقائداً لهم الى الهداية ، ومينراً لهم أعلام الحق ضاحية ، مرشداً لهم الى أستفتاح باب الرحمة وإعلاق عُرْوَةِ النجاة ؛ مؤصفاً لهم سبيل الغواية<sup>(٦)</sup> ، زاجراً لهم عن طريق الضلالة ، محذراً لهم الهلكة ، مؤعزاً اليهم فى التقديمة ، ضارباً لهم الحدود على ما يتقون من الأمور ويخشون ، وما إليه يسارعون ويطلبون ؛ صابراً نفسه على الأذى والتكذيب ، داعياً لهم بالترغيب والترهيب ؛ حريصاً عليهم ، متحنناً على كافتهم ،

(١) هذه الرسالة من كتاب « اختيار المنظوم والمنثور » لابن طيفور المحفوظ بدار الكتب المصرية تحت

رقم (٥٨١ أدب) ومراجعة على نسخة أخرى منه محفوظة برقم (١٨٦٠ أدب) .

(٢) وردت هذه الجملة فى رسائل البلغاء هكذا : « على حين انطمست له الأعلام ... » بزيادة "له"

وليس لها محل من السياق فلعلها من زيادات النساخ .

(٣) أسدف الكفر : أظلم وعم النواحي والأرجاء كالليل . (٤) اقطر : اشتد .

(٥) الغواية ، ما أظل الانسان من فوق كالسحابة والغبرة ونحوهما .

(٦) فى رسائل البلغاء وإعلان بالنون بدل القاف ، وهو محو يفت ،

عزیزاً علیہ عَنَّتْہُمْ ، رِعْوَفًا بِہِم رَحِیْمًا ، تَقَدَّمَهُ شَفِیقَتُهُ عَلَیْہِم وَعِنَايَتُهُ بِرَشْدِهِم إِلَى تَجْرِیدِ  
الطَّلَبِ إِلَى رَبِّہِ فَمَا فِیْہِ بَقَاءُ النِّعْمَةِ عَلَیْہِم ، وَسَلَامَةُ أَدِیَانِہِم ، وَتَخْفِیْفُ<sup>(١)</sup> أَصَارِ الْأَوْزَارِ عَنْہِم ،  
حَتَّى قَبَضَهُ اللَّهُ إِلَیْہِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَیْہِ وَسَلَّمَ - نَاصِحًا مَتَّصِحًا ، أَمِينًا مَأْمُونًا ، قَدْ بَلَغَ الرِّسَالَةَ ، وَأَدَّى  
النَّصِیْحَةَ ، وَقَامَ بِالْحَقِّ ، وَعَدَّلَ عَمُودَ الدِّینِ ، حَتَّى اعْتَدَلَ مِیلُهُ ، وَأَذَلَ الشَّرْكَ وَأَهْلَهُ ، وَأَنْجَزَ  
اللَّهُ لَهُ وَعْدَهُ ، وَأَرَاهُ صَدَقَ أَنْبَاءُهُ فِي إِكْمَالِهِ لِلْمُسْلِمِينَ دِینَهُ ، وَاسْتِقَامَةَ سَبْتِهِ فِیْہِم ، وَظُهُورَ  
شُرَائِعِهِ عَلَیْہِم . قَدْ أَبَانَ لَهُمْ مُوَبَقَاتِ الْأَعْمَالِ ، وَمَفْطَعَاتِ الذُّنُوبِ ، وَمَهَبَطَاتِ الْأَوْزَارِ ،  
وظَلَمَ الشُّبُهَاتِ ، وَمَا يَدْعُو إِلَیْہِ نَقْصَانِ الْأَدِیَانِ ، وَتَسْتَهْوِیْہِم بِہِ الْغَوَايَاتِ ؛ وَأَوْضَحَ لَهُمَ أَعْلَامَ  
الْحَقِّ ، وَمَنَازِلَ الْمُرَاشِدِ ، وَطُرُقَ الْهَدَى ، وَأَبْوَابَ النِّجَاتِ ، وَمَعَالِقَ الْعِصْمَةِ ، غَیْرَ مَدْحَرٍ لَهُمْ  
نَصْحًا وَلَا مَبْتِغٍ فِي إِرْشَادِهِمْ غُنًا . فَكَانَ مِمَّا قَدَّمَ إِلَیْہِم فِیْہِ نَبِیَّہِ ، وَأَعْلَمَهُمْ سُوءَ عَاقِبَتِہِ ،  
وَحَدَّرَهُمْ إِصْرَہِ ، وَأَوْعَزَ إِلَیْہِم نَاهِیًا وَوَاعظًا وَزَاجِرًا ، الْأَعْتِكَافُ عَلَى هَذِهِ التَّمَاثِيلِ مِنْ  
الشُّطْرُنِجِ وَالْمُوَاصَلَةِ عَلَیْہَا ، لَمَّا فِي ذَلِكَ مِنْ عَظِيمِ الْإِثْمِ ، وَمُؤَبِقِ الْوِزْرِ ، مَعَ مَشْغَلَتِہَا  
عَنْ طَلَبِ الْمَعَاشِ ، وَإِضْرَارِہَا بِالْعُقُولِ ، وَمَنْعِہَا مِنْ حُضُورِ الصَّلَوَاتِ فِي مَوَاقِیْتِہَا مَعَ جَمِیعِ  
المُسْلِمِينَ .

وقد بلغ أمير المؤمنين أن ناسا ، ممن قبلك من أهل الإسلام ، قد ألججهم الشيطان  
بها ، وجمعهم عليها ، وألف بينهم فيها ، فهم معتكفون عليها من لدن صبيحهم الى  
مساءهم ، ملهية لهم عن الصلوات ، شاغلة لهم عما أمروا به من القيام بسنن دينهم ،  
وأفترض عليهم من شرائع أعمالهم ، مع مداعتهم فيها ، وسوء لفظهم عليها . وإن ذلك من  
نعلمهم ظاهر في الأندية والمجالس ، غير منكر ولا معيب ولا مستفزع عند أهل الفقه ،  
وذوى الورع والأديان والأسنان منهم ؛ فأكبر أمير المؤمنين ذلك وأعظمه ، وكرهه

(١) أصار : جمع إصر وهو الثقل . وفي رسائل البلاء . واختيار المنظوم والمشور لابن طيفور «أصار» بدل

أصارة وهو مخرب . (٢) في رسائل البلاء . واختيار المنظوم والمشور لابن طيفور «أسبابه» وهو مخرب .

وأستكبره ، وعلم أن الشيطان عندما يئس منه من بلوغ إرادته في معاصي الله عز وجل ، بمصر المسلمين ومجمعهم صراحاً وجهاراً ، أقدم بهم على شبهة مهلكة ، وزين لهم ورطة موبقة ، وغرهم بمكيدة حيلة ، إرادة لاستهوائهم بالخدع ، وأجتياهم بالشبه والمراسد الخفية المشككة . وكل مقيم على معصية الله ، صغرت أو كبرت ، مستحلاً لها مُشيداً بها ، مظهرًا لارتكابه إياها ، غير حذير من عقاب الله عز وجل عليها ، ولا خائف مكرهاً فيها ، ولا راعي من حلول سخطوته عليها ، حتى تلحقه المنية ، فتختلجه وهو مُصر عليها ، غير تائب الى الله منها ، ولا مستغفر من ارتكابه إياها ؛ فكم من أقام على موبقات الآثام وبكائر الذنوب ، حتى مدته ومحرم أيامه .

وقد أحب أمير المؤمنين أن يتقدم اليهم ، فيما بلغه عنهم ، وأن يُنذرهم ويوعز إليهم ، ويعلمهم ما في أعناقهم عليها ، وما لهم في قبول ذلك من الخط ، وعليهم في تركه من الوزر ، فأذن بذلك فيهم ، وأشده في أسواقهم وجميع أنديةهم ، وأوعز إليهم فيه . وتقدم الى عامل شُرطتك في إنهاك العقوبة لمن رفع اليه : من أهل الاعتكاف عليها والإظهار للعب بها ، وإطالة حبسه في ضيق وضنك ، وطرح اسمه من ديوان أمير المؤمنين . وأفظمهم عما لهجوا به من ذلك . وأتمس بشدتك عليهم فيه وإنهاكك بالعقوبة عليه ، ثواب الله وجزاءه ، وأتباع أمير المؤمنين ورأيه . ولا يجدد أحد عندك هواده في التقصير في حق الله عز وجل ، والتعدى لأحكامه ، فتحل بنفسك ما يسوءك عاقبة مغبته ، وتعرض به لغير الله عز وجل ونكاله . وأكتب الى أمير المؤمنين ما يكون منك ، إن شاء الله والسلام .

(١) اجتاهم : حوّلهم عن طريق قصدهم ويحتمل أن يكون : واحتياهم ، والاحتبال : الاصطياد .

(٢) أذنه الأمر وبه : أعله .

## رسالة رابعة لعبد الحميد الكاتب

٩ - ومن رسائل عبد الحميد هذه الرسالة التي وصف بها الصيد <sup>(١)</sup> :  
 أطال الله بقاء أمير المؤمنين مؤيداً بالعزيز، مخصوصاً بالكرامة، ممتعاً بالنعمة، إنه لم يلق <sup>(٢)</sup>  
 أحدٌ من المقتنصين، ولا منح مطرفٌ من المتصيدين، إلا دون ما لقانا الله به من <sup>(٣)</sup>  
 اليمن والبركة، ومنحنا من الظفر والسعادة في سيرنا من كثرة الصيد، وحسن المقتنص،  
 وتمكين الجاسة، وقرب الغاية، وسهولة المورد، وعموم القدورة، إلا ما كان من محاولة <sup>(٤)</sup>  
 الطلب، وشدة النصب، لنافر الصيد، وقائد الطريدة التي أمعنا في الطلب لها، وأعجزنا  
 البهر عن اللحاق بها، لتفاوت سبقها، ومنقطع هربها، ومتفرق سبلها، ثم آل بنا ذلك إلى  
 حسن الظفر، وتناوب الأرب، ونهاية الطرب .

وإني أخبر أمير المؤمنين أنا نخرجنا إلى الصيد بأعدى الجوارح، وأتقى الضواري،  
 أكرمها أجناساً، وأعظمها أجساماً، وأحسنها ألواناً، وأحدها أطرافاً، وأطولها أعضاءً،  
 قد ثققت بحسن الأدب، وعودت شدة الطلب، وسبرت أعلام المواقف، وخبرت المحام،  
 مجبولة على ما عودت، ومقصورة على ما أدبت . ومعنا من نفائس الخيل المخبورة الفراهة، <sup>(٥)</sup>  
 من الشهيرة الموصوفة بالنجابة، والجرى والصلابة . فلم نزل بأخفض سير، وأتقى طلب،  
 وقد أمطرتنا السماء مطراً متداركاً، فربت منه الأرض، وزهر البقل، وسكن القتام من مثار <sup>(٦)</sup>  
 السناكب، ومتشعبات الأعاصير، مهلة أن سرنا غلوات، ثم برزت الشمس طالعة،  
 وأنكشفت [من] السحاب مسفرة، فتلاأت الأشجار، وضحك النوار، وأنجلت الأبصار،  
 فلم نر منظرًا أحسن حسناً، ولا مر موقاً أشبه شكلاً، من آبتسام نور الشمس عن أخضرار

(١) هذه الرسالة من كتاب « اختيار المنظوم والمنثور » لابن طيفور .

(٢) في الأصل : " يلف " . (٣) في الأصل : " القانا " . (٤) كذا في الأصل ولعلها

محرقة عن الحباله . (٥) القدورة : القدرة، وفي الأصل : " المقدورة " . (٦) الفراهة :

النشاط في السير . (٧) الشهيرة : البراذين . (٨) في الأصل : هكذا " مسا " :

(٩) في الأصل " نسمات " .

زهرة الرياض . والخيل ترمح بنا نشاطا ، وتجذبنا أعتبا أنبساطا ؛ ثم لم نلبث أن علتنا ضبابه<sup>(١)</sup> تقصر طرف الناظر ، وتُخفي<sup>(٢)</sup> سبل السلام ، تعشانا تارة وتتكشف أخرى ، ونحن بأرض دميثة<sup>(٣)</sup> التراب ، أشبه الأطراف ، مُغدقة الفجاج ، مملوءة صيدا من الطباء والشعالب والأرانب ؛ فأدانا المسير إلى غاية دونها مألَف الصيد ، ومجتمع الوحش ، ونهاية الطلب ، قد جاوزناها ونحن على سبيل الطلب ممعنون ، وبكل حرة<sup>(٤)</sup> جونة متفرقون ، فرجع بنا العود على البدء ، وقد أنجلت الضبابه ، وأمتد البصر ، وأمكن النظر ، فاذا نحن برعلة<sup>(٥)</sup> من ظباء ، وحلقة آرام يرتعن أنسات ، قد أحالتهن الضبابه عن شخصنا ، وأذهلهن أنيق الرياض عن أستماع حسنا ، فلم ننج إلا والضواري<sup>(٦)</sup> لأمحة<sup>(٧)</sup> لهن من بُعد الغاية ، ومنتهى نظر الشاخص ؛ ثم مدت الجوارح أجنحتها ، وأجتذبت الضواري مقاودها ، فأمرت بإرسالها على الثقة بمحضرها ، وسرعة الجوارح في طلبها ، فترت تحف حفيف الريح عند هبوبها ، تُسف الأرض سقا ، كاشفة عن آثارها ، طالبة لخيارها ، حارشة بأظفارها ، قد مزقتها تمزيق الريح الجراد ؛ فمن صائح بها وناعر ، وهاتف بها وناعق ، يدعو الكلب بأسمه ، ويفديه بأبيه وأمه ؛ وراكض تحت مفيره ، وخافئ يطلبه الريح ، وطامح يمنعه ، وسائح قد عارضه بارح ، قد حيرتنا الكثرة ، وألهجتنا القدرة ، حتى آملأت أيدينا من صنوف الصيد ، والله المنعم الوهاب .

ثم ملنا يا أمير المؤمنين بهداية دليل قد أحكمته التجارب ، وخبر أعلام المدانب ، إلى غدير أفيح ، وروضة خصرة ، مستأجمة بتلاوين الشجر ، ملتفة<sup>(٨)</sup> بصنوف الخمر ، مملوءة من أنواع الطير ، لم يدعهن صائد ، ولا آقتنصهن قانص ، نحفق لها بطبول ، وصفر بنفير الحنف ، فنار منها ما مالا الأفق كثرتها ، وراعت الجوارح حَفَقَاتُ أجنحتها ؛ ثم أنبرت البراة

(١) في الأصل : "تقتصر" . (٢) في الأصل : "ويحي" .

(٣) الأشبه : الملتفة الشجر . وفي الأصل «أسنه» . (٤) الحرة : أرض ذات حجارة نخرة سود ،

وفي الأصل «حر» . (٥) الجونة : السوداء ، وفي الأصل هكذا : «حونه» . (٦) رعلة : جماعة

متفرقة . (٧) في الأصل : «يفح» . (٨) الخمر : الشجر .

لها صائدة، والصقور كاسرة، والشواهين ضارية، يرفعن الطلب لها، ويخفِضْنَ الظفرَ بها،  
حتى سمئنا من الدَّجج، وأمتلأنا من النضيج؛ كأنَّا كَتَبْنَا ظَفِرَتِ بِبَغِيَّتِهَا، وَسِرِّيَّةً نُصِرْتُ عَلَى  
عَدُوِّهَا، وَأَلْحَقْتُ ضَعِيفَهَا بِقَوِيَّتِهَا، وَغَلَبْتُ مَحْسَنَهَا بِمَسِيئَتِهَا؛ لَا تَمْلِكُ أَنْفَسَنَا مَرَّحًا،  
وَلَا نَسْتَفِيقُ مِنَ الْجَدَلِ بِهَا فَرِحًا، بَقِيَّةَ يَوْمِنَا، وَاللَّهِ الْمُنْعِمِ الْوَهَّابِ .

ثم غدونا يا أمير المؤمنين الى أرض وُصِفَ لَنَا صَيْدُهَا بِالكَثْرَةِ، وَرِيَاضُهَا بِالزَّهَةِ،  
فَزَلَّ وَاصْفَهَا عَنِ الطَّرِيقَةِ، وَأَعْتَمَدَ بِنَا عَلَى غَيْرِ الْحَقِيقَةِ؛ فَأَتَيْنَاهَا فَلَمْ نَرِصِيدًا وَلَا عَشْبًا،  
وَلَا زَهَةً وَلَا حَسَنًا، بَفَعَلْنَا نَسْلُكُ مِنْهَا حُرُونًا وَوُعُورًا، وَجُدُوبًا وَقَفْرًا، حَتَّى قَصَّرَ بِنَا الْيَأْسُ  
عَنِ الطَّلَبِ، وَقَطَعَ بِنَا عَنِ الطَّمَعِ النَّصَبِ . فَبَيْنَا نَحْنُ كَذَلِكَ، إِذْ بَدَأَ لَنَا جَابٌ قَدْ أَوْفَى  
بِنَا عَلَى حَائِلٍ دَلَّ عَلَى غَابَةِ مِنْ وَرَائِهَا حَمِيرٌ وَحَيْشٌ كَثِيرَةٌ، فَأَمَمْنَاهَا، فَلَمَّا تَطَرَّفْنَا مَشِيًا وَتَقْرِيبًا  
إِلَى عَانَاتِهِ، تَوَالَى نَهَيْقُهُ، وَكَثُرَ شَهيقُهُ، فَالْتَفَتْنَا إِلَيْهِ، فَرَمَقْنَا بِأَعْيُنِنَا مَا مَا أَسْتَكْثِرُنْ شَخْصَهُ،  
وَأَسْتَهْوِلُنْ أَمْرَهُ، حَتَّى إِذَا كُنَّا بِمَرَأَى وَمَسْمَعِ أَنْجَذِبُنْ مُوَلِّيَاتِ، وَهَرَبُنْ مَسِيَّاتِ، فَأَجْهَدْنَا  
الرَّكْضَ فِي طَلَبِنَا، نَتَّبِعُ آثَارَهُنَّ، وَنَسْتَشْفُ بِبَلَاءِ بَيْنِ أَحْفَارٍ وَدَكَدِكَ وَخَنَازِيدِ، حَتَّى أَشْفَى  
بِنَا الطَّلَبُ لَهَا عَلَى وَاِدِّ هَائِلِ سَائِلِ، بِجَنَبَتِيهِ غَابَةٌ أَشْبَهُ قَدْ سَبَقْنَا إِلَيْهَا، وَأَسْتَحْفِنُ فِيهَا،  
فَنَظْمُنَاهَا بِالْحَيْلِ نَظْمَ الْحَرْزِ، ثُمَّ أَوْغَلْتُ عِدَّةَ فُرْسَانٍ فِي نَقِضِهَا وَمَعْرِفَةِ أَحْوَالِهَا، وَالطَّبْوُلُ  
خَافِقَةٌ، وَالْأَصْوَاتُ شَاهِقَةٌ، فَكَانَ وَكَانَ؛ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ .

(١) النضيج : العرق .

(٢) في الأصل : "قلب" . (٣) الجاب : الغليظ من حمر الوحش . (٤) في الأصل :

"مسيبا" . (٥) التقريب : ضرب من العدو . (٦) العانة : القطيع من حمر الوحش .

(٧) الأحفار جمع حفرة وهو التراب المخرج من الحفور . (٨) الدكادك : جمع دكك ودكادك وهو أرض فيها

غلظ . (٩) الخنازيد : جمع خنذيد وهو رأس الجبل المشرف ، والذي يتفق والسياق "أخاديد" ،

وهي جمع أخدود : الحفرة المستطيلة في الأرض .

## باب المنظوم

## الغزل

ذكرنا في المجلد الأول حالة الغزل في العصر الأموي، وكثرة ما نجد فيه من لوائح الحب ولفحاته، وشكائيات الصب وأناته، وزفرات العاشق وعبراته. وبيننا أنواعه المتباينة التي قسمناها الى أربعة أقسام:

(أ) غزل إباحي: ويصح لنا أن نتخذ من عمر بن أبي ربيعة زعيماً لهذا النوع الذي يجمع الى وصف المرأة والتشبيب بها، معاني العبث والاستمتاع باللذة المادية مما ينفر منه الأدب الجاهلي، ومما حظره عليه الكثيرون من خلفاء الاسلام وأئمة. وقد كانت مكة والمدينة مسرحاً لهذا النوع في العصر الأموي. وقد شرحنا سبب ذلك في المجلد الأول فراجعه ثمة.

(ب) غزل عذري: وهو غزل الحب الصادق، والعواطف المتأججة، والنفس المتألّمة المعنّاة، تلك النفس التي تجد لذتها في الكلف بمن تحب والتعلق بها والشعور بالسعادة في الفناء في حبها، حباً يملك عليه لبه ويعذب روحه ويفنى جسمه، كغزل جميل زعيم هذا النوع. وليس أدل على صدق حبه مما أثبتناه عن كتاب الأغاني اذ حاول أبوه أن يصرفه عن حبه وحاجّه في ذلك أجمل مُحاجّة، فكان من جميل ما كان مما تجده مفصّلاً في هذا الباب.

(ج) غزل صناعي: بين هذا وذاك، همّة الإجابة في الشعر من حيث هو شعر، لا في الحب من حيث هو حب، ولنا في كثيرٍ غزاة زعيم لهذا النوع الثالث.

(د) غزل قصصي: خلقه الرواة لأنهم رأوا ميل الناس الى الغزل والى حياة القصف وما يتبع حياة القصف، فنظّموا قصائد نحلوها لشعراء لا نستطيع أن نختلج تبعاً

القول بوجودهم في الحياة، أو القول بأنهم أشخاص خياليون خلقهم الرواة، أو زادوا من عندهم مقطّعات نسبوها لهم وأضافوها الى شعرهم . وزعياً هذا النوع : قيس بن الملوّح وليلاه، وقيس بن ذريح ولبنائه .

وإفاء بما وعدناك به نذكر زعيم كل نوع من هذه الأنواع مع ذكر ترجمته والمختار من شعره .

## (١) الغزل الاباحى

عمر بن أبي ربيعة<sup>(١)</sup>

« راق عمر بن أبي ربيعة الناس وفاق نظراءه وبرعهم بسهولة الشعر وشدة الأسر، وحسن الوصف، ودقة المعنى، وصواب المصدر، والقصد للحاجة، وأستنطاق الرّبع، وإنطاق

(١) هو أبو الخطاب عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة القرشي المخزومي، أشعر قرين وأرق أصحاب الغزل، وأوصف الشعراء لأحوال النساء .

ولد بالمدينة ليلة مات عمر بن الخطاب رضوان الله عليه ، وكانت أمه نصرانية ، وكان أبوه تاجراً موسراً ، وعاملاً لرسول الله صلى الله عليه وسلم وللخلفاء الثلاثة من بعده ، فشب في نعيم وترّف ، وقال الشعر صغيراً ، وسلك فيه طريق الغزل ، ووصف أحوال النساء وتراورهن ومداعبته بعضهن لبعض ، وما يعتدن قوله من الكلام ، مما يتوقر الشعراء الفحول عن الخوض فيه ، ولذلك لم يحفلوا بشعره وعدوه من هذيان خلعاء المدينة ، فما زال يعالج الشعر والشعريتنا له ، حتى ملك ناصيته ، وقبض على زمامه ، وبز الشعراء ، وقال رأيته المشهورة على طريقته المبتكرة وهي التي أولها :

أمن آل نعم أنت غاد فبكر \* غداة غد أم رآخ فهجر

والتي قال فيها جرير حين سمعها : ما زال هذا القرشي يهذي حتى قال الشعر .

ثم استطار شره في التشبيب بالنساء : من يعرفها ومن لا يعرفها ، وتعرض لأحصنات المتعففات من نساء قومه ومن غيرهن ، فوقعن منه في بلاء عظيم وصرن يحفن الخروج الى الحج لأنه كان يتلقاهن بمكة ، ويتربحن خروجهن للطواف والسعي ويصفهن وهن محرمات . وحلبت عليه رجالات قريش لمكانة نسبه منهم ولتربح توبته وإقلاعه ، فلما تمادى في أمره وشبب بينات السادات والخلفاء ، غضب عليه عمر بن عبد العزيز ونفاه الى دهلك : (وهي جزيرة أمام مدينة مصوّح) ، ثم رأى ابن أبي ربيعة أن يكفر عن سيئاته بالتوبة والجهاد ففزا في البحر فاحترقت السفينة التي كان فيها واحترق هو أيضاً سنة ٩٣ هـ وقد اقتبسنا تصدير بحثنا عنه عن أبي الفرج الأصفهاني وتجد ترجمته مطولة في الأغاني ج ١ ص ٦١ — ٢٤٨ (طبعة دار الكتب المصرية) والشعر والشعراء ص ٣٤٨ وابن خلكان (ج ١ ص ٣٧٨) والدميري (ج ١ ص ٣٢٦) والعقد الفريد (ج ٣ ص ١٣٢) وله ديوان مطبوع في ليزر سنة ١٨٩٣ وفي مصر سنة ١٣١١ ومنه نسختان خطيتان بدار الكتب المصرية .

القلب ، وحسن العزاء ، ومخاطبة النساء ، وعفة المقال ، وقلة الانتقال ، وإثبات المجبة ، وترجيح الشك في موضع اليقين ، وطلاوة الاعتذار ، وفتح الغزل ، ونهج العليل . وعطف المساء على العُدال ، وحسن التفجع ، وبُحُل المنازل ، واختصار الخبر ، وصدق الصفاء ؛ إن قدح أورى ، وإن اعتذر أبرأ ، وإن تشكى أشجى ، وأقدم عن خبرة ، ولم يعتذر بغرة ، وأسر النوم ، وغم الطير ، وأعدّ السير ، وحيّر ماء الشبّاب ، وسهل وقول ، وقاس الهوى فأرّبي ، وعصى وأخلى ، وحالف بسمعِهِ وطرفِهِ ، وأبرم نعت الرُّسل وحدّر ، وأعلن الحبّ وأسرّ ، وبطن به وأظهر ، وألح وأسّف ، وأنكح النوم ، وجنى الحديث وضرب ظهره لبطنه ، وأذلّ صعبه ، وقنع بالرجاء من الوفاء ، وأعلى قاتله ، وأستبكي عاذله ، ونفض النوم ، وأغلق رهن مئى وأهدر قتلاه ؛ وكان بعد هذا كله فصيحاً .

فمن سهولة شعره وشدة أسره قوله<sup>(١)</sup> :

فلما توافقنا وسأمتُ أشرقَتْ \* وجوهٌ زهاها الحسنُ أن نتقننا  
تباهنَ بالعرفانِ لما رأيَني \* وقلنَ أمرؤُ باغِ أكلٍ وأوضعا<sup>(٢)</sup>

ومن حُسن وصفه قوله :

لها من الرِّيمِ عيناها ولفنته<sup>(٣)</sup> \* ونحوهُ السابقُ المُختالِ إذ صهلا

ومن دقة معناه وصوابِ مصدره قوله :

عوجا مُحىّ الطلّلِ المحوِّلا<sup>(٤)</sup> \* والرِّبعِ من أسماءِ والمنزلا<sup>(٥)</sup>  
بسايغِ البوابةِ لم يعده<sup>(٦)</sup> \* تقادمِ العهدِ بأن يؤهلا

(١) المراد من شدة الأسر هنا إحكام النسيج ومثانة التركيب . (٢) أكل : أعيا وأوضع : أسرع

في السير . (٣) الرِّيم : الظبي . (٤) عوجا : قفا . (٥) المحول والمحيل : الذى أتت

عليه أحوال كثيرة فغيرته . (٦) البوابة : الفلاة واسم لصحراء بأرض تهامة اذا خرجت من أطلى

وادي النحلة الجمانية وهى بلاد بنى سعد بن بكر بن هوازن . (معجم البلدان لياقوت) .

ومن قصده للحاجة قوله :

أيها المنكح الثريا سميلا<sup>(١)</sup> \* عمرك الله كيف يلتقيان  
هي شامية إذا ما استقلت \* وسهيل إذا استقل يمانى

ومن استنطاقه الربيع قوله :

سائلا الربيع بالبلى<sup>(٢)</sup> وقولا \* هجت شوقا لى الغداة طويلا  
أين حتى حلوك إذ أنت محفو \* ف بهم أهل أراك جميلا  
قال ساروا فأمعنوا وأستقلوا<sup>(٣)</sup> \* وبرغمي ولو وجدت سبيلا  
سمئونا وما سمئنا جوارا \* وأحبوا دمانه<sup>(٤)</sup> وسهولا

قال إسحاق : أنشد جرير هذه الأبيات فقال : إن هذا الذى كنا ندور عليه فأخطأناه .

ومن إنطاقه القلب قوله :

قال لى فيها عتيق مقالا \* ففرت مما يقول الدموع  
قال لى ودع سليمي ودعها \* فأجاب القلب : لا أستطيع

ومن حسن عزائه قوله :

ألحق إن دار الرباب تباعدت \* أو أنبت جبل أن قلبك طائر<sup>(٥)</sup>  
أفق قد أفاق العاشقون وفارقوا ال \* هوى وأستمرت بالرجال المرائر<sup>(٦)</sup>  
زع النفس واستبق الحياء فإتما<sup>(٧)</sup> \* تباعد أو تدنى الرباب المقادر  
أمت حبها وأجعل قديم وصالها \* وعشرتها كمثل من لا تعاشر

(١) هي الثريا ابنة عبد الله بن الحارث بن أمية الأصغر بن عبد شمس بن عبد مناف الأموية . تزوجها سهيل ابن عبد الرحمن بن عوف الزهري رضى الله عنه ونقلها الى مصر فقال عمر هذا الشعر . (٢) البلى — بضم وفتح وياء مشددة — تل قصير أسفل حاذة بينها وبين ذات عرق (ياقوت) . (٣) استقلوا : واصلوا السير وجدوا فى الأرتحال . (٤) يقال : دمت الأرض دمانه : سهلت ولانت . (٥) انبت : انقطع . (٦) المراد أن الرجال قد أفاقوا واستحكمت عزائمهم وهو يريد أن يسلسلوا لهم . (٧) زع النفس ، أى أزرها وكفها عن هواها .

وهيها كشيء لم يكن أو كإزحج \* به الدار أو من غيبته المقابر  
وكالناس علقت الرباب فلا تكن \* أحاديث من يبدو ومن هو حاضر<sup>(١)</sup>

وهذه الأبيات يرويها بعض أهل الحجاز لكثير، ويرويها الكوفيون للكثير بن معروف  
الأسدي، وذكر بعضها الزبير بن بكار عن ابن عبيدة لكثير في أخباره .

ومن حسن غزله في مخاطبة النساء - قال مضعب الزبيرى : وقد أجمع أهل بلدنا  
ممن له علم بالشعر أن هذه الأبيات أغزل ما سمعوا - قوله :

تقول غداة التقينا الرباب \* أياذا أفلت أفول السماء  
وكفت سوابق من عبرة \* كما أرفض نظم ضعيف السلاك  
فقلت لها من يطع في الصديق \* أعداءه يجتنبه كذاك  
أغرك أنى عصيت الملا \* م فيك وأن هوانا هواك  
وأن لا أرى لذة في الحياة \* تقر بها العين حتى أراك  
فكان من الذنب لى عندكم \* مكارمتي وأتباعي رضاك  
فليت الذى لأم فى حيكم \* وفى أن تزارى بقربى وقاك<sup>(٢)</sup>  
هموم الحياة وأسقامها \* وإن كان حنق جهيز فداك<sup>(٣)</sup>

ومن عفة مقاله قوله :

طال ليلى وأعتادنى اليوم سقم \* وأصابت مقاتل القلب نعم  
حره الوجه والشمايل والجو \* هير تكلمها لمن نال غم  
وحديث بمثله تنزل العصم<sup>(٤)</sup> \* سم رخيم يشوب ذلك حلم  
هكذا وصف ما بدا لى منها \* ليس لى بالذى تغيب علم  
إن تجودى أو تجنلى فبحمد \* لست يا نعم فيهما من يدم

(١) أى من يقيم فى البدو والحضر . (٢) المراد به قرن المنازل ، وكثيرا ما يذكره فى شعره .

(٣) جهيز : سريع . (٤) العصم : جمع أعصم وهو من الظباء والوعول ما فى ذراعيه بياض ،

وهى تعتم غالباً بقطن الجبال .

ومن قلة أنتقاله قوله :

أيها السائل غير الصواب \* أمسك النصح وأقل عتاي  
 وأجتنبني وأعلمن أن ستعصى \* ونحيرك طول أجتناي  
 إن تقل نصحا فمن ظهر غش \* دائم الغمر بعيد الذهب<sup>(١)</sup>  
 ليس بي عي بما قلت لاني \* عالم أفقه رجع الجواب  
 إنما قرة عيني هواها \* فدع اللوم وكلني لمابي  
 لا تلمني في الرباب وأمست \* عدلت للنفس برد الشراب<sup>(٢)</sup>  
 هي والله الذي هو ربّي \* صادقا أحلف غير الكذاب  
 أكرم الأحياء طرا علينا \* عند قرب منهم واجتنب  
 خاطبتني ساعة وهي تبكي \* ثم عزت خلتي في الخطاب<sup>(٣)</sup>  
 وكفى بي مدرها لخصوم \* لسواها عند حد تباني<sup>(٤)</sup>

ومن إنباته الحجة قوله :

خليلي بعض اللوم لا ترحلا به<sup>(٥)</sup> \* رفيقا حتى تقولا على علم  
 خليلي من يكف بأخر كالذي \* كلت به يدمل فؤادا على سقيم<sup>(٦)</sup>  
 خليلي ما كانت تُصاب مقاتلي \* ولا غرتي حتى وقعت على نعم  
 خليلي حتى لف حيلي بخادع<sup>(٧)</sup> \* موقى إذا يرعى صيود إذا يرعى  
 خليلي لو يرقى خليل من الهوى \* رقيت بما يذني النوار من العضم<sup>(٨)</sup>  
 خليلي إن باعدت لانت وإن ألن \* تباعد فلم أنبل بحرب ولا سلم<sup>(٩)</sup>

- (١) الغمر (بكر العين) : الحقد والغل . والغمر (بفتح العين) : الماء الكثير ، وكلاً المعنيين يحتمله البيت .  
 (٢) عدلت : ساوت . (٣) أي غلبتني صدقتي في الخطاب قال تعالى : (وعزني في الخطاب) .  
 (٤) يريد : حسبي غالبا لكل خصم سواها إلى حد هلاكى . (٥) يقال : رحل فلان فلانا بما يكره ، والمراد أنه ينقله باسماعه إياه .  
 (٦) يدمل : يطوى . قال في اللسان : ويقال : آدمل القوم ، أي أطوهم على ما فهم .  
 (٧) يكنى بهذا عن الوقوع في شركها . (٨) النوار : النافرة من الظباء .  
 (٩) لم أنبل : لم أصب ، أو لم أحسن الرمي .

ومن ترجيحه الشك في موضع اليقين قوله :

نظرتُ إليها بالمُحَصَّبِ مِنْ مَنِي \* ولى نظراً لولا التحرُّج عارِمُ<sup>(١)</sup>  
 فقلت : أشمسُ أم مصابيحُ بيعة \* بدتْ لك خلف السجفِ أم أنت حالمُ<sup>(٢)</sup>  
 بعيدةٌ مهوى القُطرِ إتما لنوفلِ \* أبوها وإما عبدُ شميسٍ وهاشمُ<sup>(٣)</sup>  
 ومدَّ عليها السجفَ يومَ لقيتها \* على عجلٍ تباعها والخِوادمُ  
 فلم أستطعها غيرَ أن قد بدا لنا \* عشيةً راحتَ وجهها والمعاصمُ  
 معاصمٌ لم تضرب على البهم بالضحي<sup>(٤)</sup> \* عصاها ووجهه لم تلحه السماءُ<sup>(٥)</sup>  
 نُضارُ ترى فيه أسارِيع مائه<sup>(٦)</sup> \* صبيحٌ تغاديه الأكفُ النواعمُ  
 إذا مادعت أترابها فأكتنفها \* تمايلن أو مالت بهن المالكُ<sup>(٧)</sup>  
 طلبن الصبا حتى إذا ما أصبته \* زعن وهن المسلماتُ الظوالمُ  
 ومن طلاوة اعتذاره قوله :

عاود القلب بعض ما قد شجَاه \* من حبيب أمسى هوانا هواهُ  
 يالقومى فكيف أصبرُ عمَّن \* لا ترى النفس طيب عيش سِوَاهُ  
 أرسلت إذ رأيت بعداى ألا \* يقبلن بي محرشا إن أتاه<sup>(٨)</sup>  
 دون أن يسمع المقالة منا \* وليطعني فإن عندى رضاه  
 لا تطع بي فدتك نفسى عدوا \* لحديث على هواه أفتراه  
 لا تطع بي من لو رآنى وإيا \* لك أسيرى ضرورة ما عناه  
 ما ضرارى نفسى بهجرى من ليد \* س مسيتنا ولا بعيدا تراهُ<sup>(٩)</sup>  
 وأجتنبى بيت الحبيب وما الخلد \* د بأشهى إلى من أن أراه

(١) عارم : حاد . (٢) السجف : السر . (٣) كناية عن طول العنق ، وبه فسر في المثل  
 السائر (طبعة بولاق ص ٣٨٣) . (٤) البهم : جمع بهمة ، وهى الصغير من أولاد الضأن والمز والبقر .  
 (٥) لم تلحه : لم تغيره . (٦) أساريع الماء : طرائقه . والمراد أنه يترقق فيه ماء الشباب .  
 (٧) المالك : جمع مأكمة وهى العجيزة . (٨) المحرّش : المغرى ، من التحريش وهو الاغراء والافساد .  
 (٩) الترى : الخير .

ومن نهجه العِلَلُ قوله :

وآية ذلك أن تسمعي \* إذا جئتكم ناشداً ينشد  
فرحنا سراً وراح الهوى \* دليلاً إليها بنا يقصد  
فلما دنونا لحرس النبا<sup>(١)</sup> \* ح والصوت، والحى لم يرقدوا  
بعثا لها باغياً ناشدا \* وفي الحى بغية من ينشد

ومن فتحه الغزل قوله :

إذا أنت لم تعشق ولم تدر ما أهوى \* فكن حجراً من يابس الصخر جليداً  
ومن عطفه المساء على العدل قوله :

لا تأمني عتيق حسبي الذي بي \* إك بي ياعتيق ما قد كفاني  
لا تأمني وأنت زيتها لى \* أنت مثل الشيطان للإنسان

ومن حُسن تفجعه قوله :

هبرت الحبيب اليوم من غير ما أجزتم \* وقطعت من ذى ودك الجبل فانصرم  
أطعت الوشاة الكاشحين ومن يطع \* مقالة وإش يقرع السن من ندم  
أتاني رسول كنت أحسب أنه \* شفيق علينا ناصح كالذى زعم  
فلما تبأثنا الحديث<sup>(٢)</sup> وصرحت \* سرائره عن بعض ما كان قد كتم  
تبين لى أن المحرش<sup>(٣)</sup> كاذب \* فعندي لك العتبي على رغم من رغم  
فإلان لمت النفس بعد الذى مضى \* وبعد الذى آلت وآلت من قسم  
ظلمت ولم تعتب وكان رسولها \* إليك سريعاً بالرضا لك إذ ظلم

(١) الجرس : الصوت . (٢) بث الحديث : إفتاؤه . (٣) المحرش : المغرى ، يقال :

حرش بن القوم : أفسد بينهم .

ومن تخيله المنازل قوله :

ألم تسأل الأطلالَ والمتربعا \* ببطن حليات دوارس بلقبا<sup>(١)</sup>  
 إلى السرح من وادي المغمس بدلت<sup>(٢)</sup> \* معالمها وبلا ونكباء زعزعا<sup>(٤)</sup>  
 فيبخلن أو يخرن بالعلم بعدما \* نكان فؤادا<sup>(٦)</sup> كان قدما مفعجا

ومن اختصاره الخبر قوله :

أمن آل نعيم أنت غاد فمبكر \* غداة غد أم رايح فمهجرجر  
 بحاجة نفس لم تقل في جوابها \* فتبلغ عذرا والمقالة تُعذر  
 أشارت بمدراها وقالت لثريها \* أهذا المغيرى الذي كان يدكر<sup>(٧)</sup>  
 لئن كان إياه لقد حال بعدنا \* عن العهد والإنسان قد يتغير

قال الزبير حدثنى إسحاق الموصلي قال : قلت لأعرابي : ما معنى قول ابن أبي ربيعة :

بجاجة نفس لم تقل في جوابها<sup>(٨)</sup> \* فتبلغ عذرا والمقالة تُعذر

فقال : قام كما جلس .

ومن صدقه الصفاء قوله :

كل وصل أمسى لديك لأنتى \* غيرها وصلها إليها أداء  
 كل أنتى وإن دنت لوصول \* أو نأت فهى للرباب الفداء

- (١) حليات (بضم الحاء المهملة وفتح اللام وتشديد الياء) : اسم موضع ذكره البكري وياقوت ولم يبيناه ، ولعله موضع قرب مكة بقرينة ذكره مع المغمس الوارد في البيت بعده . (٢) السرح : موضع .  
 (٣) المغمس (بتشديد الميم وفتحها كما في ياقوت ، وضبطه البكري في معجمه بكسر الميم وتشديدها) : موضع قرب مكة في طريق الطائف ، مات فيه أبو رغال وقبره يرجم لأنه كان دليل أبرهة صاحب الفيل . (٤) النكباء : الريح التي تنكب عن مهاب الرياح . (٥) يقال : ريج زعزع ، أى شديدة ، وكذلك زعزاع وزعزوع .  
 (٦) يقال : نكا الجرح : فشره قبل أن يلتئم . (٧) المدرى والمدراة : حديدة يحك بها الرأس .  
 (٨) أى هى في غاية من السر لا يجاب عليها إذا سئل عنها ، والإعذار : نفي العذر .

وقوله :

أَحِبُّ لِحَبِّكَ مَنْ لَمْ يَكُنْ \* صَفِيًّا لِنَفْسِي وَلَا صَاحِبًا  
وَأَبْذُلُ مَا لِي لِمَرْضَاتِكُمْ \* وَأُعْتَبُ<sup>(١)</sup> مِنْ جَاءِكُمْ عَاتِبًا  
وَأَرْغَبُ فِي وُدِّ مَنْ لَمْ أَكُنْ \* إِلَى وُدِّهِ قَبْلَكُمْ رَاغِبًا  
وَلَوْ سَلَكَ النَّاسُ فِي جَانِبِ \* مِنَ الْأَرْضِ وَأَعْتَلَّتْ جَانِبًا  
لِيَمَّتْ طِيَّتَهَا<sup>(٢)</sup> إِنَّنِي \* أَرَى قُرْبَهَا الْعَجَبَ الْعَاجِبًا

ومما قدح فيه فأورى قوله .

طَالَ لَيْسِي وَتَعْنَانِي الطَّرِبُ<sup>(٣)</sup> \* وَأَعْتَرَانِي طَوْلُ هَمٍّ وَوَصَبُ<sup>(٤)</sup>  
أَرْسَلْتُ أَسْمَاءُ فِي مَعْتَبَةٍ \* عَتَبَتْهَا وَهِيَ أَحْلَى مِنْ غَتَبِ  
أَنَّ أَنِّي مِنْهَا رَسُولٌ مُوَهِنًا<sup>(٥)</sup> \* وَجَدَ الْحَيَّ نِيَامًا فَأَتَقَلَّبُ  
ضَرَبَ الْبَابَ فَلَمْ يَشْعُرْ بِهِ \* أَحَدٌ يَفْتَحُ بَابًا إِذَا ضَرَبَ  
قَالَ : أَيَقَاطُ، وَلَكِنْ حَاجَةٌ \* عَرَضَتْ تُكْتَمُ مِنَّا فَأَحْتَجِبُ  
وَلَعَمْرَدًا رَدَّنِي، فَاجْتَهَدْتُ \* بَيْنَ حَلْفَةٍ عِنْدَ الْغَضَبِ  
يَشْهَدُ الرَّحْمَنُ لَا يَجْمَعُنَا \* سَقْفُ بَيْتِ رَجَبًا بَعْدَ رَجَبِ  
قَلْتُ حِلًّا فَاقْبَلِي مَعْذِرَتِي \* مَا كَذَا يَجْزِي حُبًّا مِنْ أَحَبِّ  
إِنَّ كَفِّي لَكَ رَهْنٌ بِالرِّضَا \* فَاقْبَلِي يَا هِنْدُ، قَالَتْ قَدُوجِبُ

قالوا : ومن شعره الذي آعتذر فيه فأبرأ قوله :

فَأَلْتَقِينَا فَرِحْتِ حِينَ سَلَّمِ \* تُوَكِّفْتُ دَمْعًا مِنَ الْعَيْنِ مَارًا<sup>(٦)</sup>  
ثُمَّ قَالَتْ عِنْدَ الْعِتَابِ رَأَيْتَا \* مِنْكَ عَنَّا تَجْمُلِدَا وَأَزُورَارَا<sup>(٧)</sup>

(١) يقال : أعتبه إذا أعطاه العتي وأرضاه . (٢) طيتها : ناحيتها وقصدها . (٣) تمناني : أوقعني في العناء . (٤) الطرب : خفة تعترى الإنسان عند شدة الفرح أو الحزن والحلم . (٥) الموهن : نحو من نصف الليل . (٦) مار : جرى وسال . (٧) الأزورار : الإعراض .

قَلْتُ كَلَّا لِأَنَّ عَمَّكَ بِلِ خَفْ \* سَنَا أُمُورًا نَكَّأَ بِهَا أَعْمَارًا<sup>(٢)</sup>  
 بَجَعَلْنَا الصَّدُودَ لَنَا حَشِينَا \* قَالَةَ النَّاسِ لِلهُوَى أَسْتَارَا  
 لَيْسَ كَالْعَهْدِ إِذْ عَهَدْتِ وَلَكِنْ<sup>(٣)</sup> \* أَوْقَدَ النَّاسُ بِالنِّيمَةِ نَارَا  
 فَذَلِكَ الْإِعْرَاضُ عَنْكَ وَمَا آ \* ثَرَقَلِي عَلَيْكَ أُخْرَى آخْتِيَارَا  
 مَا أَبَالِي إِذَا النَّوَى قَرَّبْتُمْ \* فَذَنُوتُمْ مِنْ حَلٍّ أَوْ مِنْ سَارَا  
 فَالِلْيَالِي إِذَا نَأَيْتِ طَوَالَ \* وَأَرَاهَا إِذَا قُرْبِتِ قِصَارَا

وَمَنْ تَشَكَّيْهِ الَّذِي أَتَجَبَّى فِيهِ قَوْلُهُ :

لَعَمْرُكَ مَا جَاوَرْتُ عُجْمَانَ طَائِعًا \* وَقَصَّرَ شَعُوبٌ أَنْ أَكُونَ بِهِ صَبَاً<sup>(٥)</sup>  
 وَلَكِنْ حَمِيَّ أَضْرَعْتَنِي ثَلَاثَةً<sup>(٦)</sup> \* مَجْرَمَةٌ ثُمَّ أَسْتَمَرَّتْ بِنَا غَيْبًا<sup>(٧)</sup>  
 وَحَتَّى لَوْ أَنَّ الْخُلْدَ يَعْزُضُ إِنْ مَشَتْ \* إِلَى الْبَابِ رَجُلِي مَا نَقَلْتُ لَهَا إِرْبَاً<sup>(٩)</sup>  
 فَإِنَّكَ لَوْ أَبْصَرْتَ يَوْمَ سَوَيْقَةَ<sup>(١٠)</sup> \* مُنَاخِي وَحَبْسِي الْعَيْسَ دَامِيَةَ حَدْبَاً<sup>(١١)</sup>  
 وَمَصْرَعٍ إِخْوَانٍ كَأَنَّ أَيْتَهُمْ \* أَنْيُنُ مَكَاكِي فَارَقْتُ بِلْدَا خِضْبَاً<sup>(١٢)</sup>  
 إِذَا لَأَقْشَعَرَّ الْخُلْدُ مِنْكَ صَبَابَةً \* وَلَا سْتَفْرَعْتُ عَيْنَاكَ مِنْ عِبْرَةِ سَجَا

وَمَنْ إِقْدَامِهِ عَنْ خِبْرَةٍ وَلَمْ يَعْتَذِرْ بِغَيْرَةٍ قَوْلُهُ :

صَرَمْتُ وَوَأَصَلْتُ حَتَّى عَرَفْتُ \* تُّ أَيْنَ الْمَصَادِرُ وَالْمَسُورِدُ  
 وَجَرَّبْتُ مِنْ ذَلِكَ حَتَّى عَرَفْتُ \* تُّ مَا أَتَوَقَّيْتُ وَمَا أَعْمَدُ

- (١) لاه بمعنى لله . (٢) الغمر (بضم الغين وفتحها مع سكون الميم ، وفتحتين ، وفتح فكسر) :  
 الغمر الجاهل الذي لم يجرب الأمور . (٣) أى ليس الأمر كما تعهدت من قبل .  
 (٤) عجمان : قصر باليمن بناه « يشرخ بن يحيى » . (٥) قصر شعوب : قصر عال مرتفع باليمن .  
 (٦) أضرعني : أضعفتني وأذلنتني . (٧) مجرمة كعظمة : تامة ، يريد ثلاثة أحوال كاملة .  
 (٨) الغب من الحمى : ما تأخذ يوماً وتدع يوماً . (٩) أى ما حرّكت له عضواً . (١٠) سويقة :  
 موضع . (١١) حدبا جمع حدباء ، وأصل الحدب : ما أرتفع من الأرض ، يريد أنه أعيهاها السير فهمى دامية  
 متقوسة الظهور هزالا . (١٢) المكاكى : جمع مكاء ، وهو طير يشبه القهرة إلا أن في جناحيه بلقا ، وهو حسن  
 الصوت في تغريده .

ومن أسيره النوم قوله :

نام صَحِيٍّ وِباتِ نَوْمِي أَسِيرًا \* أَرْقُبُ النَجْمَ مَوْهِنًا أَنْ يَغُورَا

ومن غمّه الطير قوله :

فُرْحَانًا وَقَلْنَا لِلْغُلَامِ أَقْضَى حَاجَةً \* لَنَا ثُمَّ أَدْرِكُنَا وَلَا نَتَّخَبِرُ

سِرَاعًا نَعْمُ الطَّيْرُ إِنْ سَنَحَتْ لَنَا \* وَإِنْ تَلَقْنَا الرُّكْبَانَ لَا نَتَّخَبِرُ<sup>(٢)</sup>

نتخبر من قولهم : خبر فلان ، أى ليث .

ومن إغذائه السير قوله<sup>(٣)</sup> :

قَلْتُ سِيرًا وَلَا تَقِيًا بَبْصَرِي<sup>(٤)</sup> \* وَحَفِيرٍ فَمَا أَحَبُّ حَفِيرًا<sup>(٥)</sup>

وَإِذَا مَا مَرَرْتُكَ بِمَعَانٍ<sup>(٦)</sup> \* فَأَقِلَّا بِهِ الثَّوَاءَ وَسِيرًا

إِنَّمَا قَصْرُنَا إِذَا حَسَرَ السَّيْرُ<sup>(٧)</sup> \* رُبُّ بَعِيرًا أَنْ نَسْتَجِدَّ بَعِيرًا<sup>(٨)</sup>

ومن تحييره ماء الشباب قوله :

أَبْرَزُوهَا مِثْلَ الْمَهَاةِ تَهَادَى \* بَيْنَ نَحْمَسٍ كَوَاعِبِ أْتْرَابِ

ثُمَّ قَالُوا تَحْبُّهَا قَلْتُ بَهْرًا \* عَدَدَ الْقَطْرِ وَالْحَصَى وَالْأْتْرَابِ

وَهِيَ مَكْنُونَةٌ تَحْيِرُ مِنْهَا \* فِي أَدِيمِ الْخَلْدَيْنِ مَاءُ الشَّبَابِ

ومن تقويله وتسهيله قوله :

قَالَتْ عَلَى رِقْبَةٍ يَوْمًا لِجَارَتِهَا \* مَا تَأْمُرِينَ فَإِنَّ الْقَلْبَ قَدْ تَبَيَّلَا<sup>(٩)</sup>

وَهَلْ لِي الْيَوْمَ مِنْ أُخْتٍ مُوَاحِيَةٍ \* مِنْكَ أَنْ أَشْكُوَ إِلَيْهَا بَعْضَ مَا فَعَلَا

(١) لعله يريد : نخزنها بالسبق ، أو نبرها ونغلبها ، من قولهم : غم القمر النجوم : بهرها وكاد يستر ضوءها .

(٢) التخبر : السؤال عن الخبر . (٣) أغذ السير وأغذ فيه : أسرع . (٤) بصرى : بلد بالشأم .

(٥) حفير : نهر بالأردن ببلاد الشأم . (٦) معان : مدينة في طرف بادية الشأم لتقاء الحجاز من نواحي

اللقاء . (٧) قصرنا ، أى قصارانا وظاقتنا . (٨) حسر السير بعيرا : أجهده وأعياه .

(٩) المتبول : من أسقمه الهوى وغلبه الحب على أمره .

فراجعتها حصان غير فاحشة<sup>(١)</sup> \* برجع قول ولب لم يكن خطلا<sup>(٢)</sup>  
 لا تذكري حبه حتى أراجعه \* إني سأكفنيكه إن لم أمت عجلا  
 فأقني حياءك في ستر وفي كرم \* فليست أول أنثى علقت رجلا<sup>(٣)</sup>

وأما ما قاس فيه الهوى فقوله :

وقربن أسباب الهوى لمتيم \* يقبس ذراعا كلما قسن إصبعاً

ومن عصيانه وإخلائه قوله :

وأنص المظي يتبعن بالرك<sup>(٤)</sup> \* سب سراً نواعم الأظعان  
 فنصيد الغرير من بقر الوح<sup>(٥)</sup> \* ش ونلهو بلذة الفتيان  
 في زمان لو كنت فيه ضجيجي \* غير شك عرفت لي عصياني  
 وتقلبت في الفراش ولا تد \* رين إلا الظنون أين مكاني

ومن مخالفته بسمعه وطرفه قوله :

سمعي وطرفي حليفاها على جسدي \* فكيف أصبر عن سمعي وعن بصري  
 لو طواعاني على ألا أكلّمها \* إذا لقصيت من أوطارها وطري

ومن إبرامه نعت الرسل قوله :

فبعثت كاتمة الحديد \* رقيقة بجوابها  
 وحشية إنسيّة \* نخرجة من بابها  
 فرقت فسهلت المعأ \* رض من سبيل نقابها

ومن تحذيره قوله :

لقد أرسلت جاريتي \* وقلت لها خذي حذرَكَ  
 وقولي في ملاطفة \* لزئب نولي عمرك

(١) حصان : عقيقة . (٢) الخطل : الفاسد المضطرب . (٣) اقني حياءك : الزميه .

(٤) نص المظي : استخراج أقصى ما عندها من السير . (٥) الغرير : الغافل .

فإن داويتِ ذا سَقِيمٍ \* فأخزى الله من كفرِكَ  
 فهزّت رأسها عجباً \* وقالت من بدأ أمرَكَ  
 أهذا سمركِ النسوا \* ن، قد خبرتني خبرَكَ  
 وقلن إذا قضى وطراً \* وأدرك حاجةَ هجرَكَ

ومن إعلانه الحب وإسرايه قوله :

شكوتُ إليها الحبُّ أُعلنُ بعضه \* وأخفيتُ منه في الفؤادِ غليلاً  
 وما أبطن فيه وأظهر قوله :

حُبُّكم يا آلَ لَيْلى قاتلي \* ظهرَ الحبُّ بجسمى وبطنِ  
 ليس حبُّ فوقَ ما أحببتكم \* غيرَ أنْ أقتلَ نفسى أو أُجَنِّ  
 وما ألحَّ فيه وأسفَّ قوله :

ليت حظي كطرفِ العينِ منها \* وكثيرٌ منها القليلُ المهنّا  
 أو حديثٌ على خلاءٍ يُسلى \* ما يُجِنُّ الفؤادُ منها ومنا  
 كبرتُ ربَّ نعمةٍ منك يوماً \* أنْ أراها قبلَ الماتِ ومنا  
 ومن إنكاحه النومَ قوله :

حتى إذا ما الليلُ جنَّ ظلامه \* ونظرتُ عَفلةً كاشحاً أنْ يعقلا  
 واستنكحَ النومُ الذينَ تخافهم \* وسقى الكرى بوابهم فاستنقلا<sup>(١)</sup>  
 خرجتُ تَطَرُّ في الثيابِ كأنها \* أيمٌ يسيبُ على كئيبِ أهيسلا<sup>(٢)</sup>  
 ومن جنّيه الحديثِ قوله :

وجوارٍ مُساعفاتٍ على اللهـ \* ومُسيراتٍ باطنِ الأَصْغَانِ  
 صيِّدٌ للرجالِ يرشِقن بالطرِّ \* في حسانٍ تُكذَلُ الغزلانِ<sup>(٣)</sup>

(١) يقال : أثقله النوم فهو مستثقل بصيغة المفعول . (٢) تاطر أصله تاطر تخذفت إحدى تاهيه ومعناه

تنتنى . والأيم : الأنهى . ويسيب : يمضى . والكئيب الأهيل : الرمل المنال . (٣) الخذل : جمع

خاذل وهي الظية تخلف عن صواحباتها أو أولادها .

قد دَعَانِي وقد دَعَاهُنَّ لِلَّهِ \* وَتُحْجُونَ مِهْمَةً الْأَشْجَانِ  
فَأَجْتَيْنَا مِنَ الْحَدِيثِ ثَمَارًا \* مَا جَنَى مِثْلَهَا لِعَمْرُكَ جَانِي  
ومن ضربه الحديث ظهره لبطنه قوله :

فِي خَلَاءٍ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَأَمِينٍ \* فَبَثْنَا غَلِيلَنَا وَأَشْتَفَيْنَا  
وَضَرَبْنَا الْحَدِيثَ ظَهْرًا لِبَطْنِ \* وَأَتَيْنَا مِنْ أَمْرِنَا مَا أَشْتَهَيْنَا  
فَكَفَّنَا بِذَلِكَ عَشْرَ لَيَالٍ \* فَقَضَيْنَا دِيُونََنَا وَأَقْضَيْنَا  
ومن إذلاله صعب الحديث قوله :

فَلَمَّا أَقْضَيْنَا فِي الْهَوَى نَسْتَبِينَهُ \* وَعَادَ لَنَا صَعْبُ الْحَدِيثِ ذُلُولا  
شَكُوْتُ إِلَيْهَا الْحَبُّ أَظْهَرَ بَعْضَهُ \* وَأَخْفَيْتُ مِنْهُ فِي الْفَوَادِ غَلِيلًا  
ومن قناعته بالرجاء من الوفاء قوله :

فِعْدَى نَائِلًا وَإِنْ لَمْ تُنِيلِي \* إِنَّهُ يَنْفَعُ الْحَبَّ الرَّجَاءُ

قال الزبير : هذا أحسن من قول كثير :

وَلَسْتُ بِرَاضٍ مِنْ خَلِيلِ بَنَائِلٍ \* قَلِيلٌ وَلَا أَرْضَى لَهُ بِقَلِيلٍ

ومن إعلاؤه قاتله قوله :

فَبَعَثْتُ جَارِيَتِي وَقُلْتُ لَهَا أَذْهَبِي \* فَأَشْكِي إِلَيْهَا مَا عَلِمْتِ وَسَلْمِي  
فُقُولِي يَقُولُ تَخْرُجِي فِي عَاشِقِي \* كَلِّفِي بِكُمْ حَتَّى الْمَمَاتِ مُتَمِّمِي  
وَيَقُولُ إِنَّكَ قَدْ عَلِمْتِ بِأَنْكُمْ \* أَصْبَحْتُمْ يَا بَشْرُ أَوْجِهَ ذِي دَمِ  
فُكِّي رَهْبَتَهُ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلِي \* فَأَعْلِي عَلَى قَتْلِ ابْنِ عَمِّكَ وَأَسْلَمِي  
فَتَضَاحَكْتُ عَجَبًا وَقَالَتْ حَقُّهُ \* أَلَا يَعْلَمُنَا بِمَا لَمْ نَعْلَمِ

(١) أى مشيرة الأشجان .

(٢) أى كفى عن الحرج والائتم .

(٣) أى أحق إنسان آخذ منه بدمى .

علمي به والله يغفرُ ذنبه \* فيما بدا لي ذوهوى متقسم  
طرف ينازعه الى الأذنى الهوى \* <sup>(١)</sup> ويبتُّ خلة ذى الوصالِ الأقدم

ومن تنفيذه النومَ قوله :

فلما فقدتُ الصوتَ منهم وأطفئتُ \* مصابيحُ شبتُ بالعشاءِ وأنورُ  
وغابَ قُمرٌ كنتُ أرجو غيوبه \* وروحَ رعيانٍ ونومَ سمرُ  
ونقضتُ عني النومَ أقبلتُ مشيةً الـ \* حجابِ ورُكني خشيةً القومِ أزورُ <sup>(٢)</sup>

ومن إغلافه رهنَ مني وإهداره قتلاه قوله :

فكم من قَتِيلٍ ما يباءُ به دمٌ \* <sup>(٣)</sup> ومن غَلِقٍ رهنًا إذا لَفَّه مني  
ومن مالى عينيه من شيءٍ غيره \* اذا راح نحو الجمرَةِ البيضِ كالدمي <sup>(٤)</sup>  
وكان بعد هذا كله فصيحًا شاعرًا مقولًا <sup>(٥)</sup>.

ومن شعره المشهور قوله :

أمن آلِ نعيمٍ أنتَ غادٍ فُبكرُ \* غداةَ غدٍ أم رَأحٌ فمُهجرُ  
لحاجةِ نفسٍ لم تُقلْ في جوابِها \* فتُبَلِّغُ عُذْرًا والمقالةُ تُعْزِرُ  
أشارتُ بمِدرَهاها وقالتُ لأختِها \* أهذا المُغْبِرِيُّ الذى كان يذُكُرُ  
فقالَتْ نعمَ لا شكَّ غيرَ لونه \* سَرى الليلِ يَطْوِي نَصَه والتهمجرُ <sup>(٦)</sup>  
رأتُ رجلًا أَمَا إذا الشمسُ عارضتُ \* فيضْحى وأما بالعِشىَّ فيخْصُرُ

- (١) الطرف : من لا يثبت على امرأة ولا صاحب . (٢) روح من الرواح وهو وقت العشي . والرعيان : جمع راع كالرعاة والرعاة والرعاة . وتقوم الرجل تنويما : مبالغة في نام . (٣) الحجاب : الحية . وأزور كأحسن : مائل من زور يزور إذا مال . (٤) يقال : أباه القاتل بالقتيل : قتله به ، والمراد هنا : فكم من قتيل يطل دمه ولا يؤخذ له بثأر . (٥) يقال : غلق الرهن في يد المرتهن يغلق غلقا : لم يقدر الراهن على أفتكاكه في الوقت المشروط . يريد : وكم من قلوب أسيرة لا يقدر أصحابها على أفتكاكها . (٦) الدمى : جمع دمية وهى الصورة المنقشة من العاج ونحوه . (٧) المقول : الحسن القول المفصح المبين . (٨) نص السرى : إسراعه ، وأصله حث الدابة واستخراج أقصى ما عندها من السير .

أخا سفر جَوَابَ أَرْضٍ تَقَاذَفَتْ \* به فَلَوَاتٌ فَهَوَ أَشْعَثُ أَغْبَرُ  
 قَلِيلًا عَلَى ظَهْرِ الْمَطِيَّةِ ظِلُّهُ \* سِوَى مَا نَفَى عَنْهُ الرِّدَاءُ الْمُحْبَرُ<sup>(١)</sup>  
 وَأَعْجَبَهَا مِنْ عَيْشِهَا ظِلُّ غُرْفَةٍ \* وَرِيَانٌ مُلْتَفٌ الْحَدَائِقِ أَخْضَرُ  
 وَوَايَ كَفَّاهَا كُلَّ شَيْءٍ يَهْمُهَا \* فَلَيْسَتْ لَشَيْءٍ آخَرَ اللَّيْلِ تَسْمَرُ  
 وَبِلَيْلَةٍ ذِي دَوْرَانَ جَشَمْتَنِي السَّرَى<sup>(٢)</sup> \* وَقَدْ يَجْشَمُ الْهَوْلَ الْحُبُّ الْمَغْرَرُ<sup>(٣)</sup>

ومن شعره قوله في فاطمة بنت محمد بن الأشعث الكندية :

تَشَطُّ غَدًا دَارُ جِيرَانِنَا \* وَلِلدَّارِ بَعْدَ غَدٍ أَبْعَدُ<sup>(٤)</sup>  
 إِذَا سَلَكَتْ غَمْرُ ذِي كِنْدَةٍ \* مَعَ الرِّكْبِ قَصْدٌ لَهَا الْفَرْقَدُ<sup>(٥)</sup>  
 وَحَتَّ الْحُدَاةُ بِهَا عَيْرَهَا \* سِرَاعًا إِذَا مَا وَنَتْ تُطْرَدُ<sup>(٦)</sup>  
 هِنَالِكَ إِذَا تَعَزَّى الْفَوَادُ \* وَإِنَّمَا عَلَى إِثْرِهَا تَكْمَدُ<sup>(٧)</sup>  
 وَبَلَيْسَتْ يَبْدَعُ إِذَا دَارَهَا \* نَأَتْ وَالْعَزَاءُ إِذَا أَجْلَدُ  
 صَرْمَتْ وَوَاصَلَتْ حَتَّى عَلِمَ \* سَتُ أَيْنَ الْمَصَادِرُ وَالْمَوْرِدُ  
 وَجَرَّبَتْ مِنْ ذَاكَ حَتَّى عَرَفَ \* سَتُ مَا أَتَوَّقُ وَمَا أَحْمَدُ  
 فَلَمَّا دَنَوْنَا بِالْحَرَسِ النَّبَا<sup>(٨)</sup> \* حَجَّ وَالضُّوْءِ وَالْحَى لَمْ يَرْفَدُوا  
 نَأَيْنَا عَنِ الْحَى حَتَّى إِذَا \* تَوَدَّعَ مِنْ نَارِهَا الْمَوْقِدُ<sup>(٩)</sup>  
 وَنَامُوا بَعَثْنَا لَهَا نَاشِدًا \* وَفِي الْحَى بَغِيَّةٌ مِنْ يَنْشُدُ<sup>(١٠)</sup>

- (١) المحبر : المزين المحسن . (٢) ذودوران — بفتح أوله وبعد الواو راء مهملة وآخره نون — : موضع بين قديد والحفة (ياقوت) . (٣) أى كلفتنى السير ليلا . (٤) تشط : تبع . (٥) غمر ذى كندة : موضع وراء وجرة بينه وبين مكة مسيرة يومين . (٦) كذا في ديوانه ، وفي الأغاني « الصبح » . (٧) الفرقد : نجمان في السماء من نجوم الدب الأصغر وهى في الشمال ، ويقال لها : الفرقد بالإفراد ، والفرقدان بالثنية . ولعله يريد أنها تسير جهته ، لأن العراق التى تقصده في الشمال الشرقى من مكة . (٨) الحداة : جمع حاد وأصله المعنى للابل لتنشط في السير ، وقد يراد به الزاجر والسائق . والعير : الإبل ، ولا واحد له من لفظه . وونت : ضعفت وتباطأت . وتطرد : تساق . (٩) الحرس : الصوت . (١٠) تودع : سكنت ناره وأنطفأت .

أَنْتَنَا تَهَادَى عَلَى رِقْبَةٍ <sup>(٢)</sup> \* من الخوف أحشاؤها تُرْعِدُ <sup>(١)</sup>  
 تَقُولُ وَتُظْهِرُ وَجْدًا بِنَا <sup>(٣)</sup> \* وَوَجِدِي وَإِنْ أَظْهَرْتَ أَوْجِدُ  
 لَمَّا شَقَائِي تَعَلَّقْتُكُمْ \* وَقَدْ كَانَ لِي عِنْدَكُمْ مَقْعَدُ <sup>(٤)</sup>  
 وَكَفَّتْ سَوَائِقَ مِنْ عِبْرَةٍ \* عَلَى الْخَدِّ جَالِهَا الْإِمْدُ <sup>(٥)</sup>  
 فَإِنَّ التِّي شَيَّعَتْنَا الْغَدَاةَ \* مَعَ الْفَجْرِ قَلْبِي بِهَا مُقْصَدُ <sup>(٦)</sup>

وَسَبَّ عُمَرُ بْنُ أَبِي رَبِيعَةَ بَرِيذَةَ بِنْتِ مُوسَى الْجَحِيحِيَّةِ فِي قَصِيدَتِهِ الَّتِي يَقُولُ فِيهَا :

يَا حَلِيلِي مِنْ مَلَامِ دَعَانِي \* وَأَمَّا الْغَدَاةُ بِالْأَطْعَانِ  
 لَا تَلُومَا فِي آلِ زَيْنَبَ إِتْ أَل \* قَلْبَ رَهْنُ بَالِ زَيْنَبَ عَانِي  
 مَا أَرَى مَا بَقِيَتْ أَنْ أَذْكَرَ الْمَو \* قَفَّ مِنْهَا بِالْخَيْفِ إِلَّا شَجَانِي <sup>(٧)</sup>  
 لَمْ تَدْعُ لِلنِّسَاءِ عِنْدِي حَظًّا \* غَيْرَ مَا قَلْتُ مَا زِحًا بِلِسَانِي  
 هِيَ أَهْلُ الصَّفَاءِ وَالْوُدِّ مَنِّي \* وَإِلَيْهَا الْهَوَى فَلَ تَعْدُلَانِي  
 حِينَ قَالَتْ لِأَخْتِهَا وَلَا أُخْرَى \* مِنْ قَطِينٍ مُؤَلِّدٍ : حَدَّثَانِي <sup>(٨)</sup>  
 كَيْفَ لِي الْيَوْمَ أَنْ أَرَى عُمَرَ الْمُرُ \* سَلَّ سِرًّا فِي الْقَوْلِ أَنْ يَلْقَانِي  
 قَالْنَا : نَبْتَنِي رَسُولًا إِلَيْهِ \* وَنَمِيتُ الْحَدِيثَ بِالِكْتِمَانِ  
 إِنَّ قَلْبِي بَعْدَ الَّذِي نَلْتُ مِنْهَا \* كَالْمَعْمَى عَنِ سَائِرِ النَّسْوَانِ <sup>(٩)</sup>

- (١) تهادى : تمشى في تمايل وسكون . (٢) الرقبة : التحفظ والفرق . (٣) الوجد : الشغف والشوق الشديد . (٤) المراد : قد كان لي غنى عن حبيكم . (٥) الإمد : حجر للكحل وأجوده بأصهبان . (٦) أقصده : رماه بسهم فقتله . (٧) الخيف : ما ارتفع عن مجرى السيل وأتحدر عن غلط الجبل . قال ابن سيده : وخيف مكة موضع فيها عند منى ، سمي بذلك لأنه يحده عن الغلط وارتفاعه عن السيل . (٨) القطين : الخدم والأنباع والحشم ، والمولد من العبيد والإماء . من ولد بين العرب ونشأ مع أولادهم . (٩) كذا في الأغاني . وفي ديوانه "كالمعمى" أى المأسور المحبوس عن غيرها .

وكان سبب ذكره لها أن ابن أبي عتيق ذكرها عنده يوماً فأطراها ووصف من عقلها وأدبها وجمالها ما شغل قلب عمر وأماله إليها ، فقال فيها الشعر وشبب بها ، فبلغ ذلك ابن أبي عتيق ، فلامه فيه وقال له : أتتطق الشعر في آية عمي ؟ فقال عمر :

لا تلمني عتيق حسبي الذي بي \* إن بي يا عتيق ما قد كفاني  
لا تلمني وأنت زيتها لي \* أنت مثل الشيطان للإنسان  
إن بي داخلاً من الحب قد أب \* لي عظامي مكنونه وبراني  
لو بعينيك يا عتيق نظرنا \* ليلة السّفح قزيت العينان  
إذ بدا الكشْحُ والوشاح من الدُر \* وقصّل فيه من المرجان<sup>(١)</sup>  
وقلّي قلبي النساء سواها \* بعد ما كان مغرمًا بالغواني  
لم تدع للنساء عندي نصيبًا \* غير ما قلت مازحًا بلساني

وأنشد ابن أبي عتيق قول عمر :

من لسقيم يكتم الناس ما به \* لزَيْنَبَ نَجْوَى صدره والوساوس<sup>(٢)</sup>  
أقول لمن يبغى الشفاء متى يجيئ \* بزَيْنَبَ تُدرك بعض ما أنت لا مس  
فإنك إن لم تشف من سقمي بها \* فإني من طب الأطباء آيس<sup>(٣)</sup>  
ولست بنايس ليلة الدار مجلسا \* لزَيْنَبَ حتى يعالوا الرأس رامس  
خلاء بدت قراؤه وتكشفت \* دجته وغاب من هو حارس<sup>(٤)</sup>  
وما نلت منها محرماً غير أننا \* كلانا من الثوب المورد لا يس<sup>(٤)</sup>  
نجيب تقضي الله في غير ماأم \* وإن رعمت الكاشحين المعاطس

(١) الكشْح : ما بين الحجة — وهي رأس الورك الذي يشرف على الخاصرة — إلى الإبط . والوشاح :

شبه قلادة ينسج من أديم عريض يرصع بالجواهر تشده المرأة بين عاتقها .

(٢) هذا البيت دخل عليه الحرم وهو حذف الفاء من فعولن . (٣) الرامس : الدافن في الرمس وهو القبر .

(٤) المورد : الذي صبغ على لون الورد .

قال : فقال ابنُ أبي عتيق : أَمِنَّا يَسْحَرُ ابنُ أبي ربيعة ؟ فأىُّ محرمٍ بقى ! ثم أتى عمرَ فقال له : يا عمرُ، ألم تُخبرني أنك ما أتيت حراماً قطُّ ؟ قال : بلى ، قال : فأخبرني عن قولك :

\* كَلَانَا مِنَ الثَّوْبِ المورِدِ لا بسُ \*

ما معناه؟ قال : والله لأخبرنك : نخرجتُ أريد المسجدَ وخرجتُ زينبُ تريده ، فالتقينا فاتعدنا لبعض الشعاب ، فلما توسطنا الشعب أخذتنا السماء ، فكرهتُ أن يرى بثيابها بللُ المطر ، فيقال لها : ألا استترتِ بسقائفِ المسجد إن كنتِ فيه ! فأمرتُ غلمانى فسترونا بكساء نحرَّ كان على ، فذلك حين أقول :

\* كَلَانَا مِنَ أَنْوَابِ المَطَارِفِ لا بس \*

فقال له : ابنُ أبي عتيق : يا عاهرُ ! هذا البيت يحتاج الى حاضنة ! .

ومن جيد شعره قوله في زينب بنت موسى :

يا مَنْ لَقِبِ مَتَمِّ كَلِفِ \* يَهْدِي بِجُودِ مَرِيضَةِ النَّظْرِ<sup>(١)</sup>  
 تَمْشِي الهُوَيْنَا إِذَا مَشَتْ فُضْلاً \* وَهِيَ كَمَثَلِ العُسْلُوجِ فِي الشَّجَرِ<sup>(٢)</sup>  
 مَا زالَ طَرْفِي يَجَارُ إِذْ بَرَزْتُ \* حَتَّى رَأَيْتُ النِّقْصَانَ فِي بَصْرِى  
 أَبْصَرْتُهَا لَيْلَةً وَنِسْوَتَهَا \* يَمْشِينَ بَيْنَ المَقَامِ وَالْحَجَرِ<sup>(٣)</sup>  
 مَا إِنْ طَمِعْنَا بِهَا وَلَا طَمِعْتُ \* حَتَّى أَلْتَقِينَا لَيْلاً عَلَى قَدَرِ<sup>(٤)</sup>  
 بِيضًا حِسَانًا خَرَانِداً قُطْفًا \* يَمْشِينَ هَوْنَا كَمِشِيَةِ البَقْرِ<sup>(٥)</sup>  
 قَدِّفُزْنَ بِالْحَسَنِ وَالْجَمَالَ مَعًا \* وَفُزْنَ رِسَالاً بِالدَّلِّ وَالْحَفْرِ<sup>(٦)</sup>

(١) الخود : الفتاة الحسنة الخلق الشابة مالم تصرنصفا ، والنصف : المرأة بين الحدثة والمسنة .

(٢) الفضل بضمين : المختالة التي تفضل من ذيلها . ويروى : « قطفًا » والمراد به تقارب الخطو .

(٣) العسلوج : الغصن اللين الأخضر . (٤) على قدر : على غير موعد . والوجه فيه أن التقاءهما كأنه مقدر في الأزل لا علم له به ولا سعى إليه كما قيل :

جاء الخِلافة أو كانت له قَدْرًا \* كما أتى ربه موسى على قَدَرِ

(٥) جمع قطوف وهي البطيخة في السير . (٦) الرسل بالكسر : الرق والنؤدة . والحفر : شدة الاستحياء .

يُنصِتَنَ يوماً لها إذا نطقت \* كَيْما يُشرفُها على البَشَرِ  
 قالت لَتُرِبَ لها تُحَدِّثُها \* لَنُفِسدَتِ الطَّوآفُ في عُمَرِ  
 قُومِي تَصَدِّى له ليعرفنا \* ثم أَعْمِزِه يا أختِ في حَفَرِ  
 قالت لها قد غمزته فأبى \* ثم أَسْبَطَتِ<sup>(١)</sup> تَسعى على أَثَرِي  
 من يُسَقِّ بعد المنام ريقَها \* يُسَقِّ بِمِسْكٍ وبارِدِ خِصْرِ<sup>(٢)</sup>

وقوله فيها أيضا :

أَلَمْ بَرِئِبا إن اليبَنَ قد أَفدَا \* قَلَّ الثَّوَاءُ لَئِن كانَ الرِّحِيلُ غَدَا  
 قد حَلَفَت ليلَةَ الصَّوَرِينِ جَاهِدَةً \* وما على المرءِ إِلا الحِلْفُ مجتهدَا  
 لأختها ولأخرى من مَناصِفِها<sup>(٤)</sup> \* لقد وَجَدتُ به فوقَ الذى وَجَدَا<sup>(٥)</sup>  
 لو جُمِعَ النَّاسُ ثم أختيرَ صَفوهُمُ \* شَخِصًا من النَّاسِ لم أُعَدِلْ به أحداً

ومن شعر عمر في تشوقه الى مكة بعد أن خرج منها الى اليمن قوله :

هِيهَاتَ من أمة الوَهَابِ منزلنا \* إذا حللنا بسيفِ البحرِ من عَدَنِ<sup>(٦)</sup>  
 وأحتلَّ أهلِكِ أَجِيادًا وليس لنا \* إِلا التذَكُّرُ أو حِطُّ من الحَزَنِ  
 لو أنها أبصرتُ بالجرعِ عَبرته \* من أن يَغرِدَ قُورِيٌّ على فَنَنِ  
 إذا رأت غير ما ظننتُ بصاحبها \* وأيقنتُ أن نَحْجًا ليس من وَطَنِ  
 ما أَنَسَ لا أَنَسَ يومَ الخِيفِ موقِفها<sup>(٧)</sup> \* وموقِفِي وكَلانَا ثم ذُو شَجَنِ  
 وقولها للثُرَيَّا وهى باكيةٌ \* والدمعُ منها على الخَلدِينِ ذُو سَنَنِ<sup>(٨)</sup>

- (١) أسبطت : أسرع . (٢) الخصر : البارد . (٣) أفد كفرح : مجل وأسرع .  
 (٤) الصوران : موضع بالمدينة بالقيع ، وقد ذكره ياقوت وأستشهد بالبيت . (٥) المنصف كبير  
 ومقعد : الخادم ، والأثنى بالهاء ، جمعه مناصف .  
 (٦) سيف البحر : ساحله . (٧) أجياد : موضع بمكة ، سمي بذلك لأن تبعاً لما قدم مكة ربط  
 خيله فيه فسمى بذلك ، وهما موضعان : أجياد الكبير وأجياد الصغير . (٨) الخيف : موضع بمنى وبه  
 سمي مسجد الخيف . (٩) ذوسنين : ذوطرائق .

بالله قولى له فى غير معتبة \* ماذا أردت بطول المكث فى اليمن  
 إن كنت حاولت دنيا أو ظفرت بها \* فما أخذت بترك الحج من ثمن  
 وقال أيضا :

خليلى ما بأل المطايا كما \* نراها على الأدبار بالقوم تنكص<sup>(١)</sup>  
 وقد قطعت أعناقهن صباة \* فأفئنا مما يلاقين شخص  
 وقد أتعب الحادى سراهن وأنتهى \* بهن فما يالو عجول مقلص<sup>(٢)</sup>  
 يزدد بنا قريبا فيزداد شوقنا \* إذا زاد طول العهد والبعء ينقص

ومن شعره قوله :

جرى ناصح بالود بينى وبينها \* فقرئنى يوم الحصاب<sup>(٣)</sup> إلى قتلى  
 فطارت بحد من فؤادى وقارنت \* قرينتها جبل الصفاء إلى جبل  
 فلما توافقنا عرفت الذى بها \* كمثل الذى بي حدوك النعل بالنعل  
 فقلن لها هذا عشاء وأهلنا \* قريب الماء تسمى مركب البغل  
 فقالت فما شئت قلن لها أنزلى \* فلأرض خير من وقوف على رجلي  
 مجوم درارى تكفن صورة<sup>(٤)</sup> \* من البدر وافت غير هوج ولا عجل<sup>(٥)</sup>  
 فسلمت وأستأنست خيفة أن يرى \* عدو مقامى أو يرى كاشع فعلى  
 فقالت وأرخت جانب السترايما \* معى فتكلم غير ذى رقبته أهلى  
 فقلت لها ما بي لهم من ترقب \* ولكن سرى ليس يجهله مثلى  
 فلما اقتصرنا دونهن حديثنا \* وهن طبيبات بحاجة ذى الشكل  
 عرفن الذى تهوى فقلن أنذنى لنا \* نطف ساعة فى برد ليل وفى سهل

(١) تنكص : ترجع وتولى وتحجم . (٢) مقلص : مشرجاد فى السير . (٣) الحصاب  
 كالحصب : موضع رمى الجمار . (٤) درارى ممنوعة من الصرف وتؤنث لضرورة الشعر . (٥) هوج :  
 جمع هوجاء وهى المتعجلة فى السير كأن بها هوجا وحقا .

فَقَالَتْ فَلَا تَلْبَثَنَّ قُلْنَ نَحْدِي \* وَأَتَيْنَاكَ، وَأَتَيْنَاكَ أَنَسِيَابَ مَهَا الرَّمْلِ  
فَقَمْنَ وَقَدْ أَفْهَمْنَ ذَا اللَّبِّ أَمَّا \* أَتَيْنَ الَّذِي يَأْتِيَنَّ مِنْ ذَلِكَ مِنْ أَجْلِي

وقد كان عمر حين أسنَّ حلف ألا يقول بيت شعر إلا أعتق رقبةً، فانصرف عمر  
إلى منزله يحدث نفسه، فجعلت جارية له تكلمه فلا يردّ عليها جواباً، فقالت له : إن لك  
لأمرأ، وأراك تريد أن تقول شعراً، فقال :

تَقُولُ وَلِيَدِي لِمَا رَأَيْتَنِي \* طَرِبْتُ وَكُنْتُ قَدْ أَقْصَرْتُ حِينَا  
أَرَاكَ الْيَوْمَ قَدْ أَحْدَثْتَ شَوْقًا \* وَهَاجَ لَكَ الْهَوَى دَاءً دَفِينَا  
وَكَنْتَ زَعَمْتَ أَنَّكَ ذُو عَزَاءٍ \* إِذَا مَا شِئْتَ فَارَقْتَ الْقَرِينَا  
بِرَبِّكَ هَلْ أَتَاكَ لَهَا رَسُولٌ \* فَشَاقَكَ أُمُّ لَقَيْتَ لَهَا خَدِينَا<sup>(١)</sup>  
فَقُلْتُ شَكَا إِلَى أَخٍ مَحِبٍّ \* كَبَعِضِ زَمَانِنَا إِذْ تَعَلَّمِينَا  
فَقَصَّ عَلَيَّ مَا يَلْقَى بَهْنَدٍ \* فَذَكَرَ بَعْضَ مَا كُنَّا نَسِينَا  
وَذُو الشُّوقِ الْقَدِيمِ وَإِنْ تَعَزَّى \* مَشُوقٌ حِينَ يَلْقَى الْعَاشِقِينَا  
وَكَمْ مِنْ خُلَّةٍ<sup>(٢)</sup> أَعْرَضَتْ عَنْهَا \* لَغَيْرِ قَلْبِي وَكُنْتُ بِهَا ضَنِينَا  
أَرَدْتُ بِعَادَهَا فَصَدَدْتُ عَنْهَا \* وَلَوْ جُنَّ الْفَوَادُ بِهَا جُنُونَا  
ثُمَّ دَعَا تَسْعَةً مِنْ رَفِيقِهِ فَأَعْتَقَهُمْ بِكُلِّ بَيْتٍ وَاحِدًا .

وله :

يَقُولُونَ : إِنِّي لَسْتُ أَصْدُقُكَ الْهَوَى \* وَإِنِّي لَا أُرْعَاكَ حِينَ أُغِيبُ  
فَمَا بِالْ طَرْفِي عَفَّ عَمَّا تَسَاقَطْتُ \* لَهُ أَعْيُنٌ مِنْ مَعَشَرٍ وَقُلُوبُ  
عَشِيَّةَ لَا يَسْتَنْكِفُ الْقَوْمُ أَنْ يَرَوْا \* سَفَاهَ أَمْرِي مِمَّنْ يُقَالُ لَيْبُ

(١) الخدين : الصديق الذي يخادتك فيكون معك في كل أمر ظاهر وباطن ، ومنه خدن الجارية : محبتها ،  
وكان العرب في الجاهلية لا يمتنعون من خدن يحدث الجارية بجاه الاسلام بهدمه . وفي التنزيل العزيز : (اليوم أحل  
لكم الطيبات) الى قوله : (والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم إذا آتيموهن أجورهن محصنين غير مسافحين  
ولا متخذين أخدان) الآية . (٢) الخلة : الخلية .

ولا فتنَةً من ناسِكٍ أو مَضَّتْ له <sup>(١)</sup> \* بعين الصَّبَا كَسَلَى القِيَامِ لَعُوبُ  
تَوَّحَّحَ يَرْجُو أَنْ تُحَطَّ ذُنُوبُهُ \* فآبَ وَقَدْ زِيدَتْ عَلَيْهِ ذُنُوبُ  
وما النَّسْكُ أَسْلَانِي وَلَكِنِّ لِلهُوَى \* على العينِ مَنَى وَالْفؤَادِ رَقِيبُ  
وله :

ألم تَسَالِ المَنْزِلَ المُقْفِرَا \* بيَانًا فيكُمْ أو يُخْبِرَا  
ذَكَرْتَ به بعض ما قد شَجَاكَ \* وَحَقَّ لذي الشَّجْوِ أَنْ يَذْكَرَا  
مَيِّتَ الحَيِّينِ قد ظَاهِرَا <sup>(٢)</sup> \* كِسَاءً وَبَرْدِينَ أَنْ يُمَطَّرَا  
وَمَشَى الثَّلَاثِ به مَوْهِنَا \* نَرجِنِ إلى زَائِرِ زُورَا  
إلى مَجْلِسِ من وراء القِبَا \* بِ سَهْلِ الرُّبَى طَيِّبِ أَعْفَرَا <sup>(٣)</sup>  
غَفَلَانَ عن الليلِ حتى بَدَتْ \* تَبَاشِيرُ من وَاضِحِ أَسْفَرَا  
فَقَمَنَّ يُعَفِّينَ آثَارَنَا \* بِأَكْسِيَةِ الحَزَّانِ تُقْفَرَا <sup>(٤)</sup>  
مَهَاتَانِ شَيَعَتَا جُؤْذَرَا <sup>(٥)</sup> \* أَسِيلاً مَقْلَدُهُ أَحُورَا <sup>(٦)</sup>  
وَمَنْ وَقَانَ لَوَانِ النَّهَا \* رَمَدٌ له اللَّيْلُ فَاسْتَأخَرَا  
قَضَيْنَا به بعضَ أَشْجَانِنَا \* وَكَانَ الحَدِيثُ به أَجْدَرَا

وله :

أفَى رَسَمِ دَارِ دَمْعِكَ المِتَرَفْرِقِ <sup>(٧)</sup> \* سَفَاهَا! وما أَسْتَنْطَاقُ ما لَيْسَ يَنْطِقُ!  
بِحَيْثُ أَلْتَقَى "وَجَمْعٌ" وَأَقْصَى "وَمَحْسِرٌ" <sup>(٨)</sup> \* مَعَالِمُهُ كَادَتْ على العَهْدِ تُخْلِقُ  
ذَكَرْتُ به ما قد مَضَى من زَمَانِنَا \* وَذَكَرْتُ رَسَمَ الدَّارِ مِمَّا يُسَوِّقُ

(١) أو مضت له : سارقتة النظر .

(٢) يقال : ظاهر بين التوبين إذا لبس أحدهما على الآخر . (٣) أعفر : ذى رمل أحمر .

(٤) يقال : قفر الأثر فقرا : اقتفاه وتبعه . (٥) الجؤذر (بضم أوله وضم الذال وفتحها) : ولد البقرة .

والررب : القطيع من بقر الوحش وقيل من الظباء ، ولا واحد له من لفظه . (٦) المقلد : موضع القلادة

ويراد به الجيد . (٧) ترقق الدمع : سال . (٨) جمع ، هى المزدلفة . (٩) محسر : موضع

بين منى والمزدلفة .

ليالى من دهرٍ إذ الحى جيرة \* وإذ هو مأهول الخميعة مؤنق  
 مَمَّا لَنَا عِنْدَ الْعِشَاءِ وَمَجْلِسًا \* به لم يُكدره علينا معوق<sup>(١)</sup>  
 وَمَمَشَى قَتَاةً بِالْكَسَاءِ تَكُنُّنَا \* به تحت عَيْنٍ بِرُقُهَا يَتَأَلَّقُ<sup>(٢)</sup>  
 يَبُلُّ أَعْلَى الثَّوْبِ قَطْرًا وَتَحْتَهُ \* شُعَاعٌ بَدَا يُعِشِي الْعَيُونَ وَيُشْرِقُ  
 فَأَحْسَنُ شَيْءٍ بَدَأَ أَوَّلَ لَيْلِنَا \* وَآخِرُهُ حُرْنٌ إِذَا تَنَفَّرُ

وروى أن ليلي كانت جالسةً في المسجد الحرام، فرأت عمر بن أبي ربيعة فوجهت  
 إليه مؤثلاً لها بغاءها به، فقالت له : يابن أبي ربيعة، حتى متى لا تزال سادراً في حرم الله  
 تُسببُ بالنساء وتُشيد بذكرهن ! أما تخاف الله ! قال : دعيني من ذلك وأسمعي ما قلت ،  
 قالت : وما قلت ؟ فأنشدها الأبيات المذكورة، فقالت له القول الذى تقدم أنها أجابته به .  
 قال : وقال لها : اسمعي أيضاً ما قلتُ فيك ، ثم أنشدها قوله :

أَمِنَ الرَّسْمَ وَأَطْلَالَ الدَّمْنَ \* عادلى وجدى وعاودت الحزن  
 إِن حَيَّ آلَ لَيْلَى قَاتِلَى \* ظهر الحبُّ بجسمى وبطن  
 يَا أَبَا الْحَارِثِ قَلْبِي طَائِرٌ \* فَأُتِمِرُّ أَمْرَ رَشِيدٍ مُؤْتَمِنٍ  
 التَّمَسُّ لِلْقَلْبِ وَصَلًّا عِنْدَهَا \* إِنْ خَيْرَ الْوَصْلِ مَا لَيْسَ يَمِينٍ<sup>(٤)</sup>  
 عَلِقَ الْقَلْبُ، وَقَدْ كَانَ صَحَاً، \* مِنْ بَنِي بَكْرِ غَزَاً قَدْ شَدِنَ<sup>(٥)</sup>  
 أَحْوَرَ الْمُقْلَةِ كَالْبَدْرِ، إِذَا \* قُلْدُ الدَّرِّ قَلْبِي مُمْتَحِنٍ<sup>(٦)</sup>  
 لَيْسَ حُبٌّ فَوْقَ مَا أَحْبَبْتُمْ \* غَيْرَ أَنْ أَقْتَلَ نَفْسِي أَوْ أُجِنَ  
 خُلِقْتُ لِلْقَلْبِ مَنَى فِتْنَةً \* هَكَذَا يُحَاقُّ مَعْرُوضُ الْفِتَنِ

(١) معوق : عائق ومانع . (٢) العين : السحاب .

(٣) السادر : الذى لا يهتم ولا يبالي ما صنع .

(٤) كذا فى الديوان ، ومعناه ما ليس يقطع ، ومنه قوله تعالى : ( وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ) .

(٥) شدين : شب وترعرع . (٦) ممتحن : واقع فى محنة .

وفيها يقول :

إِن لَيْلَى وَقَدْ بَلَغَتْ الْمَشِيْبَا \* لَمْ تَدْعُ لِلنِّسَاءِ عِنْدِي نَصِيْبَا  
هَاجِرٌ بِبَيْتِهَا لِأَنْفِي عِنَهَا \* قَوْلَ ذِي الْعِيْبِ إِنْ أَرَادَ عِيَوَا

وله في النَّوَارِ وَقَدْ شَغَلَتْ قَلْبَهُ :

عَلِقَ النَّوَارَ فَنَوَادُهُ جَهْلًا \* وَصَبَا فَلَمْ تَتْرِكْ لَهُ عَقْلًا  
وَتَعَرَّضْتُ لِي فِي الْمَسِيرِ فَمَا \* أَمْسَى الْفَوَادُ يَرَى لَهَا مِثْلًا  
مَا نَجَّةٌ مِنْ وَحْشِ ذِي بَقْرِ<sup>(١)</sup> \* تَغْدُو بِسَقَطِ صَرِيْمَةٍ طِفْلًا<sup>(٢)</sup>  
بِأَلَدٍ مِنْهَا إِذْ تَقُولُ لَنَا \* وَأَرَدْتُ كَشْفَ قِنَاعِهَا مَهْلًا  
دَعْنَا فَإِنَّكَ لَا مُكَارِمَةَ \* تَجْزِي وَلَسْتَ بِوَأَصِلُ حَبْلًا  
وَعَلَيْكَ مَنْ تَبَلَّ الْفَوَادَ وَإِنْ \* أَمْسَى لِقَلْبِكَ ذِكْرُهُ شُغْلًا  
فَأَجِبْتُهَا إِنْ الْحَبَّ مَكْلَفٌ<sup>(٣)</sup> \* فَذَعِي الْعِتَابَ وَأَحْدِثِي بَدْلًا

اجتمع نسوة من أهل المدينة من أهل الشرف فتذاكرن عمر بن أبي ربيعة وشعره وظرفه وحسن حديثه فنشوقن إليه وتمنينه ، فقالت سكينه بنت الحسين عليهما السلام : أنا لكنن به ، فأرسلت إليه رسولا وواعدته الصورين ، وسمت له الليلة والوقت وواعدت صواحباتها ، فوافهن عمر على راحته ، فحدثهن حتى أضاء الفجر وحن أنصرافهن ، فقال لهن : والله إنى لمحتاج الى زيارة قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم والصلاة في مسجده ولكن لا أخلط بزيارتكن شيئا ، ثم أنصرف الى مكة وقال :

(١) ذوبقر : موضع . (٢) سقط الصريمة : متهاها . والصريمة : الرملة المنصرمة من الرمال ذات الشجر . (٣) مكاف : لهج بالحب ، يقال : كاف بالشئ كافا ، أى لهج به فهو كاف ومكاف ، والأبيات من الكامل الأخذ ، وهو ما حذف من عروضه وضربه الوجد المجموع «علن» من «متفائلن» . وقد جاء عروض هذا البيت تاما على خلاف بقية الأبيات ، وظاهر أن حذف الوجد في اصطلاح علماء العروض غلّة ، والعلّة إذا لحقت بعروض أو ضرب لزم استعمالها في سائر الأبيات ولو قال : \* فأجبها إني بكم كلف \* تخلت القصيدة من هذا العيب .

(١) قالت سَكِينَةُ والدموعُ ذَوَارِفٌ \* منها على الخدين والجلباب  
 لبت المِغِيرَى الذي لم أجزه \* فيما أطال تصيّدِي وطَلَابِي  
 كانت تردُّ لنا المني أيامنا \* إذ لا نلأم على هوى وتصَابِي  
 خُبرْتُ ما قالت فبتُ كأنما \* رُمِي الحشا بنوافذ النُّشَابِ (٢)  
 أسكِين ما ماء الفراتِ وطيبه \* مني على ظميا وفقد شرابِ  
 بالذِّ منك وإن نأيت وقلمنا \* ترعى النساءُ أمانة الغياب

وقال فيها :

أحبُّ لحبك من لم يكن \* صَفِيًّا لنفسي ولا صاحبًا  
 وأبذلُّ نفسي لمرضاةكم \* وأعتبُ (٣) من جاءكم عاتبًا  
 وأرعبُ في ودٍّ من لم أكن \* الى وده قبلكم راغبًا  
 ولو سلَّك الناسُ في جانبٍ \* من الأرضِ وأعتزلتُ جانبًا  
 ليَمَمْتُ طيِّبها ، إنني \* أرى قريبا العَجَبِ العاجبا  
 فما ظنيةٌ من ظباء الأرا \* لك تقرو دميث الرُّبَى عاشبا (٤)  
 بأحسنَ منها غداة الغميم (٦) \* وقد أبدت الخدَّ والحاجبا  
 غداة تقولُ على رِقَبَةٍ \* لخادِمْها : يا أَحْسَبِي الرابجا (٧)  
 فقالت لها : فيم هذا الكلامُ \* وأبدت لها عابسا قاطبا (٨)  
 فقالت كَرِيمٌ أتى زائراً \* يُمرُّ بكم هكذا جانبًا  
 شريفٌ أتى ربعا زائرا \* فأكره رجعتَه خائبًا

- (١) الجلباب : القميص أو هو الخمار ، وهو ما تغطي به المرأة رأسها . (٢) النشاب : النبل .  
 (٣) أعتب : أزال سبب العتب ، فاهمة للسلب . والمعنى أندر . (٤) قراه يقروه : تتبعه .  
 (٥) دميث الربي : سهلها ولينها . (٦) الغميم كأمير : موضع بين مكة والمدينة . (٧) الخادم :  
 واحد الخدم فلاما كان أو جارية . (٨) قاطبا من القطوب : وهو تزوي ما بين العينين من العيوس .

وقال في جاريته بغوم :

صرمت حبلك البغومُ وصدت \* عنك في غير ريبه أسماءُ  
والغواني إذا رأينك كهلاً \* كان فيهن عن هواك ألتواءُ  
جبدًا أنت يا بغومُ وأسماءُ \* ءُ وعيصُ يكتننا وخلاءُ  
ولقد قلت ليلة الجزل لما \* أخضلت ريطتي على السماء<sup>(١)</sup>  
ليت شعري وهل يردن ليت - \* هل لهذا عند الرباب جزءُ  
كل وصل أمسى لدى لائتي \* غيرها وصلها إليها أداءُ  
كل خلق وإن دنا لوصل \* أو نأى فهو للرباب الفداءُ  
فعيدى نائلا وإن لم تنيل \* إنما يتفجع المحب الرجاءُ

وكان يهوى حميدة جارية ابن تفاعه؛ وفيها يقول :

حمل القلب من حميدة ثقلاً \* إن في ذاك للفؤاد لشغلاً  
إن فعلت الذي سألت فقولى \* حمد خيراً وأتبعي القول فعلاً  
ووصليني وأشهد الله أنني \* لست أضفي سواك ماعشت وصلأ

وفيها يقول :

يا قلب هل لك عن حميدة زاجر \* أم أنت مدكر الحياء فصابر  
فالقلب من ذكرى حميدة موجه \* والدمع منحدر وعظمى فاتر  
قد كنت أحسب أنني قبل الذي \* فعلت على ما عند حمدة قادر  
حتى بدا لي من حميدة خلتي \* بين وكنت من الفراق أحاذر

(١) الجزل : موضع قرب مكة . وأخضلت : بل . والريطة : ملاء كلها نسج واحد وقطعة

وله في هند :

أرَبت إلى هند وترَينَ مرَّةً \* لها إذ توافقنا بفرع المَقطَعِ  
 لتَعرِيجِ يومٍ أو لتَعرِيسِ ليلَةٍ \* علينا بجمع السَّمَلِ قبلَ التَّصدِّعِ  
 فقلنَ لها لولا أرتقابُ صحَّابةِ \* لنا خَلَفنا عُجنا ولم تتَّورَعِ  
 فقالت فتاةٌ كنتُ أحسبُ أنها \* مَغفَلةٌ في مَترٍ لم تدرَعِ  
 هلنَ - وملشاوزنَها - ليس مأرى \* بَحسبِ جزاءٍ للحبيبِ المودِّعِ  
 فقلنَ لها لا سَبَّ قرنتك فافتحى \* لنا باب ما يَخفى من الأمرِ نَسَمَعِ

- (١) يقال : أرب بكذا : كلف به ، وأرب إلى كذا : احتاج إليه . ولعل المراد : دعاني الشوق إليهن .  
 (٢) التعريس : قيل هو نزول القوم في السفر آخر الليل يستريحون قليلا ثم يرحلون مع الصبح . وقيل : هو النزول  
 أول الليل . وقيل : النزول في أي وقت كان من ليل أو نهار . والمراد هنا : لإقامة يوم أو لإقامة ليلته .  
 (٣) لم تدرع : لم تلبس الدرع ، يقال : درعت الصبية إذا ألبست الدرع ، والدرع : جبة مشقوقة المقدم .  
 (٤) قال الأصمعي : يقال أشبه الله وأشبه الله قرنه بمعنى واحد (وهو الدعاء له بأن يشب ويكبر) ، والقرن  
 زيادة في الكلام اه . والقرن : الضفيرة . والمراد التعجب من حديثها كما يقال في هذا المقام : قاتك الله .  
 (٥) البابة : الوجه والطريق ، قال تميم بن مقبل :

بني عامر ما تأمرون بشاعر \* تخير بابات الكتاب بهجائيا

أي تخير هجائي من وجوه الكتاب ، كما فسره صاحب اللسان . وللبابة معان أخرى لا بأس من إيرادها وهي : القبيل  
 والنوع - كما قال الجاحظ في « كتاب الحيوان » ج ٢ ص ٤٥ : « فليس الديك من بابة الكلب لأنه إن ساوره قتله  
 قتلا ذريعا » وقال أيضا في ج ٧ ص ٤٣ : « وقد أيقنا أنهما ليسا من بابه » . وقال في كتاب البلاء ص ٤٥ ،  
 ١٤٣ : « أنت من ذى البابة ... وأما سائر حديث هذا الرجل فهو من هذه البابة » . ومثل ذلك في نفع الطيب  
 ج ١ ص ٥٥٩ طبع ليدن ، ج ١ ص ٣٩٨ طبع بولاق سنة ١٢٧٩ هـ قول القاضي محمد بن بشير الأندلسي :

إنما أزرى بقدرى أننى \* لست من بابة أهل البلد

وإذا قال الناس : « من بابتي » فعناه من الوجه الذي أريده ويصلح لي .

والشرط - ومثله ما في « تاج العروس » : هذا بابته أي شرطه .

والغاية - ويستعمل ذلك في الحساب والحدود . وفي « شفاء الغليل » أنهم يقولون للعب خيال الظل بابة

فيقولون : بابات خيال الظل ، وعلى ذلك قول ابن إلياس المؤرخ المصري : فكانوا مثل بابات خيال الظل فشيء ييجي .

وشيء يروح (بدائع الزهور في وقائع الدهور ج ١ ص ٣٤٧) .

ويجوز أن يسمى به كل فصل من فصول التمثيل المسماة الآن فصول الرواية . (انظر كتاب التاج للجاحظ ص ٣٨

وله :

لَيْتَ هِنْدًا أَنْجَزْتَنَا مَا تَعْدُ \* وَشَفَّتْ أَنْفَسَنَا مِمَّا تَجِدُ<sup>(١)</sup>  
 وَأَسْتَبَدَّتْ مَرَّةً وَاحِدَةً \* إِنَّمَا الْعَاجِزُ مَنْ لَا يَسْتَبِدُّ<sup>(٢)</sup>  
 وَلَقَدْ قَالَتْ لِبَارَاتٍ لَهَا \* ذَاتَ يَوْمٍ وَتَعَرَّتْ تَبْتَرِدُ<sup>(٣)</sup>  
 أَكْمًا يَنْعَتِي تَبْصِرَتِي \* عَمَّرَكُنَّ اللَّهُ أُمَّ لَا يَقْتَصِدُ<sup>(٤)</sup>  
 قَهَّانْفَنَ وَقَدْ قُلْنَ لَهَا \* حَسَنٌ فِي كُلِّ عَيْنٍ مِنْ تَوَدُّ<sup>(٥)</sup>  
 حَسَدًا حَمَلَنَهُ مِنْ أَجْلِهَا \* وَقَدِيمًا كَانَ فِي النَّاسِ الْحَسَدُ

وله :

يَا مَنْ لِقَلْبٍ دَنِيْفٍ مُغْرَمٍ \* هَامٌ إِلَى هِنْدٍ وَلَمْ يَظْلِمِ<sup>(٤)</sup>  
 هَامٌ إِلَى رِيْمٍ هَضِيمِ الْحَشِيِّ \* عَذِبِ الثَّنَائِيَا طَيِّبِ الْمَيْسَمِ<sup>(٥)</sup>  
 لَمْ أَحْسِبِ الشَّمْسِ بَلِيلٍ بَدَّتْ \* قَبْلِي لَدَى لَحْمٍ وَلَا ذِي دَمِ<sup>(٦)</sup>

- (١) وجد به بجهد وجدا : أحبه حبا شديدا ، ووجد عليه يوجد وجدا : حزن . (٢) تبترد : تفتسل بالماء البارد . (٣) كذا في الكامل للبرد طبع ليخرج ص ٥٩٤ وهي رواية جيدة . والتهانف كالأهناف والمهانفة : ضحك فيه فتور كضحك المستمزي . وفي الأغاني والديوان : « ففصاحكن » . وقد رجحنا الرواية الأولى لأنها تؤدي تمام المعنى المراد . (٤) هام تتعدى بالياء ، وقد ضمنت هنا معنى صبا ولهذا تعدت بالياء . (٥) كذا في الأغاني ، وفي ديوانه : « رثم » بالهمز . والرثم : الظبي الأبيض الخالص البياض ، وقيل ولد الظبي ، يهمز ولا يهمز . (٦) كذا في الأغاني ، وبين هذا البيت والذي قبله في ديوانه :
- كالشمس بالأسعد إذ أشرقت \* في يوم دجرب بارد مقسم
- يريد بالأسعد هنا سعد النجوم ، وهي عشرة : أربعة منها في برج الجدي والدلو يترها القمر وهي سعد الذابح وسعد بلع وسعد الأخبية وسعد السعود وهو كوكب منفرد نير . وأما الستة التي ليست من المنازل فسعد ناشرة وسعد الملك وسعد البهام وسعد الهمام وسعد البارع وسعد مطر . وكل سعد من هذه الستة كوكبان بين كل كوكبين في رأى العين قدر ذراع وهي متناسقة . وأما سعد الأخبية فتلاثة أنجم كأنها أنافى ورابع تحت واحد منهم . أنظر المرتضى والمقاصد النحوية في شرح شواهد شروح الألفية للامام العيني المطبوع بهامش الخزانة ج ١ ص ٨٠ في الكلام على البيت :
- إذا دبران منسك يوما لقيته \* أوئل أن ألقاك غدوا بأسعد
- وقال في اللسان في مادة «سعد» بعد أن ذكر هذه السعود : فأحسن ما تكون الشمس والقمر والنجوم في أيامها لأنك لا ترى فيها غبرة ، وقد ذكرها النايفة الذبياني فقال :
- قامت تراهى بين سحفى كلة \* كالشمس يوم طلوعها بالأسعد
- وقد ضبط خطأ في اللسان بفتح العين . وقال :
- بيضاء كالشمس وافت يوم أسعدها \* لم تؤذ أهلا ولم تفحش على جار

قالت ألا إنك ذو مَلَّةٍ \* يَصْرِفُكَ الأَدْنَى عن الأَقْدَمِ  
قلت لها بل أنتِ معتَلَّةٌ \* في الوَصْلِ يَاهِنْدُ لَكَ تَصْرِي

بيننا عمر بن أبي ربيعة يطوف بالبيت إذ رأى عائشة بنت طلحة بن عبيد الله ،  
وكانت من أجمل أهل دهرها ، وهي تريد الركن تستأمنه ، فبهت لما رآها ورأته ، وعلمت  
أنها قد وقعت في نفسه ، فبعثت إليه بجزية لها وقالت : قولي له : اتق الله ولا تقل هجراً ،  
فإن هذا مقام لا بد فيه مما رأيت ، فقال للجزية : أقرئها السلام وقولي لها : ابن عمك  
لا يقول إلا خيراً ، وقال فيها :

لعائشة أبنة التيمي عندي \* حمي في القلب ، لا يرعى حماها  
يدكرني أبنة التيمي طبي \* يرود بروضة سهل رباها  
فقلت له وكاد يرأع قلبي \* فلم أر قط كالיום أشبأها  
سوى حمش يساقك مستبين<sup>(١)</sup> \* وأن شواك لم يشبه شواها<sup>(٢)</sup>  
وأنت عاطل عارٍ وليست \* بعارية ولا عطيل يداها  
وأنت غير أفرع<sup>(٣)</sup> وهي تدلي \* على المتنين<sup>(٤)</sup> أسحم قد كساها  
ولو قعدت ولم تكلف بود<sup>(٥)</sup> \* سوى ما قد كلفت به كفاها  
أظلل إذا أكلها كاني \* أكلم حية غلبت رفاها  
تبيت إلى بعد النوم تسري \* وقد أمسيت لا أخشى سراها

وله :

إني وأول ما كلفت بحبها \* عجب وهل في الحب من متعجب  
نعت النساء فقلت لست بمبصر \* شهباً لها أبداً ولا بمقرب

(١) الحمش : دقة الساقين . (٢) الشوى : الأطراف . (٣) الأفرع : طويل شعر الرأس .

(٤) الأسحم : الأسود ، يريد به الشعر .

فمَكَثَنَ حِينًا ثُمَّ قَلَنَ تَوَجَّهَتْ \* للهِجِّ ، مَوْعِدُهَا لِقَاءُ الْأَخْشَبِ (١)  
 أَقْبَلْتُ أَنْظُرَ مَا زَعَمَنَ وَقُلَنَ لِي \* والقلبُ بين مُصَدِّقٍ وَمُكَدِّبٍ  
 فَلَقَيْتُهَا تَمْشِي بِهَا بَغْلَاتُهَا \* تَرِي الْجِمَارَ عَشِيَّةً فِي مَوْكِبِ  
 غَرَاءٍ يُعْشِي النَّاطِرِينَ بِيَاضُهَا \* حَوْرَاءَ فِي غُلُوَاءِ عَيْشٍ مُعْجَبِ (٢)  
 إِنَّ الَّتِي مِنْ أَرْضِهَا وَسَمَائِهَا \* جُلَيْتَ لِحَيْنِكَ لَيْتَهَا لَمْ تُجَلِبِ

وكان عمر بن أبي ربيعة يهوى كَلمَ بنت سَعْدِ الْمُخَزُومِيَّةِ ، فأرسلَ إليها رسولاً فضرِبَتْهَا  
 وحلَقَتْهَا وأحلَقَتْهَا أَلَا تُعَاوِدَ ، ثم أعادها ثانيةً ففعلتُ بها مثلَ ذلك ، فَتَحَامَاهَا رُسُلُهُ ؛ فابتاع  
 أُمَّةً سَوْدَاءَ لَطِيفَةً رَقِيقَةً وَأَتَى بِهَا مَنزِلَهُ فَأَحْسَنَ إِلَيْهَا وَكَسَاهَا وَأَنَسَهَا وَعَرَّفَهَا خَبْرَهُ وَقَالَ لَهَا :  
 إِنْ أَوْصَلْتَ لِي رُقْعَةً إِلَى كَلِّمَ فَقَرَأْتُهَا فَأَنْتِ حَرَّةٌ وَلِكِ مَعِيشَتِكَ مَا بَقِيَتْ ؛ فقالت : اكَتُبْ لِي  
 مَكْتَابَةً (٣) وَأَكْتُبْ حَاجَتَكَ فِي آخِرِهَا ، ففعلَ ذلك ، فأخذتُها ومضتُ بها إلى بابِ كَلِّمَ  
 فاستأذنتُ فخرجتُ إليها أُمَّةً لَهَا فَسَأَلْتُهَا عَنْ أَمْرِهَا ؛ فقالت : مَكْتَابَةٌ لِبَعْضِ أَهْلِ مَوْلَانِكَ  
 جِئْتُ أَسْتَعِينُهَا فِي مَكَاتِبِي ، وحادِثُهَا وَنَاشِدُهَا حَتَّى مَلَأْتُ قَلْبَهَا ، فَدَخَلْتُ إِلَى كَلِّمَ وَقَالَتْ :  
 إِنْ بِالْبَابِ مَكْتَابَةٌ لَمْ أَرَقُطُ أَجْمَلَ مِنْهَا وَلَا أَكَمَلَ وَلَا آدَبَ ؛ فقالت : ائْذِنِي لَهَا ، فَدَخَلْتُ ،  
 فقالت : مَنْ كَاتِبِكَ ؟ قالت : عَمْرُ بْنُ أَبِي رَبِيعَةَ الْفَاسِقُ ! فَاقْرَأِي مَكَاتِبِي ، فَدَتَتْ يَدَهَا  
 لَتَأْخُذَهَا فقالت لَهَا : لِي عَلَيْكَ عَهْدُ اللَّهِ أَنْ تَقْرَأِيهَا ، فَإِنْ كَانَ مِنْكَ إِلَى شَيْءٍ مِمَّا أُحِبُّهُ وَإِلَّا  
 لَمْ يَلْحَقْنِي مِنْكَ مَكْرُوهٌ ؛ فَعَاهَدْتُهَا وَفَطِنْتُ وَأَعْطَيْتُهَا الْكِتَابَ ، فَإِذَا أَوْلَهُ :

مِنْ عَاشِقٍ صَبَّ لِيِبْرَ الْهُوَى \* قَدْ شَفَّهَ الْوَجْدُ إِلَى كَلِّمَ  
 رَأَيْتُكَ عَيْنِي فَدَعَانِي الْهُوَى \* إِلَيْكَ لِلْحَيْنِ وَلَمْ أَعْلَمَ

(١) الأخشب : مفرد الأخشين وهما جيلان بمكة أحدهما أبوقبيس والآخر قبيعان ، ويقال : هما أبوقبيس  
 والجيل الأحمر المشرف هنالك ، وقد تفرد هذه الثنية فيقال لكل واحد منهما : الأخشب ، قال ساعدة بن جؤية .  
 ومقامهن إذا حبسن بمأزم \* ضيق ألف وصدَّهن الأخشب  
 (٢) في غلواء عيش : في أنضره وأرغده . (٣) المكاتبة : أن يكتب الرجل عبده على مال يؤديه إليه منجاً  
 (مقسطاً) فإذا آذاه صار حراً ، وسميت كذلك لأنه يكتب على نفسه لمولاه منه ، ومولاه يكتب له عليه عتقه .

قَتَلْنَا ، يَا حَبَّذَا أَنْتُمْ \* فِي غَيْرِ مَا جُرِّمَ وَلَا مَأْتُمْ  
 وَاللَّهُ قَدْ أَنْزَلَ فِي وَحْيِهِ \* مُبَيِّنًا فِي آيَةِ الْمُحْكَمِ  
 مَنْ يَقْتُلِ النَّفْسَ كَذَا ظَالِمًا \* وَلَمْ يُقِدْهَا نَفْسَهُ يَظْلَمِ  
 وَأَنْتِ تَأْرِي فَنَلَا فِي دَمِي \* ثُمَّ أَجْعَلِيهِ نِعْمَةً تُنْعِمِي  
 وَحَكْمِي عَدْلًا يَكُنْ بَيْنَنَا \* أَوْ أَنْتِ فِيمَا بَيْنَنَا فَأَحْكُمِي  
 وَجَالِسِي مَجْلِسًا وَاحِدًا \* مِنْ غَيْرِ مَا عَارٍ وَلَا مُحَرَّمِ  
 وَخَبْرِي مَا الَّذِي عِنْدَكُمْ \* بِاللَّهِ فِي قَتْلِ أَمْرِي مُسَلِّمِ

فلما قرأت الشعر قالت لها : إنه خداع مَلَقٌ وليس لما شكاه أصلٌ ، قالت : يا مولاتي ،  
 فما عليك من أمتحانه ؟ قالت : قد أذنتُ له وما زال حتى ظفر بيغيته ! فقولي له : إذا كان  
 المساءُ فليجلس في موضع كذا وكذا حتى يأتيه رسولي ، فأنصرف الجارية فأخبرته فتأهب لها ،  
 فلما جاءه رسولها مضى معه حتى دخل إليها وقد تهيأت أجل هيئة ، وزينت نفسها ومجلسها  
 وجلست له من وراء ستر ، فسلم وجلس ، فتركته حتى سكن ثم قالت له : أخبرني عنك  
 يا فاسق ! أأنت القائل :

هَلَّا أَرَعَوَيْتِ قَرَحِي صَبًّا \* صَدِيَانِ لَمْ تَدْعِي لَهُ قَلْبًا  
 جَسَمَ الزِّيَارَةِ فِي مَوَدَّتِكُمْ \* وَأَرَادَ أَلَّا تُرْهِقِي ذَنْبًا  
 وَرَجَا مُصَالِحَةً فَكَانَ لَكُمْ \* سَأَمًا وَكُنْتَ تَرِيئِهِ حَرْبًا  
 يَا أَيُّهَا الْمُصْفِي مَوَدَّتَهُ \* مَنْ لَا يَرَاكَ مُسَامِيًا خُطْبًا<sup>(١)</sup>  
 لَا تَجْعَلَنَّ أَحَدًا عَلَيْكَ إِذَا \* أَحْبَبْتَهُ وَهَوَيْتَهُ رَبًّا  
 وَصِلِ الْحَيْبَ إِذَا سُغِفَتْ بِهِ \* وَأَطْوِ الزِّيَارَةَ دُونَهُ غَيْبًا  
 فَلَذَلِكَ أَحْسَنُ مِنْ مُوَاطَبَةٍ \* لَيْسَتْ تَزِيدُكَ عِنْدَهُ قُرْبًا  
 لَا بَلْ يَمْلِكُ عِنْدَ دَعْوَتِهِ \* فَيَقُولُ هَاهُ وَطَالَمَا لَبِي<sup>(٢)</sup>

(١) الخطب : الخاطب . (٢) وهاه : كلمة وعيد ، وحرك لضرورة الشعر وقد روى البيت في ديوانه :

لا بل يملك ثم تدعو باسمه \* فيقول هاه وطالما لبي

ورأى عمرُ لبابة بنت عبد الله بن العباس امرأة الوليد بن عتبة بن أبي سفيان تطوف  
بالبيت فرأى احسن خلق الله ، فكاد عقله يذهب ، فسأل عنها فأخبر بنسبها ، فنسب بها  
وقال فيها :

وَدَّعُ لُبَابَةَ قَبْلَ أَنْ تَرَحَّلَا \* وَأَسْأَلُ فَإِنَّ قَلَالَهُ أَنْ تَسْأَلَا<sup>(١)</sup>  
الْبَيْتَ بِعَمْرِكَ سَاعَةً وَتَأَنِّهَا \* فَعَلَلَّ مَا بَحَّتْ بِهِ أَنْ يُبَدَّلَا  
قَالَ أَتَمَّرَ مَا شئتَ غَيْرَ مُخَالَفٍ \* فِيهَا هَوَيْتَ فَإِنَّا لَنْ نَعَجَلَا<sup>(٢)</sup>  
لَسْنَا نُبَالِي حِينَ تَقْضِي حَاجَةً \* مَا بَاتَ أَوْ ظَلَّ الْمَطِيَّ مُعَقَّلَا  
حَتَّى إِذَا مَا اللَّيْلُ جَنَّ ظَلَامُهُ \* وَرَقَبْتُ غَفْلَةً كَأَشِحَّ أَنْ يُحْمَلَا  
خَرَجْتُ تَأَطَّرُ فِي الثِّيَابِ كَأَنَّهَا \* أَيْمٌ يَسِيْبُ عَلَى كَثِيْبٍ أَهْيَلَا<sup>(٣)</sup>  
رَحَبْتُ حِينَ رَأَيْتُهَا فَتَبَسَّمْتُ \* لِتَحِيَّتِي لَمَّا رَأَيْتُنِي مُقْبِلَا  
وَجَلَّ الْقِنَاعُ سَحَابَةً مَشْهُورَةً \* غَرَاءَ تُعْشِي الطَّرْفَ أَنْ يَتَأَمَّلَا  
فَلَبِثْتُ أَرْقِيهَا بِمَا لَوْ عَاقِلٌ<sup>(٤)</sup> \* يَرْقِي بِهِ مَا أَسْطَاعَ أَلَّا يَنْزَلَا<sup>(٥)</sup>

وَحَجَّتْ رَمْلَةً بِنْتُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَلِيفِ الْخُرَازَمِيِّ فَقَالَ فِيهَا :

أَصْبَحَ الْقَلْبُ فِي الْجِبَالِ رَهِينًا \* مُقْصَدًا يَوْمَ فَارَقَ الظَّاعِنِينَ  
تَحَمَّلْتُ حُمَّةَ الْفِرَاقِ عَلَيْنَا \* بِرَحِيلٍ وَلَمْ نَخْفِ أَنْ تَبِينَا  
لَمْ يَرْعُنِي إِلَّا الْفِتَاةُ وَإِلَّا \* دَمْعُهَا فِي الرِّدَائِ سَحَابًا سَنِينَا  
وَلَقَدْ قَلْتُ يَوْمَ مَكَّةَ سِرًّا \* قَبْلَ وَشِكِّ مِنْ بَيْنِكُمْ نَوَلِينَا  
أَنْتِ أَهْوَى الْعِبَادِ قُرْبًا وَدَلًّا \* لَوْ تُنِيلِينَ عَاشِقًا مَحْزُونًا  
قَادَهُ الطَّرْفُ يَوْمَ مَرَّ إِلَى الْحِيَةِ \* مِنْ جِهَارًا وَلَمْ يَخْفِ أَنْ يَجِينَا

(١) القلال كفراب وسحاب : القليل . (٢) اتمر ما شئت : افعل ما شئت فإننا لا نعصى لك أمرا .

(٣) تأطر : محذوفة إحدى تاءيه ، أى تتننى . (٤) الأيم : الحية . (٥) يقال : عقل الوعل

يعقل عقولا : امتنع في الجبل ، وبه سمى الوعل عاقلا على حد التسمية بالصفة ، ومنه المثل : « إنما هو كجراح

الأرعى قليلا ما يرى » . والأرعى : جمع أروية وهى تيموس الجبل البرية .

فاذا نعمةٌ تراعى نِعاجًا \* ومهًا بهج المناظر عينا  
 قلتُ من أنتم فصدت وقالت \* أميد<sup>(١)</sup> سؤالك العالمينا  
 قلتُ بالله ذى الجلالة لما \* أن تبأت الفؤاد أن تصدقينا  
 أى من تجمعُ المواسم قولى \* وأبني لنا ولا تكتمينا  
 نحن من ساكنى العراق وكنا \* قبله قاطنين مكة حيناً  
 قد صدقناك إذ سألت من أن \* ت عسى أن يجر شأن شؤونا  
 ونزى أننا عرفناك بالنع \* يت بظن وما قتلنا يقينا  
 بسوادِ الثيبتين ونعت \* قد نراه لناظير مستيينا

وقال فى الثريا وقد صرّمته :

من رسولى إلى الثريا فإنى \* ضفتُ درعاً بهجرها والكباب  
 سلبتى مجاجة المسك على \* فسألوها ماذا أحلّ اغتصابى  
 وهى مكنونةٌ تحير منها \* فى أديم الخدين ماء الشباب  
 أبرزوها مثل المهامة تهادى \* بين خميس كواعب أتراب  
 ثم قالوا تُحبها قلتُ بهراً \* عدد القطر والحصى والتراب  
 أزهدت أم نوفل إذ دعته \* مهجتي<sup>(٤)</sup> ، ما لقائى من متاب  
 حين قالت لها أحيى فقالت \* من دعائى قالت أبو الخطاب  
 فاستجابت عند الدعاء كما لى \* رجال يرجون حسن الثواب

(١) قال فى اللسان مادة بدد بعد أن أورد هذا الشطر : « معناه أمقسم أنت سؤالك على الناس واحدا واحدا حتى تعمهم » . من البداد وهو أن يبد المال القوم فيقسم بينهم ، وأبدهم المال والعتاء : فرقه فيهم ، والمراد : لماذا تسألنا ! ألك حق السؤال على جميع الناس ! . أو معناه : « أنت ملزم سؤالك الناس ، من قولهم : مالك منه بد » ، والمراد : أنت ملزمتنا الإجابة عن سؤالك ! إننا لانحييك . (٢) مجاجة المسك ، يريد بذلك وصفها بطيب ريقها وبأنه كالمسك . (٣) تهادى ، يريد يهدى بعضها بعضا فى مشيتها (الكامل للبرد طبع ليزج ص ٣٧٩) . (٤) فى الكامل للبرد طبع ليزج ص ٣٧٩ : أزهدت : أبطلت وأذهبت قال الله عز وجل : (فقدمه فاذا هو زاهق) اه . يريد : أذهبت أم نوفل تسمى إذ دعت الثريا لوصالى فلم تجبها .

ومن شعره :

كُتِبْتُ إِلَيْكَ مِنْ بَلَدِي \* كِتَابَ مُوَلِّهِ كَمِيدِ  
 كَيْبِ وَأَكْفِ الْعَيْنِ (١) \* مِنْ بِالْحَسْرَاتِ مَنْفَرِدِ  
 يُورِقُهُ هَيْبُ الشُّو \* قِي بَيْنَ السَّحْرِ وَالْكَيْدِ (٢)  
 فِيمَسِكَ قَلْبَهُ بِيَدٍ \* وَيَمْسَحُ عَيْنَهُ بِيَدِ

لما تزوج سهيل بن عبد العزيز الثريا ونقلها الى الشام، بلغ عمر بن أبي ربيعة الخبر، فأتى للمتزل الذي كانت الثريا تنزله، فوجدها قد رحلت منه يومئذ، فخرج في أثرها فلحقها على مرحلتين، وكانت قبل ذلك مهاجرة له لأمر أنكرته عليه، فلما أدركهم نزل عن فرسه ودفعه الى غلامه ومشي متنكرا حتى مر بالخيمة، فعرفته الثريا وأثبتت حركته ومشيته، فقالت لحاضنتها: كلميه (٤)، فسأمت عليه وسألته عن حاله وعاتبته على ما بلغ الثريا عنه، فاعتذر وبكى، فبكت الثريا، فقالت: ليس هذا وقت العتاب مع وشك الرحيل، فخذتها الى وقت طلوع الفجر ثم ودعها وبكىا طويلا، وقام فركب فرسه ووقف ينظر اليهم وهم يرحلون (٥)، ثم أتبعهم بصره حتى غابوا، وأنشأ يقول:

يا صاحبي قفا نسْتَخِرِ الطَّلَا \* عَنْ حَالِ مَنْ حَلَّه بِالْأَمْسِ مَا فَعَلَا  
 فَقَالَ لِي الرَّعُ لِمَا أَنْ وَقَفْتُ بِهِ \* إِنَّ الْخَلِيطَ أَجَدَ الْبَيْنِ فَاحْتَمَلَا (٦)  
 وَخَادَعَتْكَ النَّوَى حَتَّى رَأَيْتَهُمْ \* فِي الْفَجْرِ يَحْتَثُّ حَادِي عَيْسِهِمْ زَجَلَا (٨)

(١) يقال: وكفت العين: سالت دموعها. (٢) السحر: الرثة.  
 (٣) أي عرفتهما حق المعرفة. (٤) لحاضنتها: لمريبتها. (٥) يرحلون يشدون على إبلهم  
 الرجال. (٦) أجد البين: اعترفه. (٧) احتمل: ارتحل. (٨) النوى: الفراق  
 والبعث. ويحث: يسوق. وزجلا: رافعا صوته في حذاء الإبل لتسرع في السير، وأصل الزجل الجلبة ورقع  
 الصوت وخص به التطريب، وأنشد سيبويه في وصف حمار وحش:

له زجل كأنه صوت حاد \* اذا طلب الوسيقة أو زهير

وذكره في باب ما يحتمل الشعر من استباحة الضرورة، وهي هنا حذف الواو المبينة لحركة الهاء في قوله: كأنه،  
 والوسيقة: أثناء التي يضمها ويجمعها، من وسقت الشيء: جمعته.

(١) لما وَقَفْنَا نُحْيِيهِمْ وَقَدْ صَرَّخَتْ \* هَوَاتِفُ الْبَيْنِ وَأَسْتَوْلَتْ بِهِمْ أَصْلًا  
صَدَّتْ بَعَادًا وَقَالَتْ لِتِي مَعَهَا \* بِاللَّهِ لَوْمِيهِ فِي بَعْضِ الَّذِي فَعَلَا  
وَحَدِيثِهِ بِمَا حَدَّثْتِ وَأَسْتَمِعِي \* مَاذَا يَقُولُ وَلَا تَعِي بِهِ جَدَلًا<sup>(٢)</sup>  
حَتَّى يَرَى أَنْتَ مَا قَالَ الْوَشَاةُ لَهُ \* فِينَا لَدَيْهِ إِلَيْنَا كُلُّهُ نُقِلَا  
وَعَرَّفِيهِ بِهِ كَالهَزْبِ وَأَحْتَفِظِي \* فِي بَعْضِ مَعْتَبَةٍ أَنْ تُغْضِبِي الرَّجُلَا  
فَإِنَّ عَهْدِي بِهِ وَاللَّهُ يُحْفَظُهُ \* وَإِنْ أَتَى الذَّنْبَ مِنْ يَكْرِهِ الْعَمْدَلَا  
لَوْ عِنْدَنَا أَعْتَبَبَ أَوْ نَبَيْتَ نَقِصْتَهُ \* مَا آبَ مُغْتَابُهُ مِنْ عِنْدِنَا جَدَلَا  
قَلْتُ أَسْمِعِي فَلَقَدْ أَبْلَغْتَ فِي لَطْفِ<sup>(٣)</sup> \* وَلَيْسَ يُخْفَى عَلَى ذِي اللَّبِّ مِنْ هَزَلَا  
هَذَا أَرَادَتْ بِهِ بُحْلًا لِأَعْدِزِهَا \* وَقَدْ أَرَى أَنَهَا لَنْ تَعْدَمَ الْعِلَلَا  
مَا سُمِّيَ الْقَلْبُ إِلَّا مِنْ تَقَلُّبِهِ \* وَلَا الْفُؤَادُ فُؤَادًا غَيْرَ أَنْ عَقَلَا<sup>(٤)</sup>  
أَمَا الْحَدِيثُ الَّذِي قَالَتْ أُتَيْتَ بِهِ \* فَمَا عَبَّأْتُ بِهِ إِذْ جَاءَنِي حَوْلَا  
مَا إِنْ أَطَعْتُ بِهَا بِالغَيْبِ قَدْ عَلِمْتُ \* مَقَالَةَ الْكَاشِحِ الْوَأَشَى إِذَا حُجِّلَا  
إِنِّي لِأَرْجِعُهُ فِيهَا بِسَخَطْتِهِ \* وَقَدْ يَرَى أَنَّهُ قَدْ غَرَنِي زِلَالَا  
وهي قصيدة طويلة مذكورة في شعره .

(١) في ديوانه :

لما وَقَفْنَا نُحْيِيهِمْ وَقَدْ سَخَطَتْ \* نَعَامَةَ الْبَيْنِ فَاسْتَوْلَتْ بِهِمْ أَصْلًا  
وسخطت نعامة البين : ارتحلوا وفرقهم البين ، وفي اللسان مادة نعم وشال : يقال للقوم إذا ارتحلوا عن منزلهم  
أو فرّقوا : قد خفت نعامتهم وشالت نعامتهم ، والأصل : جمع أصيل وهو العشي وقيل هو مفرد ، أنشد نعلب :  
وتمذرت نفسي لذلك ولم أزل \* بدلنا نهاري كله حتى الأصل  
فقوله : بدلنا نهاري له ، يدل على أن الأصل هاهنا واحد . (٢) لا تعي به جدلا : لا تعجزى في مجادلتها .  
(٣) اللطف لغة في اللطف . (٤) قال في اللسان : والتفؤد : التوقد ، والفؤاد : القلب لتفؤده  
وتوقده . وقال في القاموس وشرحه : والتفؤد : التحرق والتوقد ، ومنه الفؤاد للقلب ، لأن عقل الفؤاد للعلومات  
نتيجة اشتغاله وتوقده وتحركه وجولته فيها حتى يحصها ، ويميز الصحيح من الفاسد والحق من الباطل .

وله :

هل تعرف الدار والأطلال والدمنا \* زدت الفؤاد على علته حزنا  
 داراً لأسماء قد كانت تحل بها \* وأنت إذ ذاك قد كانت لكم وطنا  
 لم يحجب القلب شيئاً مثل حبكم \* ولم تر العين شيئاً بعدكم حسنا  
 ما إن أبالي أدام الله قربكم \* من كان شطاً من الأحياء أو ظعنا  
 فإن نأيتم أصاب القلب نأيتكم \* وإن دنت داركم كنتم لنا سكنا  
 إن تجحلي لا يسأل القلب بحولكم \* وإن تجودي فقد عنتيني زمنا  
 أمسى الفؤاد بكم يهند مرثنا \* وأنت كنت الهوى والهمل والوسنا  
 إذ تستيدك بمصقول عوارضه \* ومقتلي جؤذر لم يعد أن شدنا

وقال :

أعبد ما ينسى مودتك القلب \* ولا هو يسليه رخاء ولا كرب  
 ولا قول وإش كاشع ذى عداوة \* ولا بعد دار إن نأيت ولا قرب  
 وما ذاك من نعمي لديك أصابها \* ولكن حباً ما يقاربه حب  
 فإن تقبلي يا عبد توبة تائب \* يئب ثم لا يوجد له أبداً ذنب  
 أذل لكم يا عبد فيما هويتهم \* وإني إذا ما رامني غيركم صعب  
 وأعدل نفسي في الهوى فتعوقني \* ويأصرنى قلب بكم كلف صب  
 وفي الصبر عمن لا يؤاتيك راحة \* ولكن لا صبر عندي ولا لب  
 وعبد بيضاء المحاجر طفلة \* منعمة نضبي الحليم وما تصبو  
 قطوف من الحور الأوانس بالضحى \* متى تمس قيس الباع من بهرها تربو  
 فلست بناس يوم قالت لأربع \* نواعم غمر كلهن لها ترب  
 ألا ليت شعري فيم كان صدوده \* أعلق أخرى ! أم على به عتب

وقال :

إِنَّ طَيْفَ الْخِيَالِ حِينَ الْمَاءِ \* هَاجَ لِي ذُكْرَةٌ وَأُحَدِّثُ هَمًّا  
 جَدَّدِي الْوَصْلَ يَأْسُكِينَ وَجُودِي \* لِحُبِّ رَحِيلَهُ قَدْ أَحَمَّا  
 لَيْسَ بَيْنَ الْحَيَاةِ وَالْمَوْتِ إِلَّا \* أَنْ يَرُدُّوا حِمَاهُمْ فُتْرَمًا  
 وَلَقَدْ قَلْتُ مُخْفِيًّا لَغْرِيضِ \* هَلْ تَرَى ذَلِكَ الْغَزَالَ الْأَحْمَا  
 هَلْ تَرَى فَوْقَهُ مِنَ النَّاسِ شَخْصًا \* أَحْسَنَ الْيَوْمِ صُورَةً وَأَمَّا  
 إِنْ تُبِيلِي أَعِشْ بِخَيْرٍ وَإِنْ لَمْ \* تَبْدُلِي الْوُدَّ مَتِّ بِالْهَمِّ غَمًّا

وله أيضا :

أَيَا مَنْ كَانَ لِي بَصْرًا وَسَمْعًا \* وَكَيْفَ الصَّبْرُ عَنْ بَصْرِي وَسَمْعِي  
 وَعَمَّنْ حِينَ يَذْكُرُهُ فُؤَادِي \* يَفِيضُ كَمَا يَفِيضُ الْغَرْبُ دَمْعِي  
 يَقُولُ الْعَاذِلُونَ نَأَتْ قَدَعَهَا \* وَذَلِكَ حِينَ تَهَيَّبِي وَوَلِي  
 أَأَهْجُرُهَا فَأَقْعُدُ لَا أَرَاهَا \* وَأَقْطَعُهَا وَمَا هَمَّتْ بَقْطَعِي  
 وَأَصْرِمُ حَبَاهَا لِمَقَالِ وَاشِ \* وَأَبْغُعُهَا وَمَا هَمَّتْ بَفَجْعِي  
 وَأُقْسِمُ لَوْ خَلَوْتُ بِهِجْرٍ هَنِيْدٍ \* لَضَاقَ بِهِجْرُهَا فِي النَّوْمِ ذَرْعِي

وهو القائل :

مَا كُنْتُ أَشْعُرُ إِلَّا مَدَّ عَرَفْتُمْ \* أَنَّ الْمَضَاجِعَ تُسَمِّي تَنْبِتُ الْإِبْرَا  
 لَقَدْ شَقِيْتُ وَكَانَ الْحَيْنُ لِي سَبَبًا \* أَنْ عَلَّقَ الْقَلْبُ قَلْبًا يُشْبِهُ الْحَجْرَا  
 قَدْ لَمْتُ قَلْبِي فَأَعْيَانِي بِوَاحِدَةٍ \* وَقَالَ لِي لَا تَلْنِي وَأَدْفَعِ الْقَدْرَا  
 إِنْ أَكْرَهَ الطَّرْفُ يَحْسَرُدُونَ غَيْرَكُمْ \* وَلَسْتُ أَحْسِنُ إِلَّا نَحْوَكِ النَّظْرَا  
 قَالُوا صَبَوْتَ فَلَمْ أَكْذِبْ مَقَالَتَهُمْ \* وَلَيْسَ يَنْسَى الصَّبَا إِنْ وَالَهُ كِبْرَا

(١) الحين : المحنة .

وقال أيضا :

الْأَلَيْتَ قَبْرِي يَوْمَ تُقْضَى مَنِّي \* بتلك التي من بين عَيْنِكَ وَالْفِمْ  
وَلَيْتَ طَهْوَرِي كَانَ رِيْقِكَ كُلَّهُ \* وليت حَنُوطِي من مُشَاشِكَ وَالْدَّم  
الْأَلَيْتَ أُمَّ الْفَضْلِ كَانَتْ قَرِيْبِي \* هُنَا أَوْ هُنَا فِي جَنَّةٍ أَوْ جَهَنَّمِ

نظر عمر بن أبي ربيعة في الطَّوْفِ الى امرأة شريفة فرأى أحسنَ حَلَقِ الله صورةً،  
فذهب عقله عليها وكنمها فلم يُجِبْهُ؛ فقال فيها :

الرَّيْحُ تَسْحَبُ أَذْيَالًا وَتَنْشُرُهَا \* يا لَيْتِي كُنْتُ مِمَّنْ تَسْحَبُ الرِّيحُ  
كَيْمَا تَجْرُ بِنَا ذَيْلًا فَتَطْرَحُنَا <sup>(١)</sup> \* على التي دونها مغبرة سوح <sup>(٢)</sup> <sup>(٣)</sup>  
أَنِّي بَقْرِيكُمْ أُمُّ كَيْفَ لِي بِكُمْ \* هَيْهَاتَ ذَلِكَ مَا أَمَسَتْ لَنَا رُوحُ  
فَلَيْتَ ضَعْفَ الَّذِي أَلَّتِي يَكُونُ بِهَا \* بل لَيْتَ ضَعْفَ الَّذِي أَلَّتِي تَبَارِيحُ <sup>(٤)</sup>  
إِحْدَى بِنَيَاتِ عَمِّي دُونَ مَنَزَلِهَا \* أَرْضُ بَقِيْعَاتِهَا الْقَيْصُومُ وَالشَّيْحُ <sup>(٥)</sup>

فبلغها شعره فجَزَعَتْ منه، فقيل لها: اذكريه لزوجك، فإنه سينكر عليه قوله، فقالت:  
كَلَّا وَاللَّهِ لَا أَشْكُوهُ إِلَّا إِلَى اللَّهِ، ثم قالت: اللهم إن كان نوهٌ باسمي ظالمًا فاجعله طعامًا  
للريح، فَضَرَبَ الدَّهْرُ مِنْ ضَرْبِهِ؛ ثم إنه غدا يوماً على فرس فهبَّتْ رِيحٌ فَتَزَلَّ فاستتر  
بَسَلْمَةٍ، فعصفت الريحُ نَحْدَشَهُ غَضْنًا منها، فدعى وورم به ومات من ذلك .

(١) هذا أحد الوجهين في الفعل الواقع بعد كيا : الرفع على أن ما كافة لها عن العمل، والنصب على أن  
ما زائدة وكى عاملة فيا بعدها، وقد روى بالوجهين :

إذا أنت لم تنفع فضرر فأما \* يرحى الفتى كيا يضر وينفع

(٢) مغبرة، يريد بها الفلاة الجلبة . (٣) سوح : جمع ساحة وهي الفضاء . (٤) تباريح  
الشوق : توهجه، قال السيد محمد مرتضى : قال شيخنا وهو من الجوع التي لا مفرد لها وقيل : مفرده تبريح  
وَأَسْتَعْمَلَهُ الْمُحَدِّثُونَ وَلَيْسَ بِنَبْتٍ . (٥) قال في اللسان : القيصوم : ما طال من العشب، ثم قال :  
والقيصوم من نبات السهل قال أبو حنيفة : القيصوم من الذكور ومن الأمراء وهو طيب الرائحة من رياحين البر  
وروقه هذب وله نورة صفراء وهي تنض على ساق وتطول .

## (ب) الغزل العذريّ

جميّل<sup>(١)</sup>

قال نُصَيْبُ مولى عبد العزيز بن مروان: قَدِمْتُ المدينة فسألتُ عن أعلم أهلها بالشعر، فقيل لي: الوليد بن سعيد الأَنْجِجِيّ، فوجدته بِشَعْبِ سَلْعٍ مع عبد الرحمن بن حسان وعبد الرحمن بن أَزْهَرٍ، فَإِنَّا جَلُوسٌ إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ طَوِيلٌ بَيْنَ الْمُنْكَبَيْنِ يَقُودُ رَاحِلَةً

(١) هو جميل بن عبد الله بن معمر من عذرة، وكان شاعرا فصيحاً مقدّماً جامعاً للشعر والرواية. اشتهر بحجة بثينة ابنة عمه، ولذلك عرف بجميل بثينة، وكانا يقيان في وادي القرى، وكان أول عهدهما بها وهي صغيرة. ومن أوائل نظمه فيها قوله:

وأقول ما قاد المودة بيننا \* بوادي بغيض يا بين سباب

وقلت لها قولاً فجاءت بمثله \* لكل كلام يا بين جواب

ولم يكن يراها حتى صارت شابة، فأخذ ينظم القصائد فيها حتى اشتهر أمره. وأنفق مرة أن توبة بن الحمير صاحب ليلي مرّ ببنى عذرة فرأته بثينة فجعلت تنظر إليه وجميل حاضر فنارت الغيرة في قلب جميل، فقال لتوبة: من أنت؟ قال: أنا توبة بن الحمير، قال: هل لك في الصراع؟ قال: ذلك إليك؛ فأعطته بثينة ملاءة حمراء فأتررها، ثم صارعه فصرعه جميل. ثم قال: هل لك في النضال؟ قال: نعم، فناضله فضله جميل. ثم قال: هل لك في السباق؟ قال: نعم. فسابقه فسبقه جميل. فقال له توبة: يا هذا، إنما تفعل ذلك بريح الجلالة، ولكن اهبط بنا الوادي، فهبط، فصرعه توبة ونضله وسبقه.

وكان عند بثينة مثل ما عند جميل، ولما رأت مناقضته عنها زادت شغفا به، ولكنهما لم يكونا يجتمعان إلا خلسة على موعد. ولم يكن جميل يخلو من الرقباء، لكنهم لم يستطيعوا رميه بريية. وأخباره معها كثيرة لا يسمعها هذا المقام. ولم يزل يجتمع بها سرا عن أهلها، فألحوا بالشكوى منه إلى العامل، ففقر إلى اليمن حتى عزل العامل. وانخج أهل بثينة الشام، فرحل جميل إليهم، فترصدوه وشكوه إلى عشيرته، فغنفه أهله وهددوه، فانقطع عنها، وأخيرا لجأ إلى مصر، وعاملها عبد العزيز بن مروان، فأحسن وفادته، ومرض هناك ومات. وكان طويل القامة عريض بين المنكبين جميل الخلقة حسن البرة، توفي سنة ٨٢ هـ.

ولجميل ديوان شعر كبير كان مشهورا في أيام ابن خلكان ولم تقف على خبره، ولكن منه أشعارا مجموعة في كتاب منه نسخة خطية في مكتبة برلين.

أنظر الكلام على جميل في الأغاني ج ٧ ص ٧٧ وج ١ ص ٨٠ وابن خلكان ج ١ ص ١١٥ وخرزانة الأدب ج ١ ص ١٩١ والشعر والشعراء ص ٢٦٠.

عليها بزة حسنة، فقال عبد الرحمن بن حسان لعبد الرحمن بن أزهري: يا أبا حنبرة، هذا جميل فادعه لعله يُنشدنا؛ فصاح به عبد الرحمن: هيا جميل؛ فالتفت فقال: من هذا؟ فقال: أنا عبد الرحمن بن أزهري؛ فقال: قد علمت أنه لا يجترئ على إلا مثلك، فأناه، فقال له: أنشدنا؛ فأنشدهم:

ونحن مَنَعْنَا يَوْمَ أَوَّلِ نِسَاءَنَا \* وَيَوْمَ أَقْبَى وَالْأَسِنَّةَ تَرَعَفُ<sup>(١)</sup>  
يُحِبُّ الْغَوَانِي الْبَيْضَ ظِلَّ لَوَائِنَا \* إِذَا مَا أَنَا الصَّارِخُ الْمَتَلَهِّفُ  
كَمْ قَدْ أَفَانَا وَالْمَفَاخِرُ يُنْصَفُ<sup>(٢)</sup> \* فَإِنْ نَحْنُ أَوْمَانَا إِلَى النَّاسِ وَقَفُوا  
وَكُنَّا إِذَا مَا مَعَشَرٌ نَصَبُوا لَنَا \* وَمَرَّتْ جَوَارِي طَيْرِهِمْ وَتَعَيَّفُوا<sup>(٣)</sup>  
وَضَعْنَا لَهُمْ صَاعَ الْقِصَاصِ رَهِينَةً \* بِمَا سَوْفَ نُوفِيهَا إِذَا النَّاسُ طَفَفُوا<sup>(٤)</sup>  
إِذَا اسْتَبَقَ الْأَقْوَامُ مَجْدًا وَجَدْتَنَا \* لَنَا مَعْرَفًا مَجِيدًا لِلنَّاسِ مَعْرَفُ

ثم قال له: أنشدنا هزجًا؛ قال: وما الهزج؟ لعله القصير! قال: نعم، فأنشده:

رَسْمٌ دَارٍ وَقَفْتُ فِي طَلَلِهِ \* كِدْتُ أَقْضِي الْحَيَاةَ مِنْ جَلَلِهِ<sup>(٥)</sup>  
مُوحِشًا مَا تَرَى بِهِ أَحَدًا \* تَنْسُجُ الرِّيحُ تَرَبَّ مَعْتَدِلِهِ  
وَصَرِيحًا بَيْنَ الثَّمَامِ تَرَقَّى \* عَازَفَاتُ الْمَدَبِّ فِي أَسَلِهِ  
بَيْنَ عُلْيَاءِ رَائِثِ فُبْلَى \* فَالْغَمِيمِ الَّذِي إِلَى جَبَلِهِ  
وَاقْفًا فِي دِيَارِ أُمِّ جُسَيْرٍ \* مِنْ صُحْحَى يَوْمِهِ إِلَى أَصْلِهِ<sup>(٦)</sup>  
يَا خَلِيلِي إِنِّ أُمُّ جُسَيْرٍ \* حِينَ يَدُنُو الضَّجِيعِ مِنْ غَلَلِهِ<sup>(٧)</sup>  
رَوْضَةٌ ذَاتُ حَنُوءٍ وَخُرَامِي \* جَادَ فِيهَا الرَّبِيعُ مِنْ سَبَلِهِ<sup>(٨)</sup>  
بَيْنَمَا نَحْنُ بِالْأَرَاكِ مَعًا \* إِذْ بَدَأَ رَاكِبٌ عَلَى جَمَلِهِ

(١) ترعف: تقطر دما . (٢) تعيفوا: من العيافة، وهي زجر الطير والاعتبار بأسمائها ومسافطها  
وأصواتها، فيتسعد أو يتشاءم . (٣) التطفف: نقص الكيل . (٤) من أجله .  
(٥) الغلال: جمع غلة، وهي ما يتوارى فيه أو شعار تحت الثوب . (٦) السبل: المطر .

فَنَاطَرْتُ ثُمَّ قُلْتُ لَهَا \* أَكْرَمِيهِ حُبِّي فِي نُزُلِهِ  
 فَظَلَمْنَا بِنِعْمَةٍ وَأَتَكْنَا \* وَشَرِبْنَا الْحَلَالَ مِنْ قُلَلِهِ  
 قَدْ أَصَوْنُ الْحَدِيثَ دُونَ أَخِي \* لَا أَخَافُ الْأَذَاةَ مِنْ قَبْلِهِ  
 غَيْرَ بَغْضٍ لَهُ وَلَا مَلَقٍ \* غَيْرَ أَنِّي أَشْتَتُ مِنْ وَجَلِهِ<sup>(٢)</sup>  
 وَخَلِيلٍ صَافِيَةٌ مَرْضِيًّا \* وَخَلِيلٍ فَارَقْتُ مِنْ مَلَلِهِ

ثم اقتاد راحلته موليا؛ فقال ابن الأزهري: هذا أشعر أهل الإسلام؛ فقال ابن حسان:  
 نعم والله وأشعر أهل الجاهلية، والله ما لأحد منهم مثل هجائه ولا نسيبه؛ فقال عبد الرحمن  
 ابن الأزهري: صدقت.

قال محمد بن سلام: كان لكثير في النسب حظا وافر، وجميل مقدم عليه وعلى  
 أصحاب النسب في النسب، وكان جميل صادق الصباغة والعشق، ولم يكن كثير بعاشق  
 ولكنه كان يتقوّل، وكان الناس يستحسنون بيت كثير في النسب، وهو:  
 أُرِيدُ لِأَنِّي ذَكَرْتُهَا فَكَيْفَ نَمَّا \* تَمَثَّلُ لِي لَيْلَى بِكُلِّ سَبِيلٍ  
 وَرَأَيْتُ مِنْ يَفْضَلٍ عَلَيْهِ بَيْتَ جَمِيلٍ:

« خَلِيلِي فَمَا عَشْتُمَا هَلْ رَأَيْتُمَا \* قَتِيلًا بَكَى مِنْ حُبِّ قَاتِلِهِ قَبْلِي

قيل إن بثينة واعدت جميلا أن يلتقيا في بعض المواضع، فأتى لوعدها، وجاء أعرابي  
 يستضيف القوم، فأنزلوه وقرّوه، فقال لهم: قد رأيت في بطن هذا الوادي ثلاثة نفر متفرقين  
 متوارين في الشجر وأنا خائف عليكم أن يسلبوا بعض إبلكم، فعرفوا أنه جميل وصاحبه،  
 فخرسوا بثينة ومنعوها من الوفاء بوعده، فلما أسفر له الصبح انصرف كئيبا سيئ الظن بها  
 ورجع إلى أهلها؛ فجعل نساء الحى يقرّعن بذلك ويقلن له: إنما حصلت منها على الباطل  
 والكذب والغدر، وغيرها أولى بوصولك منها، كما أن غيرك يحظى بها؛ فقال في ذلك:

(١) ناطرت: ملت. (٢) أشاح: حذروخاف.

فأجبتها بالقول بعد تسرُّ \* حَيِّ بَيْئَةَ عَنْ وِصَالِكَ شَاغِلِي  
 أَبْتَيْنَ إِنَّكَ قَدْ مَلَكَتِ فَأَسْجِحِي <sup>(١)</sup> \* وَخُذِي بِحِطِّكَ مِنْ كَرِيمٍ وَاصِلِ  
 فَلَرَبِّ عَارِضَةٍ عَلَيْنَا وَصَلَّهَا \* بِالْحِدِّ تَحْلِطُهُ بِقَبُولِ الْهَازِلِ  
 لَوْ كَانَ فِي صَدْرِي كَقَدْرِ قَلَامِي \* فَضَلًّا وَصَلُّكَ أَوْ أَنْتِكَ رِسَائِلِي  
 وَيَقُلْنَ إِنَّكَ قَدْ رَضَيْتَ بِيَاطِلِي \* مِنْهَا فَهَلْ لَكَ فِي اجْتِنَابِ الْبَاطِلِ  
 لِيُزِلَّنَّ عَنْكَ هَوَايَ ثُمَّ يَصِلَنِّي \* وَإِذَا هَوَيْتُ فَمَا هَوَايَ بَزَائِلِ  
 صَادَتْ فَوَادِي يَا بَشِينَ جِبَالِكُمْ \* يَوْمَ الْمَجْمُونِ وَأَخْطَأْتِكَ حَبَائِلِي  
 مَنِّيَنِّي فَلَوَيْتُ مَا مَنِّيَنِّي \* وَجَعَلْتِ عَاجِلَ مَا وَعَدْتِ كَآجِلِ  
 وَتَنَاقَلْتُ لَمَّا رَأَتْ كَلْفِي بِهَا \* أَحْبَبْتُ إِلَى بَذَاكَ مِنْ مَتَنَاقَلِ  
 وَأَطَعْتِ فِي عَوَازِلًا فَهَجَرْتِنِي \* وَعَصَيْتُ فَيْكَ وَقَدْ جَهَدَنْ عَوَازِلِي  
 حَاوَلْتِنِي لِأَبُتَّ حَبْلَ وَصَالِكُمْ \* مَتَى وَلَسْتُ وَإِنْ جَهَدَنْ بَفَاعِلِ  
 فَرَدَدْتُهُنَّ وَقَدْ سَعَيْنَ بِهَجْرِكُمْ \* لَمَّا سَعِينَ لَهُ بِأَفُوقَ نَاصِلِ <sup>(٢)</sup>  
 يَعْضَضُنَّ مِنْ غِيْظٍ عَلَى أَنَامِلَا \* وَوَدِدْتُ لَوْ يَعْضَضُنَّ صُمَّ جَنَادِلِ  
 وَيَقُلْنَ إِنَّكَ يَا بَشِينَ بِخَيْلَةٍ \* نَفْسِي فِدَاؤُكَ مِنْ ضَمِينِ بَاخِلِ

وقال جميل في وعد بئينة بالتلاقق وتأخرها قصيداً أولها :

يا صاح عن بعض الملامة أقصِر \* إن المتى للقاء أم المسور

ومنها :

وَأَنَّ طَارِقَهَا عَلَى عِلَلِ الْكَرَى \* وَالنَّجْمُ وَهَنَا قَدْ دَنَا لَتَغَوُّرِ

يَسْتَأْفِ رِيحَ مَدَامَةٍ مَعْجُونَةٍ \* بِذِكِّي مَسِيكَ أَوْ سَحِيْقِ الْعَنْبَرِ <sup>(٣)</sup>

(١) أسجحي : أحسن العفو . (٢) الأفوق : السهم الذي كسرفوقه ، وهو مشق رأس السهم حيث

يقع الوتر . وناصل : لا نصل فيه . (٣) يستاف : يشم .

ومنها :

إني لأحفظُ غيبكم ويسرني \* اذ تذكرين بصالح أن تذكرى  
ويكون يومٌ لا أرى لكِ مُرسلاً \* أو نلتقى فيه على كاشهر  
يا ليتنى ألقى المنية بغتة \* إن كان يومٌ لقائكم لم يُقدر  
أو أستطيع تجلداً عن ذكركم \* فيُفيق بعض صبابي وتفكرى

وفيه يقول :

لو قد تُجنُّ كما أُجنُّ من الهوى \* لعذرت أو لظلمت إن لم تعذر  
والله ما للقلب من علم بها \* غير الظنون وغير قول الخير  
لا تحسبى أنى هجرتك طائعا \* حدث لعمرك رائع أن تهجري  
فلتبكين الباكات وإن أُبح \* يوما بسررك معلنا لم أعذر  
يهواك ما عشت الفؤادُ فإن أمت \* يتبع صدأى صدك بين الأقبر  
إنى اليك بما وعدت لناظر \* نظر الفقير الى الغنى المكثر  
يعد الديون وليس يُجز موعدا \* هذا الغريم لنا وليس بمعسر  
ما أنت والوعد الذى تعدينى \* إلا كبرق سحابة لم تُطر  
قلبي نصحت له فردت نصيحتى \* فمتى هجرتيه فنه تكثرى

وقال فى إخلافها إياه هذا الموعد :

ألا ليت ريعان الشبابِ جديد \* ودهراً تولى يا بئين يعود  
فنتنى كما كما نكون وأنتم \* قريباً واذ ما تبدلن زهيد  
وما أنس ملاءشياء لا أنس قولها \* وقد قربت نضوى أمصر تريد  
ولا قولها لولا العيون التى ترى \* أتيتك فاعذرنى فدتك جدود  
خليلى ما أخفى من الوجد ظاهر \* ودعى بما قلت الغداة شهيد

(١) النضو : المهزول من الابل وغيرها .

أَلَا قَدْ أَرَىٰ وَاللَّهِ أَنَّ رَبَّ عِبْرَةٍ \* إذا الدار شَطَّتْ بَيْنَنَا سَتْرِيَد  
 إِذَا قُلْتُ مَا بِي يَا بَشِيئَةَ قَاتِلِي \* من الحُبِّ قَالَتْ ثَابِتٌ وَيَزِيدُ  
 وَإِنْ قُلْتُ رُدِّي بَعْضَ عَقْلِي أَعِشْ بِهِ \* مع النَّاسِ قَالَتْ ذَلِكَ مِنْكَ بَعِيدُ  
 فَلَا أَنَا مُرْدُودٌ بِمَا جِئْتُ طَالِبًا \* وَلَا حُبُّهَا فِيهَا يَدٌ يَدٌ  
 جَزَيْتُكَ الْجَوَازِي يَا بَشِيئَةَ مَلَامَةٍ \* إِذَا مَا خَلِيلٌ بَانَ وَهُوَ حَمِيدُ  
 وَقُلْتُ لَهَا بَيْنِي وَبَيْنِكَ فَاعْلَمِي \* من اللَّهِ مِيثَاقٌ لَهُ وَعَهْدُودُ  
 وَقَدْ كَانَ حُبِّيكَ طَرِيفًا وَتَالِدًا \* وَمَا الْحُبُّ إِلَّا طَارِفٌ وَتَلِيدُ  
 وَإِنْ عَرَوْضُ الْوَصْلِ بَيْنِي وَبَيْنَهَا \* وَإِنْ سَهَلَتْهُ بِالْمَنَى لَصَعُودُ  
 فَأَقْنَيْتُ عَيْشِي بِاتْتِظَارِي نَوَاهَا \* وَأَبْلَيْتُ ذَلِكَ الدَّهْرَ وَهُوَ جَدِيدُ  
 فَلَيْتَ وُشَاةَ النَّاسِ بَيْنِي وَبَيْنَهَا \* يَدُوفٌ لَمْ سُمَّا طَطَّاطٌ سُودُ<sup>(٢)</sup>  
 وَلَيْتَ لَمْ فِي كُلِّ مُنْمَسَى وَشَارِقٍ \* تَضَاعَفُ أَكْبَالٌ لَمْ وَقِيُودُ  
 وَيَجْسِبُ نِسْوَانٌ مِنَ الْجَهْلِ أَنِي \* إِذَا جِئْتُ إِيَّاهُنَّ كُنْتُ أُرِيدُ  
 فَأَقْسِمُ طَرْفِي بَيْنَهُنَّ فَيَسْتَوِي \* وَفِي الصَّدْرِ بَوْتُ بَيْنَهُنَّ بَعِيدُ  
 أَلَا لَيْتَ شَعْرِي هَلْ أَبَيْتَنَ لَيْلَةً \* بُوَادِي الْقُرَىٰ إِنِّي إِذَا لَسَعِيدُ  
 وَهَلْ أَهْبَطَنَ أَرْضًا تَظَلُّ رِيَا حُهَا \* لَهَا بِالثَنَائِي الْقَاوِيَاتُ وَئِيدُ<sup>(٣)</sup>  
 وَهَلْ أَلْقَيْنَ سَعْدِي مِنَ الدَّهْرِ مَرَّةً \* وَمَا رَثٌ مِنْ حَبْلِ الصَّفَاءِ جَدِيدُ  
 وَقَدْ تَلْتَقَى الْأَهْوَاءُ مِنْ بَعْدِ يَأْسَةٍ \* وَقَدْ تَطَلَّبَ الْحَاجَاتُ وَهِيَ بَعِيدُ  
 وَهَلْ أَزْجُرُنَّ حَرْفًا عِلَاةً شِمْلَةً \* بِحَرْقِ ثُبَارِيهَا سَوَاهِمُ قُودُ<sup>(٥)</sup>  
 عَلَى ظَهْرِ مَرْهُوبٍ كَأَنَّ نَشُوزَهُ \* إِذَا جَازَ هُلَاكُ الطَّرِيقِ رُقُودُ

(١) العروض : الطريق في عرض الجبل في مضيق ، يريد الطريق الى وصلها . (٢) يدوف : يحلظ . وطاطم : جمع طمطم وهو من في لسانه عجمة ، وأراد بالطاطم هنا : الموالي . (٣) القارويات : الخاليات . (٤) الوئيد : الصوت العالي الشديد . (٥) الحرف : الناقة الضامرة الصلبة . والعلادة : المشرفة الصلبة . والشملة : السريعة . والحرق : الأرض الواسعة . والساهمة : الناقة الضامرة .

سَبْتَنِي بَعْنِي جُودِرٍ وَسَطَ رَبِّبِ \* وصدِرِ كِفَانُورِ اللَّجِينِ وَجِيدِ (١)  
 تَرِيفٌ كَمَا زَاغَتْ إِلَى سَلِفَاتِهَا \* مُبَاهِيَةً طَيًّا الْوِشَاحِ مِيُودِ (٢)  
 إِذَا جِئْتُهَا يَوْمًا مِنَ الدَّهْرِ زَائِرًا \* تَعَرَّضَ مَنْقُوضُ الْيَدَيْنِ صَدُودِ  
 يَصْدُ وَيُعْضِي عَنْ هَوَايَ وَيَجْتَنِي \* ذُنُوبًا عَلَيْهَا إِنَّهُ لَعُنُودِ  
 فَأَضْرِمُهَا خَوْفًا كَأَنِّي مُجَانِبٌ \* وَيَعْفُلُ عَنَّا مَرَّةً فَنَعُودِ  
 فَمَنْ يُعْطَى فِي الدُّنْيَا قَرِينًا كَمَثَلِهَا \* فَذَلِكَ فِي عَيْشِ الْحَيَاةِ رَشِيدِ  
 يَمُوتُ الْهَوَى مَنَى إِذَا مَا لَقِيَتْهَا \* وَيَمِيَا إِذَا فَارَقَتْهَا فَيَعُودِ  
 يَقُولُونَ جَاهِدْ يَا جَمِيلُ بَغْزُودِ \* وَأَيَّ جِهَادٍ غَيْرَهُنَّ أُرِيدِ  
 لِكُلِّ حَدِيثٍ بَيْنَهُنَّ بَشَاشَةٌ \* وَكُلِّ قَتِيلٍ بَيْنَهُنَّ شَهِيدِ  
 وَمَنْ كَانَ فِي حَيِّ بَثِينَةٍ يَمْتَرِي \* فَبِرَفَاءِ ذِي ضَالٍ عَلَى شَهِيدِ  
 أَلَمْ تَعْلَمِي يَا أُمَّ ذِي الْوَدْعِ أَنِّي \* أَضَاحِكُ ذِكْرًا كَمِ وَأَنْتِ صَالُودِ (٣)

بعثت أمة لبثينة إلى أبيها وأخيها وقالت لهما: إن جميلا عندها الليلة، فأتياها مشتملين على سيفين، فرأياه جالسا منها حجرة يحدّثها ويشكو لها بئنه، ثم قال لها: يا بئينة، أرايت ودي إياك وشغفي بك ألا تجزيينيه؟ قالت: بماذا؟ قال: بما يكون من المتحايين، فقالت له: يا جميل، أهذا تبغي! والله لقد كنت عندي بعيداً منه، ولئن عاودت تعريضا برية لا رأيت وجهي أبدا! فضحك وقال: والله ما قلت لك هذا إلا لأعلم ما عندك فيه، ولو علمت أنك تجيبيني لعلمت أنك تجيبين غيري، ولو رأيت منك مساعدة لضربتك بسيفي هذا ما استمسك في يدي، ولو أطاعتني نفسي لهجرتك هجرة الأبد، أو ما سمعت قولي:

وَإِنِّي لِأَرْضِي مِنْ بَثِينَةَ بِالذِي \* لَوْ أَبْصَرَهُ الْوَاشِي لَقَسَّرَتْ بِلَالِهِ  
 بَلَا وَبَالَا أَسْتَطِيعَ وَبِالْمَنَى \* وَبِالْأَمَلِ الْمَرْجُوقِ قَدْ حَابَ أَمَلُهُ  
 وَبِالنَّظَرَةِ الْعَجَلَى وَبِالْحَوْلِ يَنْقِضِي \* أَوْانْحَرُهُ لَا نَلْتَقِي وَأَوَائِلُهُ

(١) الفانور: الخوان من رخام أوفضة أو ذهب. (٢) في البيت إقواء، وهو اختلاف حركة الروي

بالرفع والكسر. (٣) زاف: يتجزأ. (٤) أي ناحة.

فقال أبوها لأخيها : قم بنا، فما ينبغي لنا بعد اليوم أن نمنع هذا الرجل من لقاءها،  
فانصرفا وتركاهما .

ومن قول جميل :

إنَّ المنازلَ هَيَّجَتْ أَطْرَابِي \* وَأَسْتَعْجَمَتْ آيَاتُهَا بِجَوَابِي  
قَفَرًا تَلُوحُ بِذِي الْجَلِينِ كَأَنَّهَا \* أَنْضَاءُ رَسِيمٍ أَوْ سَطُورُ كِتَابِ  
لَمَّا وَقَفْتُ بِهَا الْقُلُوصَ تَبَادَرْتُ \* مِنْهُ الدَّمُوعُ لِفُرْقَةِ الْأَحْبَابِ  
وَذَكَرْتُ عَصْرًا يَا بَشِينَةَ شَاقِنِي \* وَذَكَرْتُ أَيَّامِي وَشَرَحَ شَبَابِي

لما نذر أهل بئينة دم جميل وأهدره لهم السلطان ضاقت الدنيا بجميل ، فكان يصعد  
بالليل على قوز رمل يتنسم الريح من نحو حى<sup>(١)</sup> بئينة ويقول :

أَيَا رِيحِ الشَّمَالِ أَمَا تَرَيْنِي \* أَهْمٌ وَأَنْتِي بِأَدَى النُّحُولِ  
هَيَّ لِي نَسْمَةً مِنْ رِيحِ بَنِي \* وَمُنَى بِالْهُبُوبِ إِلَى جَمِيلِ  
وَقُولِي يَا بَشِينَةَ حَسْبُ نَفْسِي \* قَلِيلُكَ أَوْ أَقْلُ مِنْ الْقَلِيلِ

ومن قوله :

يَقِيكَ جَمِيلٌ كُلُّ سَوْءٍ أَمَا لَهُ \* لَدَيْكَ حَدِيثٌ أَوْ أَلَيْكَ رَسُولُ  
وَقَدْ قُلْتُ فِي حَيِّ لَكُمْ وَصَبَابِي \* مَحَاسِنَ شَعْرٍ ذَكَرْهُنَّ يَطُولُ  
فَإِنْ لَمْ يَكُنْ قَوْلِي رِضَاكَ فَعَلَمِي \* هُبُوبَ الصَّبَا يَابِتُنْ كَيْفَ أَقُولُ  
فَمَا غَابَ عَنِّ خَيَالُكَ لِحِظَةً \* وَلَا زَالَ عَنْهَا وَانْخِيَالُ يَزُولُ

ومنه :

خَلِيلِي عُوَجَا الْيَوْمَ حَتَّى تُسَلِّمًا \* عَلَى عَذْبَةِ الْأَنْيَابِ طَيِّبَةِ النَّشْرِ  
أَلِمَّا بِهَا ثُمَّ اشْفَعَا لِي وَسَلِّمًا \* عَلَيْهَا سَقَّهَا اللَّهُ مِنْ سَائِعِ الْقَطْرِ

(١) القوز: المستدير من الرمل ، وقال الأزهري : إنه الكتيب المشرف :

إذا ما دنت زدت اشتياقا وان نأت \* جَزَعْتُ لِنَأَى الدارِ مِنْهَا وَلِلْبَعْدِ  
أبى القلب إلا حبّ بثنة لم يرد \* سواها وحبّ القلب بثنة لا يجدى

وفيها يقول :

سلى الركب هل نَجْنَا لَمَغْنَاكَ مَرَّةً \* صُدُورَ المَطَايَا وَهِيَ مُوقِرَةٌ تَحْدِي (١)  
وهل فاضت العينُ الشُّرُوقُ بِمَاءِهَا \* مِنْ أَجْلِكَ حَتَّى أَخْضَلَّ مِنْ دَمْعِهَا بُرْدِي  
وإني لأستجري لك الطيرَ جاهداً \* لِتَجْرِي بَيْنِي مِنْ لِقَائِكَ أَوْ سَعِدِ  
وإني لأستبكي إذا الركبُ غَرَّدُوا \* بِذِكْرِكَ أَنْ يَحْيَا بِكَ الركبُ إِذْ يَحْدِي  
قهل تجزييني أم عمرو بوّدها \* فَانَ الذى أَخْفَى بِهَا فَوْقَ مَا أُبْدِي  
وكلّ محبّ لم يزد فوق عهده \* وَقَدْ زِدْتَهَا فِي الحَبِّ مَنِي عَلَى العَهْدِ

ومن قوله فيها :

لها في سواد القلب حبٌّ ومنعَةٌ \* هِيَ المَوْتُ أَوْ كَادَتْ عَلَى المَوْتِ تُشْرِفُ  
وما ذكركِ النفسُ يا بَشْرُ مَرَّةً \* مِنْ الدَّهْرِ إِلا كَادَتْ النَفْسُ تَتَلَفُ  
وإلا اعترتني زفرةٌ واستكانةٌ \* وَجَادَ لَهَا سَجَلٌ مِنَ العَيْنِ يَذْرِفُ  
وما استطرفت نفسي حديثاً حلَّةً \* أُسْرِبُهُ إِلا حَدِيثُكَ أَطْرَفُ

وأول هذه القصيدة :

أمن منزلي قفرٍ تعفت رسومه \* شَمَّالٌ تُفَادِيهِ وَنَجَاءٌ حَرْجَفُ (٢)  
فأصبح قفراً بعد ما كان أهلاً \* وَجَمَلُ المَنَى تَشْتَوِيهِ وَتُصَيِّفُ  
ظلمتُ ومستنٌّ من الدمع هاملٌ \* مِنَ العَيْنِ لَمَّا عَجَّتْ بِالدَّارِ يَتَرَفُ  
أمنصفتي جمل فعدل بيننا \* إِذَا حَكَمْتَ وَالحَاكِمُ العَدْلُ يُنْصَفُ  
تعلقتها والجسم مني مصححٌ \* فَمَا زَالَ يَنْمِي حَبُّ جَمَلٍ وَأَضْعَفُ

(١) موقرة : محملة الورك وهو الحمل . وخذى البعير يخذى : أسرع وزج بقوامه .

(٢) الحرجف : الريح الباردة الشديدة الطوب .

الى اليوم حتى سُئِلَ جسمي وشَفَنِي \* وَأُنْكِرْتُ من نفسي الذي كُنْتُ أَعْرِفُ  
 قَنَاءَةً من المِزَانِ ما فوق حَقْوِهَا \* <sup>(١)</sup> وما تحته منها نَقًّا يَتَقَصَّفُ <sup>(٢)</sup>  
 لها مُقَلَّتَا رِيمٍ وَجِيدٌ جَدَايَةٌ \* وَكَشَحٌ كَطِيٍّ السَّابِرِيَّةِ أَهِيْفُ <sup>(٣)</sup>  
 وَلَسْتُ بِنَاسِ أَهْلِهَا حِينَ أَقْبَلُوا \* وَجَالُوا عَلَيْنَا بِالسِّيُوفِ وَطَوَّفُوا  
 وَقَالُوا بِجَمِيلٍ بَاتٍ فِي الْحَيِّ عِنْدَهَا \* وَقَدْ جَرَّدُوا أَسْيَافَهُمْ ثُمَّ وَقَفُوا  
 وَفِي الْبَيْتِ لَيْثُ الْغَابِ لَوْلَا مَخَافَةٌ \* عَلَى نَفْسِ جَمِيلٍ وَالْإِلَهِ لِأَرْعَفُوا  
 هَمَمْتُ وَقَدْ كَادَتْ مَرَارًا تَطْلَعُ \* إِلَى حَرْبِهِمْ نَفْسِي وَفِي الْكَفِّ مُرْهَفُ  
 وَمَا سَرَّنِي غَيْرُ الَّذِي كَانَ مِنْهُمْ \* وَمَنِي وَقَدْ جَاءُوا إِلَيَّ وَأَوْجَفُوا  
 فَكَمْ مُرْتَجِحٍ أَمْرًا أُتِيحُ لَهُ الرَّدَى \* وَمَنْ خَائِفٌ لَمْ يَنْقِصْهُ التَّخَوُّفُ  
 ومنها :

أَنْ هَتَفْتُ وَرَقَاءُ ظَلَّتْ سَفَاهَةً \* تُبَكِّي عَلَى جَمِيلٍ لورِقَاءٍ تَهْتِفُ  
 فَلَوْ كَانَ لِي بِالصَّرْمِ يَصَاحُ طَاقَةٌ \* صَرَمْتُ وَلَكِنِّي عَنِ الصَّرْمِ أضعُفُ

قيل : إن مروان طلب الى جميل أن ينزل فيرجز به ، وهو يريد أن يمدحه ، فنزل

جميل فقال :

أنا جميلٌ في السَّنَامِ الأَعْظَمِ \* الفَارِجِ النَّاسِ الأَعَزِّ الأَكْرَمِ  
 أَحْمِي ذِمَّارِي وَوَجِدْتُ أَقْرَمِي \* <sup>(٥)</sup> كَانُوا عَلَى غَارِبِ طَوْدِ خِضْرَمِ <sup>(٦)</sup>  
 \* أَعْيَا عَلَى النَّاسِ فَلَمْ يَهْتَمِ \*

فقال : عدَّ عن هذا ؛ فقال جميل :

لَهْفًا عَلَى الْبَيْتِ المَعْدِي لَهْفًا \* مِنْ بَعْدِ مَا كَانَ قَدْ اسْتَكْفَا  
 وَلَوْ دَعَا اللَّهَ وَمَدَّ الكِفَا \* لَرَجَعْتَ مِنْهُ الْبِلَادُ رَجْفًا

(١) الحقو : الخصر . (٢) يتقصف : يتهيل ويتقطع بعضه عن بعض . (٣) الجداية :

الغزالة . والسابري : ثوب من أجود الثياب منسوب الى سابور على غير قياس . (٤) يرجزه : يشده

أرجوزة . (٥) أقرم : جمع قرم (بالفتح) وهو السيد العظيم . (٦) خضرم : عظيم .

وطلب ذلك إليه الوليد فقال :

أنا جميل في السنام من معدد \* في الذروة العلياء والركن الأشد  
والبيت من سعد بن زيد والعدد \* ما يتغنى الأعداء مني ، ولقد  
أضري بالشتم لساني ومرد \* أقود من شئت وصعب لم أقد

فقال له الوليد : اركب لاحملك الله ! وما مدح جميل أحدا قط .

ومن قول جميل في مَراجرة جَواس بن قُطبة ، وكان ذلك بوادي القرى :

يا أم عبد الملكِ أصيرميني \* فبيئني صريمي أو صليئني  
أبكي وما يدريك ما يبكي \* أبكي حذار أن تُفارقيني  
وتجعلي أبعَدَ مني دوني \* إن بني عمك أوعدونني  
أن يقطعوا رأسي إذا لقوني \* ويقتلونني ثم لا يدونني<sup>(١)</sup>  
كلا ورب البيت لو لقوني \* شفعا ووترا لتواكلوني<sup>(٢)</sup>  
قد علم الأعداء أن دوني \* ضربا كإزاع المخاض الجون<sup>(٣)</sup>  
ألا أسب القوم إذ سبوني \* بلى وما مرّ على دفين  
وسابحات بلوى الجحون \* قد جربوني ثم جربوني  
حتى إذا شابوا وشيَّبوني \* أخزاهم الله ولا يحزوني  
أشبهه أعيار على معين \* أحسن حس أسيد حرون  
فهن يضرطن من اليقين \* أنا جميل فتعرفوني  
وما تقنعت فتكروني \* وما أعنيكم لتسألوني

(١) يدوني : من الدية وهي ما يعطى لولي القتل من المال بدل النفس . (٢) تواكلوني : تروكوني .

(٣) أوزعت الناقة ببوها : رمت به دفعة دفعة . ومنه الطعمة توزع بالدم أي ترمي به كذلك .

أَتَى إِلَى عَادِيَّةٍ طَحُونٌ \* يَشْقُ عَنْهَا السَّيْلُ ذُو الشُّؤُونِ  
 عَمْرِيْزُفٌ رَجِحُ السِّفِينِ (١) \* ذُو حَدَبٍ إِذَا يَرَى مَجْمُونِ (٢)  
 \* تَحَلَّ أَحْقَادُ الرِّجَالِ دُونِي \* (٣)

ومن قوله يمدح أخواله من جذام :

جُذَامٌ سَيُوفُ اللَّهِ فِي كُلِّ مَوْطِنٍ \* إِذَا أَزِمْتَ يَوْمَ اللِّقَاءِ أَزَامِ  
 هُمُ مَنْعُوا مَا بَيْنَ مِصْرَ فِذَى الْقُرَى \* إِنِّي الشَّامُ مِنْ حِلٍّ بِهِ وَحَرَامِ  
 بَضْرِبٍ يُزِيلُ الْهَامَ عَنْ سَكَاتِهِ \* وَطَعْنٍ كَأِزَاغِ الْخِطَافِ تُوَامِ  
 إِذَا قَصُرَتْ يَوْمًا أَكُفُّ قَبِيلَةٍ \* عَنْ الْمَجْدِ نَالَتْهُ أَكُفُّ جُذَامِ

اجتمع جميل وعمر بن أبي ربيعة بالأبطح، فأنشده جميل قصيدته :

لَقَدْ قَرِحَ الْوَأَشُونَ أَنْ صَرَمْتَ حَبْلِي \* بَثِينَةً أَوْ أَبَدْتَ لَنَا جَانِبَ الْبُخْلِ  
 يَقُولُونَ مَهَلًا يَا جَمِيلَ وَإِنِّي \* لِأَقْسِمُ مَا بِي عَنْ بَثِينَةٍ مِنْ مَهْلٍ  
 أَحَلَمَّا فَقَبَّلَ الْيَوْمَ كَانَ أَوَانُهُ \* أَمْ أَحْسَى فِقْبَلِ الْيَوْمِ أَوْعِدْتُ بِالْقَتْلِ  
 لَقَدْ أَنْكَحُوا حَرْبِي نُبَيْهَا ظَعِينَةً \* لَطِيفَةً طَى الْبَطْنِ ذَاتَ شَوَى جَزْلِ  
 وَكَمْ قَدْ رَأَيْتُنَا سَاعِيًا بَنِيمَةً \* لِأَخْرَمَ يَعْمِدُ بِكُفِّ وَلَا رَجَلِ  
 إِذَا مَا تَرَا جَعْنَا الَّذِي كَانَ بَيْنَنَا \* جَرَى الدَّمْعُ مِنْ عَيْنِي بَثِينَةً بِالْكُحْلِ  
 كَلَانَا بَكِي أَوْ كَادَ بَيْنِي صَبَابَةٌ \* إِلَى الْإِلْفِهِ وَأَسْتَعْجَلْتُ عِبْرَةَ قَبْلِي  
 فَلَوْ تَرَكْتُ عَقْلِي مَعِيَ مَا طَلَبْتُهَا \* وَلَكِنْ طَلَابِيهَا لِمَا فَاتَ مِنْ عَقْلِي  
 فَيَا وَيْحَ نَفْسِي حَسْبَ نَفْسِي الَّذِي بَهَا \* وَيَا وَيْحَ أَهْلِي مَا أُصِيبَ بِهِ أَهْلِي  
 وَقَالَتْ لِأَتْرَابٍ لَهَا لَا زَعَانِفَ \* قِصَارِ وَلَا كُؤُوسِ الثَّنَائِيَا وَلَا تُعَلِّ (٥)

(١) يزف : يجعلها تسرع . (٢) ذو حدب : ذو موج . (٣) مجنون : معوج .  
 (٤) أزمت : اشتدت . (٥) الكس مسحكة : قصر الأسنان أو صغرها أو لصوقها بسنوخها .  
 وتعلت سنه ولتته فهي تعلاء : تراكبت أسنانها .

إذا حَمِيتْ شمسُ النهارِ أَتَقِيْتَهَا \* بأَكْسِيَةِ الدِّيْبَاجِ وَالخَزْذَى وَالخَمَلِ  
 تَدَاعَيْنِ فَاسْتَعْجَمْنَ مَشِيًّا بِذِي الغَضَى \* دَيْبِ القَطَا الكُدْرَى فِي الدَّمْتِ السَهْلِ  
 إِذَا آرْتَعْنَ أَوْ فُزَعْنَ فَمَنْ حَوَاهَا \* قِيَامَ بِنَاتِ المَاءِ فِي جَانِبِ الضَّحْلِ<sup>(٢)</sup>  
 أَجِدُّكَ لَا أَلْفَى بُثَيْنَةَ مَرَّةً \* مِنَ الدَّهْرِ إِلَّا خَائِفًا أَوْ عَلَى رِجْلِ  
 خَلِيلِي فِيمَا عَشْتُمَا هَلْ رَأَيْتَا \* قَتِيلًا بَكَى مِنْ حَبِّ قَاتِلِهِ قَبْلِي  
 أَيْدَتْ مَعَ المَلَاكِ ضَيْفًا لِأَهْلِهَا \* وَأَهْلِي قَرِيبِ مُوسِعُونَ ذَوُو فَضْلِ  
 أَلَا أَيُّهَا البَيْتُ الَّذِي حِيلَ دُونَهُ \* بِنَا أَنْتَ مِنْ بَيْتِي وَأَهْلِكَ مِنْ أَهْلِي  
 ثَلَاثَةُ أَيْاتٍ فَبَيْتٌ أَحَبُّهُ \* وَبَيْتَانِ لَيْسَا مِنْ هَوَايَ وَلَا شَكْلِي

وقال في هجرة هجرته إياها بثينة :

أَلَمْ تَسْأَلِ الرَّيْعَ القَوَاءَ فَيَنْطِقُ \* وَهَلْ تُخْبِرُنِيكَ اليَوْمَ بِبَدَاءِ سَمَلِقِ<sup>(٤)</sup>  
 وَقَفْتُ بِهَا حَتَّى تَجَلَّتْ عَمَائِي \* وَمَلَّ الوُقُوفِ الأَرْحِيَّ المَنْوَقِ<sup>(٥)</sup>  
 تَعَزَّ وَإِنْ كَانَتْ عَلَيْكَ كَرِيمَةً \* لَعَلَّكَ مِنْ رِقِّ لَبْثَنَةَ تُعَتَّقِ  
 لَعَمْرُكَمُ إِنْ العِبَادَ لَشَائِقِ \* وَبَعْضُ بَعَادِ البَيْنِ وَالتَّأَى أَشُوقِ  
 لَعَلَّكَ مَحْزُونٌ وَمُبْدٍ صَبَابَةً \* وَمُظْهَرٌ شَكْوَى مِنْ أَنَاسٍ تَفَرَّقُوا  
 وَبِيضٌ غَيْرِ يَرَاتِ تُثَنِّي خُصْبُورَهَا \* إِذَا فَمَنْ أَعْجَازُ نِقَالٍ وَأَسُوقِ  
 عَزَائِرٌ لَمْ يَلْقَيْنِ بؤْسَ مَعِيشَةٍ \* يُجِنُّ بَيْنَ النَّاطِرِ المَنْتَوَقِ  
 وَغَلَّغْتُ مِنْ وَجْدِ إِلَيْهِ بَعْدَ مَا \* سَرَيْتُ وَأَحْشَائِي مِنَ الخَوْفِ تَحْفَقُ  
 مَعِيَ صَارِمٌ قَدْ أَخْلَصَ القَيْنُ صَقْلَهُ \* لَهُ حِينَ أُغْشِيهِ الضَّرْمِيَّةَ رَوْنِقِ  
 فَلَوْلَا أَحْتِيَإِي ضِغْنِ ذَرَعًا بَزَائِرِ \* بِهِ مِنْ صَبَابَاتِ إِلَيْهِنِ أَوْلِقِ<sup>(٦)</sup>

(١) نبات الماء : ما يألف الماء من السمك والطير والضفادع (أنظر المضاف والمضاف إليه) .

(٢) الضحل : الماء القليل على الأرض لا عمق له . (٣) الهلاك : الصعاليك . (٤) السملق :

القاع الصفص . (٥) الأرحي : الفجل النجيب نسبة إلى أرحب وهي قبيلة من همدان تسب

إليها النجاب الأرحية . والمتوق : المحسن المزين . (٦) أولق : جنون .

تَسُوكُ بِقَضبانِ الأَرَاكِ مُفَلِّجًا \* يُسَعِّشُ فِيهِ الفَارِسِيُّ المُرُوقَ  
أَبْنَةَ لِلوَصَلِ الذِي كانَ بَيْننا \* نضامثل ما ينضو الخضاب فيخلق  
أبْنَةُ ما تَتَأَيَّنَ إِلا كَأَنِّي \* نَجْمُ الثَرِيّا ما نَأيتِ مُعَلِّقُ

قال الرشيد لإسحاق الموصلي: أنشدني أحسن ما يحب في عتاب محب وهو ظالم  
متعّب، فأنشده قول جميل:

رِدِ المَءِ ما جادَتْ بِصَفْوِ ذَنابِهِ \* ودَعَهُ إِذا خِصَّتْ بِطَرِقِ مِشارِبِهِ<sup>(١)</sup>  
اعتابُ من يَحْمِلُو لَدِي عتابِهِ \* وأَترُكُ من لا أَشْتَهِي وأُجابِهِ  
ومن لَذَّةِ الدنِيا وإن كنتَ ظالماً \* عناقُك مظلوماً وأنتَ تَعابِتِهِ

ومن قوله في زيارة له:

زُوراً بِشِينَةِ فَالحِيبِ مُزُورُ \* إن الزِيارَةَ لِاحِبِّ يَسِيرُ  
إن التَّرَحُّلَ أن تَلْبَسَ أَمْرُنا \* وأَعْتاقنا قَدَرُ أَحْمُ بِكُورِ  
إِنِّي عِشِيَّةٌ رُحْتُ وَهِيَ حَزِينَةٌ \* تَشْكُو إِلى صابِبةٍ لَصَبُورِ  
وَتَقولُ بِنِّ عِندي فديتُكَ ليلَةً \* أَشْكُو إِليكِ فَإِن ذاكَ يَسِيرِ  
عَرَّاءُ مُبَسَّامٌ كانَ حَدِيثُها \* دُرٌّ نَحَّدرُ نَظْمُهُ مَنثورِ  
مَخْطُوطَةُ المَتِينِ مُضمَرَةُ الحَشِيِّ \* رِيا الرِّوادِفِ خَلَقَها مَمْكورِ<sup>(٢)</sup>  
لا أَحْسِنُها حَسَنٌ ولا كَدَلُها \* دَلٌّ ولا كَوفا رَها تَوَقِيرِ  
إِن اللِسانَ بِذِكرِها لَمُوَكَّلٌ \* وَالقَلبُ صادِ وَالخواطِرُ صُورِ  
وإِنَّ جَرِيَّتِ الوَدِّ مَنى مِثْلَهُ \* إِنى بِذِلكِ يا بُشَيْنَ جَدِيرِ

وعذله فيها ابن عمه روق، فقال:

لَقَد لَأَمَنِي فِيها أَحُّ ذو قَرابَةٍ \* حِيبٌ إِليه فِي مَلامتِهِ رُشدى  
وَقالَ أَفِئ حَتى مَتى أَنتَ هائِمٌ \* بِبِئِنَّةِ فِيها قَد تُعِيدُ وَقَد تُبْدى

(١) الطرق: الماء الذى خوضته الابل ويؤت فيه ويعرت.

(٢) مخطوطة المتين: ممدودتها. والمكورة: المطوية الخلق.

فقلتُ له فيها قضي اللهُ ما ترى \* علىَّ وهل فيما قضى اللهُ من ردِّ  
فإن يكُ رُشداً حبَّها أو غوايةً \* فقد جئتُها، ما كان مني على عمْد  
لقد بلَّحَ ميثاقُ من اللهُ بيننا \* وليس لمن لم يوفِّ اللهُ من عهد  
فلا وأبيها الخَيْرُ ما خنتُ عهدَها \* ولا لي علمٌ بالذي فعلتُ بعدى  
وما زادها الواشون إلا كرامةً \* علىَّ وما زالت مودَّتُها عندي  
أفى الناس أمثالي أحبَّ فخالهم \* كحالي أم أحببتُ من بينهم وحدي  
وهل هكذا يلقى المحبون مثل ما \* لقيتُ بها أم لم يجد أحدٌ وجدى

وقال فيها :

خيليتُ عوجا اليومَ حتى تُسَلِّمًا \* على عذبة الأنبياءِ طيبةِ الشَّر  
ألمًا بها ثم أشفعا لي وسَلِّمًا \* عليها سَقاها اللهُ من سائغِ القطر  
وبوحا بذكري عند بثنة وأنظرا \* أترتاح يوماً أم تهشَّ إلى ذكري  
فإن تك لم تقطع قُوى الودِّ بيننا \* ولم تنس ما أسلفتُ في سالفِ الدهر  
فكيف يرى منها اشتياقٌ ولوعةٌ<sup>(١)</sup> \* بيني وغربٌ من مدامعها يجرى  
وإن تك قد حالت عن العهد بعدنا \* وأصغتُ إلى القولِ المؤنبِ والمزرى  
فسوف يرى منها صدودٌ ولم تكن \* - بنفسى - من أهل الخيانة والغدر  
أعودُ بك اللهم أن تشحط النوى \* ببثنة في أدنى حياتي ولا حشري  
وجاور إذا ما متُّ بيني وبينها \* فيا حبداً موتي إذا جاورتُ قبري  
عدمُك من حبٍّ أما منك راحةٌ \* وما بك عنى من تَوانٍ ولا فتر  
ألا أيها الحبُّ المبرحُ هل ترى \* أخوا كلفٍ يُغري بحبِّ كما أُغري  
أجدك لا يبلى وقد بلى الهوى \* ولا ينتهى حبي ببثنة للزجر

(١) هكذا وردت «فكيف» ولعلها فسوف ليستقيم بها السياق .

ومن قوله فيها :

قَفِي نَسَلُ عَنكَ النَّفْسُ بِالْحُطَّةِ الَّتِي \* تُطِيلِينَ تَخْوِيفِي بِهَا وَوَعِيدِي  
فَقَدْ طَلَمَا مِنْ غَيْرِ شَكْوَى قَبِيحَةٍ \* رَضِينَا بِحُكْمِ مَنكَ غَيْرِ سَدِيدِ

ومنه :

بُشَيْنَ سَلِينِي بَعْضَ مَالِي فَإِنَّمَا \* بَيْنُ عِنْدَ الْمَالِ كُلِّ بِخِيلِ  
فَأِنِّي وَتَكَرَّرَ الزِّيَارَةَ نَحْوَكُمْ \* لَبِينُ يَدِي هَجْرٍ بَشِينِ طَوِيلِ  
فِيَالَيْتَ شَعْرِي هَلْ تَقُولِينَ بَعْدَنَا \* إِذَا نَحْنُ أَرْزَعْنَا غَدًا لِرَحِيلِ  
أَلَا لَيْتَ أَيَّامًا مَضِيئِينَ رَوَائِعٌ \* وَلَيْتَ النَّوَى قَدْ سَاعَدْتَ بِجَمِيلِ

ومنه :

أَتَعْجَبُ أَنْ طَرِبْتُ لَصَوْبِ حَادٍ \* حَادًا بَزَلًا لِيَسْرُنَ بِيَطْنِ وَادٍ  
فَلَا تَعْجَبُ فَإِنَّ الْحَبَّ أَمْسَى \* لَبَثْنَةُ فِي السَّوَادِ مِنَ الْغَوَادِ

ومنه :

خَلِيلٌ عَوْجًا بِالْمَحَلَّةِ مِنْ جُمَلِ \* وَأَتْرَاهِمَا بَيْنَ الْأَصْفِيرِ وَالْجَلِ  
تَقِفْ بِمَغَانٍ قَدْ مَحَا رَسْمَهَا الْبِلَى \* تُعَاقِبُهَا الْأَيَّامُ بِالرَّيْحِ وَالْوَبْلِ  
فَلَوْ دَرَجَ النَّمْلُ الصَّغَارُ بِجِلْدِهَا \* لِأَنْدَبِ أَعْلَى جِلْدِهَا مَدْرَجُ النَّمْلِ  
وَأَحْسَنُ خَلَقَ اللَّهُ جِيدًا وَمُقَلَّةً \* تُشَبِّهُ فِي النَّسْوَانِ بِالشَّادِنِ الطِّفْلِ<sup>(١)</sup>

ومن قوله :

أَمِنْكَ سَرَى يَا بَثْنَ طَيْفٌ تَأْوَبَا \* هُدُوا فَهَاجَ الْقَلْبَ شَوْقًا وَأَنْصَبَا  
عَجِبْتُ لَهُ أَنْ زَارَنِي النَّوْمُ مَضْجَعِي \* وَلَوْ زَارَنِي مُسْتَقِظًا كَانَ عَجْبَا

لما قدم جميل من الشام بلغ بثينة خبره ، فرأسته مع بعض نساء الحى تذكر شوقها  
إليه ووجدتها به ، وطلبها للخيالة في لقائه ، وواعدته لموضع يلتقيان فيه ، فسار إليها وحدثها

(١) الطفل : الرخص الناعم من كل شيء .

طويلاً وأخبرها خبره بعدها ، وقد كان أهلها رَصَدوها ، فلما فَقَدوها تَبِعها أبوها وأخوها  
حتى هجما عليهما ، فوثب جميل فانتضى سيفه وشد عليهما ، فأتقياه بالحرب ، وناشدته بشينة  
الله إلا أنصرف ، وقالت له : إن أقمّت فضحتني ، ولعلّ الحىّ يلحقونك ، فأبى وقال :  
أنا مقيم وأمضى أنتِ وليصنعوا ما أحبوا ، فلم تزل تناشده حتى أنصرف وقال في ذلك ،  
وقد هجرته وأتقطع التلاقي بينهما مدّة :

هي البدرُ حسناً والنساءُ كواكبٌ \* وشتان ما بين الكواكب والبدر  
لقد فضّلتُ حسناً على الناس مثل ما \* على ألف شهر فضّلت ليلة القدر

وقال :

لقد خفتُ أن يفتالني الموتُ عنوةً \* وفي النفس حاجاتُ اليك كما هيأ  
وإني لتُثني الحفيضةُ كلّما \* لقيتُك يوماً أن أبُتُّك ما يبأ  
ألم تعلمي يا عدبّة الرّيق أني \* أظّل إذا لم أسق ريقك صاديأ

ورحل الى مصر فأدرّكته بها منيته ، فزعموا أنه قال حين حضرته الوفاة :

صدع النعي وما كنى بجميل \* وثوى بمصر نواء غير فُقول  
واقدر أجر الذيل في وادي القرى \* نسوان بين مزارع ونخيل  
قومي بشينة فاندبى بعويل \* وابكى خليلك دون كل خليل

ولما أنشدت بشينة قول جميل قالت :

وإن سلوى عن جميل لساعة \* من الدهر ما حانت ولا حان حينها  
سواء علينا يا جميل بن معمر \* إذا متّ بأساء الحياة ولينها

وقال :

رحل الخليلُ جمالم بسواد \* وحداً على أثر البخيلة حادى  
ما إن شعرت ولا سمعت بينهم \* حتى سمعت به الغراب ينادى

لَمَّا رَأَيْتُ الْبَيْنَ قُلْتُ لِصَاحِبِي \* صَدَعَتْ مُصَدَّعَةُ الْقُلُوبِ فَوَادِي  
بَانُوا وَغَوْدِرٌ فِي الدِّيَارِ مَتِيمٌ \* كَلَّفَ بَذْكَرِكِ يَا بَيْتِنَةَ صَادِي

وقال أيضا :

خَلِيلٌ هَلْ فِي نَظْرَةِ بَعْدِ تَوْبَةٍ \* أَدَاوِي بِهَا قَلْبِي عَلَى جُفُورٍ  
إِلَى رُجْحِ الْأَكْفَالِ هَيْفَ حُصُورُهَا \* عَذَابِ النَّسَايَا رِيْقُهُنَّ طُهُورٍ  
تَدَكَّرْتُ مَنْ أَصَحَّتْ قُرَى اللَّدْدِ دُونَهُ <sup>(١)</sup> \* وَهَضْبُ لَيْتِيَا وَالْهَضَابُ وَعُورٍ  
فَطَلَّتْ لِعَيْنِكَ الْجُوجَيْنِ عِبْرَةٌ \* يَهِيْجُهَا بَرِحَ الْمَهْوَى قَمُورٍ  
عَلَى أَنْيِّ بِالْبَرْقِ مِنْ نَحْوِ أَرْضِهَا \* إِذَا قَصُرَتْ عَنْهُ الْعَيُونَ بَصِيرٍ  
وَإِنِّي إِذَا مَا الرِّيحُ يَوْمًا تَنَسَّمَتْ \* شَامِيَّةً عَادَ الْعِظَامَ قُتُورٍ  
أَلَا يَا غُرَابَ الْبَيْنِ لَوْ نُكَتُكَ شَاحِبٌ \* وَأَنْتَ بَرَوَاتِ الْفِرَاقِ جَدِيرٍ  
فَإِنْ كَانَ حَقًّا مَا تَقُولُ فَاصْبِحْتَ \* هُمُومُكَ شَتَّى وَالْجَنَاحُ كَسِيرٍ  
وَدُرْتَ بِأَعْدَاءِ حَبِيبِكَ فِيهِمْ \* كَمَا قَدْ تَرَانِي بِالْحَلِيبِ أَدُورٍ  
وَكَيْفَ بِأَعْدَاءِ كَأَنَّ عَيُونَهُمْ \* إِذَا حَانَ إِثْنَانِي بَيْتِنَةَ عُورٍ  
فَإِنِّي وَإِنْ أَصْبَحْتَ بِالْحَبِّ عَالِمًا \* عَلَى مَا بَعَيْنِي مِنْ قَدَى نَحْبِيرٍ

وله أيضا :

فَلَوْ أُرْسَلْتُ يَوْمًا بَيْتِنَةَ تَبْتَعِي \* يَمِينِي وَلَوْ عَزَّتْ عَلَى يَمِينِي  
لَأَعْطَيْتُهَا مَا جَاءَ يَبْتَعِي رَسُولُهَا \* وَقُلْتُ لَهَا بَعْدَ الْبَيْنِ سَلِينِي  
سَلِينِي مَالِي يَا بَيْتِنُ فَإِنَّمَا \* يَمِينِي عِنْدَ الْمَالِ كُلِّ ضَمِينِ  
فَمَا لَكَ لَمَّا خَبَرَ النَّاسُ أَنْي \* أَسَأْتُ بَطْهَرَ الْغَيْبِ لَمْ تَسَلِينِي  
فَأَبْلِي عُدْرًا أَوْ أُجِيءَ بِشَاهِدٍ \* مِنَ النَّاسِ عَدَلٍ أَنَّهُمْ ظَالِمُونِي  
وَلَسْتُ وَإِنْ عَزَّتْ عَلَى بَقَائِلِ \* لَهَا بَعْدَ صَرِيمٍ يَا بَيْتِنَ صَلِينِي

(١) اللد بالضم والتشديد : قرية قرب بيت المقدس من نواحي فلسطين .

وَبَنَيْتُ قَوْمًا فِيكَ قَدْ نَذَرُوا دَمِي \* فليْتَ الرجالَ الموعدينَ لقُونِي  
إذا ما رأوني مُقبِلًا عن جنَابِي \* يقولونَ منَ هذا وقد عرَّفوني

وله أيضا :

تَنَادَى آلُ بَنِيهِ بِالرَّوَّاحِ \* وقد تَرَكَوا فؤَادَكَ غيرَ صَاحِ  
فِيَالِكَ مَنْظَرًا وَمَسِيرَ رَكْبٍ \* تَشْجَانِي حِينَ أَمَعَنَّ فِي الفِيَّاحِ  
وِيَالِكَ خُلَّةً ظَفِرْتُ بِعَقْلِي \* كَمَا ظَفَرَ المَقَامِرُ بِالقِيَّاحِ  
أريدُ صِلَاحَهَا وترِيدُ قَتْلِي \* فَشَتَّى بَيْنَ قَتْلِي وَالصِّلَاحِ  
لَعَمْرُ أَيْبِكَ لَا تَجِيدِينَ عَهْدِي \* كَعَهْدِكَ فِي المِوَدَّةِ وَالسَّمَّاحِ  
ولو أُرْسَلتِ تَسْتَهْدِينَ نَفْسِي \* أَتَاكَ بِهَا رَسُوكِ فِي سَرَاحِ

وله أيضا :

فَإِنْ يَكُ جُحْمَانِي بَارِضٍ سِوَاكُمْ \* فَإِنَّ فؤَادِي عِنْدَكَ الدَّهْرَ أَجْمَعُ  
إِذَا قُلْتَ هَذَا حِينَ أَسْلُو وَأَجْتَرِي \* عَلَى صَرْمِهَا ظَلَّتْ لَهَا النَّفْسُ تَشْفَعُ  
وَإِنْ رُمْتُ نَفْسِي كَيْفَ آتَى لَصْرْمِهَا \* وَرُمْتُ صَدُودًا ظَلَّتْ الْعَيْنُ تَدْمَعُ

وله أيضا :

أَلَمْ تَعْلَمِي يَا عَذْبَةَ المَاءِ أَنِّي \* أَظَلُّ إِذَا لَمْ أُسْقَ مَاءِكَ صَادِيَا  
وَمَا زِلْتِ بِي يَا بَيْتُنْ حَتَّى لَوْ أَنِّي \* مِنَ الوَجْدِ اسْتَبَيْكِي الحِمَامُ بَكِي لِيَا  
وَدِدْتُ عَلَى حُبِّ الحَيَاةِ لَوْ أَنهَا \* يُزَادُ لَهَا فِي عَمْرِهَا مِنْ حَيَاتِيَا

وله أيضا :

وَقُلْتُ لَهَا أَعْتَلَّتْ بِغَيْرِ ذَنْبٍ \* وَشَرُّ النَّاسِ ذُو أَلْعُلِّ البَخِيلُ  
فَقَاتِنِي إِلَى حَكَمٍ مِنْ أَهْلِي \* وَأَهْلِكَ لَا يَحِيفُ وَلَا يَمِيلُ  
فَقَالَتْ أَتَبْتِي حَكَمَا مِنْ أَهْلِي \* وَلَا يَدْرِي بِنَا أَلِوَأَشِي المَحُولُ  
فَوَلَّيْنَا الحُكُومَةَ ذَا سُبُجُوفٍ \* أَخَا دُنْيَا لَهُ طَرْفٌ كَلِيلُ

فقلنا ما قضيت به رَضِينَا \* وأنت بما قضيت به كَفِيل  
 قضاؤك نافذ فأحکم علينا \* بما تهوى ورأيك لا يَفِيل  
 فقلت له قُتِلْتُ بغير جُرم \* وغِبُّ الظلم مرْتَعُه وَيِيل  
 فسَلْ هَذِي متى تَقْضِي دُيُونِي \* وهل يقضيك ذو العَلَلِ المَطُول  
 فقالت إن ذا كَذِبٌ وِبُطْلٌ \* وشَرٌّ من حُصومته طَوِيل  
 أَأَقْتَلُهُ ومالي من سَلاح \* وما بي لو أَقَاتِلُهُ حَوِيل<sup>(١)</sup>  
 ولم أَخْذُ له مالا فَيُلْفِي \* له دَيْنٌ عَلَيَّ كما يَقُول  
 وعند أميرنا حُكْمٌ وَعَدْلٌ \* ورَأَى بعد ذلكمُ أَصِيل  
 فقال أميرنا هاتوا شهودا \* فقلت شهيدنا الملك الجليل  
 فقال يَمِينُهَا وبذاك أَقْضِي \* وكلُّ قضاؤه حَسَنٌ جَمِيل  
 فَبَتُّ حَلْفَةَ مالى لَدِيهَا \* نَقِيرُ أَدْعِيهِ ولا فَيِيل  
 فقلت لها وقد غَلِبَ التَّعْزِي \* أما يَقْضِي لنا يا بَنُّ سُوْلُ  
 فقالت ثم زَجَّتْ حاجِبِيهَا \* أَطَلَّتْ ولسْتَ فى شىء تُطِيل  
 فلا يَجِدَنَّكَ الأعداءُ عِنْدِي \* فَتَشْكَنِي وإِيَّاكَ النَّكُولُ

وله أيضا :

حَلَقْتُ يَمِينًا يا بَثِينَةَ صادقا \* فإن كنتُ فيها كاذبا فَعَمِيْتُ  
 إذا كان جِلْدُ غيرِ جِلْدِكَ مَسْنِي \* وبأشْرَنِي دُونَ الشُّعَارِ شَرِيْتِ<sup>(٢)</sup>  
 ولو أن راقِ الموتِ يَرِيقِي جَنَازَتِي \* بِمَنْطِقِهَا فى الناطقين حَيَّتِ

وقال أيضا :

فقد لَانَ أيامُ الصِّبا ثم لم يَكْدُ \* مِنَ الدهرِ شىءٌ بعدهنَّ يَلِينُ  
 ظعائن ما فى قُرْبِهِنَّ لَذِي هَوَى \* من الناسِ إِلا شِقْوَةٌ وَفَتُونُ

(١) الحويل : القوَّة والحذق والقدرة على التصرف . (٢) يقال : شرى جلده : خرج عليه الشرى ،

وهو شور صغار حمر حكاكة مكرهه تحدث دفعة واحدة غالبا وتشتد ليلا ليجار حار شور فى البدن دفعة .

وواكلته والهَمَّ ثم تركته \* وفي القلب من وجدٍ بهن رهين  
 فواحسرتا إن حيل بيني وبينها \* وياحين نفسي كيف فيك تحين  
 فشيب روعات الفراق مفارق \* وأنشزن نفسي فوق حيث تكون  
 شهدت بأني لم تغير مودتي \* وأنى بكم حتى المات ضنين  
 وأن فؤادي لا يلين الى هوى \* سواك وإن قالوا بلى سيلين  
 وإني لأستغشى وما بي نعمة \* لعل لقاء في المنام يكون  
 ولما علوت الألبتين تسوقت \* قلوب الى وادي القرى وعميون  
 كأن دموع العين يوم تحلت \* بشينة يسقيها الرشاش معين  
 ورحن وقد ودعن عندي لبانه \* لبانة سر في الفؤاد كمين  
 كسر الثرى لم يعلم الناس أنه \* نوى في فرار الأرض وهو دفين  
 فإن دام هذا الصرم منك فإني \* لأغبر هارى الجانين رهين  
 لكجا يقول الناس مات ولم آهن \* عليك ولم تثبت منك قرون

## (ج) الغزل الصناعي

(١)  
كثير

قال أبو الفرج قال محمد بن عبد العزيز: ما قصّد القصيدة ولا نعت الملوكة مثل كثير.  
وقال إبراهيم بن سعد: إني لأروى لكثير ثلاثين قصيدة أو رُقي بها مجنون لأفاق، وكان  
بعض أصحاب الحديث يأتونه، وهو خبيث النفس، فيسألونه عن شعر كثير فتطيب نفسه  
ويحدثهم. وقال عبد الله بن أبي عبيدة: من لم يجمع من شعر كثير ثلاثين لامية فلم يجمع  
شعره. وكان ابن أبي عبيدة يُملي شعره بثلاثين ديناراً. وسئل مصعب: من أشعر الناس؟  
فقال: كثير بن أبي جمعة، وقال: هو أشعر من جرير والفرزدق والراعي وعامتهم، يعني الشعراء.  
ولم يدرك أحد في مدح الملوكة ما أدرك كثير. وقال محمد بن سلام: كان كثير شاعر أهل  
الحجاز، وهو شاعر فحل ولكنّه منقوص حظّه بالعراق. وقال يونس النحوي: كثير أشعر

(١) هو كثير بن عبد الرحمن من خراة، ويعرف بكثير عزة، نسبة إلى عشيقته التي كان يشبب بها. وكان يدخل  
على عبد الملك وينشده، وكان رافضياً شديداً التعصب لآل أبي طالب، وكان عبد الملك يعرف ذلك فيه فلا ينكره،  
فاذا أراد أن يصدقه بشيء حلقه بعل. وكان له صديق اسمه خندق الأسد، شديد التشيع مثله، وبلغ من جرأة خندق  
هذا أنه وقف مرة في الموسم والناس مزدحمون وقال: «أيها الناس، إنكم على غير حق، قد تركتم بيت نبيكم والحق  
لهم وهم الأئمة» فوثب عليه الناس، فضر بود ورموه حتى قتلوه، ودفن خندق بقنونا، فقال إذ ذاك كثير يرثيه.

أصادرة حجاج كعب ومالك \* على كل عجلي ضامر البطن محق

بمريسة فيها ثناء محبر \* لأزهر من أولاد مرة معرق

والقصيدة طويلة. أما معشوقته عزة فهي بنت حميد بن وقاص من ضمرة، وكانت من أجمل النساء وأدبين  
وأعقلهن. ويقال إنه لم ير لها وجهاً إلا أنه استهم بها قلبه لما ذكر له عنها. وعاتبه بعض أهلها فقالوا: «قد شهرت  
نفسك وشهرت صاحبنا فأكف نفسك» فقال: «إني لا أذكرها بما تكرهون».

وأتفق خروجهم إلى مصر في عام الحلاء، فتبعهم على راحلته فزجروه فأبى إلا أن يلحقهم، فترى له بعضهم  
في بعض الطريق وقبضوا عليه وجعلوه في جيفة حار ورطوها عليه فتر به صديقه خندق فأطلقه وألحقه بيلاده. وكان  
كثير دميماً قليلاً أحمر أقيشر عظيم الهامة قبيحاً. وأكثر أشماره في عزة هذه. توفي سنة ١٠٥ هـ، وأخباره كثيرة  
تجدها في الأغاني (ج ١١ ص ٤٦) و(ج ٨ ص ٢٧) و(ج ٧ ص ٧٨) والشعر والشعراء (ص ٣١٦) وابن  
خلكان (ج ١ ص ٤٣٣) والعقد الفريد (ج ١ ص ١١٥ و ٢٠٣) وخرزانه الأدب (ج ٢ ص ٣٨١) وله ديوان  
شرحه أبو عبد الله الرشيدى منه نسخة خطية في الاسكوريال.

أهل الإسلام، وكان ابن أبي حفصة يعجبه مذهبه في المديح جدا، ويقول: كان يستقصي المديح، وكان فيه مع جودة شعره خطل وعجب. وقال المسور بن عبد الملك: ما ضرت من يروى شعر كثير وجميل ألا تكون عنده مغنيتان مطربتان .

وكان قصيرا، قال الواقصي: رأيت كثيرا يطوف بالبيت، فمن حدثك أنه يزيد على ثلاثة أشبار فكذبته. وكان إذا دخل على عبد العزيز بن مروان يقول: طأطىء رأسك لا يصبه السقف. وقال كثير: في أي شيء أعطى هؤلاء الأحوص عشرة آلاف دينار؟ قالوا: في قوله فيهم:

وما كان مالى طارفاً من تجارة \* وما كان ميراثا من المال مُتَلدَا  
ولكن عطايا من إمامٍ مبارك \* مالا الأرض معروفا وجودا وسوددا  
فقال كثير: إنه لضرع قبَّحه الله! ألا قال كما قلت:

دع عنك سألنى إذ فات مطبها \* وأذكر خليلك من بنى الحكم  
ما أعطيتنى ولا سألتهما \* ألا وإني لحاجزى كرمى  
إنى متى لا يكن نوالها \* عندي بما قد فعلت أحشم  
مبدي الرضا عنهما ومنصرف \* عن بعض ما لو فعلت لم ألم  
لا أنزر النائل الخليل إذا \* ما أعتل نزر الطؤور لم ترم

وطلب من أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان أرضا له يقال لها: غرب، وقدم بين

يدى طلبه تلك الأبيات:

جرتك الجوازي عن صديقك نصره \* وأدناك ربى في الرفيق المقرب  
فإنك لا يعطى عليك ظلامه \* عدو ولا تنأى عن المتقرب  
وإنك ما تمنع فإنك مانع \* بحق وما أعطيت لم تتعقب

فقال له: أترغب غربا؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين، قال: آ كتبوها له، ففعلوا.

(١) يقول: لا ألع عليه بالمألة، يقال: نزرته أنزره إذا ألحت عليه. والظؤور: العاطة على أولاد

غيرها. ولم ترم: لم ترام.

وُسِبَ كثيرٌ لكثرة نسيبه بَعَزَة الضَّمْرِيَّة إليها، وعُرِفَ بها فليل : كثير عزة، وهي عزة ابنة حميد بن وقاص. وكان ابتداء عشقه إياها أنه مر بنسوة من بني ضَمْرَة ومعه جَلَب غم، فأرسلن إليه عزة وهي صغيرة، فقالت : يقطن لك النسوة : بَعْنَا كِبْشًا من هذه الغم وأنسنا بمنه إلى أن ترجع، فأعطاها كبشا، وأعجبته، فلما رجع جاءته امرأة منهن بدرامه؛ فقال : وأين الصبيَّة التي أخذت مني الكبش؟ قالت : وما تصنع بها وهذه دراهمك؟ قال : لا آخذ دراهمي إلا من دفعت الكبش إليها، وخرج وهو يقول :

قَضَى كُلُّ ذِي دِينَ فَوْقِي غَرِيمَهُ \* وَعِزَّةٌ مَمْلُوكٌ مُعَنَّى غَرِيمُهَا  
فكان أول لقائه إياها . ثم قال فيها :

نَظَرْتُ إِلَيْهَا نَظْرَةً وَهِيَ عَاتِقٌ \* عَلَى حِينِ أَنْ شَبَّتْ وَبَانَ نَهْوُهَا  
وَقَدْ دَرَّعُوهَا وَهِيَ ذَاتُ مُؤَصِّدٍ \* <sup>(١)</sup> مَجُوبٌ وَلَمَّا يَلْبَسُ الدَّرْعَ رِيْدُهَا  
مِنَ الْخَيْفِرَاتِ الْبَيْضِ وَدَّ جَلِيسُهَا \* إِذَا مَا أَنْقَضَتْ أَحْدُوْتَهُ لَوْ تُعِيدُهَا  
نَظَرْتُ إِلَيْهَا نَظْرَةً مَا يَسْرُنِي \* بِهَا حُمْرُ أَنْعَامِ الْبِلَادِ وَسُودُهَا  
وَكُنْتُ إِذَا مَا جِئْتُ سَعْدِي بَارِضُهَا \* أَرَى الْأَرْضَ تَطْوِي لِي وَيَدْنُو بَعِيدُهَا

ثم أحبته بعد ذلك عزة أشد من حبه إياها .

قال محمد بن صالح الأسلمي : دخلت عزة على عبد الملك بن مروان وقد عجزت ؛ فقال لها : أنت عزة كثير؟ فقالت : أنا عزة بنت حميد؛ قال : أنت التي يقول لك كثير:

لَعَزَّةٌ نَارٌ مَا تَبُوخُ كَأَنَّهَا <sup>(٢)</sup> \* إِذَا مَارَمَقْنَاهَا مِنَ الْبَعْدِ كَوَكْبُ

فما الذي أعجبه منك؟ قالت : كلا يا أمير المؤمنين، لقد كنت في عهده أحسن من النار في الليلة القرة . ويروى أنها قالت له : أعجبه مني ما أعجب المسلمين منك حين صيروك خليفة، وكانت له سن سوداء يخفيها، فضحك حتى بدت، فقالت له : هذا الذي أردت أن أبديه؛ فقال لها : هل تروين قوله :

(١) مؤصد : ألبس الأصد (بالضم) وهي قبض صغير يلبس تحت الثوب . والمجوب : القميص ذو الجيب .  
والرند (يهمز ولا يهمز) : الثوب . (٢) تبوخ : محمد .

وقد زَعَمْتُ أُنَى تَغَيَّرَتْ بَعْدَهَا \* ومن ذَا الَّذِي يَا عِزَّ لَا يَتَغَيَّرُ  
تَغْيِيرَ جَسْمِي وَالْخَلِيقَةَ كَالَّتِي \* عَهْدَتِ وَلَمْ يُخْبِرْ بِسِرِّكَ مُخْبِرٌ

قالت : لا أروى هذا، ولكنى أروى قوله :

كأني أنادي صخرةً حين أعرضت \* من الضم لو تمشى بها العضم زلت  
صفوحاً فما تلقاك إلا بجيلة \* فمن ملّ منها ذلك الوصل ملّت

فأمر بها ، فأدخلت على عائكة بنت يزيد؛ فقالت لها : أرايت قول كثير :

قضى كل ذي دين فوق غريمه \* وعزة ممطول معني غريمها

ما هذا الذي ذكره؟ قالت : قبلته وعدته إياها؛ قالت : أنجزها وعلى إثمها .

ومما قال فيها

خيلت هذا رسم عزة فأعقلا \* قلو صيكا ثم أبكيا حيث حلت  
وما كنت أدرى قبل عزة ما البكا \* ولا موجعات القلب حتى تولت  
فقد حلفت جهداً بما نحرته له \* قريش غداة المأزمين<sup>(١)</sup> وصلت  
أناديك ما حجّ الحج وكبرت \* بنيفاً غزال رقيقة<sup>(٢)</sup> وأهلت  
وكانت لقطع الجبل بنى وبينها \* كنادرة نذراً وقت فأحلت  
فقلت لها يا عز كل مصيبة \* إذا وطنت يوماً لها النفس ذلت  
ولم يلق إنسان من الحب ميعه \* تعم ولا غمء إلا تجلت  
كأني أنادي صخرةً حين أعرضت \* من الضم لو تمشى بها العضم زلت  
صفوحاً فما تلقاك إلا بجيلة<sup>(٣)</sup> \* فمن ملّ منها ذلك الوصل ملّت  
أباحت حمى لم يرعه الناس قبلها \* وحلت تلاعا لم تكن قبل حلت

(١) المأزمان : بين عرفة والمزدلفة . (٢) فيفا غزال : بمكة حيث ينزل الناس فيها

الى الأبطح . وأناديك : أجالسك ، مأخوذ من التدى والادى جميعاً وهما المجلس .

(٣) الصفوح : المعرصة .

فليتَ قَلُوصِي عندَ عِزَّةٍ قُيِّدَتِ \* بجبلِ ضِعِيفٍ عِزٌّ مِنْهَا فَصَلَّتِ  
 وَغُودِرَ فِي الحَيِّ المَقِيمِينَ رَحْلُهَا \* وَكَانَ لَهَا بَاغٌ سِوَايَ فَبَلَّتِ<sup>(١)</sup>  
 وَكُنْتُ كَذِي رَجُلَيْنِ رَجُلٍ صَحِيحَةٍ \* وَرَجُلٍ رَمَى فِيهَا الزَّمَانُ فَشَلَّتِ  
 وَكُنْتُ كَذَاتِ الطَّلَعِ لَمَّا تَحَامَلَتْ \* عَلَيَّ ظَلَعُهَا بَعْدَ العِنَارِ اسْتَقَلَّتِ  
 أَرِيدُ الثَّوَاءَ عِنْدَهَا وَأُظَنُّهَا \* إِذَا مَا أَطَلْنَا عِنْدَهَا المُكْتَمَتِ  
 فَمَا أَنْصَفَتْ، أَمَا النِّسَاءَ فَبَغَّضَتْ \* إِلَى وَأَمَّا بِالنَّوَالِ فَضَمَّتِ  
 يُكَلِّفُهَا الغَيْرَانَ شَتْمِي وَمَا بَهَا \* هَوَانِي وَلَكِنْ لِيكَ اسْتَدَلَّتِ  
 هِنِيئًا مَرِيئًا غَيْرَ دَاءِ مُحَامِرِي \* لَعِزَّةٍ مِنْ أَعْرَاضِنَا مَا اسْتَحَلَّتِ  
 فَوَاللَّهِ مَا قَارَبْتُ إِلَّا تَبَاعَدْتُ \* بِضُرْمٍ وَلَا أَكْثَرْتُ إِلَّا أَقَلَّتِ  
 فَإِنْ تَكُنِ العُتْبِيَّ فَأَهْلًا وَمَرْجَبًا \* وَحَقَّتْ لَهَا العُتْبِيَّ لَدِينَا وَقَلَّتِ  
 وَإِنْ تَكُنِ الأَثَرِيَّ فَإِنَّ وَرَاءَنَا \* مَنَادِحَ لَوْ سَارَتْ بِهَا العَيْسُ كَلَّتِ<sup>(٣)</sup>  
 خَلِيلِي إِنْ الحَاجِيَّةَ طَلَحْتُ \* قَلُوصِيكَا وَنَاقِي قَدِ أَكَلْتُ<sup>(٤)</sup>  
 فَلَا يَبْعَدُنْ وَصْلُ لَعِزَّةٍ أَصْبَحَتْ \* بِعَاقِبَةِ أَسْبَابِهِ قَدِ تَوَلَّتِ  
 أَسِيئِي بِنَا أَوْ أَحْسِنِي لَا مَلُومَةٌ \* لَدِينَا وَلَا مَقِيلَةٌ إِنْ تَقَلَّتِ  
 وَلَكِنْ أَنِيْلِي وَأَذْكَرِي مِنْ مَوَدَّةٍ \* لَنَا خُلَّةٌ كَانَتْ لَدَيْكُمْ فَطُلَّتِ<sup>(٥)</sup>  
 فَإِنِّي وَإِنْ صَدَّتْ لَمُنِّي وَصَادِقٌ \* عَلَيْهَا بِمَا كَانَتْ إِلَيْنَا أَزَلَّتِ<sup>(٦)</sup>  
 فَمَا أَنَا بِالدَّاعِي لَعِزَّةٍ بِالجُوى \* وَلَا شَامِتٌ إِنْ تَعَلُّ عِزَّةً زَلَّتِ  
 فَلَا يَحْسِبُ الوَاشُونَ أَنَّ صَبَابِي \* بِعِزَّةٍ كَانَتْ عَمْرَةً فَتَجَلَّتِ  
 فَأَصْبَحْتُ قَدِ أَبْلَلْتُ مِنْ دَنَفِهَا<sup>(٧)</sup> \* كَمَا أُدْنِفَتْ هَيَاءً ثُمَّ اسْتَبَلَّتِ

(١) بليت : ذهب . (٢) العتبي : الإعتاب ، يقال : عاتبني فلان فأعيبته إذا نعتت عما عاتبك عليه ،  
 والعتبي الاسم والإعتاب المصدر (٣) المنادح : المفاوز . (٤) الطلح : المعى الذى سقط من الأعيان .  
 (٥) طلت : هدرت . (٦) أزلت : اصططعت . (٧) يقال : بل من مرضه وأبل واستبل إذا  
 برأ . والهياء : التى أصابها داء الهيام ، وهو داء يصيب الإبل من ماء تشربه مستنقعا فتهم فى الأرض لاترى .

ومنها :

ولست برأى نحو مصر سحابة \* وإن بعدت إلا قعدت أشيم  
 فقد يقعد النكس الدني عن الهوى \* عزوفاً ويصبو المرء وهو كريم  
 وقال خليلي ما لها إذ لقيتها \* غداة السنأ فيها عليك وجوم<sup>(١)</sup>  
 فقلت له إن المودة بيننا \* على غير فحش والصفاء قديم  
 وإني وإن أعرضت عنها تجلداً \* على العهد فيما بيننا لمقيم  
 وإن زمانا فترق الدهر بيننا \* وبينكم في صرفه لمشوم  
 أفي الحق هذا أن قلبك سالم \* صحيحٌ وقلبي في هواك سقيم  
 وأن يجسمي منك داءً محامراً \* وجسمك موفور عليك سليم  
 لعمرك ما أنصفتني في مودتي \* ولكني ياعز عنك حلیم  
 فإما ترينى اليوم أبدى جلادة \* فإني لعمرى تحت ذاك كليم  
 ولست أبنة الضمري منك بناقم \* ذنوب العدى إني إذا لظلوم  
 وإني لذو وجد إذا عاد وصلها \* وإني على ربي إذا لكريم

ومن نسيبه بها :

لعزة أطلالٌ أبت أن تكلمها \* تبيع مغانها الفؤاد المكلما  
 وكنت إذا ما جئت أجلان مجلسي \* وأظهرن مني هبة لا تجهما  
 يحاذرن مني غيرةً قد عرفها \* قديماً فما يضحكن إلا تبسما

ومنه :

خليلي عوجاً منك ساعةً معي \* على الربع نقض ساعةً ونودع  
 ولا تعجلاني أن ألم يدمنة \* لعزة لاحت لي ببيداء بلقع  
 وقولا لقلب قد سلا راجع الهوى \* وللعين أذرى من دموعك أودعي  
 فلا عيش إلا مثل عيش مضى لنا \* مصيفاً أقمنا فيه من بعد مريع

(١) وجم : سكت على غيظ .

ومنه :

بليلى وجارات ليلى كأنها \* نَعَاجُ الْفَلَاحِ تُحَدِّى بَيْنَ الْأَبَاعِ  
 أَمْقَطِعُ يَاعِزَّ مَا كَانَ بَيْنَنَا \* وشَاجِرُنِي يَاعِزَّ فَيْكَ الشَّوَابِرِ  
 إِذَا قِيلَ هَذَا بَيْتُ عِزَّةٍ قَادِنِي \* إِلَيْهِ الْهُوَى وَأَسْتَعِجَلُنِي الْبُؤَادِرِ  
 أَصْدُو بِي مِثْلَ الْجَنُونِ لَكِي يَرَى \* رُؤَاةُ الْخَنَانِ أَنِي لَيْتَكَ هَاجِرِ  
 أَلَا لَيْتَ حِطِّي مِنْكَ يَاعِزَّ أَنْخِي \* إِذَا بِنْتٌ بَاعَ الصَّبْرَ لِي عَنْكَ تَاجِرِ

ومنه :

وما زلتُ من ليلٍ لَدُنْ طَرَّ شَارِبِي \* إِلَى الْيَوْمِ أُخْفِي حَبِّهَا وَأُدَاجِنُ  
 وَأَحْمَلُ فِي لَيْلِي ضَغَائِنَ مَعَشَرِ \* وَتُحْمَلُ فِي لَيْلِي عَلَى الضَّغَائِنِ

ومنه :

وإني لأرعى قومها من جلالها \* وَإِنْ أَظْهَرُوا غِشًّا نَصَحْتُ لَهُمْ جَهْدِي  
 وَلَوْ حَارَبُوا قَوْمِي لَكُنْتُ لِقَوْمِهَا \* صَدِيقًا وَلَمْ أَحْمَلْ عَلَى حَرْبِهَا حَقْدِي

ومنه :

هَلَا سَأَلْتَ مَعَالِمَ الْأَطْلَالِ \* بِالْجُزْعِ مِنْ حُرْضٍ وَهَنْ بَوَالِ<sup>(١)</sup>  
 سَقِيًّا لِعِزَّةٍ خُلَّةٍ سَقِيًّا لَهَا \* إِذْ نَحْنُ بِالْهَضْبَاتِ مِنْ أَمْلَالِ<sup>(٢)</sup>  
 إِذَا لَا تَكَلَّمْنَا وَكَانَ كَلَامُهَا \* نَفْلًا نُوْمَلُّهُ مِنَ الْأَنْفَالِ

ومنه :

أَلَا حَيًّا لَيْلِي أَجَدَّ رَحِيلِي \* وَأَذِنَ أَصْحَابِي غَدًا بِقُفُولِ<sup>(٣)</sup>  
 تَبَدَّتْ لَهُ لَيْلِي لُتْهُبِ عَقْلِهِ \* وَشَاقَتِكَ أُمُّ الصَّلْتِ بَعْدَ دُهُولِ  
 أَرِيدُ لِأَنْسَى ذِكْرَهَا فَكَأَنَّمَا \* تَمَثَّلُ لِي لَيْلِي بِكُلِّ سَبِيلِ  
 إِذَا ذِكْرَتْ لَيْلِي تَغَشَّتْكَ عِبْرَةٌ \* تُعَلِّبُهَا الْعَيْنَانِ بَعْدَ هُوولِ

(١) حرض : واد من وادي قناة ، من المدينة على ميلين .

(٢) أراد ملل ، وهو منزل على طريق المدينة من مكة . (٣) قفول : رجوع .

فوالله ثم الله ما حَلَّ قبلها \* ولا بعدها من خُلة حيث حَلَّت  
وما قر من يوم على كيومها \* وإن عَظُمَت أيامُ أخرى وجَلَّت  
وأصحت بأعلى شاهقٍ من فؤاده \* فلا القلبُ يسَلاها ولا العين ملَّت  
فياعجباً للقلب كيف أَعترَفُه<sup>(١)</sup> \* وللنفس لما وُطِنَتْ كيف ذَلَّت  
وإني وتَهَيَّي بعزّة بعد ما \* تخلّيت مما بيننا وتَحَلَّت  
لكالمُرَجِي ظِلَّ النّمامة كما \* تَبَوَّأ منها للقيل أَصْحَمَلَّت  
كأني وإياها سَحابة مُمحل \* رَجَّاهَا فلما جاوزته أَسْتَهَلَّت  
فإن سأل الوأشون فيم هَجَرَتها \* قُفِّلَ نَفْسُ حُرِّ سُلَيْتِ قَسَلَّت  
قال ابنُ سلام : كان كثير مدعيًا ولم يكن عاشقًا، وكان جميل صادق الصباية والعشق .  
وأخبرته عزّة ذات مرّة فوجدت علامة ذلك ، وكانت منتقبة فأسفرت ، فأبلس ولم ينطق  
وبُهِت ، فلما مضت أنشأ يقول :

(٣)  
ألا ليتني قبل الذي قلت شيب لي \* من السم خَضْخاض بماء الذّراح  
فمت ولم تعلم على خيانه \* وكم طالب للبرج ليس براج  
أبوء بذنبي ، إني قد ظلمتها \* وإني بيباق سرها غير بأخ  
ومن قوله يمدح عمر بن عبد العزيز :

وَلَيْتَ فلم تَشْتُمَ عَلِيًّا ولم تُخِفْ \* بَرِيًّا ولم تَتَّبِعْ مقالةَ مُجْرِمِ  
وقاتَ فصدقت الذي قلت بالذي \* فعلت فأضحى راضياً كُلُّ مُسْلِمِ  
ألا إنما يكفني الفتى بعد زيفه \* من الأود الباقى نِقَافُ المَقُومِ  
لقد لبست لبسَ الهلوك ببابها \* تَرَأَى لك الدنيا يكف ومِعَصَمِ  
وتومضُ أحياناً بعينٍ مريضَةٍ \* وتبسم عن مثل الجمان المنظمِ

(١) اعترافه : اصطباره ، يقال : نزلت به مصيبة فوجد عروفاً ، أى صبورا .  
(٢) أبلس : انكسر ورن . (٣) الذراح : دويبة حمراء منقطة بسواد تطير ، وهى من السموم  
القائلة ، والذراح جمعها . والخضخاض : فقط أسود لا خثورة فيه تنهاً به الإبل الحرب .

فَأَعْرَضَتْ عَنْهَا مُشْمِرًا كَأَنَّمَا \* سَقَتَكَ مَدُوفًا مِنْ سِمَامٍ وَعَلَقَمٌ  
 وَقَدْ كُنْتَ مِنْ أَجْبَالِهَا فِي مُنْعٍ \* وَمِنْ بَحْرِهَا فِي مُزِيدِ الْجُودِ مَفْعَمٌ  
 وَمَا زِلْتَ سَبَاقًا إِلَى كُلِّ غَايَةٍ \* صَعِدْتَ بِهَا أَعْلَى الْبِنَاءِ الْمَقْدَمِ  
 فَلَمَّا أَتَاكَ الْمَلِكُ عَفَّوًا وَلَمْ يَكُنْ \* لَطَالِبِ دُنْيَا بَعْدَهُ مِنْ تَكَلُّمِ  
 تَرَكْتَ الَّذِي يَفْقَى وَإِنْ كَانَ مُوقَفًا \* وَأَثَرَتْ مَا يَبْقَى بِرَأْيِ مُصَمِّمِ  
 فَأَضْرَبْتَ بِالْفَانِي وَشَمَّرْتَ لِلَّذِي \* أَمَامَكَ فِي يَوْمٍ مِنَ الْهَوْلِ مَظْلَمِ  
 وَمَالِكَ أَنْ كُنْتَ الْخَلِيفَةَ مَانِعٌ \* سِوَى اللَّهِ مِنْ مَالٍ رَغِيبٍ وَلَا دَمِ  
 سَمَا لَكَ هَمٌّ فِي الْفَوَادِ مُؤَرَّقٌ \* صَعِدْتَ بِهِ أَعْلَى الْمَعَالِي يُسَلِّمُ  
 فَمَا بَيْنَ شَرْقِ الْأَرْضِ وَالْغَرْبِ كُلِّهَا \* مُنَادٍ يَنَادِي مِنْ فَصِيحٍ وَأَعْجَمِ  
 يَقُولُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ظَلَمْتَنِي \* بِأَخْذِ لَدِينَارٍ وَأَخْذِ لِدَرْهَمِ  
 وَلَا بَسِطِ كَفٍّ لِأَمْرِيءَ ظَالِمٍ لَهُ \* وَلَا السَّفِكِ مِنْهُ ظَالِمًا مَلَأَ نَجْمِ  
 فَلَوْ يَسْتَطِيعُ الْمَسْلُومُونَ تَقَسَّمُوا \* لَكَ الشَّطْرُ مِنْ أَعْمَارِهِمْ غَيْرِ نَدَمِ  
 فَعِشْتَ بِهِ مَا حَجَّ اللَّهُ رَاكِبٌ \* مَغْدُومٌ مَطِيفٌ بِالْمَقَامِ وَزَمْرَمِ  
 فَأَرْجُحُ بِهَا مِنْ صَفْقَةِ لُبَايِعِ \* وَأَعْظِمُ بِهَا أَعْظِمُ بِهَا ثُمَّ أَعْظِمُ  
 وَمِنْ نَسِيْبِهِ بَعْرَةٌ لَمَّا أُخْرِجَتْ إِلَى مِصْرِ:

لِعِزَّةٍ مِنْ أَيَّامِ ذِي الْغَصَنِ شَاقِفِي \* بِيضَاحِي قَرَارِ الرَّوْضَيْنِ رُسُومِ  
 هِيَ الدَّارُ وَحَشَا غَيْرَ أَنْ قَدْ يُحَلُّهَا \* وَيَفْقَى بِهَا شَخْصَ عَلِيٍّ كَرِيمِ  
 فَمَا يَرِسُومُ الدَّارَ لَوْ كُنْتَ عَالِمًا \* وَلَا بِالْتَّلَاعِ الْمُقْوِيَّاتِ أَهِيمِ  
 سَأَلْتَ حَكِيمًا أَيْنَ شَطَّتْ بِهَا النَّوَى \* نَحْبَرُنِي مَا لَا أُحِبُّ حَكِيمِ  
 أَجَدُّوْا فَمَا أَلَّ عِزَّةً غُدُوَّةً \* فَبَانُوا وَأَمَا وَاسِطَ فُقَيْمِ  
 لِعَمْرِي لَئِنْ كَانَ الْفَوَادُ مِنَ الْهَوَى \* بَغَى سَقَمًا إِنِّي إِذَا لَسَقِيمِ

(١) مدوفا: مخلوطا، داف الدواء والزعفران يدوفه: خلطه.

(٢) مغد: مسرع.

(٣) أفوت الدار: خلعت من ساكنها.

(٤) هو أبو السائب بن حكيم.

\* وكمن خليل قال لى هل سألتها \* فقلت له لىلى أضن خليل  
 \* وأبعده نىلاً وأوشكه قلى<sup>(١)</sup> \* وإن سئلت عرفاً فشر مسول  
 \* حلفت رب الرافصات الى منى<sup>(٢)</sup> \* خلال الملا يمددن كل جدیل  
 \* تراها رفاقا بينهن تفاوت<sup>(٣)</sup> \* ويمددن بالإهلال كل أصیل  
 \* تواهقن بالجحاج من بطن نخلة<sup>(٤)</sup> \* ومن عزور والخبث خبت طفیل  
 \* بكل حرام خاشع متوجه \* الى الله يدعوه بكل تقیل  
 \* على كل مدعان الرواح معيدة<sup>(٥)</sup> \* ومخشية ألا تعيد هزیل  
 \* شوامذ قد ارتجن دون أجنة<sup>(٦)</sup> \* وهوچ تبارى فى الأزقة حول  
 \* يمين امرئ مستغليظ من الية<sup>(٧)</sup> \* ليكذب قىلا قد ألح بقیل  
 \* لقد كذب الواشون ما بحت عندهم \* بللى ولا أرسلتهم برسول  
 \* فان جاءك الواشون عنى بكذبة \* فروها ولم ياتوا لها بجويل  
 \* فلا تعجلى بالليل أن تفهمى \* بنصح أتى الواشون أم بجبول  
 \* فان طببت نفسا بالعطاء فأجرلى \* وخير العطا بالليل كل جزیل  
 \* وإلا فإجمال إلى فإننى \* أحب من الأخلاق كل جمیل  
 \* وإن تبدلى لى منك يوما مودة \* فقدما تحذت القرص عند بدول  
 \* وإن تبخلى بالليل عنى فإننى \* توكلنى نفسى بكل بنجیل  
 \* ولست براض من خليل بنائل \* قلیل ولا راض له بقلیل

(١) أوشكه : أسرعه . والقلى : البغض . (٢) الرافصات : الإبل ، والملا : الفضاء ، والجديل :  
 زمام محدود أى مضمور . (٣) الأصیل : العشى . (٤) تواهقن : تبارين ، وبطن نخلة :  
 بستان بنى عامر ، وعزور : ثنية الجفصة . والخبث : المظلم من الأرض . وطفيل : موضع .  
 (٥) الثقيل : الطريق . (٦) المدعان : المذلة . ومعيدة : قد عاودت السفر . (٧) الشوامذ :  
 الشائلات الأذنب ، وأرتجن : أغلقن أرحامهن على أولادهن . والحول : جمع حائل وهى التى لا تلحق .  
 (٨) الآلية : اليمين . (٩) فروها من الفرية ، يقال فرى يفرى . والحويل : المحاولة .  
 (١٠) الحبول : الدواهي .

وليس خليلي بالملول ولا الذي \* اذا غبتُ عنه باعني بخليل  
 ولكن خليلي من يديمِ وصالَه \* ويحفظ سرى عند كل دَخيل<sup>(١)</sup>  
 ولم آر من ليلي نوالا أعدَه \* ألا ربما طالبت غير مُنيل  
 يلومك في ليلي وعقلك عندها \* رجالٌ ولم تذهب لهم بعقول  
 يقولون ودّع عنك ليلي ولا تهم \* بقاطعة الأقران ذات حليل  
 فما نعتت نفسي بما أمروا به \* ولا نجتُ من أقوالهم بفَتيل<sup>(٢)</sup>  
 تذكّرت أترابا لعزة كلّمها \* حينَ يليطُ ناعم وقبول<sup>(٣)</sup>  
 وكنتُ اذا لاقيتهم كأنني \* مُحالطةٌ عقلي سلافٌ شمول  
 تأطّرتُ حتى قلتُ لسنّ بوأرحا \* رجاء الأمانى أن يقفن مقبلي<sup>(٤)</sup>  
 فأبدن لي من بينهنّ تجهّما \* وأخلفن ظني إذ ظننت وقبلي  
 فلأيا بلائي ما قضين لبانةً \* من الدار وأستقلن بعد طويل<sup>(٥)</sup>  
 فلما رأى وأستيقن البين صاحبي \* دعا دعوةً يا جتربن سلول  
 فقلتُ وأسرتُ الندامة ليتني \* وكنتُ أمراً أغتش كل عدول  
 سلكتُ سبيل الرامحات عشيةً \* مخارمٍ نضع أو سلكن سبيلي<sup>(٦)</sup>  
 فأسعدت نفسا بالهوى قبل أن أرى \* عوادى نأى بيننا وشغول<sup>(٧)</sup>  
 ندمتُ على ما فاتني يوم بنتم \* فيأحسرتنا ألا يرين عويل  
 كأن دموع العين واهية الكلى \* وعت ماء غرّب يوم ذاك سجيل<sup>(٨)</sup>

- (١) الدخيل : الذى يتسبب الى قوم وليس منهم . (٢) أى مارويت . (٣) الأتراب : الأقران . والليط : اللون وهو الجلد أيضا . (٤) تأطرن : تلبنن ، وأصل التأطر : التعطف . (٥) الاى : البطء . واللبانة : الحاجة . (٦) المخارم : جمع مخرم وهو متقطع أنف الجبل . ونضع : جبل أسود بين الصفراء وينبع . (٧) العوادى : الصوارف . (٨) الكلى : جمع كلبة وهي الرقعة تكون فى أصل عروة المزاد . والغرب : الدنو العظيمة . وسجيل : ضخم .

تَكْتَفِيهَا نَحْرُقُ تَوَاكُلُنْ نَحْرُزَهَا \* فَأَجْلَنَهُ وَالسَّيرُ غَيْرُ بَجِيلِ<sup>(١)</sup>  
 أَقِيمِي فَإِنَّ الْغُورَ يَاعِزُّ بَعْدَكُمْ \* أَلَى إِذَا مَا بِنْتٍ غَيْرِ بَحْمِيلِ  
 كَفَى حَزَنَا لِلْعَيْنِ أَنْ رَدَّ طَرْفَهَا \* لِعِزَّةِ عَيْرِ آذَنْتُ بِرَحِيلِ  
 وَقَالُوا نَأَتْ فَاحْتَرَّ مِنَ الصَّبْرِ وَالْبُكََا \* فَقُلْتُ الْبُكََا أَشْفَى إِذَا لَغَلِيلِي  
 تَوَلَّيْتُ مَحْزُونًا وَقُلْتُ لِمَصْحَبِي \* أَفَاتَلْتِي لَيْلِي بِغَيْرِ قَيْلِ  
 لِعِزَّةٍ إِذْ يَحْتَلُّ بِالْحَيْفِ أَهْلُهَا \* فَأَوْحَشَ مِنْهَا الْخَيْفُ بَعْدَ حُلُولِ  
 وَبَدَّلَ مِنْهَا بَعْدَ طَوْلِ إِقَامَةٍ \* تَبَعْتُ نَكْبَاءَ الْعَشِيِّ جَفُولِ<sup>(٢)</sup>  
 لَقَدْ أَكْثَرَ الْوَاشُونَ فِينَا وَفِيكُمْ \* وَمَالَ بَنَى الْوَاشُونَ كُلِّ مَيْمِلِ  
 وَمَا زَلْتُ مِنْ لَيْلٍ لَدُنْ طَرِّ شَارِبِي<sup>(٣)</sup> \* إِلَى الْيَوْمِ كَالْمُقْصَى بِكُلِّ سَبِيلِ

وله :

إِذَا مَا أَرَادَ الْغَزْوُ لَمْ تَثْنِ هَمَّهُ \* حَصَانَ عَلَيْهَا نَظْمُ دُرِّ زَيْنِهَا  
 نَهْتَهُ فَلَمَّا لَمْ تَرَ النَّهْيَ عَاقَهُ \* بَكَتُ فَبَكَى مِمَّا شَجَّاهَا قَطِينِهَا<sup>(٤)</sup>  
 وَلَمْ يَثْنِهِ يَوْمَ الصَّبَابَةِ بَثُّهَا \* عَدَاةً أَسْتَهَلَّتْ بِالْدمِوعِ سُؤْوُهَا  
 وَلَكِنْ مَضَى ذُو مِرَّةٍ مُتَثَبٌ \* لِسُنَّةٍ حَقِّ وَاضِحٍ مُسْتَبِينِهَا

وله في مدح عبد الملك بن مروان :

أَحَاطَتْ يَدَاهُ بِالْخِلَافَةِ بَعْدَ مَا \* أَرَادَ رِجَالُ آخِرُونَ اغْتِيَالَهَا  
 فَمَا أَسْلَمُوهَا عَنُودًا عَنْ مَوَدَّةٍ \* وَلَكِنْ بِحَدِّ الْمَشْرِقِ اسْتَقَالَهَا  
 وَكُنْتَ إِذَا نَابَتْكَ يَوْمًا مُلِمَّةٌ \* نَبَلَتْ لَهَا أَبَا الْوَلِيدِ نِبَالَهَا<sup>(٥)</sup>  
 سَمَوْتَ فَأَدْرَكَتَ الْعِلاءَ وَإِنَّمَا \* يُلْقَى عَايَاتِ الْعُلَا مِنْ سَمَا لَهَا  
 وَصَلْتَ فَنَالَتْ كَفْكَ الْمَجْدَ كُلَّهُ \* وَلَمْ تَبْلُغِ الْأَيْدِي السَّوَامِي مَصَالَهَا

(١) نحرق : جمع خرقاء ، وهي التي لا تحسن العمل . وأجمله : أسرعته . والبجيل الغليظ ، يريد أنهم

أغلظن الإثني وأدققن السير . (٢) النكباء : الريح التي تهب بين مهبي ريحين . والجفول : التي تذهب التراب .

(٣) طرور الشارب : نباته . (٤) القطين : الخدم . (٥) نبك : أعددت .

وله أيضا :

أهاجَكَ بَرْقُ آخِرِ اللَّيْلِ وَاصِبٌ \* تَضَمَّنَهُ فَوْشُ الْحَبَا فَاَلْمَسَارِبُ  
يُجْرُ وَيَسْتَأْنِي نَسَاصًا كَانَهُ <sup>(١)</sup> \* بَغِيقَةَ حَادٍ جَلَجَلُ الصَّوْتِ جَالِبٌ  
تَأَلَّقَ وَأَحْمَوِيَّ وَخَمِيمَ الرَّبَا \* أَحْمُ الدَّرَى ذُو هَيْدَبٍ مُتْرَاكِبٌ  
إِذَا حَرَكْتَهُ الرِّيحُ أَرْزَمَ <sup>(٢)</sup> جَانِبٌ \* بَلَا هَزَقٍ <sup>(٣)</sup> مِنْهُ وَأَوَمَّضَ جَانِبٌ  
كَمَا أَوَمَّضْتُ بِالْعَيْنِ ثُمَّ تَبَسَّمْتُ \* خَرِيعٌ <sup>(٤)</sup> بَدَا مِنْهَا جَبِينٌ وَحَاجِبٌ  
يَمِجُّ النَّدَى لَا يَذْكُرُ السَّيْرَ أَهْلُهُ \* وَلَا يَرْجِعُ الْمَاشِيَّ بِهِ وَهُوَ جَادِبٌ

وله أيضا :

سَهْلِكَ فِي الدُّنْيَا شَفِيقٌ عَلَيْكُمْ \* إِذَا غَالَهُ مِنْ حَادِثِ الْدَّهْرِ غَائِلُهُ  
وَيُخْفِي لَكُمْ حُبًّا شَدِيدًا وَرَهْبَةً \* وَلِلنَّاسِ أَشْغَالٌ وَحُجُبٌ شَاغِلُهُ  
وَحُجُبٌ يُنْسِينِي مِنَ الشَّيْءِ فِي يَدِي \* وَيُذْهِلُنِي عَنْ كُلِّ شَيْءٍ أَزَاوِلُهُ  
كَرِيمٌ يُمِيتُ السَّرَّ حَتَّى كَانَهُ \* إِذَا اسْتَبَحُّوهُ عَنْ حَدِيثِكَ جَاهِلُهُ  
يَوَدُّ بَانَ يُمِيسِي سَقِيًّا لَعَلَّهَا \* إِذَا سَمِعَتْ عَنْهُ بِشَكْوَى تُرَاسَلُهُ  
وَيَرْتَاحُ لِلْعُرُوفِ فِي طَلَبِ الْعِلَا \* لِتُحَمِّدَ يَوْمًا عِنْدَ لَيْلٍ شَمَائِلُهُ  
فَلَوْ كُنْتُ فِي كَجَلٍ وَبُحْتُ <sup>(٥)</sup> بَلْوَعِي \* إِلَيْهِ لِأَنْتَ رَحْمَةٌ لِي سَلَايِلُهُ

وله أيضا :

أَقُولُ لِمَاءِ الْعَيْنِ أَمَعِنُ لَعَلَّهُ \* بِمَا لَا يَرَى مِنْ غَائِبِ الْوَجْدِ يَشْهَدُ  
فَلَمْ أَدْرُ أَنْ الْعَيْنَ قَبْلَ فِرَاقِهَا \* غَدَاةَ الشَّبَابِ مِنْ لَاعِجِ الْوَجْدِ تَجْمَدُ  
وَلَمْ أَرْمِثْ الْعَيْنَ صَنَّتْ بِمَائِهَا \* عَلَيَّ وَلَا مِثْلِي عَلَى الدَّمْعِ يُحْسَدُ

(١) النشاص : السحاب المرتفع بفضه فوق بعض

(٢) أرزم : صوت . (٣) الهزق :

(٤) خريع : قهيد شديد .

(٥) كجل : امرأة حسناء .

وله أيضا :

(٢)                      (١)  
 تَسْمَعُ الرَّعْدَ فِي الْمِحْبَلَةِ مِنْهَا \* مِثْلَ هَزْمِ الْقُرُومِ فِي الْأَشْوَالِ  
 وَتَرَى الْبَرْقَ عَارِضًا مُسْتَطِيرًا \* مَرَحَ الْبُلُقِ جُلْنَ فِي الْأَجْلَالِ  
 أَوْ مَصَائِيحَ رَاهِبٍ فِي يَفَاعٍ \* سَسَمَ الزَّيْتِ سَاطِعَاتِ الذُّبَالِ

وله أيضا :

فِياعِزَّ إِنَّ وَايَ وَشَى بِي عِنْدَكُمْ \* فَلَا تُكْرِمِيهِ أَنْ تَقُولِي لَهُ أَهْلًا  
 كَمَا لَوْ وَشَى وَايَ بَعِزَّةً عِنْدَنَا \* لَقُلْنَا تَرَحَّزِحَ لَا قَرِيبًا وَلَا سَهْلًا

(١) القروم : الفحول التي أعفيت من الحمل عليها وتركت للفحلة .

(٢) الأشوال : الإبل التي مضى على حملها أو وضعها سبعة أشهر فارتفع ضرعها وجف لبنها .

## مُحَرَّرٌ لِيَهْدِي (د) الغزل القصصي

### ١ - أخبار قيس بن الملوّح (المجنون)<sup>(١)</sup>

قال الأصفهاني عن محدّثيه عن ابن دأب قال : قلت لرجل من بني عامر : أتعرّف المجنون وتروى من شعره شيئاً؟ قال : أوقد فرغنا من شعر العقلاء حتى نروى أشعار المجانين ! إنهم لكثيرٌ ! فقلت : ليس هؤلاء أعني ، إنما أعني مجنون بني عامر الشاعر الذي قتله العشق ، فقال : هيات ! بنو عامر أغلظُّ أجاداً من ذلك ، إنما يكون هذا في هذه اليمانية الضعافِ قلوبها ، السخيفة عقولها ، الصَّعْلة<sup>(٢)</sup> رؤوسها ، فأما نزارُ فلا .

وقال الرياشي سمعت الأصمعي يقول : رجلان ما عرّفا في الدنيا قط إلا بالاسم : مجنونُ بني عامر ، وابنُ القرية<sup>(٣)</sup> ، وإنما وضعهما الرواة .

وقال المدائني : المجنون المشهورُ بالشعر عند الناس صاحبُ ليلى قيس بن معاذ من بني عامر ، ثم من بني عقيل ، أحد بني مُيمر بن عامر بن عقيل ، قال : ومنهم رجل آخر يقال له : مهدي بن الملوّح من بني جعدة بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة .

وقال ابن الكلبي : حدّثت أن حديثَ المجنون وشعره وضعه فتى من بني أمية كان يهوى أبنه عم له ، وكان يكره أن يظهر ما بينه وبينها ، فوضع حديثَ المجنون وقال الأشعار التي يرويها الناس للمجنون ونسبها إليه .

(١) هو قيس بن الملوّح ، ويقال : ابن معاذ بن مزاحم من بني عامر بن صعصعة ، ويعرف بمجنون ليلى ، نسبة إلى ليلى التي كان يتعشقها وهو مشهور ، ولكن بعض أهل النقد من علماء الشعريون أن قصته موضوعة ، وضعها رجل من بني أمية كان يحب أبنه عم له ويكره أن يظهر ما بينه وبينها ، فوضع حديثَ المجنون وقال الأشعار التي يظنها الناس للمجنون ، وقد زاد الناس فيه بعدئذ . ويؤيد ذلك أن كثيراً مما ينسب إليه من الأشعار رويت لغيره ، فقصته إذا من قبيل الشعر التمثيلي (درام) الذي يراد به تمثيل بعض الفضائل . وهي تمثل العشق مع التعفف ، أو لعل لها أصلاً قليلاً وزاد فيه الرواة كما فعلوا بقصة عنزة التي تمثل الشجاعة والعشق ، وعلى كل حال فإن بين الأشعار المنسوبة إلى المجنون طائفة تمثل شعائر المحبين كما هي على طبيعتها . وأخبار المجنون في الأغاني (ج ١ ص ١٦٧) والشعر والشعراء (ص ٣٥٥) وخرزانه الأدب (ج ٢ ص ١٧٠) . (٢) الصعلة : صغر الرأس . (٣) هو أيوب ابن يزيد بن قيس والقرية أمه قتله الحجاج لاتهامه بالميل لابن الأشعث .

وعن حماد بن طالوت بن عباد : أنه سأل الأصمعي عنه ، فقال : لم يكن مجنوناً ، بل كانت به لؤثةٌ أحدثها العشقُ فيه ، كان يهوى امرأة من قومه يقال لها ليلي ، وأسمه قيسُ ابنُ معاذ .

وذكر عمرو بن أبي عمرو الشيباني عن أبيه أن اسمه قيسُ بن معاذ .  
وذكر شعيب بن السكّن عن يونس النحوي أن اسمه قيسُ بن الملوّح ، قال أبو عمرو الشيباني : وحدثني رجل من أهل اليمن أنه رآه ولقيته وسأله عن اسمه ونسبه ، فذكر أنه قيسُ بن الملوّح .

(١) وذكر هشام بن محمد الكلبي أنه قيسُ بن الملوّح ، وحدث أن أباه مات قبل اختلاطه ، فمقر على قبره ناقته وقال في ذلك :

عقرتُ على قبر الملوّح ناقتي \* بذي السرح لما أن جفاه الأفرابُ  
وقلتُ لها كوني عقيراً فإنني \* غداً راجلاً أمشى وبالأمس راکبُ  
فلا يُبعدنك اللهُ يا ابنَ مزراحيم \* فكلُّ بكأس الموت لاشكَّ شاربُ

وقال الأصمعي : سألت أعرابياً من بني عامر بن صعصعة عن المجنون العامري فقال : عن أيهم تسألني ؟ فقد كان فينا جماعةٌ رموا بالمجنون ، فعن أيهم تسأل ؟ فقلت : عن الذي كان يُسبب بليلى ، فقال : كلُّهم كان يُسبب بليلى ، قلتُ : فأنشدني لبعضهم ، فأنشدني لمزراحيم بن الحارث المجنون :

ألا أيها القلبُ الذي لجَّ هائمًا \* بليلى وليدًا لم تقطعْ تمائمهُ  
أفّق قد أفاق العاشقون وقد أنى \* لك اليوم أن تلقى طيبيا تلاميهُ  
أجدك لا تُنسبك ليلى ملهمةً \* تلم ولا عهد يطول تقادمهُ

(١) يقال : اختلط عقله إذا تغير وفسد . (٢) ذو السرح : واد بأرض نجد .  
(٣) عقيراً ، أى معقورة ، وأصل العقر : قطع القوائم ثم أطلق بمعنى النحر . قال ابن الأثير : كانوا يعقرون الإبل على قبور الموتى أى يخرونها ويقولون : إن صاحب القبر كان يعقر لآضياف أيام حياته فنكافته بمثل صنيعه بعد وفاته . وإنما أطلق العقر على النحر لأنهم كانوا إذا أرادوا نحر البعير عقروه لئلا يشرد عند النحر اه من اللسان مادة عقر . (٤) أنى : حان وقرب .

قلت : فأنشدني لغيره منهم ، فأنشدني لمعاذ بن كليب المجنون :

ألا طامًا لا عبتُ ليلي وقادني \* إلى اللهو قلبٌ للحسان تبوعُ  
وطال أمترأء الشوقِ عينيَ كَمَا \* نَزَفْتُ دُمُوعًا تَسْتَجِدُّ دُمُوعُ  
فقد طال إمساكي على الكبدِ التي \* بها من هوى ليلي الغداة صُدُوعُ

قلتُ : فأنشدني لغير هذين ممن ذكرت ، فأنشدني لمهدي بن الملوّح :

لو أنّ لك الدنيا وما عدتْ به \* سواها وليلى بائنُ عنك بينها<sup>(٢)</sup>  
لكنتُ إلى ليلي فقيرا وإنما \* يقود إليها ودّ نفسك حينها

قلتُ له : فأنشدني لمن بقي من هؤلاء ، فقال : حسبك ! فوالله إن في واحد من هؤلاء  
لمن يوزن بعقلكم اليوم .

وقال الجاحظ : ما ترك الناس شعرا مجهول القائل قيل في ليلي إلا نسبوه إلى المجنون ،  
ولا شعرا هذه سبيله قيل في لُبني إلا نسبوه إلى قيس بن ذريح .

قال أبو الفرج : وأنا أذكر مما وقع إلى من أخباره جملاً مستحسنة ، مُتبرئاً من العهدة  
فيها ، فإن أكثر أشعاره المذكورة في أخباره ينسبها بعض الرواة إلى غيره وينسبها من  
حكيت عنه إليه ، وإذا قدمت هذه الشريطة برئت من عيب طاعنٍ ومُتبعٍ للعيوب .

أخبرني بجزءه في شفعه بلسي جماعة من الرواة ، ونسخت ما لم أسمع من الروايات  
وجمعت ذلك في سياقة خبره ما أتسق ولم يختلف ، فاذا اختلفت نسبتُ كل رواية  
إلى راويها .

فمن أخبرني بجزءه أحمد بن عبد العزيز الجوهري وحبيب بن نصر المهلبّي ، قالوا :  
حدثنا عمر بن شبة عن رجاله وإبراهيم بن أيوب عن ابن قتيبة ، ونسخت أخباره من  
رواية خالد بن كلثوم وأبي عمرو الشيباني وابن دأب وهشام بن محمد الكلبي وإسحاق بن  
الخصاص وغيرهم من الرواة .

(١) الامترأء : الاستدراء . (٢) بينها هنا معناه وصلها لأنه من أسماء الأضداد ، يطلق على الوصل والفراق .

قال أبو عمرو الشيباني وأبو عبيدة : كان المجنون يهوى ليلي بنت مهدي بن سعد بن مهدي بن ربيعة بن الحريش بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة وتكنى أم مالك ، وهما حينئذ صبيان ، فعلق كل واحد منهما صاحبه وهما يرعيان مواشي أهلها ، فلم يزالا كذلك حتى كبرا فحجبت عنه ، قال : ويدل على ذلك قوله :

تعلقت ليلي وهي ذات ذؤابة<sup>(١)</sup> \* ولم يبد للأتراب من نديها حيم  
صغيرين نرعى بهم ياليت أننا \* إلى اليوم لم تكبر ولم تكبر بهم

وقال ابن الكلبي : كان سبب عشق المجنون ليلي ، أنه أقبل ذات يوم على ناقة له كريمة وعليه حلتان من حلل الملوك ، فتر بأمرأة من قومه يقال لها : كريمة ، وعندها جماعة نسوة يتحدثن ، فبين ليلي ، فأعجبتهن جماله وكأله ، فدعونه إلى النزول والحديث ، فنزل وجعل يتحدثن وأمر عبداً له كان معه فعقرهن ناقته ، وظل يتحدثن بقية يومه ، فبينا هو كذلك ، إذ طلع عليهم قتي عليه بردة من برد الأعراب يقال له : "منازل" يسوق معزى له ، فلما رأيته أقبلت عليه وتركن المجنون ، فغضب وخرج من عندهن وأنشأ يقول :

أعقر من جراً كريمة ناقتي \* ووصل مفروش لوصول منازل  
إذا جاء فعقن الحلي ولم أكن \* إذا جئت أرضي صوت تلك الخلايل  
متى ما أنتضلتا بالسهم نضته<sup>(٢)</sup> \* وإن نيم رشقا<sup>(٤)</sup> عندها فهو ناضلي

قال : فلما أصبح ليس حلتته وركب ناقة له أخرى ومضى متعرضاً لهن ، فألقى ليلي قاعدةً يفاء بيتها وقد علق جبه بقلبها وهويته ، وعندها جويريات يتحدثن معها ، فوقف بهن وسلم ، فدعونه إلى النزول وقلن له : هل لك في محادثة من لا يشغله عنك منازل ولا غيره؟ فقال :

(١) الذؤابة : شعر الناصية .

(٢) أي من أجل ، يقال : فعلت ذلك من جزاك أي من أجلك ومما أشد على هذا :

أمن جراً بنى أسد غضبهم \* ولو شتمت لكان لكم جوار

(٣) أي ترامينا بالسهم ، ونضته : غلبته . (٤) الرشق : رمى أهل النضال ما معهم من السهام

في جهة واحدة .

إلى لعمري، فنزل وفعل مثل ما فعله بالأمس، فأرادت أن تعلم، هل لها عنده مثل ما له عندها، فجعلت تُعرض عن حديثه ساعةً بعد ساعةٍ وتُحدث غيره، وقد كان علو بقلبه مثل حبها إياه وشغفته وأستلحها، فيينا هي تُحدثه، إذ أقبل فتى من الحى فدعته وسارته سرارا طويلا، ثم قالت له: انصرف، ونظرت إلى وجه المجنون قد تغير وأنتقع لونه وشق عليه فعلها، فأنشأت تقول:

كَلَانَا مُظْهِرٌ لِلنَّاسِ بَعْضًا \* وَكُلُّ عِنْدَ صَاحِبِهِ مَكِينٌ  
تُبَلِّغُنَا الْعِيُونَ بِمَا أَرَدْنَا \* وَفِي الْقَلْبَيْنِ تَمَّ هَوَى دَفِينٌ

فلما سمع البيتين شفق شهقةً شديدةً وأغمى عليه، فكث على ذلك ساعةً، ونصحو الماء على وجهه حتى أفاق وتمكن حب كل واحد منهما في قلب صاحبه حتى بلغ منه كل مبلغ.

وعن أبي الهيثم العقيلي قال: لما شهِر أمرُ المجنون ولبى وتناشد الناس شعره فيها، خطبها وبذل لها خمسين ناقة حمراء، وخطبها ورد بن محمد العقيلي وبذل لها عشرًا من الإبل وراعيها، فقال أهلها: نحن نخبروها بينكما، فمن آخترت تزوجته، ودخلوا إليها فقالوا: والله لئن لم نخارى وردًا لئثلن بك، فقال المجنون:

أَلَا يَا أَيْلَ إِنْ مُلِّكْتِ فِينَا \* خِيَارِكَ فَاَنْظُرِي لِمَنِ الْخِيَارُ  
وَلَا تَسْتَبْدِلِي مَنِّي دَنِيًّا \* وَلَا بَرْمَا إِذَا حُتَّ الْقَتَارُ<sup>(٢)</sup>  
يَهْرُولُ فِي الصَّغِيرِ إِذَا رَأَاهُ \* وَتُعْجِزُهُ مُلِمَاتُ كِبَارُ  
فَتَلُّ نَأِيمٍ مِنْهُ نِكَاحٌ \* وَمِثْلُ تَمْوِيٍّ مِنْهُ أَفْتِقَارُ  
فَاخْتَارَتْ وَرَدًّا فَتَرَوَّجَتْهُ عَلَى كَرِّهِ مِنْهَا .

وقال:

أَيَا وَنَحْ مِنْ أَمْسَى تُحْلِسُ<sup>(٣)</sup> عَقْلَهُ \* فَأَصْبِحَ مَذْهُوبًا بِهِ كُلُّ مَذْهَبٍ  
خَلِيًّا مِنَ الْخِلَّانِ إِلَّا مَعْدَرًا<sup>(٤)</sup> \* يُضَاحِكُنِي مَنْ كَانَ يَهْوَى تَجَنُّبِي

- (١) البرم: التفتيل . (٢) القطار: ريح اللحم المشوي . (٣) تحلس: سلب .  
(٤) هو المقصر الذى لا عذر له ولكنه يتكلف العذر، ومنه قوله تعالى: (وجاء المعذرون من الأعراب ليؤذن لهم).

عصر المأمون  
أبو الهيثم العقيلي

عصر  
الإنسان

إذا ذُكِرْتُ ليلي عَقَلْتُ وراجعتُ \* روائعُ عَقْلِي من هَوَى مُتَشَعِّبٍ<sup>(١)</sup>  
 وقالوا صحیحٌ ما به طيفُ جنّةٍ \* ولا لهمُ إلا بافتراءُ التَكْذِبِ  
 وشاهدٌ وجدى دمعُ عيني وحُبها \* برى اللّمْ عن أحناءِ عظمى ومنكبي<sup>(٢)</sup>  
 تجنّبتُ ليلي أن يَلِجَ بك الهوى \* وهياتَ كان الحبُّ قبل التجنّبِ  
 ألا إنّما غادرتِ يا أم مالكٍ \* صدّي أينما تذهبُ به الريحُ يذهبُ<sup>(٣)</sup>  
 فلم أزل ليلى بعد موفِّفِ ساعةٍ \* بخيفٍ مني ترمي جمارَ المحصبِ  
 ويدي الحصى منها إذا قذفتُ به \* من البردِ أطرافَ البنانِ المُخضبِ  
 فأصبحتُ من ليلى الغداةِ كخاطرٍ \* مع الصبحِ في أعتابِ نعيمٍ مغربٍ

قال أبو الفرج : أنشدني الأَخْفَشُ عن أبي سعيد السُّكْرِيّ عن محمد بن حبيب

للجنون :

فواللهِ ثم اللهِ إنّي لدائبٌ \* أفكرُ ما ذنبي إليها وأعجبُ  
 وواللهِ ما أدري علامَ قتلتنى \* وأىّ أمورى فيك ياليلَ أركبُ  
 أقطعُ جبلَ الوصلِ فالموتُ دونه \* أم أشربُ رنقا منكُم ليس يشربُ  
 أم أهرُبُ حتى لأرى لى مجاورا \* أم أصنعُ ماذا أم أبوح فأغلبُ  
 فأيهما ياليلَ ما ترنّضينه \* فإني لمظلومٌ وإني لمعتبُ

وقال :

عرّضتُ على قلبي العزاءَ فقال لى \* من الآنَ فإياش لا أعزك من صبرِ  
 إذا بان من تهوى وأصبح نائياً \* فلا شىءَ أجدى من حلوك في القبرِ

(١) الروائع : جمع رائحة ، أى مرتاعة . (٢) الأحناء : جمع حنو وهو كل شىء فيه أعوجاج كعظم الحجاج (العظم الذى ينبت عليه الحاجب) واللى والصلع . (٣) الصدى : الجسد من الآدمى بعد موته ، ويطلق على الرجل النحيف الجسد ، كما أنه يطلق على الصوت الذى يسمعه المصوت عقب صياحه راجعا اليه من نحو الجبل والبناء المرتفع .

وداع دعا إذ نحن بالخيف من منى \* فهيج أطراب الفؤاد وما يدري  
 دعا باسم ليلى غيرها فكأتما \* أطار بليلي طائرا كان في صدري  
 دعا باسم ليلى ضلل الله سعيه \* وليلى بأرض عنه نازحة ففر

وقال :

أيا جبلى نعمان بالله خليا \* سبيل الصبا يخلص إلى تسميها  
 أجد بردها أو تسف منى حرارة \* على كيد لم يبق إلا صميمها<sup>(٢)</sup>  
 فاك الصبا ريح إذا ما تنسمت \* على نفس محزون تجلت همومها

وقال :

أيا حرجات الحى حيث تمهلوا \* بذي سلم لا جادكن ربيع<sup>(٤)</sup>  
 وحياتك اللاتي بمنعرج اللوى \* بلبين بلى لم تبلهن ربيع<sup>(٥)</sup>  
 ندمت على ما كان منى ندامة \* كما يندم المغبون حين يبيع<sup>(٦)</sup>  
 فقدتلك من نفس شعاع فإنى \* نهيتك عن هذا وأنت جميع<sup>(٧)</sup>  
 فقتربت لى غير القريب وأشرفت \* إليك ثانيا ما لهن طلوع<sup>(٨)</sup>

وله :

يا صاحبي أيا بي بمنزلة \* قد مر حين عليها أيما حين  
 إني أرى رجعات الحب تقتلني \* وكان في بدنها ما كان يكفيني<sup>(٩)</sup>  
 لا خير في الحب ليست فيه قارعة \* كأت صاحبها في نزع موتون

- (١) الأطراب : جمع طرب وهو خفة تعترى الشخص من شدة الفرح أو الحزن . (٢) صميمها : أصلها .  
 (٣) الحرجات : جمع حرجة وهي الغيضة ، وسميت بذلك لضيقها ، وقيل : الشجر الملتف ، وهي أيضا الشجرة  
 تكون بين الأشجار لا تصل إليها الآكلة وهي ما رعى من المال . (٤) ذو سلم : موضع بالحجاز .  
 (٥) يقال : نفس شعاع إذا انتشر رأيا فلم ينح لأمر جزم . (٦) الجميع : ضد المتفرق .  
 (٧) أشرفت : ظهرت وأرتفعت . (٨) الثانيا : جمع ثنية وهي الطريقة في الجبل ، وقيل : هي العقبة ،  
 وقيل : هي الطريق العالي فيه ، يريد أن الوصول الى ليلي صعب لا يستطيعه . (٩) الموتون : المضروب على  
 الوتين ، وهو عرق معلق بنياط القلب .

إِنْ قَالَ عَدَاةٌ مَهْلًا فَلَانَ لَهُمْ \* قَالَ الْهَوَىٰ غَيْرُ هَذَا الْقَوْلِ يَعْنِي  
الَّتِي مِنَ الْيَأْسِ تَارَاتٍ فَتَقْتُلُنِي \* وَلِلرَّجَاءِ بَشَاشَاتٌ فَتُحْيِينِي

وله :

أُمْسَتْ قَبْلِي نَفْحُ الصَّبَا ثُمَّ شَائِقِي \* بَرِّدِ شَيَا أُمَّ حَسَّانَ شَائِقِي  
كَأَنَّ عَلَىٰ أُنْيَابِهَا الْخَمْرَ شَجَّهَا <sup>(١)</sup> \* بَمَاءِ النَّدى مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ عَاتِقِي <sup>(٢)</sup>  
وَمَا شَمْتُهُ إِلَّا بَعِينِي تَفَرُّسًا \* كَمَا شِيمَ فِي أَعْلَى السَّحَابَةِ بَارِقِي

وروى الأصمعي له قوله :

أَخَذْتُ مُحَاسِنَ كُلِّ مَا \* ضَمَّتُ مُحَاسِنَهُ بِحُسْنِهِ  
كَادَ الْغَزَالُ يَكُونُهَا \* لَوْلَا الشَّوَى وَنُشُورُ قَرْنِهِ

قال : وهو القائل :

وَلَمْ أَرَ لَيْلِي بَعْدَ مَوْقِفِ سَاعَةٍ \* بِحَيْفٍ مِنِّي تَرْمِي جِمَارَ الْمُحْصَبِ  
وَيُؤَيِّدِي الْخَصِي مِنْهَا إِذَا قَذَفَتْ بِهِ \* مِنَ الْبُرْدِ أَطْرَافَ الْبِنَانِ الْمُخْضَبِ  
فَأَصْبَحْتُ مِنْ لَيْلِي الْغَدَاةَ كَنَاطِرٍ \* مَعَ الصَّبْحِ فِي أَعْقَابِ نَجْمٍ مُغْرِبٍ  
أَلَا إِنَّمَا غَادَرْتِ يَا أُمَّ مَالِكٍ \* صَدَىٰ أَيْنَمَا تَذْهَبُ بِهِ الرِّيحُ يَذْهَبُ

وقال :

يَقُولُ أَنَسٌ عَلَّ مَجْنُونٍ عَامِرٍ \* يَرُومُ سَأَلُوا قَلْتُ أَنِي لِمَا يَبَا  
وَقَدْ لَامَنِي فِي حُبِّ لَيْلِي أَقَارِبِي \* أَنَحِي وَأَبْنُ عَمِّي وَأَبْنُ خَالِي وَخَالِيَا  
يَقُولُونَ لَيْلِي أَهْلُ بَيْتِ عَدَاوَةٍ \* بِنَفْسِي لَيْسِي مِنْ عَدُوٍّ وَمَالِيَا <sup>(٣)</sup>  
وَلَوْ كَانَ فِي لَيْلِي شَدًّا مِنْ خِصْمَةٍ \* لَلَّوَيْتُ أَعْنَاقَ الْمَطِيِّ الْمَلَاوِيَا

(١) شجها : مزجها . (٢) العاتق : البكر التي لم تبن عن أهلها ، والظاهر أنها ليست مرادة

هنا وأن كلمة «عائق» محذوفة عن «غابق» وهو الساق في الغبوق أى العشى .

(٣) الملاوى : جمع ملوى وهو مصدر ميمى من لوى بمعنى خلف .

وقال :

ألا ما ليلى لا ترى عند مضجعي \* بليلى ولا يجرى بذلك طائر  
 بلى إن عجم الطير تجرى إذا جرت \* بليلى ولكن ليس للطير زاجر  
 أزلت عن العهد الذى كان بيننا \* بذى الأثل أم قد غيرتها المقادر  
 فوالله ما فى القرب لى منك راحة \* ولا البعد يسلينى ولا أنا صابر  
 ووالله ما أدرى بأية حيلة \* وأى مرام أو خطار<sup>(١)</sup> أخاطر  
 وتالله إن الدهر فى ذات بيننا \* على لها فى كل حال لجائر  
 فلو كنت إذ أزمعت هجرى تركننى \* جمع<sup>(٢)</sup> القوى والعقل منى وافر  
 ولكن أياي يحفل عنيزة<sup>(٣)</sup> \* وبالرزم أيام جناها التجاور  
 وقد أصبح الود الذى كان بيننا \* أمانى نفس والمؤمل حائر  
 لعمري لقد رقت<sup>(٤)</sup> يا أم مالك \* حياتى وسأقتنى إليك المقادر

وقال :

يا للرجال لهم بات يعرفونى \* مستطرف وقديم كان يعينى  
 على غريم مليء غير ذى عدم<sup>(٥)</sup> \* أبى فيمطلنى دينى ويلوينى<sup>(٧)</sup>  
 لا يذكر البعض من دينى فينكره \* ولا يحدثنى أن سوف يقضينى  
 وما ككشكرى شكر لو يوافقنى \* ولا منى كمنه إذ يمينى

(١) الخطار: مصدر من خاطر بمعنى راهن .

(٢) جمع : مجتمع . (٣) الحقل : المزرعة و يطلق على الموضع البكر الذى لم يزرع فيه قط .  
 وعنيزة : موضع بين البصرة ومكة . والرزم : موضع على ستة أميال من زباله ، وزباله : منزل معروف بطريق  
 مكة من الكوفة . (٤) رقت : كدرت ، والترنق كما يطلق على التكدير يطلق على ضده الذى هو التصفية .  
 (٥) مليء بالهمز أى ثقة غنى . قال صاحب اللسان : وقد أولع فيه الناس بترك الهمز وتشديد الياء .  
 (٦) عدم أى فقر ومثله العدم بضم العين وسكون الدال . قال صاحب اللسان : اذا ضمت أوله خففت فقلت :  
 العدم واذا فتحت أوله ثقلت فقلت : العدم . (٧) يلوينى : يطلنى ، يقال : لواه دينه وبدينه : مطله .

أطعته وعصيتُ الناسَ كُلَّهُمْ \* في أمره ثم يَأْبَى فهو يَعْصِبُنِي  
 حَيْرِي لمن يبتغي خيري ويأمله \* من دون شَرِي وشَرِي غير ما مون<sup>(٢)</sup>  
 وما أشاركُ في رأيي أخوا ضَعِيفٌ \* ولا أقولُ أُنحَى من لا يُوَاتِبُنِي<sup>(١)</sup>  
 وله :

ألا أيها البيتُ الذي لا أزوره \* وإن حلَّه شخصٌ إلى حبيبٍ  
 هجرتك إشفاقاً وزرئتُك خائفاً \* وفيك على الدهر منك رقيبٌ  
 سأستعيبُ الأيامَ فيك لعلها \* بيومٍ سرورٍ في الزمانِ تؤوبُ  
 وبلغ المجنون أن أهل ليلي يريدون نقلها إلى الثَّقَفِيِّ فقال :

كأن القلبَ ليلةً قيلَ يُعدى \* بليلى العامريةِ أو يراحُ  
 قطاةً عزَّها شركٌ فباتت \* تُجاذبه وقد علقَ الجناحُ

فلما نُقلتُ ليلي إلى الثَّقَفِيِّ قال :

طربتَ وشاقتك الحمولُ الدوافعُ \* غداةَ دعا بالبين أسفَعُ نازعُ<sup>(٤)</sup>  
 شحاً فاهُ نعباً بالفراقِ كأنه \* حريبٌ سَلِيبٌ نازحُ الدارِ جازعُ<sup>(٧)</sup>  
 فقلتُ ألا قد بين الأمرُ فأنصرفُ \* فقد راعنا بالبين قبلك راعُ<sup>(٨)</sup>  
 سقيتَ سُموماً من غرابٍ فإنني \* تبيئتُ ما خبرتَ مذ أنت واقعُ

(١) الضعف هكذا بالتحريك : لفة في الضعف بالفتح والسكون . ويستعمل في ضعف الرأى والعقل ،  
 وأشد عليه ابن الأعرابي هذا البيت . ويستعمل في ضعف الجسم وأشد عليه :  
 ومن يلق خيراً يغمز الدهر عظمه \* على ضعف من حاله وفنور

(٢) يواتبني : يساعدي .

(٣) الحمول في الأصل : الهوادج واحدها حمل ثم اتسع فيها وصارت تستعمل في الإبل التي عليها الهوادج .  
 والدوافع : المندفعة في السير . (٤) كذا في أغلب النسخ وترين الأسواق . وفي ب ، سد :  
 «أسخم» والأسفع والأسخم معانها واحد وهو الأسود . والنازع : المسرع . والمراد بالأسفع النازع «الغراب» .  
 (٥) شحافاه يشحوه ويشحاه : فتحه . (٦) نعباً : صياحا وتصويتاً . (٧) الحريب : من  
 سلب حريته وهي ماله الذي يقوم به أمره . (٨) بين بمعنى تبين ، ومنه المثل : «قد بين الصبح لدى عينين» .

ألم تَرَ أُنِّي لا مُحِبُّ أَلومَه \* ولا يَسِديلِ بَعْدَهُمُ أنا قانِع  
 ألم تر دارَ الحَيِّ في رونقِ الضحَى \* بحيثُ أَنحَتُ لِلهَضْبَتَيْنِ الأَجَارِعُ<sup>(١)</sup>  
 وقد يَنبَئُ الألفُ من بَعْدِ أَلْفَةٍ \* ويصدَعُ ما بينَ الخَلِيطَيْنِ صَادِعُ  
 وكَم من هوى أو جِيرةٍ قد أَلْفَتَهُمُ \* زَمانا فلم يَمنعَهُمُ البينَ مانِعُ<sup>(٢)</sup>  
 كَأَنِّي غداةَ البينِ مَيِّتٌ جَوِيَةٌ \* أخو ظمًا سُدَّتْ عليه المِشارِعُ<sup>(٣)</sup>  
 تَحَلَسُ من أوْشالِ ماءٍ صَبَابَةٍ \* فلا الشَّرْبُ مَبذُورٌ ولا هو ناقِعُ<sup>(٤)</sup>  
 ويبيضُ تَطَلَّى بِالعَبِيرِ كَأَنَّها \* نِعاجُ المِلا جِئِيتُ عليها السِّراعُ<sup>(٥)</sup>  
 تَحَلَنُ من وادى الأَرَاكِ فأومَضَت \* لَهَنَ بِأَطرافِ العيونِ المِدامِعُ<sup>(٦)</sup>  
 فما رَمَنَ رِبَعِ الدارِ حتى تَشابَهَتْ \* هِجائِمُها والجُحُونُ منها الخِواضِعُ<sup>(٧)</sup>  
 وحتى حَمَلَنَ الحورَ من كلِّ جانب \* وخاضتُ سُدُولَ الرِّقَمِ منها الأَكَارِعُ<sup>(٨)</sup><sup>(٩)</sup><sup>(١٠)</sup><sup>(١١)</sup><sup>(١٢)</sup><sup>(١٣)</sup><sup>(١٤)</sup><sup>(١٥)</sup>

(١) الهضبتان : منى هضبة وهى الزاوية أو الجبل المنبسط على الأرض أو الجبل المخلوق من صخرة واحدة ، والأجارع : جمع أجرع ، والأجرع كالجرعاء : الأرض ذات الحزونة تشاكل الرمل أو الرملة السهلة المستوية أو القطعة من الرمل لا تبتت شيئاً ( انظر اللسان في مادق هضب وجرع ) . (٢) الهوى بمعنى المهوى وهو المحبوب ، ومنه قول الشاعر :

هَوَاىَ مع الركب اليمانيين مُصَعِدٌ \* جَنِيبٌ وَجُهَانِي بِمِصْكَةٍ مُوتِقٌ

(٣) الجسوبة : فضاء أملس سهل بين أرضين . (٤) تحلس الشيء : اتبته وأخذته خلسة . (٥) الأوشال : جمع وشل وهو الماء القليل . والصبابة : بقية الماء تبقى في الأناة والسقاء . (٦) هو من تقع بمعنى روى . (٧) الملا : الصحراء . (٨) أى قطعت . (٩) هو واد قرب مكة . (١٠) معناه ما برحن . يقال : ما رام المكان أى ما برحه . (١١) الهجانن : الإبل البيضاء الكريمة واحدها هجان . والجون : جمع جون بفتح الجيم وهو الأسود المشرب بحجرة ، ويطلق على الأسود اليمحوى وعلى الأبيض فهو من أسماء الأضداد . (١٢) الخواضع : الإبل وإنما يقال لها خواضع لأنها تخضع أعناقها حين يجتد بها السير ، قال جرير :

ولقد ذكركِ والمطى خواضع \* وكأنتنَ قَطَاً قَلاةً مَجَّهَلِ

(١٣) الحور : جمع حوراء وهى البيضاء أو من فى عينها حور وهو شدة سواد المقلة فى شدة بياضها . (١٤) السدول : جمع سدیل وهو ما يجبل به الطودج من الثياب . (١٥) الأكارع : جمع أكرع والأكرع جمع كراع ، أو الأكارع كما يقول سيويه جمع كراع على غير قياس . والكراع من الانسان : مادون الركبة الى الكعب ، ومن الدابة قوامها مطلقا .

فلما آستوت تحت الخدور وقد جرى \* عَيْرٌ ومسكٌ بالعرانين رَادِعٌ<sup>(١)</sup>  
 أَشْرَنَ بَأْنَ حُشْوَا الْجِمَالِ فَقَدْ بَدَأَ \* من الصيف يوم لَأَغُ الحَرَّ مَاتِعٌ<sup>(٢)</sup>  
 فَلَمَّا لَحِقْنَا بِالْحُجُولِ تَبَاشَرْتُ \* بِنَا مُقْصِرَاتٍ غَابَ عَنْهَا الْمَطَامِعُ<sup>(٣)</sup>  
 يُعْرَضْنَ بِالذَّلِّ الْمَلِيحِ وَإِن يَرُدُّ \* جَنَاهُنَّ مَشْغُوفٌ فَهِنَّ مَوَانِعُ<sup>(٤)</sup>  
 فَقُلْتُ لِأَصْحَابِي وَدَمْعِي مُسْبَلٌ \* وَقَدْ صَدَعَتِ الشَّمْلُ الْمَشْتَتِ صَادِعُ<sup>(٥)</sup>  
 أَلَيْلِي بِأَبْوَابِ الخُدُورِ تَعَرَّضْتُ \* لِعَيْنِي أَم قَرْنٌ مِنَ الشَّمْسِ طَالِعُ

وروى أن أبا المجنون حجَّ به ليدعو الله عزَّ وجلَّ في الموقف أن يُعَافِيَهُ، فسار ومعه ابنُ عمه زياد بن كعب بن مُزَاحِم، فترَّ بحمامة تدعو على أَيْكَةِ فوقف يبكي، فقال له زياد: أَى شَىء هَذَا؟ مَا يُبْكِيكَ أَيضًا؟ سرَّ بِنَا نَلْحِقِ الرُّقَّةَ، فقال:

أَنَّ هَتَفْتُ يَوْمَا بَوَادٍ حَمَامَةً \* بَكَيْتَ وَلَمْ يَعْدِرْكَ بِالْجُهْلِ عَازِرُ<sup>(٦)</sup>  
 دَعَتْ سَاقَ حَرٍّ بَعْدَ مَا عَلَتِ الضُّحَى \* فَهَاجَ لَكَ الْأَحْزَانُ أَنْ نَاحَ طَائِرُ<sup>(٧)</sup>  
 تُغْنِي الضُّحَى وَالصُّبْحَ فِي مَرْجِحَةٍ \* كَأَنَّ الْأَعَالِي تَحْتَهَا الْمَاءُ حَازِرُ<sup>(٨)</sup>  
 كَأَنَّ لَمْ يَكُنْ بِالغَيْلِ أَوْ بَطْنِ أَيْكَةٍ \* أَوْ الْجَزْعِ مِنَ تَوَلَّى الْأَشْأَاءِ حَاضِرُ<sup>(٩)</sup>

(١) المراد بالرادع هنا المردوع به الجسد أو الثوب وهو العير والمسك . وأصل الردع اللطخ بالطيب والزعفران، يقال: قبض رادع ومردوع أى فيه أثر الطيب والزعفران، وفي حديث ابن عباس رضى الله عنهما: «لم ينه عن شىء من الأدوية الا عن المزفرة التى تردع الجلد» أى تنفض صبغها عليه . (٢) الماتع: الطويل . (٣) مقصرات: جمع مقصرة أى داخله فى القصر وهو العشى، يقال: آتته قصرًا أى عشيًا، وأقصرنا أى دخلنا فى قصر العشى، كما تقول أمسينا من المساء من أعصرتِ الحارية إذا بلغت عصر شبها، أو من أعصرت أى دخلت فى العصر (انظر لسان العرب مادة قصر) . (٤) تدعو: تصوت وتسوح . (٥) ساق حرّ: أصله صوت القهارى ويطلق على الذكر من القهارى تسمية له باسم صوته وهو المراد هنا (انظر اللسان مادق سوق وحرّ) . (٦) المرجحة: المهترئة المتأيلة . (٧) حائر: متردد . (٨) الغيل: اسم لعدّة مواضع والظاهر أنّ المراد هنا واد لبنى جعدة وهم قوم المجنون . (٩) الأيكة: الغيضة المتلفة الأشجار ولم نجد فى الكتب التى بأيدينا «أيكة» ولا «بطن أيكة» اسما موضع خاص كما هو المناسب للسياق . (١٠) الجزع: منعطف الوادى ولعله هنا اسم لموضع خاص وقد يكون جزع بنى ججاز وهو واد باليمامة . (١١) الأشاءة: موضع باليمامة فيه نخيل . ولعل كلمة «تول» محترقة عن «تال» والتال: صغار النخل واحده تالة .

يقول زيادٌ إذ رأى الحَيَّ هَجَرُوا<sup>(١)</sup> \* أرى الحى قد ساروا فهل أنت سائرُ  
وإنى وإن غَالَّ التَّقَادُمُ حاجتى \* مُلِمُّ على أوطان لَيْسَى فَنَظِرُ<sup>(٢)</sup>

كان المجنونُ ولىيَ وهما صَبِيَّانِ يَرَعِيَانِ غنما لأهلهمَا عند جبلٍ فى بلادهما يقال له<sup>(٣)</sup>  
التوباد، فلما ذهب عقله وتوحش، كان يجرى إلى ذلك الجبلِ فيقيمُ به، فإذا تذكر أيام  
كان يُطِيف هو ولىي به جَزَعُ جزعا شديدا وأستوحش فهام على وجهه حتى يأتى نواحي  
الشأم، فإذا تاب إليه عقله رأى بلدا لا يعرفه فيقول للناس الذين يلقاهم : أبى أتم، أين  
التوباد من أرض بنى عامر؟ فيقال له : وأين أنت من أرض بنى عامر ! أنت بالشأم  
عليك بنجم كذا فأتمه، فيمضى على وجهه نحو ذلك النجم حتى يقع بأرض اليمن، فيرى بلادا  
يُنكرها وقوما لا يعرفهم فيسألهم عن التوباد وأرض بنى عامر، فيقولون : وأين أنت من  
أرض بنى عامر ! عليك بنجم كذا وكذا، فلا يزال كذلك حتى يقع على التوباد، فإذا رآه  
قال فى ذلك :

وأَجْهَشْتُ<sup>(٤)</sup> للتوبادِ حينَ رأيتُه \* وَكَبَّرَ<sup>(٥)</sup> للرحمن حينَ رآنى  
وأذريتُ دمعَ العينِ لما عرفتُه \* ونادى بأعلى صوتِه فدعانى  
فقلتُ له قد كان حولك جيرةٌ \* وعهدى بذاك الصرم منذ زمانِ  
فقال مَضُومًا وأستودعُونى بلادهم \* ومن ذا الذى يبقَى على الحدَثَانِ  
وإنى لأبكى اليومَ من حَذَرى غدا \* فِرَاقَكَ<sup>(٦)</sup> والحَيَّانِ مُجْتَمِعَانِ  
سَجَالًا<sup>(٧)</sup> وتَهْتَانًا<sup>(٨)</sup> ووبلا وديمةً \* وسجًا<sup>(٩)</sup> وتَسْجَامًا<sup>(١٠)</sup> إلى همَلَانِ<sup>(١١)</sup>

- (١) هجروا : ساروا فى وقت الهاجرة . (٢) غال الشيء : ذهب به . (٣) التوباد (بالدال المهملة) وهو الموافق لما فى معجم ما أستعجم للبكرى إذ قال فى ضبطه : هو بفتح أوله وباء معجمة بواحدة ودال مهملة وأنشد عليه : \* وأجهشت للتوباد حين رأيتُه \* البيت .  
وضبطه ياقوت بالدال المعجمة فقال فى معجمه : « توباد » بالفتح ثم السكون والباء موحدة وآخره ذال معجمة :  
جبل بنجد . (٤) أجهشت : تهيات للبكاء . (٥) يقال : هنت السماء تهتن هتنا وتهتانا أى صبت .  
(٦) يقال : سجت السحابة مطرها تسجما وتسجاما إذا صبت . (٧) هملان : قبض العين بالدموع .

وكان المجنون يسير مع أصحابه فسمع صائحا يصيح : يا ليل في ليلة ظمء أو توهم ذلك ، فقال لبعض من معه : أما تسمع هذا الصوت ؟ فقال : ما سمعت شيئا ، قال : بلى ، والله هاتف يهتف بليلى ، ثم أنشأ يقول :

أقول لأدنى صاحبي كُلمة \* أسرت من الأقصى أجب ذا المناديا  
إذا سرت في الأرض الفضاء رأيتي \* أصانع رحي أن يميل حياليا  
يمينا إذا كانت يمينا وإن تكن \* شمالا ينازعني الهوى عن شماليا

خطب ليلي صاحبة المجنون جماعة من قومها فكبرتهم ، فخطبها رجل من ثقيف مؤسرفرضيته ، وكان جميلا فتزوجها وخرج بها ، فقال المجنون في ذلك :

ألا إن ليلى كالمنجحة أصبحت \* تقطع إلا من ثقيف جهاها  
فقد حبسوها محبس البدن وأبتغي \* بها الربح أقوام تساحت ماها<sup>(٣)</sup>  
خيل لي هل من حيلة تعلمانها \* يدني لنا تكلم ليلى أحتياها  
فإن أتما لم تعلمانها فلستما \* بأول باغ حاجة لا ينالها  
كأت مع الركب الذين آغتلوا بها \* غمامة صيف زعزعتها شمالها  
نظرت بمفضى سيل جوشن إذ غلوا<sup>(٤)</sup> \* تحب بأطراف المخارم أهأ<sup>(٥)</sup>  
بشافية الأحران هيج شوقها \* مجامعة الألاف ثم زياها  
إذا ألتفتت من خلفها وهي تعتلي \* بها العيس جلي عبرة العين حالها

(١) الرجل : ما يوضع على البعير للركوب ثم يعبر به عن البعير .

(٢) المنجحة في الأصل : الشاة أو الناقة يعطيها صاحبها رجلا يشرب لبنها ثم يردها إذا انقطع اللبن ، ثم

كثرا استعمالها في كل موهوب . (٣) يقال أسحت ماله : استأصله وأفسده ، ومال مسحوت ومسحت

أى مذهب . وأسحت تجارته : خبثت وحرمت ، ولم نجد في كتب اللغة « تساحت » على وزن تقاعل من

هذه المادة

(٤) لم نجد في بلاد العرب ما يسمى جوشن الا جبلا في غربي حلب . (٥) المخارم (بالراء المهملة) :

جمع مخرم وهو الطريق في الجبل أو الرمل .

وله :

وَأَحْسِبُ عِنْدَكَ النَّفْسَ وَالنَّفْسُ صَبَةٌ \* بِذِكْرِكَ وَالْمَشَىٰ إِلَيْكَ قَرِيبٌ  
مَخَافَةَ أَنْ تَسْعَى الْوُشَاةُ بِظَنَّةٍ \* وَأَحْرَسُكُمْ أَنْ يَسْتَرِيبَ مُرِيبٌ  
فَقَدْ جَعَلْتُ نَفْسِي - وَأَنْتِ أَجْتَرِمْتِهِ \* وَكَانَتْ أَعَزَّ النَّاسِ - عِنْدَكَ تَطِيبٌ  
فَلَوْ شِئْتُ لَمْ أَغْضَبْ عَلَيْكَ وَلَمْ يَزَلْ \* لَكَ الدَّهْرُ مِنِّي مَا حَيْثُ نَصِيبٌ  
أَمَّا وَالَّذِي يَبْلُو السَّرَائِرَ كُلَّهَا \* وَيَعْلَمُ مَا تُبْدِي بِهِ وَتَغِيبُ  
لَقَدْ كُنْتُ مِنْ تَصْطَفِي النَّفْسُ خُلَّةً \* لَهَا دُونَ خُلَانِ الصَّفَاءِ حُجُوبٌ

٢ - قيس بن ذريح<sup>(١)</sup>

من شعر قيس :

يَقُولُونَ لُبِّي فِتْنَةٌ كُنْتُ قَبْلَهَا \* بَخِيرٍ فَلَا تَنْدَمُ عَلَيْهَا وَطَلَّقِي  
فَطَاوَعْتُ أَعْدَائِي وَعَاصَيْتُ نَاصِحِي \* وَأَقْرَرْتُ عَيْنَ الشَّامِتِ الْمُتَخَلِّقِ  
وَدِدْتُ وَبَيْتَ اللَّهِ أَنِي عَصَيْتُهُمْ \* وَحَمَلْتُ فِي رِضْوَانِهَا كُلَّ مُوَبِقِ  
وَكُلَّفْتُ خَوْضَ الْبَحْرِ وَالْبَحْرُ زَاخِرٌ \* أَيْلَتُ عَلَى أَثْبَاجِ مَوْجٍ مَغْرَقِ

(١) هو قيس بن ذريح الكعبي من ليث بن بكر كان منزله قومه بظاهر المدينة . من لبعض حاجته بخيام بني كعب بن خزاعة فرأى لبني بنت الحباب الكعبية ، وكانت فتاة جميلة ، فعلقها ، فطلبها من أبيه فنهه إياها لمكانه من الثروة ، وكان يريد أن يزوجه من بنات عمومه حتى يحفظ تراثه في أهله ، فطار لب قيس وتقسمت نفسه وذهب ، فاستشفع بأخيه من الرضاع ، الحسين بن علي ، فوجد ما أحب وتروجه ومكنا زمانا ولم يعقبا ، وشغل قيسا حب لبني عن مواساة أمه فاضطغت على زوجه وسعت بها عند أبيه متخذة عدم الولد سلها ترقى به الى شرها ، فطلب اليه أبوه أن يطلقها فأبى ، فما زال به بالوعد والوعيد حتى أجابه الى طلبته ، وكان في ذلك القضاء الأخير على ما لقيس من حفظ وعقل في هذه الحياة ولم ينفع بتر ويجه غيرها ، وطارت نفسه شاعا وذهب على وجهه يتنسم أخبار لبني ويمرغ خذه في آثارها ، وبقى طول حياته يساقط من نفسه على شعره غير عابئ بشقا ، بدنه وإهدار دمه حتى لفظ النفس الأخير . وأخبار قيس كثيرة في الأغاني (ج ٨ ص ١١٢) والشعر والشعراء (ص ٣٩٩) وله ديوان مشروح ، ومنه نسخة في مكتبة الاسكوريال وغيرها في برلين .

كَأَنِّي أَرَى النَّاسَ الْمُحِبِّينَ بَعْدَهَا \* عُصَارَةَ مَاءِ الْخَنْظَلِ الْمُنْفَلِقِ  
فَتَنَكَّرَ عَيْنِي بَعْدَهَا كُلَّ مَنْظَرٍ \* وَيَكْرَهُ سَمْعِي بَعْدَهَا كُلَّ مَنْطِقِ

وخرج قيس في فِتيّة من قومه واعتلّ على أبيه بالصيد ، فأتى بلادَ لُبْنَى ، فجعل يتوقع أن يراها أو يرى من يرسل إليها ، فأشغل الفتیان بالصيد ، فلما قَضَوْا وَطَرَهُمْ منه رجعوا إليه وهو واقف ، فقالوا له : قد عَرَفْنَا ما أردتَ بإخراجنا معك وأنت لم تُردِ الصيدَ وإنما أردتَ لقاءَ لُبْنَى وقد تعدّرتُ عليك ، فانصرف الآن ؛ فقال :

وما حَامَتُ حُجْنٌ يَوْمًا وَلَيْلَةً \* على المَاءِ يَغْشَى الْعِصَى حَوَانِي  
عَوَاقِي لَا يَصْدُرْنَ عَنْهُ لَوْجَهَةٌ \* وَلَا هُنَّ مِنْ بَرْدِ الْحِيَاضِ دَوَانِي  
يَرِينُ حَبَابَ الْمَاءِ وَالْمَوْتُ دُونَهُ \* فَهِنَّ لِأَصْوَاتِ السَّقَاةِ رَوَانِي  
بَأَجْهَدَ مِنِّي حَرَّ شَوْقٍ وَلَوْعَةٍ \* عَلَيْكَ وَلَكِنَّ الْعَدُوَّ عَدَانِي  
خَلِيلِي إِنْ مَيِّتَ أَوْ مَكَلَّمٌ \* لُبْنَى بَسْرِي فَأَمِضِيَا وَذَرَانِي  
أَنْلُ حَاجَتِي وَحَدِي وَيَأْرُبُ حَاجَةٌ \* قَضَيْتُ عَلَى هَوْلٍ وَخَوْفِ جَنَانِي  
فَأِنِّي أَحَقُّ النَّاسِ أَلَّا تُحَاوِرَا \* وَتَطْرَحَا مِنْ لَوْ يَشَاءُ شِفَانِي  
وَمَنْ قَادَنِي لِلْوَتِّ حَتَّى إِذَا صَفْتُ \* مَشَارِبَهُ السَّمِّ الدُّعَافِ سَقَانِي  
فَأَقَامُوا مَعَهُ حَتَّى لَقِيَهَا .

لما أَلَحَّ ذَرِيحٌ على ابنه قيس في طلاق لُبْنَى فأبى ذلك قيس ، طَرَحَ ذَرِيحٌ نَفْسَهُ في الرَّمْضَاءِ وقال : لا والله لا أَرِيْمُ هذا الموضعَ حتى أموتَ أو يُحْلِيَهَا ، فجاءه قومه من كل ناحية فعظّموا عليه الأمرَ وذكّروه بالله وقالوا : أتفعل هذا بأبيك وأمك ! إن مات شيخك على هذه الحال كنت مُعِينًا عليه وشريكًا في قتله ، ففارق لُبْنَى على رَغْمِ أَنفِهِ وَقَلَّةِ صَبْرِهِ وبكاءٍ منه حتى بكى لهما من حضرهما ؛ وأنشأ يقول :

أَقُولُ خُلُوتِي فِي غَيْرِ جُرْمٍ \* أَلَّا بَلْبِي ، بِنَفْسِي أَنْتِ ، بَلْبِي  
فَوَاللَّهِ الْعَظِيمِ لَتَزْعُ نَفْسِي \* وَقَطَعُ الرَّجْلَ مِنِّي وَالْيَمِينَ

أحبُّ إلىَّ يا بُنَيَّ فِرَاقًا \* فبكيَّ للفراقِ وأسعديني  
ظلمتِكِ بالطلاقِ بغيرِ جُرْمٍ \* فقد أذهبتِ آخِرَتي وديني

قال : فلما سمعت بذلك لبني بكت بكاء شديدا ، وأنشأت تقول :

رحلتُ إليه من بلدي وأهلي \* بخازاني جزاء الخائنين  
فمن رآني فلا يفتّرْ بعدى \* بجُلُوِّ القولِ أو يبلُو الدِّفينا

فلما أتقضت عدتها وأرادت الشخوص إلى أهلها أتيت براحلة لتحمّل عليها ، فلما رأى ذلك قيسٌ داخله أمر عظيم واشتد لهفه ، وأنشأ يقول :

بانتُ لبيني فانت اليوم متبول \* وإنك اليوم بعد الحزم مخبول  
فأصبحتُ عنك لبني اليوم نازحة \* ودلّ لبني - لها الخيرات - معسول  
هل ترجعت نوى لبني بعاقبة \* كما عهدت ليلى العشق مقبول  
وقد أراني بلبني حقّ مقتنع \* والشمل مجتمع والحبل موصول  
فصرتُ من حبّ لبني حين أذكرها \* القلبُ مرتهنٌ والعقلُ مدخول  
أصبحتُ من حبّ لبني بل تذكّرها \* في كُربةٍ ففؤادى اليوم مشغول  
والجسم منى منهوك لفرقتها \* يبريه طولُ سقامٍ فهو منحول  
كأننى يوم ولّت ما تكلمنى \* أخو هيامٍ مصابُ القلبِ مسلول  
أستودع الله لبني إذ تفارقنى \* عن غير طوعٍ وأمرُ الشيخِ مفعول

ثم أرتحلت لبني ، فجعل قيس يقبل موضع رجلها من الأرض وحول خبائها ، فلما رأى ذلك قومه أقبلوا على أبيه بالعدل واللوم ، فقال ذريح لما رأى حاله تلك : قد جئيتُ عليك يا بُنَيَّ ، فقال له قيس : قد كنتُ أخبرك أنى مجنون بها فلم ترض إلا بقتلى ، فالله حسبك وحسبُ أمي . وأقبل قومه يعدّلونه في تقبيل التراب ، فأنشأ يقول :

فأحبيّ لطيبِ ترابِ أرضٍ \* ولكن حبّ من وطئ الترابا  
فهذا فعل شيخينا جميعا \* أرادا لى البليّة والعذابا

وله قصيدة طويلة في تطليقه لبني يقول فيها :

(٢) فَوَاكِبِدِي وَعَاوَدِي رُدَايِ \* وَكَانَ رَأَى لِبْنِي كَالجِدَاعِ  
تَكَتَفَنِي الوُشَاةُ فَأَزْعَجُونِي \* فَيَا لَلَّهِ لِلوَاشِي المَطَاعِ  
فَأَصْبَحْتُ الغَدَاةَ أَلومُ نَفْسِي \* عَلَى شَيْءٍ وَليْسَ بِمَسْتَطَاعِ  
كَمَغْبُونٍ يَعْضُ عَلَى يَدِيهِ \* تَتَيَّنُ غَبْنَهُ بَعْدَ اليِّبَاعِ  
بِدَارِ مَضِيعَةٍ تَرَكَّكَ لُبْنِي \* كَذَلِكَ الحَيْنُ يُهْدِي لِلضَّاعِ  
وَقَدْ عَشْنَا نَلْدَ العَيْشِ حِينًا \* لَوْ آتَ الدَّهْرَ لِلإِنْسَانِ وَاعِي  
وَلَكِنِّ الجَمِيعَ إِلَى آفْتِرَاقِي \* وَأَسْبَابَ الخُتُوفِ لَهَا دَوَاعِي

واجتمع إليه نسوة فأظنَّ الجلوسَ عنده وحادثته وهو ساهٍ عنهنَّ، ثم نادى : يا لبني،  
فقلن له : مالك ويحك ؟ فقال : خَدِرْتُ رَجُلِي « ويقال : إن دعاء الانسان باسم أحبَّ  
الناس إليه يذهب خَدَرَ الرجل ، فناديتها لذلك . وقال :

أِذَا خَدِرْتُ رَجُلِي تَذَكَّرْتُ مِنْهَا \* فَنَادَيْتُ لُبْنِي بِأَسْمِهَا وَدَعَوْتُ  
دَعْوَتِ التِّي لَوْ أَنَّ نَفْسِي تُطِيعُنِي \* لِفَارِقَتِهَا مِنْ حَبِّهَا وَقَضَيْتُ  
بَرَّتْ نَبْلَهَا لِلصَّيْدِ لُبْنِي وَرَيْسَتْ \* وَرَيْسَتْ أُخْرَى مِثْلَهَا وَبَرَيْتُ  
فَلَمَّا رَمَتْنِي أَقْصَدْتَنِي بِسَهْمِهَا \* وَأَخْطَأْتُهَا بِالسَّهْمِ حِينَ رَمَيْتُ  
وَفَارَقْتُ لُبْنِي صَالَةً فَكَأَنِّي \* قَرُبْتُ إِلَى العِيُوقِ ثُمَّ هَوَيْتُ<sup>(٣)</sup>  
فِيالِيتِ أُنَى مِتُّ قَبْلَ فِرَاقِهَا \* وَهَلْ تَرَجِعُنُ فَوْتَ القَضِيَّةِ لَيْتُ  
فَصَرْتُ وَشِخْيَ كَالَّذِي عَثَرْتُ بِهِ \* غَدَاةَ الوَعْيِ بَيْنَ العُدَاةِ كُمَيْتُ  
فَقَامْتُ وَلَمْ تَضُرُّهُنَّ إِلَّا سَوِيَّةً \* وَفَارَسُهَا تَحْتَ السَّنَابِكِ مَيْتُ  
فَأَنْ يَكُ تَهْيَامِي بُلْبُنِي غَوَايَةً \* فَقَدْ يَا ذَرِيحُ بَنَ الحِجَابِ غَوَيْتُ

(١) الرداع : التمس ، وهو رجوع المرض . (٢) الجداع : الموت . (٣) هو نجم أحمري مضئ

في طرف الحجر الأيمن يتلوثر بالآيتقدمها .

فلا أنت ما أملت في رأيتِه \* ولا أنا لبني والحياة حويتُ  
فوطنٌ لهلكي منك نفساً فإنني \* كأنك بي قد يا ذريحُ قصيتُ

ومرض قيس، فسأل أبوه فتياتِ الحى أن يُعُدنه ويحدثه أو يعاقَ بعضهن، ففعلن ذلك، ودخل إليه طبيب ليداويه والفتيات معه، فلما اجتمعن عنده جعل يحدثه وأُظنَّ السؤال عن سبب علته، فقال :

تَعاقَ رُوحى وروحها قبل خلقنا \* ومن بعد ما كنا نطافاً وفي المهيدِ  
فزاد كما زدنا فأصبح نامياً \* وليس اذا متنا بمنصرمِ العهدِ  
ولكنه باق على كل حادثٍ \* وزائرنا في ظلمة القبر والحيدِ

فقال له الطبيب : إن مما يسليك عنها أن تتذكر ما فيها من المساوى والمعائب ،  
فان النفس تنبو حينئذ وتسلو ويخف ما بها .

فلما طال على قيس ما به أشار قومه على أبيه بأن يزوجه امرأة جميلة فلعله يسلوبها  
عن لبني ، فدعاه الى ذلك فأباه وقال :

لقد خفتُ ألا تقنعَ النفسُ بعدها \* بشيء من الدنيا وإن كان مقنعاً  
وأزجر عنها النفس اذ حيل دونها \* وتأبى اليها النفسُ إلا تطلعا  
ولما تزوجت لبني بأخرأتى موضعَ خباؤها فنزل عن راحلته وجعل يتمك موضعها<sup>(١)</sup>  
ويتزغ خذّه على ترابها ويبيكى أحرّ بكاء ثم قال :

الى الله أشكو فقد لبني كما شكا \* الى الله فقد الوالدين يتيمُ  
يتيمٌ جفاه الأقربون بجسمه \* نجيلٌ وعهد الوالدين قديمُ  
بكت دارهم من نأيهم فتهلت \* دموعى فأى الجازعين ألومُ  
أمستعبريكي من الشوق والهوى \* أم أحر بيكي شجوه ويهيمُ  
تهيضىنى من حبّ لبني علائقُ \* وأصنافُ حبّ هوطنٌ عظيمُ

(١) يتمك : يتمزغ في التراب .

ومن يتعلَّق حبُّ لُبْنَى فؤادَه \* يمتُّ أو يعيش ما عاش وهو كليمٌ  
فإني وإن أجمعتُ عنك تجلداً \* على العهد فيما بيننا لمقيمٌ  
وإن زمانا شئتَ الشملَ بيننا \* وبينكم فيه العدا لمشومٌ  
أفي الحق هذا أن قلبك فارغٌ \* صحيحٌ وقلبي في هوالك سقيمٌ

وقال في رحيل لُبْنَى عن وطنها وانتقالها الى زوجها بالمدينة وهو مقيم في حبيها :  
بانت لُبْنَى فهاج القلب من بانا \* وكان ما وعدت مطلا وليانا<sup>(١)</sup>  
وأخلفتك مني قد كنت تأملها \* فأصبح القلب بعد البين حيرانا  
الله يدرى وما يدرى به أحدٌ \* ماذا أجمجم من ذكراك أحياناً  
يا أكل الناس من قرنٍ الى قدمٍ \* وأحسن الناس ذا ثوب وعُرِياناً  
نعم الضجيع بعيد النوم تجلبه \* اليك ممتكاً نوماً ويقظاناً  
لا بارك الله فيمن كان يحسبكم \* إلا على العهد حتى كان ما كانا  
حتى آستفقت أخيراً بعد ما نكحتُ \* فبت للشوق أذرى الدمع تهناتنا  
إن تصرى الحبل أو تسمى مفارقةً \* فالدهر يحدث للإنسان ألواناً  
وما أرى مثلكم في الناس من بشيرٍ \* فقد رأيتُ به حياً ونسواناً

وشكا أبو لبني لمعاوية تعرّض قيس لأبنته بعد طلاقها، فكتب معاوية الى الأمير  
يهدر دمه إن ألم بها، وأن يشتد في ذلك، فكتب مروان في ذلك الى صاحب الماء الذي  
ينزله أبو لبني كتاباً وكيداً، ووجهت لبني رسولا الى قيس تُعلمه ما جرى وتحدّره، وبلغ أباه  
الخبر، فعاتبه وتجهّمه، وقال له : انتهى بك الأمر الى أن يهدر السلطان دمك، فقال : \*

فان يجبوها أو يحلّ دون وصلها \* مقالةٌ وإش أو وعيدٌ أمير  
فلن يمنعوا عيني من دائم البكا \* ولن يذهبوا ما قد أجزت ضميري  
الى الله أشكو ما الأقي من الهوى \* ومن حرق تعادني وزفير

(١) اللبان : اللّي والمطل، قال أبو الهيثم : لم يجي من المصادر على فعلان إلا ليان .

ومن حرقٍ للحبِّ في باطن الحشى \* وليس طويل الحزن غير قصير  
 سأبكي على نفسي بعين غزيرة \* بكاء حزين في الوثاق أسير  
 وكأجمعاً قبل أن يظهر الهوى \* بأنعم حالي غبطة وسرور  
 فما يرح الواشون حتى بدت لهم \* بطون الهوى مقلوبةً لظهور  
 لقد كنت حسب النفس لودام وصلنا \* ولكنا الدنيا متاع غرور  
 وقال في إهدار معاوية دمه إن هو زارها :

إن تك لبني قد أتى دون قربها \* حجاب منيع ما إليه سيئل  
 فإن نسيم الجوّ يجمع بيننا \* ونُبصر قرن الشمس حين تزول  
 وأرواحنا بالليل في الحى تلتقى \* ونعلم أياً بالنهار تقيئل  
 وتجمعنا الأرض القرار وفوقنا \* سماء نرى فيها النجوم تجول  
 إلى أن يعود الدهر سائماً وتنقضى \* تراث بغاها عندنا وذحول<sup>(١)</sup>

ولما أنصرف الناس من الحج مرض قيس مرضاً شديداً فلم يأته رسولها عائداً، فقال :

ألبنى لقد حلت عليك مصيبتى \* غداة غدي إذ حل ما أتوقع  
 مُنّيني نيلاً وتلويني قلي \* فنفسي شوقاً كل يوم تقطع  
 وقلبك قط لا يلين لما يرى \* فواكيدى قد طال هذا بالتضرع  
 ألومك في شأني وأنت مليمة \* لعمري وأجنى للحب وأقطع  
 أخبرت أني فيك ميت حسرتي \* فما فاض من عينيك للوجد مدمع  
 ولكن لعمري قد بكيتك جاهدا \* وإن كان دائي كله منك أجمع  
 صبيحة جاء العائدات يعدني \* فظلت على العائدات تفجع  
 فقائلة جئنا إليه وقد قضى \* وقائلة لا بل تركاه ينزع  
 فما غشيت عينيك من ذاك عبرة \* وعيني على ما بي بذكراك تدمع  
 إذا أنت لم تبكي على جنازة \* لديك فلا تبكي غدا حين أرفع

(١) ذحول : جمع ذحل وهو النار .

ومن شعره قوله :

أتبكي على لبني وأنت تركتها \* وكنت عليها بالملأ أنت أقدر<sup>(١)</sup>  
 فإن تكن الدنيا بلبني تقلبت \* على فللدنيا بطون<sup>ك</sup> وأظهر<sup>ك</sup>  
 لقد كان فيها للأمانة موضع<sup>ك</sup> \* وللكف مر تاد<sup>ك</sup> وللعين منظر<sup>ك</sup>  
 وللحائم العطشان ري<sup>ك</sup> بريقها \* وللريح المختال نمر<sup>ك</sup> ومسكر<sup>ك</sup>  
 كأني لها أرجوحة بين أحيل \* إذا ذكرة<sup>ك</sup> منها على القلب تحطر<sup>ك</sup>

وقوله :

لقد عذبتني يا حبّ لبني \* ففَعَّ إتما بموت أوحياة  
 فإن الموت أروح من حياة \* تدوم على التباعد والشّيات  
 وقال الأقربون تعزّ عنها \* فقلت لهم إذا حانت وفاتي

وقالت له لبني : أنشدني ما قلت في عاتك ، فأنشدها قوله :

أعالج من نفسي بقايا حشاشة \* على رمق<sup>ك</sup> والعائدات تعود<sup>ك</sup>  
 فإن ذكرت لبني هشتت لذكراها \* كما هتت للشدى الدرور وليد<sup>ك</sup>  
 أجيب بلبني من دعاني تجلداً \* وبى زفرت<sup>ك</sup> نجلى وتعود  
 تُعيد الى رُوحى الحياة وإني \* بنفسى لو عايتنى لأجود

وفيها يقول :

ألا ليت أياماً مضين تعود \* فإن عدن يوماً إني لسعيد<sup>ك</sup>  
 سقى دار لبني حيث حات وخيمت \* من الأرض مهل الغمام رعيد<sup>ك</sup>  
 على كل حال إن دنت أو تباعدت \* فإن تدن منّا فالدنو مزيد<sup>ك</sup>  
 فلا اليأس يسلبني ولا القرب نافعى \* ولبنى منوع<sup>ك</sup> ما تكاد تجود<sup>ك</sup>  
 كأني من لبني سليم مسهد<sup>ك</sup> \* يظل على أيدى الرجال يمد<sup>ك</sup>  
 رمنتي لبيني فى الفؤاد بسهمها \* وسهم لبيني للفؤاد صيود<sup>ك</sup>

(١) الملا : موضع .

سلاكلُ ذى شجوةٍ علمت مكانه \* وقلبي للبنى ما حَيْثُ ودود  
وقائلةٌ قد مات أو هو ميت \* وللنفس منى أن تفيض رصيْدُ

وعاتبته على تزوجه ، خلف أنه لم ينظر إليها ملء عينيه ، ثم قال :

ولقد أردتُ الصبرَ عنك فعاقني \* علقَ بقلبي من هواك قديمُ  
يبقى على حدِّثِ الزمانِ ورِيَّه \* وعلى جفائك إنه لكريم  
فصرمته وصححت وهو بدائه \* شتان بين مصححٍ وسقيم  
وأريته زمنًا فعادَ بحلمه \* إن المحبَّ عن الحبيب حليم

فلم يزل معها يحدثها ويشكو إليها حتى أمسى ، فانصرفت ووعدهته الرجوع إليه من غد

فلم ترجع ، وشاع خبره ، فلم ترسل إليه رسولا ، فكتب هذين البيتين :

بنفسى من قلبي له الدهرَ ذاكرُ \* ومن هو عني مُعرِضُ القلبِ صابرُ  
ومن حبه يزداد عندى جدَّةً \* وحبي لديه مخلقُ العهدِ دائرُ

وقال ابن أبى عتيق لقيس يوما : أنشدني أحرا ما قلت في لبي ، فأنشده :

وإني لأهوى النومَ فى غيرِ حينه \* لعلَّ لقاءً فى المنامِ يكونُ  
تحدثنى الأحلامُ أنى أراكمُ \* فيا ليت أحلامِ المنامِ يقينُ  
شهدتُ بأنى لم أحلُ عن مودة \* وأنى بكم لو تعلمين ضنينُ  
وأن فؤادى لا يلبسُ الى هوى \* سواك وإن قالوا بلى سليلُ

وقال عبد الملك بن عبد العزيز : أنشدتُ أبا السائب المخزومى قول قيس :

أحبك أصنافاً من الحبِّ لم أجدُ \* لها مثلاً فى سائر الناس يوصفُ  
فمنهن حبُّ للحبيب ورحمةٌ \* بمعرفتى منه بما يتكلفُ  
ومنهن ألا يعرض الدهرَ ذكرها \* على القاب إلا كادت النفس نتلفُ  
وحبُّ بدا بالجسم واللونِ ظاهرُ \* وحبُّ لدى نفسى من الروحِ أطفُ

(١) وقصيدة قيس العينية من جيد شعره وهي :

عَفَا سِرْفٌ مِنْ أَهْلِهِ فِسْرَاوِعُ \* جَنَّبَا أَرِيكَ فَالتَّلَاعُ الدَّوَاغِعُ<sup>(٢)</sup>  
 فَعَيْقَةُ فَالأَخْيَافُ أَخْيَافُ ظَبْيِيَّةٍ \* بِهَا مِنْ لِبْنِي مَحْرَفٌ وَمِرَابِعٌ<sup>(٣)</sup>  
 لَعَلَّ لِبْنِي أَنْ يُجِمْ لِقَاؤَهَا \* بَعْضُ البِلَادِ إِنْ مَا حَمَّ وَاقِعُ<sup>(٤)</sup>  
 يَجْزِعُ مِنَ الوَادِي خَلَاءَ أَنْيُسِهِ \* عَفَا وَتَحَطَّطَتِ العِيُونُ الخَوَادِعُ<sup>(٥)</sup>  
 وَمَا بَدَأَ مِنْهَا الفِرَاقُ كَمَا بَدَأَ \* بَطَّهَرَ الصِّفَا الصَّلْدَ الشَّقِوقُ الشَّوَاغِعُ<sup>(٦)</sup>  
 تَمَنَيْتَ أَنْ تَلْقَى لِبِينَاكَ ، وَالْمَنَى \* تُعَاصِيكَ أحيانًا وَحِينًا تَطَاوِعُ  
 وَمَا مِنْ حَبِيبٍ وَامِقٍ لِحَبِيبِهِ \* وَلَا ذِي هَوَى إِلَّا لَهُ الدَّهْرُ فَاجِعُ  
 وَطَارَ غَرَابُ البَيْنِ وَأَنْشَقَّتِ العِصَا<sup>(٧)</sup> \* بَيِّنٍ كَمَا شَقَّ الأَدِيمَ الصَّوَانِعُ  
 أَلَا يَا غَرَابَ البَيْنِ قَدِ طَرَبْتَ بِالذِي \* أَحَازِرُ مِنْ لِبْنِي فَهَلْ أَنْتَ وَاقِعُ  
 وَإِنَّكَ لَوْ أَبْلَغْتَهَا قَيْلَكَ اسْمِي \* طَوْتُ حَرْنَا وَأَرْفُضُ مِنْهَا المِدَامِعُ<sup>(٨)</sup>  
 أَتَبَكَّى عَلَى لِبْنِي وَأَنْتَ تَرَكْتَهَا \* وَكُنْتَ كَأَنَّ غَيْبَهُ وَهُوَ طَائِعُ  
 فَلَا تَبْكِينَ فِي إِثْرِيءٍ نَدَامَةً \* إِذَا نَزَعْتَهُ مِنْ يَدَيْكَ النَّوَازِعُ  
 فَلَيْسَ لِأَمْرِي حَاحِلٌ اللهُ جَمَعَهُ \* مُشِتٌ وَلَا مَا فَتَرَ اللهُ جَامِعُ<sup>(٩)</sup>  
 كَأَنَّكَ لَمْ تَعْنَهُ إِذَا لَمْ تَلَا قِيَهَا \* وَإِنْ تَلَقَّهَا فَالْقَلْبُ رَاضٍ وَفَانِعُ

(١) وردت هذه القصيدة برمتها في كتاب الأماشي لأبي علي القاسمي (ج ٢ ص ٣١٤ - ٣١٨ طبعة دار الكتب المصرية) .  
 (٢) سرف وسراوع وأريك : مواضع . والتلاع واحدها تلعة وهي مسيل ما ارتفع من الأرض الى بطن الوادي . والدواغيع : جمع دافعة وهي التي تدفع الماء . (٣) أخيف ظبية : موضع . والمخرف : المنزل الذي يقام فيه في الخريف . والمرابع : جمع مربع وهو الموضع الذي يقام فيه في الربيع . (٤) حم : قدر . (٥) جزع الوادي : منقطع . وعفا : درس . والخوادع واحدها خادعة وهي التي لا تنام ، يقال : خدعت عينه تخدع إذا لم تنم ، وأتيناهم بعد ما خدعت العين . (٦) الصفا : الصخر . والصلد : الصلب الذي إذا أصابه شيء صلد أي صوت . والشواغيع : جمع شائعة وهي الظاهرة . (٧) أي تفرقت الجماعة . (٨) ارفض : سال ولا يكون إلا سيالا مع تفرق . (٩) مشت : مفرق .

- فيا قلبُ خبّرتي، اذا شَطَطَ<sup>(١)</sup> النوى \* بُبْنِي وصدت عنك، ما أنت صانع  
 أتصبر للبين المشت مع الجوى \* أم أنت أمرؤ ناسي الحياء بفازع  
 فما أنا إن بانث لبيني بها جمع \* اذا ما أستقلت بالتيام المضاجع  
 وكيف ينام المرء مستشعر الجوى \* ضجيج الأسي فيه نكاس<sup>(٢)</sup> روادع  
 فلا خير في الدنيا اذا لم تواتنا \* لبيني ولم يجمع لنا الشمل جامع  
 أليست لبني تحت سقفي يكتها \* وإياي هذا إن نأت لي نافع  
 ويلبسنا الليل البهيم اذا دجا<sup>(٣)</sup> \* ونبصر ضوء الصبح والفجر ساطع  
 تطأ تحت رجليها بساطا وبعضه<sup>(٤)</sup> \* أطاه برجلي ليس يطويه مانع  
 وأفرح إن تسمى بخير وإن يكن \* بها الحدت العادي ترعى الروائع<sup>(٥)</sup>  
 كأنك بدع لم تر الناس قبلها \* ولم يطالعك الدهر فيمن يطالع  
 فقد كنت أبكي والنوى مطمئنة \* بنا وبكم من علم ما بين صانع  
 وأهجر كم هجر البغيض وحبكم \* على كبدى منه كلوم صوادع  
 وأعجل للإشفاق حتى يسقني \* مخافة شحط الدار والشمّل جامع  
 وأعيد للأرض التي من ورائكم \* ليرجيني يوماً عليك الروائع  
 فيا قلب صبراً وافتراقاً لما ترى<sup>(٦)</sup> \* وياحبها قع بالذي أنت واقع  
 لعمرى لمن أمسى وأنت ضجيعه \* من الناس ما اختيرت عليه المضاجع  
 ألا تلك لبني قد ترأخى مزارها \* وللبين غم ما يزال ينازع  
 اذا لم يكن إلا الجوى فكفى به \* جوى حرق قد ضمنتها الأضالع  
 أبائسة لبني ولم تقطع المدى \* بوصلي ولا صريم فيياس طامع

(١) شطت : بعدت . (٢) المستشعر : الذي لبس الشعار وهو الثوب الذي يلي الجسد . والجوى :  
 الهوى الباطن . والأسى : الحزن . ونكاس : جمع نكس بالضم . وروادع : جمع رادعة وهي التي تردعه عن الحركة  
 والتصرف . (٣) دجا : ألبس بظلمته كل شيء . (٤) البساط : ما بسط من الفرش .  
 (٥) ترعى : تفرغى . (٦) اعترف : ذل وانقاد .

يَظُلُّ نَهَارَ الْوَاهِلِينَ نَهَارُهُ \* وَتَهْدِيهِ<sup>(١)</sup> فِي النَّائِمِينَ الْمُضَاجِعُ  
سِوَايَ فَلَيْلِي مِنْ نَهَارِي وَإِنَّمَا \* تَقْسِمُ<sup>و</sup> بَيْنَ الْهَالِكِينَ الْمَضَارِعُ  
وَلَوْلَا رَجَاءُ الْقَلْبِ أَنْ تَعْطِفَ النَّوَى \* لَمَا حَمَلْتَهُ بَيْنَهُنَّ الْأَصْبَاعُ  
لَهُ وَجَبَاتٌ<sup>(٢)</sup> إِثْرُ لُبِّي كَأَنَّهَا \* شَقَائِقُ بَرَقِي فِي السَّحَابِ لَوَامِعُ  
نَهَارِي نَهَارُ النَّاسِ حَتَّى إِذَا دَجَا \* لِي اللَّيْلُ هَزَّتْنِي إِلَيْكَ الْمُضَاجِعُ  
أَقْضَى نَهَارِي بِالْحَدِيثِ وَبِالْمَنَى \* وَيَجْعَلُنِي بِاللَّيْلِ وَالْهَمِّ جَامِعُ  
وَقَدْ نَشَأْتُ فِي الْقَلْبِ مِنْكَ مَوْدَةٌ \* كَمَا نَشَأْتُ فِي الرَّاحَتَيْنِ الْأَصْبَاعُ  
أَبِي اللَّهِ أَنْ يَلْقَى الرَّشَادَ مَتِّيمٌ \* أَلَا كُلُّ أَمْرٍ حُمٌّ لَا بَدَّ وَاقِعُ  
هُمَا بَرَّحَا بِي مُعْوَلِينَ كِلَاهِمَا \* فَوَادٍ وَعَيْنٌ مَاقِهَا الدَّهْرَ دَامِعُ<sup>(٣)</sup>  
إِذَا نَحْنُ أَنْفَدْنَا الْبَكَاءَ عَشِيَّةً \* فَمَوْعِدُنَا قَرْنٌ مِنَ الشَّمْسِ طَالِعُ  
وَلِلْحَبِّ آيَاتٌ تَبِينُ بِالْفَتَى \* شُحُوبٌ وَتَعْرَى مِنْ يَدَيْهِ الْأَشْجَاعُ<sup>(٤)</sup>  
وَمَا كُلُّ مَا مَتَّكَ نَفْسُكَ خَالِيًا \* تَلَاقِي وَلَا كُلُّ الْهَوَى أَنْتَ تَابِعُ<sup>(٥)</sup>  
تَدَاعَتْ لَهُ الْأَحْزَانُ مِنْ كُلِّ وَجْهَةٍ \* فَحَنٌّ كَمَا حَنَّ الظُّوَارُ السَّوَابِعُ  
وَجَانِبَ قُرْبِ النَّاسِ يَخْلُو بِهِمْ \* وَعَاوَدَهُ فِيهَا هَيْأَمٌ مُرَاجِعُ  
أَرَاكَ اجْتَنَبْتَ الْحَيَّ مِنْ غَيْرِ بَقْضِيَّةٍ \* وَلَوْ شِئْتَ لَمْ تَجْنَحِ إِلَيْكَ الْأَصْبَاعُ  
كَأَنَّ بِلَادَ اللَّهِ مَا لَمْ تَكُنْ بِهَا \* وَإِنْ كَانَ فِيهَا الْخَلْقُ قَفَرًا بِلَاقِعُ  
أَلَا إِنَّمَا أَبْكَى لِمَا هُوَ وَاقِعٌ \* وَهَلْ جَزَعٌ مِنْ وَشَكٍ بَيْنَكَ نَافِعُ  
أَحَالَ عَلَى الدَّهْرِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ \* وَدَامَتْ وَلَمْ تُقْلِعْ عَلَى الْفَوَاجِعُ  
فَمَنْ كَانَ مَحْزُونًا غَدًا لِفِرَاقِنَا \* فَمِلَانَ فَلَيبْكِي لِمَا هُوَ وَاقِعُ

(١) تهدى : تسكنه . (٢) وجبات : خفقات . (٣) المأق من العين : الجانب الذى يلى الأنف . (٤) الأشجاع : عروق ظاهر الكف . (٥) الظوار : جمع ظه وهي التى عطفت على ولد غيرها . والسواجع : جمع ساجعة وهي التى تمد حنيتها على جهة واحدة .

## الشعر السياسي

أوضحنا لك في المجلد الأول ما لاستعمال الشعر من أثر في كثير من الحركات السياسية وأستحداث العزّات وإنهاض الهمم في الانقلابات الاجتماعية، وبيّنا ميّزة أستعمال الشعر في الأغراض السياسية في عصر الدولة الأموية، وذكرنا عدّة أمثلة تبين ما وصل إليه هذا النوع الطريف، ووعدناك بذكر قصيدة النعمان بن بشير في هذا الباب. وها هي ذى :

### النَّعْمَانُ بنُ بَشِيرٍ<sup>(١)</sup>

قال أبو الفرج الأصفهاني :

لما كثر الهجاء بين عبد الرحمن بن حسان وعبد الرحمن بن الحكم بن أبي العاصي وتفاحشاً، كتب معاوية إلى سعيد بن العاصي، وهو عامله على المدينة، أن يجلد كل واحد منهما مائة سوط، وكان ابن حسان صديقاً لسعيد وما مدح أحداً غيره قط، فكره أن يضربه أو يضرب ابن عمه، فأمسك عنهما؛ ثم ولي مروان، فلما قدم أخذ ابن حسان فضربه مائة سوط ولم يضرب أخاه، فكتب ابن حسان إلى النعمان بن بشير وهو بالشام، وكان كبيراً أثيراً مكيماً<sup>(٢)</sup> عند معاوية، قال :

(١) هو النعمان بن بشير بن سعد الأنصاري، من الخزرج أهل يثرب، لكنه ساير معاوية، فكان معه في واقعة صفين، ولم يكن مع معاوية في تلك الواقعة من الأنصار سواه. وقد اجتذبه بسخائه ودهائه وكان يراعى جانبه، وكثيراً ما سمع توسطه للأنصار عنده. وعاش النعمان المذكور إلى خلافة مروان بن الحكم، وكان يتولى حصص، فلما أفضت الخلافة إلى مروان دعا إلى ابن الزبير وخالف على مروان بعد قتل الضحاك، فلم يجبه أهل حصص إلى ذلك، فهرب منهم فتبعوه وأدركوه وقتلوه. وكان على مسأيرته بنى أمية شديد التعصب للأنصار، ولذلك عند ما علم بقصيدة الأخطل في الطعن عليهم رد عليه. والنعمان بن بشير من العريقين في الشعر خلفاً عن سلف فإن جده وأباه وعمه وأولاده وأحفاده كلهم شعراء. وهو أول مولود ولد في الإسلام من الأنصار، وآخر من ولي الكوفة لمعاوية بن أبي سفيان. وله ديوان مطبوع في الهند. توفي سنة ٦٥ هـ. وترى أخبار النعمان بن بشير في الأغاني (ج ١٤ ص ١١٩) وأمالى القالي (ج ٣ ص ٨) والعقد الفريد (ج ٣ ص ١١٢ طبع مصر سنة ١٣٠٥ هـ) وفي سيرة ابن هشام وابن خلكان وابن الأثير وغيرها. (٢) أثيراً : مكرماً.

ليت شعري أغائب أنت بالشا \* م خليلي أم راقد نعمان  
 أية ما يكن فقد يرجع الغا \* تب يوما ويوقظ الوسنان  
 إن عمراً وعامراً أبويننا \* وحراماً قدماً على العهد كانوا  
 أفهم ما نعوك أم قلة الكتّاب \* أم أنت عاتب غضبان  
 أم جفاء أم أعوزتك القراطيس \* أم أمرى به عليك هوان  
 يوم أنبت أن ساقى رضى \* وأتتكم بذلك الركبان  
 ثم قالوا إن ابن عمك في بلد \* سوى أمور أتى بها الحدنان  
 فنسيت الأرحام والود والصحبة \* فيما أتت به الأزمان  
 إنما الرمح فاعلمن قنأة \* أو كبعض العيدان لولا السنان

قال أبو الفرج الأصبهاني :

دخل النعمان بن بشير على معاوية لما هجا الأخطل الأنصار، فلما مشل بين يديه

أنشأ يقول :

معاوي إلا تُعطينا الحق تعترف \* لحي الأزد مشدوداً عليها العامم  
 أينتمنا عبد الأرقام ضالة<sup>(١)</sup> \* وماذا الذي تُجدي عليك الأرقام  
 فما لي نأر دون قطع لسانه \* فدونك من يرضيه عنك الدراهم  
 وراع رويداً لا تسمنا دنيّة \* لعلك في غب الحوادث نادم  
 متى تلق منا عصابة خزرجية \* أو الأوس يوماً تخترمك المخارم  
 وتلقاك خيل كالفطاة مستطيرة \* شماطيط<sup>(٢)</sup> أرسل عليها الشكائم<sup>(٣)</sup>  
 يسومها العمران : عمرو بن عامر \* وعمران حتى تستباح المحارم  
 ويبدو من الخود العريزة جملها \* وتبيض من هول السيوف المقادام  
 فتطلب شعب الصدع بعد التئامه \* فتغريه فالآن والأمر سالم

(٣) الشكائم : جمع

(٢) شماطيط : متفرقة .

(١) الأرقام : حتى من بني تغلب .

شكيمة وهي الحديدية المعترضة في فم الفرس .

وَإِلَّا فَتَوْبِي لِأُمَّةٍ تَبِيعِيَّةٌ \* تَوَارِيثُ آبَائِي وَأَبْيَضُ صَارِمٌ  
 وَأَسْمَرُ حَطَّيْتُ كَأَنَّ كُؤُوبَهُ \* نَوَى الْقَسْبَ فِيهَا لَهْدِي خُتَارِمٌ  
 فَإِنْ كُنْتَ لَمْ تَشْهَدْ بَبَدْرِ وَقِيعَةً \* أَذَلَّتْ قُرَيْشًا وَالْأَسُوفُ رَوَاغِمٌ  
 فَسَائِلُ بِنَا حَيٍّ لُوَيْ بِنِ غَالِبٍ \* وَأَنْتَ بِمَا يَخْفَى مِنَ الْأَمْرِ عَالِمٌ  
 أَلَمْ تَنْبَدَّرْ يَوْمَ بَدْرٍ سَيُوفِنَا \* وَلَيْلِكَ عَمَّا نَابَ قَوْمَكَ قَاتِمٌ  
 ضَرَبْنَاكُمْ حَتَّى تَفْتَرَّقَ جَمْعُكُمْ \* وَطَارَتْ أَكُفُّ مَنْكُمْ وَجَاهِمٌ  
 وَعَادَتْ عَلَى الْبَيْتِ الْحَرَامِ عَرَائِسُ \* وَأَنْتَ عَلَى خَوْفٍ عَلَيْكَ التَّمَائِمُ  
 وَعَضَّتْ قُرَيْشٌ بِالْأَنَاامِلِ بَغْضَةً \* وَمِنْ قَبْلِ مَا عَضَّتْ عَلَيْكَ الْأَدَاهِمُ  
 فَجَاءَهَا فِي كُلِّ أَمْرٍ نَكِيدُهُ \* مَكَانَ الشَّجَا وَالْأَمْرِ فِيهِ تَفَاقُمٌ  
 فَمَا إِنْ رَمَى رَايِمٌ فَأَوْهَى صَفَاتِنَا \* وَلَا ضَامِنًا يَوْمًا مِنَ الدَّهْرِ ضَائِمٌ  
 وَإِنِّي لِأَغْضِي عَنْ أُمُورٍ كَثِيرَةٍ \* سَتَرْتَنِي بِهَا يَوْمًا إِلَيْكَ السَّلَامُ  
 أَصَانِعَ فِيهَا عِبْدَ شَمْسٍ وَإِنِّي \* لِتِلْكَ الَّتِي فِي النَّفْسِ مَنِ أُنَاكِمُ  
 فَمَا أَنْتَ وَالْأَمْرَ الَّذِي لَسْتَ أَهْلَهُ \* وَلَكِنْ وَلِيُّ الْحَقِّ وَالْأَمْرِ هَاشِمٌ  
 إِلَيْهِمْ يَصِيرُ الْأَمْرُ بَعْدَ شَتَاتِهِ \* فَمَنْ لَكَ بِالْأَمْرِ الَّذِي هُوَ لِزِمٍ  
 بِهِمْ شَرَعَ اللَّهُ الْهُدَى فَأَهْتَدَى بِهِمْ \* وَمِنْهُمْ لَهُ هَادٍ إِمَامٌ وَخَاتِمٌ

فلما بلغت القصيدة معاوية أمر بدفع الأخطل إليه ليقطع لسانه، فاستجار يزيد

ابن معاوية، فمنعه منه، وأرضى النعمان حتى كف عنه .

وقال عمرو بن أبي عمرو الشيباني عن أبيه : لما ضرب مروان بن الحكم عبد الرحمن

ابن حسان الحداد ، ولم يضرب أخاه حين تهاجبا وتقاذفا ، كتب عبد الرحمن الى النعمان

ابن بشير يشكو اليه ، فدخل الى معاوية ، وأنشأ يقول :

يَا بَنَ أَبِي سُفْيَانَ مَا مِثْلُنَا \* جَارَ عَلَيْهِ مَلِكٌ أَوْ أَمِيرٌ

أَذْكَرُ بِنَا مُقَدَّمِ أَفْرَاسِنَا \* بِالْجُنُودِ إِذْ أَنْتَ الْبِنَا فَقِيرٌ

واذا كرغداة الساعدي الذي \* آثركم بالأمر فيها بشير  
 فاحذر عليهم مثل بذر وقد \* مر بكم يوم بيدر عمير  
 إن ابن حسان له نائر \* فأعطه الحق تصح الصدور  
 ومثل أيام لنا شئتت \* ملكا لكم أمرك فيها صغير  
 أما ترى الأزد وأشياعها \* تجول خزرا كاطيات تزيير  
 يصول حولى منهم معشر \* إن صلت صالوا وهم لى نصير  
 يابى لنا الضيم فلا يعتلى \* عز منيع وعدي كثير  
 وعنصر فى عز جرثومة \* عادية تنقل عنها الصخور



# مُلْحَقٌ

## الكتاب الثاني

### باب المنشور

شرحنا لك في المجلد الأول ما كانت عليه الكتابة في عصر العباسيين من جَوْدَةِ اللفظ، ومناةة الأسلوب، وجلاء المعنى، ووضوح القصد وبساطته. ووعدناك بذكر طُرْفٍ من رسائل القوم في ذلك العصر الزاهي الزاهر، وإليك ما وعدناك به :

#### ١ - مُشَاوَرَةُ المَهْدِيِّ لِأَهْلِ بَيْتِهِ فِي حَرْبِ نُرَّاسَانَ

قال ابنُ عبد ربِّهِ في العِقْدِ الفَرِيدِ :

هذا ما تراجع فيه المهديّ ووزرائه وما دار بينهم من تدير الرأي في حرب نُرَّاسَانَ أيامَ تحاملت عليهم العمالُ وأعنفت، فحملتهم الدالَّةُ وما تقدّم لهم من المكانة على أن نكثوا ببيعتهم، وتفضوا موثقتهم، وطرردوا العمال، وألتووا بما عليهم من الخراج؛ وحمل المهديّ ما يُجبُّ من مصلحتهم ويكره من عنتهم على أن أقال عثرتهم، وأغترف زلتهم، وأحتمل دالتهم، تطوُّلاً بالفضل وأتساعاً بالعفو، وأخذاً بالحقِّ ورفقا بالسياسة؛ ولذلك لم يزل مُدَّحِّمًا لالله أعباء الخلافة وقلده أمور الرعيّة ريفقا بمدار سلطانه، بصيرا بأهل زمانه، باسطاً للمعدلة في رعيته، تسكن الى كنفه وتأنس بعفوه وتثق بحلمه؛ فإذا وقعت الأقضية اللازمة والحقوق الواجبة، فليس عنده

هَوَادَةٌ وَلَا إِغْضَاءَ وَلَا مُدَاهَنَةَ ، أَثَرَةً لِلْحَقِّ وَقِيَامًا بِالْعَدْلِ وَأَخْذًا بِالْحَزْمِ ؛ فِدْعَا أَهْلَ نَحْرَاسَانَ  
الْأَعْتَرَارُ بِجَلْمِهِ وَالثِّقَةَ بِعَفْوِهِ أَنْ كَسَرُوا الْخِرَاجَ وَطَرَدُوا الْعَمَالَ وَسَأَلُوا مَا لَيْسَ لَهُمْ مِنَ الْحَقِّ ،<sup>(١)</sup>  
ثُمَّ خَطَلُوا أَحْتِجَاجًا بِاعْتِدَارِ ، وَخِصُومَةً بِإِقْرَارِ ، وَتَنْصُلًا بِاعْتِلَالِ ؛ فَلَمَّا أَنْتَهَى ذَلِكَ إِلَى الْمَهْدِيِّ  
خَرَجَ إِلَى مَجْلِسِ خَلَائِهِ وَبَعَثَ إِلَى نَفَرٍ مِنْ لِحْمَتِهِ وَوُزَرَائِهِ ، فَأَعْلَمَهُمُ الْحَالَ وَأَسْتَنْصَحَهُمُ  
لِلرِّعْيَةِ ، ثُمَّ أَمَرَ الْمَوَالِي بِالْأَبْتِدَاءِ ، وَقَالَ لِلْعَبَّاسِ بْنِ مُحَمَّدٍ : أَيَّ عَمٍّ ! تَعَقَّبْ قَوْلَنَا وَكُنْ حَكِيمًا  
بَيْنَنَا ؛ وَأَرْسَلَ إِلَى وَلَدَيْهِ مُوسَى وَهَارُونَ ، فَأَحْضَرَهُمَا الْأَمْرَ وَشَارَكَهُمَا فِي الرَّأْيِ ، وَأَمَرَ  
مُحَمَّدَ بْنَ اللَّيْثِ بِحِفْظِ مَرَاجِعَتِهِمْ ، وَإِثْبَاتِ مَقَالَتِهِمْ فِي كِتَابٍ .

فَقَالَ سَلَامٌ صَاحِبُ الْمِظَالِمِ<sup>(٢)</sup> :

أَيُّهَا الْمَهْدِيُّ ، إِنَّ فِي كُلِّ أَمْرٍ غَايَةَ ، وَلِكُلِّ قَوْمٍ صِنَاعَةَ ؛ اسْتَفْرَغْتَ رَأْيَهُمْ ، وَأَسْتَفْرَقْتَ  
أَشْغَالَهُمْ ، وَأَسْتَفْنَدْتَ أَعْمَارَهُمْ ، وَذَهَبُوا بِهَا وَذَهَبَتْ بِهِمْ ، وَعُرِفُوا بِهَا وَعُرِفَتْ بِهِمْ ؛ وَلِهَذِهِ  
الْأُمُورَ الَّتِي جَعَلْتَنَا فِيهَا غَايَةَ ، وَطَلَبْتَ مَعُونَتَنَا عَلَيْهَا أَقْوَامٌ مِنْ أُنْبَاءِ الْحَرْبِ وَسَاسَةِ الْأُمُورِ  
وَقَادَةِ الْجُنُودِ وَفُرْسَانِ الْهَزَاهِزِ<sup>(٤)</sup> وَإِخْوَانِ التِّجَارِبِ ، وَأَبْطَالِ الْوَقَائِعِ ؛ الَّذِينَ رَشَّحْتَهُمْ سِجَالًا ،  
وَقِيَّاتِهِمْ ظِلَالًا ، وَعَضَّتْهُمْ شِدَائِدُهَا ، وَقَرَّمَتْهُمْ نَوَاجِدُهَا ؛ فَلَوْ عَجَّمتَ مَا قَبْلَهُمْ ، وَكَشَفْتَ  
مَا عِنْدَهُمْ ؛ لَوَجَدْتَ نِظَائِرَ تَوْيْدِ أَمْرِكَ ، وَتِجَارِبَ تَوَافِقِ نَظْرِكَ ، وَأَحَادِيثَ تَقْوَى قَلْبِكَ ؛  
فَأَمَّا نَحْنُ مَعَاشِرُ عُمَّالِكَ ، وَأَصْحَابُ دَوَاوِينِكَ ، فَحَسَنٌ بِنَا وَكَثِيرٌ مِمَّنَّا أَنْ تَقُومَ بِثِقَلِ مَا حَمَلْتَنَا  
مِنْ عَمَلِكَ ، وَأَسْتَوْدَعْتَنَا مِنْ أَمَانَتِكَ ، وَشَغَلْتَنَا بِهِ مِنْ إِمْضَاءِ عَدْلِكَ ، وَإِنْفَازِ حُكْمِكَ ،  
وَإِظْهَارِ حَقِّكَ .

فَأَجَابَهُ الْمَهْدِيُّ : إِنَّ فِي كُلِّ قَوْمٍ حِكْمَةً ، وَلِكُلِّ زَمَانٍ سِيَاسَةَ ، وَفِي كُلِّ حَالٍ تَدْبِيرًا  
يَبْتَغِي الْآخِرَ الْأَوَّلَ ، وَنَحْنُ أَعْلَمُ بِزَمَانِنَا وَتَدْبِيرِ سُلْطَانِنَا .

(١) كَسَرُوا الْخِرَاجَ أَيَّ كَفُّوا عَنْ أَدَائِهِ . (٢) هُوَ ابْنُ اللَّيْثِ بْنِ نَصْرِ بْنِ سَيَّارٍ . وَكَانَ أَرْسَلَ

الْمَهْدِيَّ أَبَاهُ اللَّيْثَ لِمُحَارَبَةِ الْمُقَنَعِ فَلَمْ يَتِمَّ مِنْهُ . وَكَانَ أَبْنُوهُ مُحَمَّدٌ هَذَا مِنْ كِتَابِ الْمَهْدِيِّ وَلَمْ تَعْرِفْ سَنَةَ وَفَاتِهِ .

(٣) هُوَ سَلَامُ بْنُ الْأَبْرَشِ ، أَسْتَعْمَلَهُ الْمَنْصُورُ ثُمَّ تَوَلَّى الْعُقُوبَاتَ فِي أَيَّامِ الْمَهْدِيِّ . (٤) الْهَزَاهِزُ :

تَحْرِيكُ الْبَلَابَا وَالْحُرُوبِ فِي النَّاسِ .

قال : نعم أيها المهديّ، أنت مُتَّبِعُ الرَّأْيِ، وَثِيْقُ الْعُقْدَةِ، قَوِيّ الْمُنَّةِ، بَلِيغُ الْفِطْنَةِ،  
مَعْصُومُ النَّيَّةِ، مَحْضُورُ الرُّوْيَةِ، مُؤَيَّدُ الْبَدِيْهِةِ، مَوْفَّقُ الْعَزِيْمَةِ، مُعَانٌ بِالظَّفَرِ، مَهْدِيّ إِلَى  
الْخَيْرِ، إِنْ هَمَمْتَ نَفِي عَزْمِكَ مَوَاقِعَ الظَّنِّ، وَإِنْ أَجْتَمَعْتَ صَدَعَ فَعْلِكَ مُلْتَبِسَ الشُّكِّ؛  
فَاعْزِمِ يَهْدِ اللَّهِ إِلَى الصَّوَابِ قَلْبَكَ، وَقُلْ يُنْطِقُ اللَّهُ بِالْحَقِّ لِسَانَكَ؛ فَإِنَّ جُنُودَكَ جَمَّةٌ،  
وَخِرَائِكَ عَامِرَةٌ، وَنَفْسُكَ سَخِيَّةٌ، وَأَمْرُكَ نَافِذٌ.

فأجابه المهديّ : إِنْ الْمُشَاوِرَةَ وَالْمُنَاطِرَةَ بَابًا رَحْمَةً، وَمِفْتَاحًا بَرَكَةً؛ لَا يَهْلِكُ عَلَيْهِمَا  
رَأْيٌ، وَلَا يَتَغَيَّلُ مَعَهُمَا حَزْمٌ، فَأَشِيرُوا بِرَأْيِكُمْ، وَقُولُوا بِمَا يَحْضُرُكُمْ؛ فَإِنِّي مِنْ وِرَائِكُمْ، وَتَوْفِيْقُ  
اللَّهِ مِنْ وِرَاءِ ذَلِكَ.

قال الربيع :

أيها المهديّ، إِنْ تَصَارَيْفُ وُجُوهِ الرُّأْيِ كَثِيْرَةٌ، وَإِنْ الْإِشَارَةُ بِبَعْضِ مَعَارِيضِ  
الْقَوْلِ يَسِيْرَةٌ؛ وَلَكِنْ خِرَاسَانُ أَرْضٍ بَعِيْدَةِ الْمَسَافَةِ، مُتْرَاحِيَةٌ الشُّقَّةِ، مُتَّفَاوِتَةٌ السَّبِيْلِ؛ فَإِذَا  
أَرْتَأَيْتَ مِنْ مُحْكَمِ التَّدْيِيْرِ، وَمُبْرَمِ التَّقْدِيْرِ، وَبَابِ الصَّوَابِ، رَأْيًا قَدْ أَحْكَمَهُ نَظْرُكَ، وَقَلْبَهُ  
تَدْيِيْرُكَ، فَلَيْسَ وِرَاءَهُ مَذْهَبٌ طَاعِنٌ، وَلَا دُونَهُ مَعْلَقٌ لِحُصُومَةِ عَائِبٍ؛ ثُمَّ أَجَبْتَ الْبُرْدَ  
بِهِ، وَأَنْطَوْتَ الرِّسْلَ عَلَيْهِ، كَانَ بِالْحَرَى أَلَّا يَصِلَ إِلَيْهِمْ مُحْكَمُهُ إِلَّا وَقَدْ حَدَثَ مِنْهُمْ مَا يَنْقُضُهُ؛  
فَمَا أَيْسَرَ أَنْ تَرْجِعَ إِلَيْكَ الرِّسْلَ، وَتَرُدَّ عَلَيْكَ الْكُتُبَ بِحَقَائِقِ أَخْبَارِهِمْ، وَشَوَارِدِ آثَارِهِمْ،  
وَمَصَادِرِ أُمُورِهِمْ؛ فَتُحَدِّثَ رَأْيَا غَيْرَهُ وَتَتَبَدَّعَ تَدْيِيْرًا سِوَاهُ؛ وَقَدْ أَنْفَرَجْتَ الْحِلَاقَ، وَتَحَلَّلْتَ  
الْعُقْدَةَ، وَأَسْتَرَنْحَى الْحِقَابَ، وَأَمْتَدَّ الزَّمَانَ، ثُمَّ لَعَلَّمَا مَوْقِعَ الْآخِرَةِ كَمَصْدَرِ الْأَوَّلَى؛ وَلَكِنْ  
الرَّأْيُ لَكَ أَيُّهَا الْمَهْدِيُّ - وَفَقَّكَ اللَّهُ - أَنْ تَصْرِفَ إِجَالَةَ النَّظْرِ، وَتَقْلِبَ الْفِكْرَ، فِيمَا جَمَعْتَنَا  
لَهُ، وَأَسْتَشْرَبْنَا فِيهِ مِنَ التَّدْيِيْرِ لِحَرْبِهِمْ، وَالْحَيْلِ فِي أَمْرِهِمْ، إِلَى الطَّلْبِ لِرَجُلٍ ذِي دِيْنٍ

(١) المنة : القوة . (٢) لا يتغيّل : لا يضعف . (٣) معاريض الكلام ما عرض يد  
ولم يصرح وهي التورية بالشيء عن الشيء . (٤) انقباب : شيء تتخذة المرأة تعلق به معاليق الخلي تشده  
على وسطها .

فاضل، وعقل كامل، وورع واسع، ليس موصوفاً بهوى في سواك، ولا متهما في آثرة عليك، ولا ظنيناً على دُخْلَةٍ مكروهة، ولا منسوباً الى بدعة محدورة؛ فَيَقْدَحَ في مُلْكِكَ، وَيُرِيصُ الأُمُورَ لِغَيْرِكَ؛ ثُمَّ تُسْنِدُ إِلَيْهِ أُمُورَهُمْ، وَتَفُوضُ إِلَيْهِ حَرْبَهُمْ، وَتَأْمُرُهُ فِي عَهْدِكَ وَوَصِيَّتِكَ إِيَّاهُ بِلُزُومِ أَمْرِكَ مَا لَزِمَهُ الْحَزْمُ، وَخِلَافِ نَهْيِكَ إِذَا خَالَفَهُ الرَّأْيُ عِنْدَ اسْتِحَالَةِ الأُمُورِ، وَأَشْتِدَادِ الأَحْوَالِ الَّتِي يُنْقَضُ أَمْرُ الغَائِبِ عَنْهَا، وَيَثْبُتُ رَأْيُ الشَّاهِدِ لَهَا؛ فَإِنَّهُ إِذَا فَعَلَ ذَلِكَ فَوَاتَبَ أَمْرَهُمْ مِنْ قَرِيبٍ، وَسَقَطَ عَنْهُ مَا يَأْتِي مِنَ البَعِيدِ، تَمَّتِ الحِيلَةُ وَقَوِيَتِ المَكِيدَةُ، وَنَفَّذَ العَمَلَ وَأَحَدَ النِّظَرَ، إِنْ شَاءَ اللهُ .

قال الفضل بن العباس :

أيها المهديّ ، إِنْ وَلِيَ الأُمُورَ وَسَائِسَ الحُرُوبِ رَبِّمَا نَحَى جُنُودَهُ، وَفَرَّقَ أُمُوالَهُ فِي غَيْرِ مَا ضَيَّقَ أَمْرِي حَرْبَهُ، وَلَا ضَغْطَةَ حَالِ أَضْطَرَّتَهُ؛ فَيَقْعُدُ عِنْدَ الحَاجَةِ إِلَيْهَا، وَبَعْدَ التَّفْرِيقَةِ لَهَا عَدِيماً مِنْهَا فَاقْتَدَا لَهَا، لَا يَثِيقُ بِقُوَّةِ، وَلَا يَصُولُ بَعْدَهُ، وَلَا يَفْرَعُ إِلَى ثِقَةٍ؛ فَالرَّأْيُ لَكَ أَيُّهَا المَهْدِيُّ - وَفَقَسَكَ اللهُ - أَنْ تُعْنِيَ خَزَائِنَكَ مِنَ الإِنْفَاقِ لِلأُمُوالِ، وَجُنُودَكَ مِنَ مَكَابِدَةِ الأَسْفَارِ، وَمَقَارَعَةِ الأَخْطَارِ، وَتَغْرِيرِ القِتَالِ، وَلَا تُسْرِعَ لِلقَوْمِ فِي الإِجَابَةِ إِلَى مَا يَطْلُبُونَ، وَالعَطَاءِ لِمَا يَسْأَلُونَ؛ فَيَفْسُدُ عَلَيْكَ أَدْبُهُمْ، وَتُجْرَى مِنْ رَعِيَّتِكَ غَيْرُهُمْ؛ وَلَكِنْ آغْرُهُمْ بِالحِيلَةِ، وَقَاتِلُهُمْ بِالمَكِيدَةِ، وَصَارِعُهُمْ بِاللِّينِ، وَخَاتِلُهُمْ بِالرَّفْقِ، وَأَبْرِقْ لَهُمُ بِالقَوْلِ، وَأَرْعِدْ نَحْوَهُمُ بِالفِعْلِ؛ وَأَبْعَثِ البَعُوثَ<sup>(٤)</sup>، وَجَنِّدِ الجُنُودَ، وَكُتِّبِ الكُتَّابَ، وَأَعْقِدِ الأُلُويَةَ، وَأَنْصِبِ الرِّايَاتَ، وَأَظْهِرْ أَنَّكَ مَوْجِهَ إِلَيْهِمُ الجِيُوشَ مَعَ أَحْتَقِ قَوَادِكِ عَلَيْهِمْ، وَأَسْوِئِهِمْ أَثَرًا فِيهِمْ؛ ثُمَّ أَدْسُسِ الرُّسُلَ، وَأَبْثُ الكُتُبَ، وَضَعْ بَعْضَهُمْ عَلَى طَمَعٍ مِنْ وَعْدِكَ، وَبَعْضًا عَلَى خَوْفٍ

(١) ظنيناً : متهما . ودخلة مكروهة : أى نية سيئة . (٢) ربضه أى أثبته .

(٣) أبرق وأرعد بمعنى تهدد وتوعد . (٤) البعوث : الجيوش .

من وعيدك؛ وأوقد بذلك وأشباهه نيرانَ التحاسد فيهم ، وأغرس أشجار التنافس بينهم ، حتى مُلأَ القلوبُ من الوحشة ، وتتطوى الصدورُ على البغضة ، ويدخلُ كلاً من كلِّ الخدرِ والهيبَةِ ، فإن مرام الظفر بالغيلة ، والقتال بالحيلة ، والمناسبة بالكتب ، والمكايذة بالرسل ، والمقارعة بالكلام اللطيف المدخل في القلوب ، القوي الموقع من النفوس ، المعقود بالجحجج ، الموصول بالحيل ، المبني على اللين الذي يستميل القلوب ؛ ويستترق العقول والآراء ، ويستميل الأهواء ، ويستدعي المواتاة ، أنفد من القتال بظبات السيوف وأسنة الرماح ؛ كما أن الوالي الذي يستتزل طاعة رعيته بالحيل ، ويفرق كلمة عدوه بالمكايذة ، أحكم عملاً وأطف منظرًا وأحسن سياسة من الذي لا ينال ذلك إلا بالقتال ، والإتلاف للأموال والتغريير والخطار<sup>(١)</sup> .

وليعلم المهدي أنه إن وجه لقتالهم رجلا لم يسر لقتالهم إلا بجنود كشيعة ، تخرج عن حال شديدة ، وتقدم على أسفار ضيقة ، وأموال متفرقة ، وقواد غششة ؛ إن أتمتهم استنفدوا ماله ، وإن استنصحتهم كانوا عليه لاله .

قال المهدي : هذا رأى قد أسفر نوره ، وأبرق ضوءه ، وتمثل صوابه للعيون ، ومجد<sup>(٢)</sup> حقه في القلوب ، ولكن فوق كل ذي علم عليم ؛ ثم نظر الى ابنه علي فقال : ما تقول ؟

قال علي :

أيها المهدي ، إن أهل خراسان لم يخلعوا عن طاعتك ، ولم ينصبوا من دونك أحداً يقدح في تغيير ملكك ، ويربض الأمور لفساد دولتك ؛ ولو فعلوا لكان الخطب أيسر ، والشأن أصغر والحال أدل ، لأن الله مع حقه الذي لا يخذله ، وعند مواعده الذي لا يخلفه ، ولكنهم قوم من رعيّتك ، وطائفة من شيعتك الذين جعلك الله عليهم والياً ، وجعل العدل بينك وبينهم حاكماً ، طلبوا حقاً ، وسألوا إنصافاً ، فإن أجبت الى دعوتهم ونفست<sup>(٢)</sup> عنهم

(١) الخطار : الاشراف على هلكة .

(٢) نفست عنهم : فرجت عنهم .

(١) قبل أن يتلاحم منهم حال، أو يحدث من عندهم فتق، أظعت أمر الرب، وأطفأت نائرة الحرب، ووقرت خزائن المال، وطرحت تفرير القتال، وحمل الناس تحمل ذلك على طبيعة جودك، وسجية حلمك، وإسباح خليقتك، ومعدلة نظرك، فأمنت أن تنسب إلى ضعف، وأن يكون ذلك فيما بقي دربة؛ وإن منعهم ما طلبوا ولم يُجبههم إلى ما سألوا، اعتدلت بك وبهم الحال، وساويتهم في ميدان الخطاب؛ فما أرب المهدي أن يعمد إلى طائفة من رعيته، مقرين بمملكته، مدعين لطاعته، لا يُخرجون أنفسهم عن قدرته، ولا يُبرئونها من عبوديته، فيملكهم أنفسهم ويخلع نفسه عنهم، ويقف على الحيل معهم، ثم يجازيهم السوء في حد المنازعة ومضار المخاطرة؛ أيريد المهدي - وفقه الله - الأموال؟ فلمعري لا ينالها ولا يظفر بها إلا بإتفاق أكثر منها، مما يطلب منهم وأضعاف ما يدعى قبلهم، ولو نالها فحملت إليه، أو وضعت بخرائطها بين يديه، ثم تجأفي لهم عنها وطال عليهم بها، لكان مما إليه ينسب وبه يُعرف من الجود الذي طبعه الله عليه، وجعل قرة عينه ونهمة نفسه فيه؛ فإن قال المهدي: هذا رأي مستقيم سديد في أهل الخراج الذين شكوا ظلم عمالنا، وتحامل ولاتنا؛ فأما الجنود الذين نقضوا موثيق العهود، وأنطقوا لسان الإرجاف وفتحوا باب المعصية، وكسروا قيد الفتنة، فقد ينبغي لهم أن أجعلهم نكالا لغيرهم وعظة لسواهم؛ فيعلم المهدي أنه لو أتى بهم مغلولين في الحديد، مقرين في الأصفاد؛ ثم أتسع لحقن دماهم عفو، وإقالة عثرتهم صفحة؛ وأستبقاهم لما هم فيه من حربه، أولن بإزائهم من عدوه، لما كان بدعا من رأيه، ولا مستنكرا من نظره، لقد علمت العرب أنه أعظم الخلقاء والملوك عفواً، وأشدّها وقعا، وأصدقها صولة؛ وأنه لا يتعاطمه عفو،

(١) نائرة الحرب : ما اشتعل واتقد منها .

(٢) الإسباح : مصدر إسبح الوالى . اذا أحسن العفو .

(٣) الخريطة : وعاء من آدم وغيره .

(٤) الارجاف : مصدر أرجف القوم اذا خاضوا في أخبار الفتن على أن يوقعوا في الناس الاضطراب من غير أن

ولا يتكأده<sup>(١)</sup> صفح ، وإن عظم الذنب وجل الخطب ، فالرأى للمهدى - وفقه الله تعالى - أن يحل عُقْدَةُ الغيظ بالرجاء لحسن ثواب الله في العفو عنهم ، وأن يذكر أُولَى حالاتهم وضيعة عيالاتهم ، برأ بهم وتوسعاً لهم ؛ فإنهم إخوان دولته ، وأركان دعوته ، وأساس حقه الذين بعزتهم يصول ، وبجبتهم يقول ؛ وإنما مثلهم فيما دخلوا فيه من مسأخطة ، وتعرضوا له من معاصيه ، وأنظروا فيه عن إجابته ، ومثله في قلة ما غير ذلك من رأيه فيهم ، أو نقل من حاله لهم ، أو تغير من نعمته بهم ، كمثل رجلين أخوين متناصرين متآزرين ، أصاب أحدهما خبلٌ عارضٌ ، وهو حادث ، فنهض إلى أخيه بالأذى ، وتحامل عليه بالمكروه ، فلم يزد أخوه إلا رقة له ولطفاً به ، واحتيالاً لمداواة مرضه ومراجعة حاله ؛ عطفًا عليه وبراً به ومرحمةً له .

فقال المهديّ : أما عليّ فقد كوى سمّت اللبان ، وفصّ القلوب في أهل خراسان ، ولكل نباً مستقز ، ثم قال : ما ترى يا أبا محمد ؟ يعني موسى ابنه .

فقال موسى :

أيها المهديّ ، لا تسكن إلى حلاوة ما يجري من القول على ألسنتهم ، وأنت ترى الدماء تسيل من خلل فعلهم ؛ الحال من القوم ينادى بمضمرة شرّ ، وخفية حقد ؛ قد جعلوا المعاذير عليها سترًا ، وأنخذوا العلل من دونها حجابًا ؛ رجاء أن يدافعوا الأيام بالتأخير ، والأمور بالتطويل ؛ فيكسروا حيل المهديّ فيهم ، ويقنوا جنوده عنهم حتى يتلاحم أمرهم ، وتتلاحق مادتهم ، وتستفحل حربهم ، وتستمر الأمور بهم ؛ والمهديّ من قولهم في حال غيرة ولباس أمانة ، قد فترها وأنس بها وسكن إليها ؛ ولولا ما اجتمعت به قلوبهم ، وبردت عليه جلودهم من المناصب بالقتال ، والإضمار للقراع عن داعية ضلال ، أو شيطان فساد ، لرهبوا عواقب أخبار الولاية ، وغبّ سكون الأمور ؛ فليشدد المهديّ - وفقه الله -

(١) لا يتكأده : لا يشق عليه .

أزّره لهم ويكتب كتابه نحوهم ، وليضع الأمر على أشد ما يحضره فيهم ، وليوقن أنه لا يعطيهم خطة يريد بها صلاحهم إلا كانت دُرْبَةً إلى فسادهم ، وقوَّةً على معصيتهم ، وداعية إلى عودتهم ؛ وسبباً لفساد من بحضرتة من الجنود ، ومن ببابه من الوفود ، الذين إن أقروهم وتلك العادة ، وأجراهم على ذلك الأرب ، ولم يبرح في فتقٍ حادثٍ وخلافٍ حاضرٍ ؛ لا يصلح عليه دين ، ولا تستقيم به دنيا ؛ وإن طلب تغييره بعد استحكام العادة ، واستمرار الدربة ، لم يصل إلى ذلك إلا بالعقوبة المفرطة ، والمؤونة الشديدة ، والرأى للمهدى وفقه الله - ألا يقبل عثرتهم ، ولا يقبل معذرتهم ، حتى تطأهم الجيوش ، وتأخذهم السيوف ، ويستحزهم<sup>(١)</sup> القتل ، ويحدق بهم الموت ، ويحيط بهم البلاء ، ويطبق عليهم الذل ؛ فإن فعل المهدى بهم ذلك ، كان مقطعة لكل عادة سوء فيهم ، وهزيمة لكل بادرة شر منهم ، واحتمال المهدى مؤونة غزوتهم هذه يصع عنه غزوات كثيرة ، ونفقات عظيمة .

قال المهدى : قد قال القوم فأحكم يا أبا الفضل .

فقال العباس بن محمد :

أيها المهدى :

أما الموالى فأخذوا بفروع الرأى ، وسلكوا جنبات الصواب ، وتعدوا أمورا قصر بنظرهم عنها أنه لم تأت تجار بهم عليها .

وأما الفضل فأشار بالأموال ألا تنفق ، والجنود ألا تفرق ، وبألا يعطى القوم ما طلبوا ، ولا يبذل لهم ما سألوا ، وجاء بأمر بين ذلك استصغاراً لأمرهم وأستهانة بجرهم ؛ وإنما يهيج جسيات الأمور صغارها .

(١) يستحز : يشتم ويقوى .

وأما عليّ فأشار باللين وإفراط الرّفق، وإذا جرّد الوالى لمن غمط أمره وسفه حقه،<sup>(١)</sup>  
 اللين بحتاً والخير محضاً، لم يخطهما بشدة تعطف القلوب عن لينه، ولا بشرّ يجسّمهم إلى  
 خيره، فقد ملّكهم الخلع لعدّهم<sup>(٢)</sup> وسّع لهم الفرجة لئنى أعناقهم؛ فإن أجابوا دعوته وقبلوا  
 لينه من غير خوفٍ أضطّروهم ولا شدّة، فزوّة<sup>(٣)</sup> في رؤوسهم يستدعون بها البلاء إلى أنفسهم،  
 ويستصرخون بها رأى المهديّ فيهم؛ وإن لم يقبلوا دعوته ويسرعوا لإجابته باللين المحض  
 والخير الصراح، فذلك ما عليه الظنّ بهم والرأى فيهم، وما قد يُشبهه أن يكون من مثلهم،  
 لأن الله تعالى خلق الجنة وجعل فيها من النعيم المقيم والمُلك الكبير ما لا يخطر على قلب  
 بشر ولا تدركه الفكر ولا تعلمه نفس؛ ثم دعا الناس إليها ورغبهم فيها، فلولا أنه خلق ناراً  
 جعلها لهم رحمة يسوقهم بها إلى الجنة، لما أجابوا ولا قبلوا.

وأما موسى فأشار بأن يعصبوا بشدّة لا لين فيها، وأن يرموا بشرّ لا خير معه، وإذا  
 أضمر الوالى لمن فارق طاعته، وخالف جماعته، الخوف مُفرداً، والشرّ مجزّداً، ليس معهما  
 طمع ولا لين يثنيهم، أشدّت الأمور بهم، وأنقطعت الحال منهم إلى أحد أمرين: إما أن  
 تدخلهم الحيّة من الشدّة، والأثفة من الدلّة، والامتعاض من القهر؛ فيدعوهم ذلك إلى  
 التماذى في الخلاف، والاستبسال في القتال، والاستسلام للوت؛ وإما أن ينقادوا بالكثرة،  
 ويُدعِنوا بالقهر على بغضة لازمة، وعداوة باقية، تُورث النفاق وتُعقب الشقاق؛ فإذا  
 أمكنتهم فرصة، أو ثابت لهم قدرة، أو قويّت لهم حال؛ عاد أمرهم إلى أصعب وأغلظ  
 وأشدّ مما كان.

(١) غمط الأمر: ازدراه. وسفه حقه: امتهنه وبخسه.

(٢) العذر جمع عذار.

(٣) الزوّة: الوثوب إلى الشرّ.

(٤) عصب الشيء: لواه وشدّه.

وقال في قول الفضل :

أيها المهديّ، أكتفى دليل، وأوضح برهان، وأبين خبر بان، قد أجمع رأيه وحزم نظره  
على الإرشاد ببعثة الجيوش اليهم، وتوجيه البعث نحوهم، مع إعطائهم ما سألوها من الحق،  
وإجابتهم الى ما سألوه من العدل .  
قال المهديّ : ذلك رأي .

قال هارون :

ما خلطت الشدة أيها المهديّ باللين، وانتظم أمر الدنيا بالدين، فصارت الشدة أمر  
فطام لما تكروه، وعاد اللين أهدى قائد الى ما نُحِبُّ؛ ولكن أرى غير ذلك .  
قال المهديّ :

لقد قلت قولاً بديعاً، خالفت فيه أهل بيتك جميعاً، والمرء مؤتمن بما قال، وظنين<sup>(١)</sup>  
بما ادعى حتى يأتي بيينة عادلة، وحجة ظاهرة، فأخرج عما قلت .

قال هارون :

أيها المهديّ، إن الحرب خدعة، والأعاجم قوم مكرّة؛ وربما اعتدلت الحال بهم،  
وأنفقت الأهواء منهم؛ فكان باطن ما يُسرون على ظاهر ما يُعلنون، وربما آفقت  
الحالان، وخالف القلب اللسان، فأنطوى القلب على محجوبة تبطن، وأسست بمدخولة<sup>(٢)</sup>  
لا تُعلن؛ والطبيب الرفيق بطبه، البصير بأمره، العالم بمقدم يده وموضع ميسمه؛ لا يتعجل  
بالدواء، حتى يقع على معرفة الداء، فالرأي للمهديّ — وفقه الله — أن يقتر باطن أمرهم  
فَرِّ المِسْتَه، ويخض ظاهر حالهم مخض السقاء بمتابعة الكتب، ومظاهرة الرسل، وموالاته<sup>(٤)</sup>

(١) الفطام هنا : القطع والاستئصال .

(٢) ظنين بما ادعى : منهم بدعواه .

(٣) الميسم : المكواة يوسم بها الحيوان .

(٤) فَرِّ الدابة : فتح فاهها وكشف عن أسنانها ينظر ما سنها . والمسن من الدواب ما دخل في الثامنة .

العيون ، حتى تُهتَكَ حُجُبُ عيونهم ، وتُكشَفُ أَعْظِيَةُ أُمُورِهِمْ ؛ فَإِنَّ أَنْفَرَجَتِ الْحَالُ ، وَأَفْضَتِ الْأُمُورُ بِهِ إِلَى تَغْيِيرِ حَالٍ أَوْ دَاعِيَةٍ ضَلَالٍ ، أَشْتَمَلَتِ الْأَهْوَاءُ عَلَيْهِ ، وَأَنْقَادَ الرِّجَالِ إِلَيْهِ ، وَأَمْتَدَّتِ الْأَعْنَاقُ نَحْوَهُ يَعْتَقِدُونَهُ ، وَإِثْمٌ يَسْتَحِلُّونَهُ ، عَصَبَهُمْ بِشِدَّةٍ لَا إِلَيْنَ فِيهَا ، وَرِمَاهُمْ بِعُقُوبَةٍ لَا عَفْوَ مَعَهَا ، وَإِنْ أَنْفَرَجَتِ الْعَيُونُ ، وَأَهْتَصِرَتِ السُّتُورُ ، وَرُفِعَتِ الْحُجُبُ ، وَالْحَالُ فِيهِمْ مَرِيعةٌ ، وَالْأُمُورُ بِهِمْ مَعْتَدِلَةٌ فِي أَرْزَاقٍ يَطْلُبُونَهَا ، وَأَعْمَالٌ يُنْكِرُونَهَا ، وَظُلَامَاتٌ يَدْعُونَهَا ، وَحَقُوقٌ يَسْأَلُونَهَا ، بِمَاتَةٍ سَابِقَتِهِمْ ، وَدَالَّةٍ مَنَاصِحَتِهِمْ ؛ فَالرَّأْيُ لِلْمَهْدِيِّ - وَفَقَهُ اللَّهُ - أَنْ يَتَسَعَّ لِمَنْ بِمَا طَلَبُوا ، وَيَتَجَانَفِي لِمَنْ عَمَّا كَرِهُوا ، وَيَسْتَعَبُّ مَنْ أَمْرَهُمْ مَا صَدَعُوا ، وَيَرْتَقِي مَنْ فَتَقَهُمْ مَا قَطَعُوا ، وَيُوَلِّيَ عَلَيْهِمْ مَنْ أَحْبَبُوا ؛ وَيَدَاوِي بِذَلِكَ مَرَضَ قُلُوبِهِمْ ، وَفَسَادَ أُمُورِهِمْ ؛ فَإِنَّمَا الْمَهْدِيُّ وَأَمْتَهُ ، وَسَوَادُ أَهْلِ مَمْلَكَتِهِ ، بِمَنْزِلَةِ الطَّبِيبِ الرَّفِيقِ ، وَالْوَالِدِ الشَّفِيقِ ، وَالرَّاعِيِ الْحَزْبِ الَّذِي يَحْتَالُ لِمَرَابِضِ غَنَمِهِ ، وَضَوَّالَ رَعِيَّتِهِ ، حَتَّى يُبْرِئِيَ الْمَرِيضَةَ مِنْ دَاءِ عِلَّتِهَا وَيُرِدِّ الصَّحِيحَةَ إِلَى أُنْسٍ جَمَاعَتِهَا ؛ ثُمَّ إِنَّ خِرَاسَانَ بِخَاصَّةِ الدِّينِ لِمَنْ دَالَّةٌ مَحْمُولَةٌ ، وَمَاتَةٌ مَقْبُولَةٌ ، وَوَسِيلَةٌ مَعْرُوفَةٌ ، وَحَقُوقٌ وَاجِبَةٌ ؛ لِأَنَّهُمْ أَيْدِي دَوْلَتِهِ ، وَسَيُوفُ دَعْوَتِهِ ، وَأَنْصَارُ حَقِّهِ ، وَأَعْوَانُ عَدْلِهِ ؛ فَلَيْسَ مِنْ شَأْنِ الْمَهْدِيِّ الْأَضْطِغَانُ عَلَيْهِمْ ، وَلَا الْمُوَاخَذَةُ لَهُمْ ، وَلَا التَّوْغِيرُ بِهِمْ ، وَلَا الْمَكَافَأَةُ بِإِسَاءَتِهِمْ ، لِأَنَّ مَبَادِرَةَ حَسْمِ الْأُمُورِ ضَعِيفَةٌ قَبْلَ أَنْ تَقْوَى ، وَمَحَاوَلَةُ قَطْعِ الْأَصُولِ ضَمِيلَةٌ قَبْلَ أَنْ تَغْلُظَ ، أَحْزَمُ فِي الرَّأْيِ ، وَأَصْحَحُ فِي التَّدْيِيرِ مِنَ التَّأخِيرِ لَهَا وَالتَّهَانُونَ بِهَا ، حَتَّى يَلْتَمَّ قَلِيلُهَا بِكَثِيرِهَا ، وَتَجْتَمِعَ أَطْرَافُهَا إِلَى جُمْهُورِهَا .

قال المهدي : ما زال هارون يقع وقع الحيا حتى خرج خروج القدح من الماء ، وأنسل أنسلال السيف فيما ادعى ، فدعوا ما سبق موسى فيه أنه هو الرأي ، وثني بعده هارون ، ولكن من لأعنة الخيل وسياسة الحرب وقادة الناس إن أمعن بهم اللجاج ، وأفرطت بهم الدالة ؟ .

(١) المائة : الحرمة والوسيلة .

(٢) التوغير بهم : التشديد عليهم .

قال صالح :

لسنا نبغ أيها المهديّ بدوام البحث وطول الفكر أدنى فراسة رأيك ، وبعض الحطّات نظرك ؛ وليس يتفصّ عنك من بيوتات العرب ورجال العجم ذو دين فاضل ، ورأى كامل ، وتدير قوى ؛ تقلّده حربك ، وتستودعه جندك ، ممن يحتمل الأمانة العظيمة ، ويضطلع بالأعباء الثقيلة ؛ وأنت بحمد الله ميمون النقيبة<sup>(١)</sup> ، مبارك العزيمة ، محجور التجارب ، محمود العواقب ، معصوم العزم ؛ فليس يقع اختيارك ، ولا يقف نظرك على أحدٍ تولّيه أمرك ، وتُسند إليه ثغرك ، إلا أراك الله ما تحبّ ، وجمع لك منه ما تريد .

قال المهديّ : إني لأرجو ذلك لقديم عادة الله فيه ، وحسن معونته عليه ؛ ولكن أحبّ الموافقة على الرأي ، والأعتبار للشاورة في الأمر المهم .

قال محمد بن الليث :

أهل خراسان أيها المهديّ ، قوم ذوو عزة ومنعة ، وشياطين خدعة ؛ زروع الحمية فيهم نابسة ، وملايس الأنفة عليهم ظاهرة ؛ فالروية عنهم عازبة ، والعجلة فيهم حاضرة ؛ تسبق سيولهم مطرهم ، وسيوفهم عدلهم<sup>(٢)</sup> ، لأنهم بين سفلة لا يعدو مبلغ عقولهم منظر عيونهم ، وبين رؤساء لا يلجمون إلا بشدة ، ولا يفظمون إلا بالترّب ؛ وإن ولّى المهديّ عليهم وضيعا لم تنقد له العضاء ، وإن ولّى أمرهم شريفاً تحامل على الضعفاء ؛ وإن أحرّ المهديّ أمرهم ، ودافع حربهم ، حتى يُصيب لنفسه من حشمه ومواليه ، أو بني عمه أو بني أبيه ؛ ناصحا يتفق عليه أمرهم ، وثقة تجتمع له أملاؤهم بلا أنفة تلزمهم ، ولا حمية تدخلهم ، ولا مصيبة تنفرهم ؛ تنفست الأيام بهم ، وتراخت الحلال بأمرهم ؛ فدخل بذلك من الفساد الكبير ، والضياح العظيم ، ما لا يتلافاه صاحب هذه الصفة وإن جدّ ، ولا يستصاحه وإن جهّد ،

(١) ميمون النقيبة : أى مبارك النفس ينجح فيما يحاول . ومحجور التجارب : خبير بها .

(٢) العازب : العائب .

(٣) العذل : اسم مصدر من العذل بمعنى اللوم ومثله المثل "سبق السيف العذل" يضرب لما قد فات .

إلا بعد دهر طويل وشركبير؛ وليس المهديّ - وفقه الله - فاطماً عاداتهم، ولا قارعا صفاتهم، بمثل أحد رجلين لا ثالث لهما . ولا عدل في ذلك بهما :

أحدهما لسانٌ ناطقٌ موصولٌ بسمعك، ويدٌ ممثلةٌ لعينك، وصخرةٌ لا تُزعزعُ، وبهمةٍ لا يُثنى؛ وبازلٌ لا يُفزعُه صوتُ الجبل، نقيّ العِرض، نزيه النفس، جليل الخطر، قد اتّضعت الدنيا عن قدره، وسمّا نحو الآخرة بهمته، فجعل الغرض الأقصى لعينه نصباً، والغرض الأدنى لقدمه مؤطناً؛ فليس يقبل عملاً، ولا يتعدى أملاً؛ وهو رأس مواليك، وأنصح بني أبيك؛ رجل قد غدّى بلطيف كرامتك، ونبت في ظل دولتك، ونشأ على قوائم أدبك؛ فإن قلده أمرهم، وحملته ثقلهم، وأسندت إليه ثغرهم؛ كان قفلاً فتحه أمرُك، وباباً أغلقه نهيُك؛ فجعل العدل عليه وعليهم أميراً، والإنصاف بينه وبينهم حاكماً؛ وإذا حكم النصفة وسلك المعدلة، فأعطاهم ما لهم وأخذ منهم ما عليهم، غرس في الذي لك بين صدورهم، وأسكن لك في السويداء داخل قلوبهم، طاعةً راسخة العروق، بأسقة الفروع، متائلةً في حواشي عوامهم، متمكنة من قلوب خواصهم؛ فلا يبقى فيهم ريب إلا نقوه، ولا يلزمهم حقٌ إلا أدوه؛ وهذا أحدهما .

والآخر عودٌ من غيظتك؛ ونبعةٌ من أرومتك، قتي السن كهل الحلم راجح العقل محمود الصرامة مأمون الخلاف؛ يجرد فيهم سيفه، ويسط عليهم خيره بقدر ما يستحقون، وعلى حسب ما يستوجبون؛ وهو فلان أيها المهديّ، فسلّطه - أعزك الله - عليهم، ووجهه بالجوش اليهم، ولا تمنك ضراعة سنه، وحدائه مولده؛ فإن الحلم والثقة مع الحدائث، خير من الشك والجهل مع الكهولة؛ وإنما أحداثكم أهل البيت فيما طبعكم الله عليه، وأختصكم به من مكارم الأخلاق، ومحامد الفعال، ومحاسن الأمور، وصواب التدبير، وصرامة الأنفس؛ كفراخ عناق الطير الحكمة لأخذ الصيد بلا تدريب، والعارفة

(١) ضراعة سنه : شبا به وحدائه سنه .

(٢) عناق الطير : كرام الطير .

لوجوه النفع بلا تأديب؛ فالعلم والعلم والعزم والحزم والجد والتؤدة والرفق ثابت في صدوركم، مزروع في قلوبكم، مستحکم لكم، متكامل عندكم، بطائع لازمة، وغرائز ثابتة .

قال معاوية بن عبد الله :

إفتاء أهل بيتك أيها المهديّ في الحلم على ما ذكر . وأهل خراسان في حال عزّ على ما وُصف، ولكن إن ولى المهديّ عليهم رجالا ليس بقديم الذكر في الجنود، ولا بنبيه الصّوت في الحروب، ولا بطويل التجربة للأموار، ولا بمعروف السياسة للجيوش والهيبة في الأعداء؛ دخل ذلك أمران عظيمان وخطران مهولان، أحدهما : أن الأعداء يفتنّونها منه ويحتقرونها فيه ، ويحتنون بها عليه في النهوض به والمقارعة له ، والخلاف عليه، قبل الاختبار لأمره، والتكشّف لحاله والعلم بطباعه . والأمر الآخر : أن الجنود التي يقود والجيوش التي يسوس إذا لم يحتبروا منه البأس والنجدة، ولم يعرفوه بالصّيت والهيبة ، أنكسرت شجاعته، وماتت نجاتهم ، وأستأخرت طاعتهم الى حين اختبارهم، ووقوع معرفتهم؛ وربما وقع البوار قبل الاختبار؛ وبيب المهديّ - وفقه الله - رجل مهيب نبيه حينك صيت؛ له نسب زالك وصوت عالٍ، قد قاد الجيوش وساس الحروب، وتألّف أهل خراسان، وأجتمعا عليه بالمقّة، ووثقوا به كل الثقة؛ فلو ولاء المهديّ أمرهم، لكفاه الله شرهم .

قال المهديّ : جانبت قصد الرّمية، وأبنت إلا عصبية؛ إذ رأى الحدّث من أهل بيتنا، كراى عشرة حلماء من غيرنا؛ ولكن أين تركتم ولى العهد .

قالوا :

لم يمنعنا من ذكره إلا كونه شبيه جدّه، ونسيج وحده؛ ومن الدّين وأهله، بحيث يقصر القول عن أدنى فضله؛ ولكن وجدنا الله عزّ وجلّ يحبّ عن خلقه، وستمرن دون عباده علم ما تختلّف به الأيام، ومعرفة ما تجرى عليه المقادير؛ من حوادث الأمور ورئيب المنون

المُخْتَرِمَةَ لِحَوَالِي الْقُرُونِ وَمَوَاضِي الْمُلُوكِ ، فَكَرِهْنَا سُسُوعَهُ عَنْ مَحَلَّةِ الْمَلِكِ وَدَارِ السُّلْطَانِ وَمَقَرِّ  
 الْإِمَامَةِ وَالْوِلَايَةِ وَمَوَاضِعِ الْمَدَائِنِ وَالْحَزَائِنِ ، وَمَسْتَقَرِّ الْجُنُودِ وَمَعْدِنِ الْجُودِ ؛ وَجَمَعَ الْأَمْوَالَ  
 الَّتِي جَعَلَهَا اللَّهُ قُطْبًا لِدَارِ الْمَلِكِ وَمِصِيدَةً لِقُلُوبِ النَّاسِ وَمَثَابَةً لِإِخْوَانِ الطَّمَعِ وَتُورِ الْفِتَنِ ،  
 وَدَوَاعِيَ الْبِدَعِ وَفِرْسَانَ الضَّلَالِ وَأَبْنَاءَ الْمَوْتِ . وَقُلْنَا : إِنْ وَجَّهَ الْمَهْدِيُّ وِلْيَّ عَهْدِهِ فَحَدَّثَ  
 فِي جِيُوشِهِ وَجُنُودِهِ مَا قَدْ حَدَثَ بِجُنُودِ الرَّسُلِ مِنْ قَبْلِهِ ، لَمْ يَسْتَطِعِ الْمَهْدِيُّ أَنْ يُعْقِبَهُمْ  
 بغيرِهِ إِلَّا أَنْ يَنْهَدَ إِلَيْهِمْ بِنَفْسِهِ ؛ وَهَذَا خَطَرٌ عَظِيمٌ وَهَوْلٌ شَدِيدٌ ، إِنْ تَنَقَّسَتْ الْأَيَّامُ بِمَقَامِهِ ،  
 وَأَسْتَدَارَتْ الْحَالُ بِإِمَامِهِ ، حَتَّى يَقَعَ عِوَضٌ لَا يُسْتَغْنَى عَنْهُ ، أَوْ يَجِدُّثَ أَمْرٌ لَا يَدُّ مِنْهُ ،  
 صَارَ مَا بَعْدَهُ مِمَّا هُوَ أَعْظَمُ هَوْلًا وَأَجَلٌ خَطَرًا لَهُ تَبَعًا وَبِهِ مُتَّصِلًا .

قال المهدي :

الْخَطْبُ أَيْسَرُ مِمَّا تَذْهَبُونَ إِلَيْهِ ، وَعَلَى غَيْرِ مَا تَصِفُونَ الْأَمْرَ عَلَيْهِ ؛ نَحْنُ أَهْلُ الْبَيْتِ  
 نَجْرِي مِنْ أَسْبَابِ الْقَضَايَا وَمَوَاقِعِ الْأُمُورِ ، عَلَى سَابِقِ مِنَ الْعِلْمِ وَمَحْتَوِيٍّ مِنَ الْأَمْرِ ؛ قَدْ  
 أَنْبَأَتْ بِهِ الْكُتُبُ ، وَنَبَأَتْ عَلَيْهِ الرَّسُلُ ؛ وَقَدْ تَنَاهَى ذَلِكَ بِأَجْمَعِهِ الْبِنَاءُ ، وَتَكَامَلُ بِجِذَائِرِهِ  
 عِنْدَنَا ؛ فِيهِ نُدَبَّرُ وَعَلَى اللَّهِ تَتَوَكَّلُ . إِنَّهُ لَا يَدُّ لَوْلَى عَهْدِي وَوَلِيَّ عَهْدِي عَقِبِي بَعْدِي أَنْ يَقُودَ  
 إِلَى خِرَاسَانَ الْبُعُوثِ ، وَيَتَوَجَّهَ نَحْوَهَا بِالْجُنُودِ .

أَمَّا الْأَوَّلُ فَإِنَّهُ يُقَدِّمُ إِلَيْهِمْ رِسْلَهُ ، وَيُعْمَلُ فِيهِمْ حِيَلُهُ ؛ ثُمَّ يُخْرِجُ نَسِيطًا إِلَيْهِمْ حِقَبًا  
 عَلَيْهِمْ ، يَرِيدُ أَلَّا يَدَعَ أَحَدًا مِنْ إِخْوَانِ الْفِتَنِ وَدَوَاعِيَ الْبِدَعِ وَفِرْسَانَ الضَّلَالِ ، إِلَّا تَوَطَّأَهُ  
 بِحِزِّ الْقَتْلِ ، وَأَلْبَسَهُ قِنَاعَ الْقَهْرِ ، وَقَلَّدَهُ طُوقَ الذَّلِّ ؛ وَلَا أَحَدًا مِنَ الَّذِينَ عَمِلُوا فِي قِصِّ  
 جَنَاحِ الْفِتْنَةِ ، وَإِنْخَادِ نَارِ الْبِدْعَةِ ، وَنُصْرَةِ وِلَاةِ الْحَقِّ ، إِلَّا أَجْرَى عَلَيْهِمْ دِيمَ فَضْلِهِ ، وَجَدَاوَلَ  
 نَهْلَهُ ؛ فَإِذَا خَرَجَ مُزْمِعًا بِهِ مُجْمَعًا عَلَيْهِ ، لَمْ يَسِرْ إِلَّا قَلِيلًا حَتَّى تَأْتِيَهُ أَنْ قَدْ عَمِلَتْ حِيَلُهُ ،  
 وَكَدَحَتْ كُتَيْبَهُ وَفَقَدَتْ مَكَائِدَهُ ؛ فَهَدَأَتْ نَافِرَةَ الْقُلُوبِ ، وَوَقَعَتْ طَائِرَةُ الْأَهْوَاءِ ، وَاجْتَمَعَ

(١) سُسُوعُهُ : ابْتِعَادُهُ .

(٢) سَمِعَتْ وَرَدَّابَتْ حَتَّى أَثَرَتْ .

(٣) وَوَقَعَتْ طَائِرَةُ الْأَهْوَاءِ : نَعِدَتْ فَضِيحًا وَرَسَكْنَ رِوْعَهَا .

عليه المختلِفون بالرضا ؛ فيميل نظراً لهم ، وبراؤهم ، وتعطفاً عليهم ، الى عدو قد أخاف سبيلهم ، وقطع طريقهم ، ومنع حجَّاجهم بيت الله الحرام ، وسلب تجارهم رِزق الله الحلال .

وأما الآخر فانه يوجه اليهم ، ثم تُعتقد له المحجة عليهم ، بإعطاء ما يطلبون ، وبذل ما يسألون ؛ فاذا سمحت الفرق بقراباتها له ، وجنح أهل النواحي بأعناقهم نحوه ؛ فأصغت اليه الأفئدة ، واجتمعت له الكلمة ؛ وقدمت عليه الوفود قصداً لأول ناحية نجعت بطاعتها وألقت بأزمته ؛ فالبسها جناح نعمته ، وأنزلها ظل كرامته ، وخصها بعظيم حباثته ؛ ثم عم الجماعة بالمعدلة ، وتعطف عليهم بالرحمة ؛ فلا تبقى فيهم ناحية دانية ولا فرقة قاصية ، إلا دخلت عليها بركته ، ووصلت اليها منفعة ؛ فأغنى فقيرها ، وجبر كسيرها ، ورفع وضعها ، وزاد رفيعها ما خلا ناحيتين ؛ ناحية يغلب عليها الشقاء ، وتستميلهم الأهواء ، فتستخف بدعوته ، وتبطئ عن إجابته ، وتتناقل عن حقه ، فتكون آخر من يبعث وأبطأ من يوجه ؛ فيصطلي عليها موجدة ويتنقى لها علة ، لا يلبث أن يبد بحق يلزمهم وأمر يجب عليهم ، فتستلحمهم الجيوش ، وتأكلهم السيوف ، ويستحز بهم القتل ، ويحيط بهم الأسر ، ويفنيم التبع ؛ حتى يجرب البلاد ، ويؤتم الأولاد ؛ وناحية لا يبسط لهم أمانا ، ولا يقبل لهم عهدا ولا يجعل لهم ذمة ؛ لأنهم أول من فتح باب الفرقة ، وتدرع جلباب الفتنة ، وربض في شق العصا ؛ ولكنه يقتل أعلامهم ، ويأسر قوادهم ؛ ويطلب هراهم في لجج البحار ، وقلل الجبال ، وتحمل الأودية ، وبطن الأرض ، تقتيلا وتغليلا وتنكيلا ؛ حتى يدع الديار خرابا ، والنساء أياحى ؛ وهذا أمر لا تعرف له في كتبنا وقتنا ، ولا نصحح منه غير ما قلنا تفسيرا .

وأما موسى ولى عهدى فهذا أوان توجهه الى خراسان ، وحلوله بخرجان ؛ وما قضى الله له من الشخوص اليها ، والمقام فيها ، خير للمسلمين مغبة ، وله بإذن الله عاقبة من المقام ، بحيث يفمر في لجج بحورنا ، ومدافع سيولنا ، وجامع أمواجنا ؛ فيتصاهر عظيم فضله ،

وَيَتَذَابُّ<sup>(١)</sup> مشرق نوره، ويتقلل كثير ما هو كائن منه؛ فمن يصحبه من الوزراء ويختار له من الناس .

قال محمد بن الليث :

أيها المهديّ : إن وليّ عهدك أصبح لأمتك وأهل ملّتك علماً ، قد تشنت نحوه أعناقها ، ومدت سمته أبصارها ؛ وقد كان لقرب داره منك ، ومحل جواره لك ، عطلّ الحال غفّل الأمر وإسع العُدْر ؛ فأما إذا انفرد بنفسه وخلا بنظره وصار الى تدييره ، فإن من شأن العامة أن نتفقد<sup>(٢)</sup> مخارج رأيه ، وتستنصت لمواقع آثاره ، وتسال عن حوادث أحواله في برّه ومرحمته وإقساطه ومعدّلاته وتدييره وسياسته ووزرائه وأصحابه ؛ ثم يكون ما سبق اليهم أغلب الأشياء عليهم وأملك الأمور بهم وألزمها لقلوبهم ، وأشدّها أسئلةً لرأيهم وعطفاً لأهوائهم ؛ فلا يفتأ المهديّ - وفقه الله - ناظراً له فيما يقوى محمد مملكته ، ويسدّد أركان ولايته ، ويستجمع رضا أمته بأمرٍ هو أزين لحاله وأظهر لجماله ، وأفضل مغبةً لأمره ؛ وأجل موقعاً في قلوب رعيته ، وأحمد حالاً في نفوس أهل ملّته ؛ ولا أدفع مع ذلك باستجاع الأهواء له ، وأبلغ في استعطاف القلوب عليه ، من مرحمة تظهر من فعله ، ومعدّلة تنتشر عن أثره ومحبة للخير وأهله ، وأن يختار المهديّ - وفقه الله - من خيار أهل كل بلدة ، وفقهاء أهل كل مصر ؛ أقواماً تسكن اليهم العامة إذا ذكروا ، وتأنس الرعية بهم إذا وُصفوا ؛ ثم تسهل لهم عمارة سبيل الإحسان وفتح باب المعروف ، كما قد كان فتح له وسهل عليه .

قال المهديّ : صدقت ونصحت ، ثم بعث في ابنه موسى فقال :

أي بنيّ ، إنك قد أصبحت لسمت<sup>(٤)</sup> وجوه العامة نصيباً ، ولمثني أعطاف الرعية غاية ؛ فحسنتك شاملة ، وإساءتك نائية ، وأمرك ظاهر ؛ فعليك بتقوى الله وطاعته ، فاحتمل

(١) يتذابّ : يخبث . (٢) نتفقد مخارج رأيه : أي تفحص عن وجوه رأيه وتدييره . (٣) أملك الأمور : أضبطها . (٤) السمّت : المذهب والقصد . (٥) الأعطاف : جمع عطف وهو الجانب .

يُسَخِّطُ النَّاسَ فِيهِمَا ، وَلَا تَطْلُبُ رِضَاهُمَا بِخِلَافِهِمَا ؛ فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ كَافِيكَ مَنْ أَسَخَّطَهُ عَلَيْكَ إِثَارُكَ رِضَاهُ ، وَلَيْسَ بِكَافِيكَ مَنْ يُسَخِّطُهُ عَلَيْكَ إِثَارُكَ رِضَا مَنْ سِوَاهُ . ثُمَّ أَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى فِي كُلِّ زَمَانٍ قَبْرَةً مِنْ رُسُلِهِ ، وَبَقَايَا مِنْ صَفْوَةِ خَلْقِهِ وَخَبَايَا لِنُصْرَةِ حَقِّهِ ، يَجِدُّ حَبْلَ الْإِسْلَامِ بِدَعْوَاهُمْ ، وَيَشِيدُ أَرْكَانَ الدِّينِ بِنُصْرَتِهِمْ ؛ وَيَتَّخِذُ لِأَوْلِيَاءِ دِينِهِ أَنْصَارًا ، وَعَلَى إِقَامَةِ عَدْلِهِ أَعْوَانًا ؛ يَسُدُّونَ الْخَلَلَ وَيَقِيمُونَ الْمِيلَ ، وَيُدْفَعُونَ عَنِ الْأَرْضِ الْفَسَادَ ؛ وَإِنَّ أَهْلَ خِرَاسَانَ أَصْبَحُوا أَيْدِي دَوْلَتِنَا ، وَسَيْفُ دَعْوَتِنَا الَّذِينَ نَسْتَدْفِعُ الْمَكَارَهَ بِطَاعَتِهِمْ ، وَنَسْتَصْرِيفُ نَزُولِ الْعِظَائِمِ بِمَنَاصِحَتِهِمْ ؛ وَنُدَافِعُ رَيْبَ الزَّمَانِ بِعِزَائِمِهِمْ ، وَنُزَاحِمُ رُكْنَ الدَّهْرِ بِبِصَائِرِهِمْ ؛ فَهَمَّ عِمَادُ الْأَرْضِ إِذَا أُرْجِحَتْ كُنْفُهَا<sup>(١)</sup> ، وَخَوْفُ الْأَعْدَاءِ إِذَا بَرَزَتْ صَفْحَتُهَا ، وَحِصُونُ الرِّعْيَةِ إِذَا تَضَايَقَتْ الْحَالَ بِهَا ؛ قَدْ مَضَتْ لَهُمْ وَقَائِعُ صَادِقَاتٍ ، وَمَوَاطِنُ صَالِحَاتٍ ؛ أَنْحَدَتْ نِيرَانَ الْفِتَنِ ، وَقَسَمَتْ دَوَاعِيَ الْبَسَدِ ، وَأَذَلَّتْ رِقَابَ الْجَبَّارِينَ وَلَمْ يَنْفَكُوا كَذَلِكَ مَا جَرَوْا مَعَ رِيحِ دَوْلَتِنَا ، وَأَقَامُوا فِي ظِلِّ دَعْوَتِنَا ، وَأَعْتَصَمُوا بِحَبْلِ طَاعَتِنَا ؛ الَّتِي أَعَزَّ اللَّهُ بِهَا ذَلَّتَهُمْ وَرَفَعَ بِهَا ضَعْفَهُمْ ؛ وَجَعَلَهُمْ بِهَا أَرْبَابًا فِي أَقْطَارِ الْأَرْضِ ، وَمُلُوكًا عَلَى رِقَابِ الْعَالَمِينَ بَعْدَ لِبَاسِ الذَّلِّ ، وَقِنَاعِ الْخَوْفِ ، وَإِطْبَاقِ الْبِلَاءِ وَمُخَالَفَةِ الْأَسَى ، وَجَهْدِ الْبَأْسِ وَالضَّرِّ ؛ فَظَاهِرٌ عَلَيْهِمْ لِبَاسُ كِرَامَتِكَ ، وَأَنْزَلَهُمْ فِي حَدَائِقِ نِعْمَتِكَ ؛ ثُمَّ أَعْرِفْ لَهُمْ حَقَّ طَاعَتِهِمْ ، وَوَسِيلَةَ دَائِلَتِهِمْ ، وَمَائَةَ سَابِقَتِهِمْ ، وَحُرْمَةَ مَنَاصِحَتِهِمْ ؛ بِالْإِحْسَانِ إِلَيْهِمْ ، وَالتَّوَسُّعِ عَلَيْهِمْ ، وَالْإِثَابَةِ لِحُسْنِهِمْ ، وَالْإِقَالَةَ لِمُسِيئَتِهِمْ .

أَيُّ بُحْتِي ، ثُمَّ عَلَيْكَ الْعَامَّةُ فَاسْتَدْعِ رِضَاهَا بِالْعَدْلِ عَلَيْهَا ، وَأَسْتَجِبْ مُوَدَّتَهَا بِالْإِنْصَافِ لَهَا ؛ وَتَحَسَّنْ بِذَلِكَ لِرَبِّكَ ، وَتَوَثَّقْ بِهِ فِي عَيْنِ رِعْيَتِكَ ، وَاجْعَلْ عَمَالَ الْعُدْرِ وَوَلَاةَ الْمُجَجِّ مُقَدِّمَةً بَيْنَ عَمَلِكَ ، وَنَصَفَةَ مِنْكَ لِرِعْيَتِكَ ، وَذَلِكَ أَنْ تَأْمُرَ قَاضِيَ كُلِّ بَلَدٍ ، وَخِيَارَ أَهْلِ كُلِّ مِصْرٍ ، أَنْ يَخْتَارُوا لِأَنْفُسِهِمْ رَجُلًا تَوَلَّيَهُ أَمْرَهُمْ ، وَتَجْعَلَ الْعَدْلَ حَاكِمًا بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ ؛ فَإِنَّ أَحْسَنَ حُدُثٍ ، وَإِنْ أَسَاءَ عُذْرَتٍ . هَؤُلَاءِ عَمَالَ الْعُدْرِ وَوَلَاةَ الْمُجَجِّ ، فَلَا يَسْقُطَنَّ عَلَيْكَ

(١) الكنف : جمع كنف وهو الجانب . وأرجحت : زلزلت .

ما في ذلك اذا أنتشر في الآفاق ، وسبق الى الأسماع ، من أنعقاد ألسنة المرّجفين ، وكتب  
قلوب الحاسدين ، وإطفاء نيران الحروب ، وسلامة عواقب الأمور ؛ ولا ينفكّن في ظلّ  
كرامتك نازلا ، وبِعراً حبلك متعلقاً رجلاًن : أحدهما كريمة من كرائم رجالات العرب ،  
وأعلام بيوتات الشرف به أدب فاضل ، وحلم راجح ، ودين صحيح . والآخر له دين غير  
مغموز ، وموضع غير مدخول ، بصير بتقليب الكلام وتصريف الرأي وأنحاء العرب ووضع  
الكتب ، عالم بحالات الحروب وتصاريف الخطوب ؛ يضع آداباً نافعة وآثاراً باقية ، من  
محاسنك وتحسين أمرك وتحلية ذكرك ؛ فتستشيرهُ في حربك ، وتُدخِله في أمرك ؛ فرجل  
أصبته كذلك فهو يأوى الى محلتى ، ويرعى في خُصرة جنانى ؛ ولا تدع أن تختار لك من  
فقهاء البُلدان ، وخيار الأمصار ، أقواما يكونون جيرانك ومُشارك ، وأهل مُساورتك فيما  
تُورد ، وأصحاب مناظرتك فيما تُصدِر . فسِر على بركة الله ، أصحبك الله من عونه وتوفيقه  
دليلاً يهْدى الى الصواب قلبك ، وهادياً يُنطق بالخير لسانك . وكتب في شهر ربيع الآخر  
سنة سبعين ومائة ببغداد .

(١) الكريمة : صاحب الكرم . وكرائم الرجال : أخاير رجال العرب وأحاسنهم . (٢) غير مغموز :

غير مطعون : وغير مدخول : لا يداخله فساد .

٢ - رسالة أبي الربيع محمد بن الليث التي كتبها للرشيدي

الى قُسطنطين ملك الروم

من عبد الله هارون أمير المؤمنين الى قسطنطين عظيم الروم: سلام على من أتبع الهدى ،  
فإني أحمد الله الذي لا شريك معه ، ولا ولد له ، ولا إله غيره ، الذي تعالى عن شبه  
المخدودين بعظمته ، واحتجب دون المخلوقين بعزته ، فليست الأبصار بمدركة له ، ولا  
الأوهام بواقعة عليه ، انفراداً عن الأشياء أن يشبهها ، وتعالى أن يشبهه شيء منها ، وهو  
الواحد القهار ، الذي ارتفع عن مبالغ صفات القائلين ، ومذاهب لغات العالمين ، وفكر  
الملائكة المقترين ، فليس كمثل شيء ، وله كل شيء ، وهو على كل شيء قدير .

أما بعد ، فإن الله جل ثناؤه وتباركت أسماؤه ، قال لنبيه صلى الله عليه وسلم فيما أنزل  
من آيات الوحي اليه : ﴿ اُدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي  
هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مِمَّنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ . فرأى  
أمير المؤمنين من أحسن قوله وأفضل فعله ، أن يكون الى سبيل ربه داعياً ، وبرسوله  
صلى الله عليه وسلم متأسياً ، ولقوله : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ  
إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ موافقاً . وكنت من كتب الله المنزلة ، وآياته المفسرة ، وخلق الكثیر  
بحيث رجا أمير المؤمنين استماعك لموعظته ، وانتفاعك بمجادلته انتفاع بشير كثير وخلق  
عظيم قد بُوت بأوزارهم مع وزيرك ، واحتملت من آتامهم الى إثمك ، فأحب أن يدعوك  
ومن رجا أن ينتفع بدعوته معك ، الى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به  
شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله ؛ فإن توليتم عن ذلك رغبة عنه ،  
أو تركتموه زهادة فيه ، فأشهدوا بأننا مسلمون . واستمعوا ما أمير المؤمنين واصلف لكم ،  
ومحج به إن شاء الله عليكم ، بقلوب شاهدة وآذان واعية ، ثم أتبعوا أحسن ما تسمعون .  
ولا قوة إلا بالله .

فإن الله عز وجل يقول فيما أنزل من كتابه وأقتص على عباده : ﴿ فَبَشِّرْ عِبَادِ الَّذِينَ  
يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ . إن الله  
تبارك اسمه وتعالى جده ، وصنف فيما أنزل من آياته ، وشرح من بيناته ، الأمم الماضية ،  
والقرون الخالية ، والملل المتفرقة ، الذين يجعلون مع الله آلهة أخرى لا برهان لهم بها ،  
ولا حجة لهم فيها ، فقال : ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ  
إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلَّمْتَهُ الْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمَنُوا بِاللَّهِ  
وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهُ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ  
لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا  
لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ ﴾ .

قالت العرب الذين يعبدون الملائكة وأهل الكتاب الذين يقولون ثالث ثلاثة بآيتي  
آية يا محمد تزعم أن الله إله واحد ، فأنزل الله عز وجل في ذلك آية تشهد لها العقول ،  
وتؤمن بها القلوب ، وتعرفها الأبواب ، فلا تستطيع لها ردا ، ولا تطيق لها سجدا ، ذكر  
فيها اتصال خلقه واتفاق صنعه ، ليوقن الجاهلون من العرب ، والضالون من أهل الكتاب ،  
أن الله السماء والأرض ، وما بينهما من الهواء والخلق ، واحد لا شريك له ، خالق لا شيء  
معه ، فقال : ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي  
فِي الْبَحْرِ مِمَّا يَنْفَعُ النَّاسَ ﴾ . فتفكر في تفسير هذه الآية من كلام الرب عز وجل ، وما أوضح  
فيها من بيان الخلق ، فإنه ما من مفكر ينظر فيما ذكر الله فيها مما بين السماء والأرض ، إلا رأى  
من اتصال بعض ذلك ببعض ، مثل ما رأى في تدييره نفسه ، وعرف من اتصال خلقه ،  
فيما بين ذوائب شؤون رأسه الى أطراف أنامل قدميه . وفي ذلك أوضح آية وأبين دلالة ،  
على أن الذي خلقه وصنعه إله واحد لا إله معه ، ولا من شيء ابتدعه ، ولا على مثال صنعه .  
قد ترون بعيونكم وتعلمون بقولكم ، أن الله عز وجل خلق للأنام الأرض ، وجعلها  
موصولة بالخلق ، فليس يدجوها إلا لهم ، ولا يديمها إلا معهم ، وجعل ذلك الخلق متصلا

بالنبت، لا يقوم إلا به، ولا يصلح إلا عليه . وجعل ذلك النبات الذي جعله متاعاً لكم ومعاشاً لأنعامكم، متصلًا بالماء الذي ينزل من السماء بقدر معلوم، لمعاش مقسوم؛ فليس ينجم النبات إلا به ولا يحيا إلا عنه . وجعل السحاب الذي يسقطه كيف يشاء متصلًا بالرياح المسخّرة في جو السماء تُثيره من حيث لا تعلمون، وتُسوقه وأتم تنظرون؛ كما قال عز وجل: ﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فُسُقِنَاهُ إِلَى بَدْمِيَّتٍ فَأَحْيَيْنَاهُ بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ﴾ ووصل الرياح التي يصرّفها في جو السماء بما يؤثّر في خلق الهواء من الأزمنة التي لا تثبت الهواجر إلا بنباتها، ولا يزول عنه برد إلا بزوالها؛ ولولا ذلك لظلّ راكدا بالحرّ المميت، أو ماتلا بالبرد القاتل . ووصل الأزمنة التي جعلها متصرفة متلونة بمسير الشمس والقمر الدائبين لكم المختلفين بالليل والنهار عليكم . وجعل مسيرهما الذي لا تعرفون عدد السنين إلا به، ولا مواقع الحساب إلا من قبله، متصلًا بدوران الفلك الذي فيه يسبحان، وبه يافلان؛ ووصل مسير الفلك بالسماء للناظرين سواء . فهذا خلق الله عز وجل، ما فيه تباين ولا تزايل ولا تفاوت؛ كما قال سبحانه وتعالى: ﴿مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَاوُتٍ﴾ . ولو كان لله شريك أو معه ظهير عليه، يمسك منه ما يرسل، ويرسل منه ما يمسك، أو يؤخّر شيئاً من ذلك عن وقت زمانه، أو يعجّله قبل محيى إبانته، لتفاوت الخلق، ولتباين الصنع، ولفسدت السموات والأرض، ولذهب كل إله بما خلق، كما قال عز وجل - وكذب المبطلين - : ﴿بَلْ آتَيْنَاهُم بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِن إِلَهٍ إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ﴾ .

والعجب: كيف يصف مخلوق ربه، أو يجعل معه إلهاً غيره، وهو يرى فيما ذكر الله من هذه الأشياء صنعة ظاهرة، وحكمة بالغة، وتأليفاً متفقاً، وتدبيراً متصلاً، من السماء والأرض، لا يقوم بعضه إلا ببعض، متجلياً بين يديه، مائلاً نصب عينيه، يناديه الى صانعه، ويأله على خالقه، ويشهد له على وحدانيته، ويهديه الى ربوبيته، ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ

عَمَّا يُسْرِكُونَ أَيْسِرُكُونَ مَا لَا يَحْتَقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلِقُونَ . حَقًّا مَا كَرَّرَ هؤُلاءِ الجاهلون برهيم الضالّون عن أنفسهم ، في خلق الله النظر ، ولا رجّعوا كما قال الله عز وجل الفِكر . ولو أَعْمَلُوا فِكرَهُمْ وَأَجْهَدُوا نَظَرَهُمْ ، فَيَا تَسْمَعُ آذَانَهُمْ وَتَرَى أَبْصَارَهُمْ ، مِنْ حَوَادِثِ حَالَاتِ الحَلَقِ ، وَعَجَائِبِ طَبَقَاتِ الصُّنْعِ ، لَوَجَدُوا فِي أَقْرَبِ مَا يَرُونَ بِأَعْيُنِهِمْ : مِنَ التَّأْلِيفِ لِتَرْكِيبِ خَلْقِهِمْ ، وَالْإِثْرِ فِي التَّدْبِيرِ بِصُنْعِهِمْ ، مَا يَدُلُّهُمْ عَلَى تَوْحِيدِ رَبِّهِمْ ، وَيَقِفُ بِهِمْ عَلَى انْفِرَادِهِ بِخَلْقِهِمْ . فَانْهَمُ يَرُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ بِأَعْيُنِهِمْ وَيَجِدُونَ بِقُلُوبِهِمْ ، أَنَّهَا مَخْلُوقَةٌ صَنَعَةً بَعْدَ صَنَعَةٍ ، وَمَحْوَلَةٌ طَبَقَةً عَنِ طَبَقَةٍ ، وَمَنْقُولَةٌ حَالًا إِلَى حَالٍ : سُلَالَةٌ مِنْ طِينٍ ، ثُمَّ نُطْفَةٌ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ ، ثُمَّ عَلَقَةٌ ، ثُمَّ مُضْغَةٌ ، ثُمَّ عَظْمٌ ، كَسَاهَ اللَّهُ عِزَّ وَجَلَّ تَجَمُّا ، وَنَفَخَ فِيهِ رُوحًا ، فَإِذَا هُوَ خَائِقٌ آخَرَ ، فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الخَالِقِينَ ، الَّذِي خَلَقَ فِي قَرَارِ مَكِينٍ ، مِنْ مَاءٍ قَلِيلٍ ضَعِيفٍ ذَلِيلٍ ، خَلَقًا صَوْرَهُ بِتَخْطِيطٍ ، وَقَدْرَهُ بِتَرْكِيبٍ ، وَأَلْفَهُ بِأَجْزَاءٍ مُتَّفِقَةٍ ، وَأَعْضَاءٍ مُتَّصِلَةٍ ، مِنْ قَدَمٍ إِلَى سَاقٍ إِلَى نَحْوِهَا إِلَى مَا فَوْقَ ذَلِكَ : مِنْ مَفَاصِلٍ مَا يُعْلَنُ أَوْ عَجَائِبٍ مَا يُبَيِّنُ ، لِيَعْلَمَ الجَاهِلُونَ وَيُوقِنَ الجَاهِدُونَ ، أَنَّ الَّذِي صَنَعَ ذَلِكَ وَخَلَقَهُ وَدَبَّرَهُ وَقَدَّرَهُ وَهَيَّأَ ظَاهِرَهُ وَبَاطِنَهُ إِلَهًُ وَاحِدًا لِشَرِيكَ مَعَهُ . فَلَا يَذْهَبَنَّ ذِكْرُ هَذَا صَفْحًا عَنْكُمْ ، وَلَا تَسْقُطْ حِكْمَتُهُ جَهْلًا بِهِ عَلَيْكُمْ ؛ وَفَكَّرُوا فِي آيَاتِ الرِّسَالِ وَبَيِّنَاتِ التَّنْذِيرِ ، فَإِنَّ فِي ذَلِكَ فِكْرًا لِلْبَصِيرِينَ ، وَبَصَرًا لِلْعَبِيرِينَ ، وَذِكْرًا لِلْعَابِدِينَ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ .

وَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَاصِفٌ لَكُمْ ، وَمَقْتَصٌ مِنْ ذَلِكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ، مَا فِيهِ شَهَادَاتٌ وَاضِحَاتٌ ، وَعَلَامَاتٌ بَيِّنَاتٌ ؛ وَمَبْتَدِئٌ بِذِكْرِ آيَاتِ نَبِيِّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْهَا فِي الْوَحْيِ إِلَيْهِ ، فَإِنَّهُ مَا أَحَدٌ يَقْرَعُ بِآيَاتِ النُّبُوَّةِ قَلْبَهُ ، وَيَحْضُنُّ بِبَيِّنَاتِ الْهُدَى عَقْلَهُ ، إِلَّا قَادَتْهُ حَتَّى يُؤْمِنَ بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، لَا يَجِدُ إِلَى إِنْكَارِ مَا جَاءَ بِهِ مِنَ الْحَقِّ سَبِيلًا . فَأَرَدْتُ أَنْ تَكُونُوا عَلَى عِلْمٍ وَمَعْرِفَةٍ وَيَقِينٍ وَثِقَةٍ مِنْ أَمْرِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَحَقِّهِ ، وَمَا أَنْزَلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ عِزَّ وَجَلَّ . فَأَحْضُرُ كِتَابَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فَهَمَّكَ ، وَأَلْقِ إِلَى مَا هُوَ وَاصِفٌ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ سَمْعَكَ . إِنْ اللَّهُ عِزَّ وَجَلَّ أَصْطَفَى الْإِسْلَامَ لِنَفْسِهِ ، وَأَخْتَارَ لَهُ رُسُلًا مِنْ خَلْقِهِ ، وَأَتَمَّتْ كُلَّ رَسُولٍ بِلِسَانِ قَوْمِهِ ، لِيَبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّبِعُونَ ، وَيُعَلِّمَهُمْ مَا يَجْهَلُونَ : مِنْ تَوْحِيدِ

الرب وشرائع الحق ﴿لَلَّا يَكُونُ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ .  
 فلم تزل رسل الله قائمةً بأمره ، متواليّةً على حقّه ، في مواضئ الدهور ، وحوالي القرون ،  
 وطبقات الزمان ، يصدّق آخرهم بنبوّة أولهم ، ويصدّق أولهم قول آخرهم ؛ ومفاتيح دعوتهم  
 واحدةٌ لا تختلف ، ومجاميع ملّتهم ملتزمةٌ لا تفترق ، حتى تناهت الولاية والوراثة التي بنى  
 عيسى عليه السلام عليها وبشّرها ، الى النبي الأمّي الذي انتخبه الله لوحيه ، وأختاره بعلمه ؛  
 فلم يزل ينقله بالأباء الآخيار ، والأمّهات الطواهر ، أمةً فائمةً ، وقرنا فقرنا ، حتى استخرجه  
 الله في خير أوان ، وأفضل زمان ، من أثبت محاتد أرومات البرية أصلا ، وأعلى ذوائب نبغات  
 العرب فرعا ، وأطيب منابت أعياص قريش مغرسا ، وأرفع ذرى مجد بنى هاشم سمسكا :  
 محمد صلى الله عليه وسلم خيرها عند الله وخلقه نفسا ، على حين أوحشت الأرض من أهل  
 الإسلام والإيمان ، وأمتلات الآفاق من عبدة الأصنام والأوثان ، وأشتعلت البدع في الدين ،  
 وأطبقت الظلم على الناس أجمعين ؛ وصار الحق رسما عافيا ، خلقا باليا ، ميتا وسط أموات ،  
 ما إن يحسّون للهدى صوتا يسمعونه ، ولا للدين أثرا يتبعونه . فلم يزل صلى الله عليه وسلم  
 قائما بأمر الله الذي أنزل إليه ، يدعوهم الى توحيد الرب عز وجل ، ويحذّره عقوبات  
 الشرك ، ويجادهم بنور البرهان ، وآيات القرآن ، وعلامات الإسلام ، صابرا على الأذى ،  
 محتملا للكره ؛ قد ألهمه الله عز وجل أنه مظهر دينه ، ومِعزُّ تمكينه ، وعاصمه ومستخلفه  
 في الأرض ، فليس يثنيه ريب ، ولا يلوّيه هيب ، ولا يعنيه أذى ؛ حتى اذا قهرت البيئات  
 ألبابهم ، وبهرت الآيات أبصارهم ، وخصم نور الحق حجّتهم ، فلم تمتنع القلوب من المعرفة  
 بدون صدقه ، ولم تجد العقول سبيلا الى دفع حقّه . وهم على ذلك مكذبون بأفواههم ،  
 وجاحدون بأقوالهم ؛ كما قال الله عز وجل العليم بما يسرون ، الخابر بما يعلنون : ﴿فإنهم  
 لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون﴾ بغيا وعداوة ، وحسدا ولحاجة ، اقترض

(١) محاتد : جمع محتد ، وهو الأصل . (٢) أرومات : جمع أرومة ، وهي الأصل .

(٣) نبغات : أصول كريمة . (٤) أعياص قريش : أولاد أمية بن عبد شمس الأكبر ، وهم : العاص

وأبو العاص والعبيص وأبو العبيص والنويص . (٥) في الأصل : "فلا" .

الله عليه قتلهم ، وأمره أن يجرد السيف لهم ، وهم في عصابة يسيرة ، وعدة قليلة ، مستضعفين مستذلين ، يخافون أن يتخطفهم العرب ، وتداعى عليهم الأمم ، وتستحملهم<sup>(٢)</sup> الحروب ، فأواهم في كنفه ، وأيدهم بنصره ، وأنذرهم بمقدمة من الرعب ، ومشغلة من الحق ، وجنود من الملائكة ، حتى هزم كثيرا من المشركين بقلتهم ، وغلب قوة الجنود بضعفهم ، إنجازاً لوعده ، وتصديقا لقوله : ﴿ وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴾ فَأَحْسِنَ النَّظَرَ وَقَلَّبَ الْفِكْرَ فِي حَالَاتِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْوَحْيِ قَائِمًا اللهُ ، لتجد لمذاهب فكرك وتصاريف نظرك ، مضطربا واسعا ، ومعتمدا نافعا ، وشعوبا حجة ، وكلها خير يدعوك الى نفسه ، وبيان ينكشف لك عن محضه . وأخير أمير المؤمنين ما كنت قائلا لو لم تكن البعثة للنبي - صلى الله عليه وسلم - بلغتك ، ولم تكن الأنبياء بأموره تقزرت قبلك ، ثم قامت الحجة بالاجتماع عندك ، وقالت الجماعة المختلفة لك : إنه نجم بين ظهرائي مثل هذه الضلالات المستأصلة ، والجماعات المستأسدة ، التي ذكر أمير المؤمنين : من قبائل العرب ، وجواهر الأمم ، وصناديد الملوك ، ناجم قد نصب لها وغرى بها ، يجهل أحلامها ، ويكفر أسلافها ، ويفرق الألفها ، ويلعن آباءها ، ويضلل أديانها ، وينادى بشهاب الحق بينها ، ويجهر بكلمة الإخلاص الى من تراخى عنها ، حتى حمت العرب ، وأنفت العجم ، وغضبت الملوك ، وهو على حال ندائه بالحق ودعائه اليه ، وحيدا فريدا ، لا يحفل بهم غضبا ، ولا يرهب عتتا ، يقول الله عز وجل : ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾ أكنت تقول فيما تجرى الأقاويل به وتقع الآراء عليه ، إلا أنه أحد رجلين : إما كاذب يجهل ما يفعل ويعمى عما يقول ، وقد دعا الختف الى نفسه ، وأذن الله لقومه في قتله ، فليست الأيام بآداة ولا الحال بثابتة له إلا ريمكا تستلحمه أسبابهم<sup>(٤)</sup> ، وينهض به حامواؤهم ، غضبا لربهم ، وأنفة لدينهم ، وحمية لأصنامهم ، وحسدا من عند أنفسهم . وإما صادق

(١) أصله تداعى فخذت إحدى تاءيه ، ومعناه يجتمعون عليهم ويتألبون بالعداوة .

(٢) تستحملهم : تلقى عليهم حملها وعبأها . (٣) المستأسدة : القوية . (٤) تستلحمه :

تعلق به وتشب .

بصيرٍ بموضع قدمه ومرمى نبله، قد تكفل الله عز وجل بحفظه، وصحبه بعزه، وجعله في حرزه، وعصمه من الخلق، فليست الوحشة بواصلة مع صحبة الله إليه، ولا الهيبة بداخلة مع عصمة الله عليه، ولا سيوف الأعداء بماذون لها فيه. ثم ان آيتكم يا أهل الكتاب لو قيل لكم: إن الرجل الذي يدعى العصمة وينتحل المنعة، قد نجت الأمور به على ما قال، وسلمت الحال له فيما آدعى، حتى نصب لعمارات العرب، وجماعات الأمم، يقاتل بمن طأوعه من خالفه، وبمن تابعه من عانده، جاذا مشمرا، محتسبا واثقا بموعد الله ونصره، لا تأخذه لومة لائم في ربه، ولا يوجد لديه غميرة<sup>(٣)</sup> في دينه، ولا يلفته خذلان خاذل عن حقه، حتى أعز الله دينه، وأظهر تمكينه، وأقادت الأهواء له، وأجتمعت الفرق عليه، ألم يكن ذلك يزيد حقه يقينا عندكم، ودعوته ثبوتا فيكم، حتى تقول الجماعة من سلمائكم وأهل الحنكة من ذوى آرائكم: ما كان الرجل، اذ كان وحيدا فريدا قليلا ضعيفا ذليلا معروفا بالعقل منسوبا الى الفضل، ليجترى أن يقول: إن الله عز وجل أوحى اليه فيما أنزل من الكتاب عليه أن يعصمه من العرب جميعا ويمنعه من الأمم طوا، حتى يبلغ رسالات ربه، ويظهره على الدين كله، ويدخل الناس أفواجا في دينه، إلا وهو على ثقة من أمره، ويقين من حاله.

فسبحان الله! يا أهل الكتاب ما آيين حق النبي صلى الله عليه وسلم لمن طلبه، وأسأله لمن قصد له. وأستعملوا في طلبه ألبابكم، وأرفعوا... أبصاركم، تنظروا بعون الله اليه، وتقفوا ان شاء الله عليه؛ فإن علامات نبوته وآيات رسالته، ظاهرة لا تخفى على من طلبها، جملة لا يحصى عددها، منها خواص تعرفها العرب، وعوام لا تدفعها الأمم؛ فأما الخواص المعروفة لدينا، المعلومة عندنا، التي أخذتها الأبناء عن الآباء، وقيلها الأتباع عن الأسلاف، فأمر قد كثرت البيئات فيها، وتداولت الشهادات عليها، وثبتت الحجج بها، وتراخت الأيام ببعضها، حتى رأينا عيانا، وقيلناه إيقانا؛ فهي أظهر فينا من الشمس،

(١) كذا في الأصل . (٢) عمارات العرب: أحيائها العظيمة . (٣) غميرة: مطعن . (٤) بياض في الأصل بمقدار كلمة .

وأين لدينا من النهار؛ ولكن غيبت الأزمان عنكم أمرها، ولم ينقل الآباء اليكم علمها، وما لا يدرك إلا بالسمع موضوع الحجة عن العقل، فليس أمير المؤمنين مُجَّاجٌ لكم، ولا قاصد اليكم من قبلها. وأما الآيات العوام والدلالات الظاهرة في آفاق الأرضين، القاطعة مُجَّج المبطلين، التي لا تنكر عقول الأمم وجوب حَقِّها، ولا تدفع ألباب الأعداء صحة أمرها، فسؤؤها أمير المؤمنين مسالك أسماعكم، ويُعيد بها حجة الله في أعناقكم، من وجوه جمّة وأبواب كثيرة، إن شاء الله: منها أنه لم تزل الشياطين، فيما خلا من قترات الرسل وتدّرات النذر، تصعد إلى سماء الدنيا، وتُنصت للآلئ الأعلى فتسترق السمع وتحتفظ العلم، وتنزل به إلى كلِّ أفكٍ أئيم، يَنبُون أكاذيبهم على واضح صدقه، ويُنقون أباطيلهم بحسب حَقِّه، خطأ للباطل فيه، وسوما للعباد عليه. فلما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم وأنزل آيات القرآن إليه، حُرست السماء بالنجوم، ورُميت الشياطين بالشهب، وأنقطعت الأباطيل، وأضحلت الأكاذيب، وخلص الوحي، فبطلت الكهانة، وضلت السحار، وكذبت الأحلام، وتحيرت الشياطين، فكانت آية بيّنة، وعلامة واضحة، وحجة بالغة، تبهر قرائح العقول، وتخرق حجب الغيوب، فلا يقوم مع ضيائها ظلمة، ولا يثبت عند مُحكمها شبهة، ولا يُقيم معها في محمدا صلى الله عليه وسلم شك، لا من أصحابه خاصة ولا ممن جاء بعده عامة. وإنما جعلها الله عز وجل آية باقية في الغافرين، وحِراسة ثابتة من الشياطين، لأن الله جل وعلا جعل نبينا صلى الله عليه وسلم آخر النبيين؛ فليس باعثا بعده نبيا يكذب أفاويل الكهنة، ويقطع أخاير الحنة.

وستقول، فيما يذهب إليه الظن ويقع عليه الرأي، أنت ومن عقل من أمتك وأهل ملتك: هذه آية حاسمة وحجة قاطعة بيّنة قائمة، مستعلية لأمرها، مستغنية بنفسها، لا تحتاج إلى ما قبلها، ولا يتكل على ما بعدها، إن أقرت العقول بما تقول، أو قامت البيّنة على ما تدعى، بلى؛ ثم تقول: وأنتى لك بالبيّنة، ولسنا نُقر بكتابك، ولا نُؤمن برسولك،

ولا تقبل قولك فيما قد سبقنا وإياك زمانه ، وحجبت الغيوب عنا وعنك علمه ، فأرجع إليكم إن قلم ذلك ؛ فإن وجدان القضاة قبل طلب البيئات .

وليس يجعل أمير المؤمنين فيما يَنَازِعُكُ ويُحَاجُّكُ فيه حاكماً غير عقلك ، ولا قاضياً سوى نفسك ؛ ولكنه يذكرك الله الذي إليه معادك وعليه حسابك ، لما جعلت التفهم لمسألته من بالك ، وركبت حدودها في جوابك ، عادلاً بالقسط ، قاضياً بالحق ، قائلاً بالصدق ولو على نفسك ، ناظراً بالأثرة لدينك ؛ فلقد وفق الله لك آية ، وأهدى إليك بيئته ، لا تستطيع دفعها لحجبها عن عقلك ، ولا حجاباً لنورها دون بصرك ، فلا تدفع الآية بقولك ، والبيئته لسانك ، جحداً بقطع وصول الحجج إليك ، ويد تغلق أبواب الفهم عنك ؛ فإن اللسان لك مداوئاً حيث شئت ، ومنقادٌ تصرفه فيما هويت ؛ ولكن أنصب نفسك للفهم وأنت شهيد ، وأرد الحق وقبوله فيما تريد . فإذا تصوّرت البيئات مجسدة في قلبك ، وتبينت الحجج ممثلة لنظرك ، قد أضاء صوابها لك وقرع حقائق قلبك ، فاجعل القول بها شعاراً للسان به متصلاً . وأفهم المسئلة فهّمك الله الحق ، وجنّبك الجحد ، ما تقول أنت ومن قبلك في رجل كان يتياً ضعيفاً أجيراً ساهياً لاهياً عائلاً خاملاً ، لم يتل كتاباً ، ولم يتعلم خطاً ، ولم يك في محلة علم ، ولا إرث ملك ، ولا معدن أدب ، ولا بيت نبوة ، فتراقبت الأيام به ، وأتصلت الحال بأمره ، حتى خرج الى العرب عامة والقبائل كافة ، وحيدا طريداً شريداً ، مخذولاً مجهولاً ، محفواً مرمياً بالعقوق لآهتهم ، مقذوفاً بالكذب على أصنامهم ، منسوباً الى الهجر لأديانهم ، وهم مجمعون على دعوة العصبية ، وحية الجاهلية ، متعادون متباغون ، مختلفه أهواؤهم ، متفرقة أملاؤهم ، يتسافكون الدماء ، ويتناوحن النساء ، ويستحلون الحرم ، لا تمنعهم ألفة ، ولا تعصمهم دعوة ، [ ولا ] يحجزهم يرت ، فألف قلوبها ، وجمع شتيتها ، حتى تناصرت القلوب ، وتواصلت النفوس ، وترافدت الأيدي ؛ ثم اجتمعت الكلمة ، وأتفتت الافئدة ، حتى صار غاية الملقى رحالهم ، ونهاية المشتجع

(١) لعله ؛ ولا تغلق . (٢) في الأصل : لا .

أسفارهم ، وصاروا له حزبا متفقين ، وجندا مطيعين ، بلا دنيا بسطها لهم ، ولا أموال أفاضها  
 بينهم ، ولا سلطان له عليهم ، ولا ملك سلف لأبائهم فيهم ، ولا نباهة كانت له بين ظهرائهم .  
 أتقول إنه [ ما ] قال ذلك كله إلا بوحي عظيم ، وتنزيل كريم ، وحكمة بالغة ! فإن قلت ذلك فقد  
 أقررت أن محمدا صلى الله عليه وسلم رسول ، وتركت ما كنت تقول إنه لم يدركه ولم يبلغه  
 إلا بعقل سديد ، ونظر بعيد ، ورفق لطيف ، ورأى وثيق ، استبى به عقول الرجال ،  
 وأستمال عليه أفئدة العوام . فإن قلت ذلك فأنا سائلكم بالهكم الذى تعبدون ، ودينكم الذى  
 تتحلون ، لما صدقتم أنفسكم وتجنتم الهوى عنكم : أتؤمن قلوبكم ، وتقر عقولكم ،  
 ويحتمل نظركم ، أن محمدا صلى الله عليه وسلم الذى وصفتموه بكمال العقل ، وبيان الفضل ،  
 ورفق التدبير ، كان يقول لرجال العرب ، وجماعات الأمم ، [ و ] دهاء قريش : إن من  
 آيات نبوتى ، ودلالات رسالتى ، وعلامات زمانى ، أن الشياطين ترمى بنجوم السماء ، ولم تك  
 ترمى بها فيما خلا ، ثم يجعل ذلك كتابا يقرأ ، وقرآنا يتلى ، وهو كاذب فيما تلا ، ومبطل فيما  
 ادعى ، إبطالا تدركه عيون الناظرين ، وكذبا يظهر لجميع العالمين ! سبحان الله ! أرايم  
 أن لو كان فيما قال من الكاذبين ، وعلى ما ادعى من الآمين ، ثم حاول إبعاد القلوب ،  
 وإنغال الصدور ، وإنفار النفوس ، وتفريق الجموع ، أكان يزيد على ذلك !

فيا أهل الكتاب لا يجلنكم الإلّف لدينكم على اللعب بتوحيدكم ! فلعمركم الله لئن  
 تداركتم أنفسكم وناصحتم نظركم لتعلمن أن محمدا صلى الله عليه وسلم لو حاول الكذب  
 أو رام الإفك ، لما كان يترك جميع الأرض ، وما يغيب عن بعض الخلق ويظهر لبعض ،  
 ويقصد السماء المتصلة بالبصر ، البارزة للنظر ، التى لا تخفى على بشر ، ولا تغيب عن  
 أحد ، فيدعى فيها كذبا ظاهرا ، وإفكا بارزا مكشوفاً ، لا يبق صغير ولا كبير ولا ذكر  
 ولا أنثى ، إلا عرف أنه إفك وزور ، وكذب وغرور ، ولا سيما إذا كان يُلقى ذلك الى  
 أقوام أكثرهم أعراب ، ليس بينهم وبين السماء حجاب ، إنما يرأعون الكواكب ويتفقّدون  
 الغيوم ، فأبعد عهد آخرهم بها تفقده لها ونظره إليها ، ساعة أو ساعتين ، أو ليلة أو ليلتين .

لَعَمْرُ اللَّهِ لو عَثَرَتِ الْعَرَبُ مِنْ أَمْرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى كَذِبٍ لَكَانَ أَوَّلَ مَنْ يُؤَابِسُهُ بِهِ وَيُجَادِلُهُ فِيهِ أَعْدَاؤُهُ مِنْ قَرِيْشٍ عَامَةً ، وَحُسَّادُهُ مِنْ جَبْرِتِهِ خَاصَّةً ، وَنَظَرَاؤُهُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ ذِنِيَّةٍ الَّذِينَ كَانُوا يَسْتَعِيرُونَهُ لِكُلِّ طَرِيقٍ <sup>(١)</sup> ، وَيَقْعُدُونَ لَهُ عَلَى كُلِّ سَبِيلٍ ، وَيَتَسَاءَلُونَ مِنْ أَمْرِهِ عَنِ كُلِّ ذِي حَادِثٍ ، فَيَتَعَلَّقُونَ بِالْحُرُوفِ الْمُشْكَلَةِ ، وَالآيَاتِ الْمُشْتَبِهَةِ ، جَدَلًا وَخِصُومَةً بِهَا ، وَطَعْنًا وَإِلْحَادًا وَمَنَازَعَةً فِيهَا ، حَتَّى لَقَدْ وَصَفَهُمُ اللَّهُ بِفَعْلِهِمْ ، وَأَخْبَرَ عَنِ ذَلِكَ مِنْ أَمْرِهِمْ ، فَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴾ وَمَا كَانَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِيَقُولَ ذَلِكَ وَلَا لِأَحَدٍ أَنْ يَقُولَهُ عَلَى اللَّهِ فِي أَمْرِهِمْ إِلَّا عَنِ خِصُومَةٍ شَدِيدَةٍ ، وَمَنَازَعَةٍ بَلِيغَةٍ ، وَمَجَادَلَةٍ مَعْرُوفَةٍ . فَأَحْسِنِ النَّظَرَ لِنَفْسِكَ ، وَلَا تَهْلِكَنَّ شَفَقَةً عَلَى مُلْكِكَ ؛ فَإِيمُ اللَّهُ لئنَ قَلَّتْ إِنْ النُّجُومُ شَيْءٌ كَانَتِ الْعَرَبُ تَرَاهُ بَعِيُونَهَا وَتَعْرِفُهُ بِقُلُوبِهَا ، فَمَا كَانَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَهُوَ عَارِفٌ بِهَا غَيْرَ جَاهِلٍ لَهَا ، لِيَقُولَ فِيهَا إِلَّا حَقًّا ، وَيَنْتَحِلَ فِيهَا إِلَّا صِدْقًا ، لَقَدْ ثَبَتَتْ فُرُوعُ كَلَامِكَ فِيهَا عَلَى أَسِّهِ ، وَوَصَلَتْ آخِرَ قَوْلِكَ لَهُ بِأَوَّلِهِ ، ثَبُوتًا عَلَى مَا ذَكَرْتَ مِنْ عَقْدِهِ ، وَلِزُومًا لِمَا قَرَّطْتَ مِنْ نَظَرِهِ ، وَلِئِنَّكَ لَا تَجِدُ مَعَ الْإِقْرَارِ بِذَلِكَ بُدْأًا مِنَ التَّصْدِيقِ بِرِسَالَتِهِ ، وَلَا مَذْهَبًا عَنِ الْإِيمَانِ بِنَبِيِّتِهِ .

وَلئنَ زَعَمْتَ أَنَّهُ أَدْعَى أَمْرَ النُّجُومِ كَذِبًا وَأَتَّخَلَّهَا بَاطِلًا ، عَارِفًا كَانَ بِهَا أَمْ جَاهِلًا ، لَقَدْ نَسَبْتَهُ مِنَ الْخَطَا الَّذِي لَا يَعْمَى عَنِ بَصَرِهِ إِلَى مَا يَخْطِئُ فِيهِ بَشَرٌ ، فَأَكْذَبْتَ نَفْسَكَ ، وَتَرَكْتَ قَوْلَكَ : إِنَّهُ لَمْ يَكُنِ التَّأْلِيفُ لِقُلُوبِ الْعَرَبِ وَالْجَمْعُ لَشَيْتِ الْقِبَائِلِ ، إِلَّا بِرَأْيِ سَدِيدٍ ، وَعَقْلِ أَصِيلٍ ، وَرَفَقٍ بَالِغٍ ، إِلَى أَحَدِ أَمْرَيْنِ لَا تَجِدُ لِكَلَامِكَ وَجْهًا تَذْهَبُ إِلَيْهِ غَيْرَهُمَا ، وَلَا تَجْمَلًا تَضَعُهُ عَلَيْهِ سِوَاهُمَا : إِمَّا أَنْ تَقُولَ : إِنَّهُ أَلَّفَ قُلُوبَ الْعَرَبِ ، وَفَرَّقَ جُمُوعَ الْأُمَمِ بِتَنْزِيلِ الْوَحْيِ ، فَتَوَّجَّهَ مِنْ أَنَّهُ نَبِيٌّ ، وَإِمَّا أَنْ تَقُولَ : فَعَلَ ذَلِكَ بِجَهْلٍ ، وَهَذَا قَوْلٌ لَا يَقْبَلُ . كَيْفَ يَصِفُهُ أَحَدٌ مِنَ الْجَاهِلِينَ بِهِ الْمَكْذِبِينَ لَهُ بِغِبَاوَةٍ ، أَوْ يَرْمُونَهُ بِجَهَالَةٍ ، وَهُمْ يَجُوزُونَ بِهِ حُدُودَ الْأَنْبِيَاءِ ، وَيَرْفَعُونَهُ فَوْقَ أُمُورِ الْعُلَمَاءِ ، وَيَتَخَطَّوْنَ بِهِ مَرَاتِبَ الْحُكَمَاءِ ، وَمَنَازِلَ النَّاسِ

(١) كَذَا فِي الْأَسْلِ .

تكثيراً لعلمه ، وتسديداً لعقله ، وتثبيتاً لفضله ، فيما لا يقدر الخلق عليه ولا تهتدى الألسنُ إليه ؛ حتى لقد نَحَلَّوه فعلَ الربِّ الذي لا يقدر عليه الخلق في وجوه كثيرة وأنحاء جمّة : من ذلك أنه اذا قالت البقايا من أمتنا : كان محمد صلى الله عليه وسلم يُخبرنا بالغيوب قبل ظهورها ، وَيَصِفُ الأمورَ قبل حُلُولها ، ويتجاوز [ما يكون] في زمانه من ذلك الى ما يكون في زماننا غيباً أطلعه الله عز وجل عليه ، أضافوا ذلك علماً إليه ، فقالوا : كان أعلم الناس بمواقع النجوم ، وأبصرهم بمنازل البروج ، وأنظرهم في دقائق الحساب . كيف ولم يكن المجاز دارَ نجوم ولا محلّ حساب ولا معدن أدب ! بل كيف والمنجمّ يقيس وينخطئ ، ويشك فيما يدعى ، وهو أخو صواب لا شك فيه ، وفارس صدق لا قياس معه .

ومن ذلك أنه اذا قالت العلماء من المسلمين : كان نبينا صلى الله عليه وسلم [علماً] بباطن أخبار النبيين ، وخَفِيَ قِصَص القرون الأتولين ، قالوا : كان أحيا الناس قلباً ، وأوسعهم سرباً ، وأسرعهم أخذاً ، يتتبع ذلك ويحبه ، وقد رواه وعلمه . سبحان الله ! أولاً يعلمون أن المتعلم معروف المعلم ، متفاوتُ الحالات ، متنقلُ الطبقات ، وأنه ما أحدٌ يؤدّب صغيراً أو يطلب العلم كبيراً ، إلا وله درجاتٌ في علمه ، وتاراتٌ في أخذه ، ومنازلٌ في تعلمه ، تارة تلميذ ، وتارة مُقَارِبٌ ، وأخرى حاذق ؛ وبكل ذلك موصوفٌ من أهله ، معروفٌ عند قومه ، ظاهرٌ لخيرته ، مستفيضٌ في عشيرته ، لا يجهل أمره ، ولا يخفى ذكره ، ولا يُنسى عند مواضع الحاجة اليه ، وتارات الاحتجاج به عليه . ولو كان ذلك معروفاً فيهم ، أو موجوداً لديهم ، أو ظاهراً عندهم ، لما أمره الله عز وجل أن يحتج عليهم ويقول في ذلك لهم : لقد لَبِثْتُ فيكم عُمراً من قبله ، لا أتلو قرآناً ، ولا أدعي وحياً ، أفلا تعقلون !

وآيم الله ! لو كانوا يعقلون أو ينظرون ، لعلموا أن معلمه على غير الملة التي يعرفون ، لأنه لهم من المخالفين ، وعليهم من الطاعنين ، يذكرون فضائح قولهم ، ومعائب أمرهم ، ومخازي أسلافهم ، وعوائل أديانهم ؛ وإنه لو كان معلمه نصرانياً لدعاها الى النصرانية ، أو يهودياً

لدعاه إلى اليهودية ، أو مجوسياً لدعاه إلى المجوسية . ولو لم يكن له معلم لما وقع على الحقيقة هدايةً من تلقاء نفسه ومعرفةً بقوة عقله . ولو كان معلمه الشيطان لما دعاه إلى عبادة الرحمن ، ولا أمره بهجر الأوثان ، وكسر الأصنام ، وصلة الأرحام ، والإصلاح في الأرض ؛ كيف [و] كان الشيطان يصدّ الناس عن سبيله ، ويُرْهِدُهُمْ فِي دِينِهِ ، وينهاهم عن طاعته ، ويخرجهم من عبادته ، ويدخلهم في مَسَاخِطِهِ ، ويجهلهم على معاصيه ! إنه إذا لرحيم بهم ، ناظرٌ لهم ، شفيقٌ عليهم ، كأنه هو المبعوث اليهم ؛ كلا ! ما كان ليُنْقِذَهُمْ مِنْ حَبَائِلِهِ ، وَيُخَلِّصَهُمْ مِنْ مَصَائِدِهِ ، وَيُخْرِجَهُمْ مِنْ وِلَايَتِهِ وَطَاعَتِهِ وَسُلْطَانِهِ وَخُدَعِهِ وَفِتْنَتِهِ وَحَزْبِهِ ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَمْرِهِ . وما كان لينهى العرب أن يقتلوا أنفسهم ، ويتناوحوا حرمهم ، وَيُؤْذُوا ذُرِّيَّتَهُمْ ، وَلَا يَقُولَ لَهُمْ : لِمَ تَعْبُدُونَ نَجِيَّتَ الْحِجَارَةِ الَّتِي جَعَلَهَا اللَّهُ لَكُمْ عَارًا ، وَتَدْرُونَ عِبَادَةَ الرَّبِّ الَّذِي خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ! هِيَاهُ ! لقد ذهبت بالشيطان الرجيم إلى صراط العزيز الحكيم ، فقلتم قولاً تنكروا العقول ، وتدفعه القلوب ، وتستوحش منه النفوس . أَلَا تَسْمَعُونَ إِلَى قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ . أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَارَهُمْ ﴾ فما كان الشيطان ليرضى للعرب باللعنة والبنك والعمى والصمم ؛ فَأَتَى اللَّهَ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ .

ومنها أنه اذا قالت الفقهاء والحكماء : أمانا محمد - صلى الله عليه وسلم - بكلام لم تسمع الآذان بمثله ، ولم تقع القلوب على لغته ، له رَوْقٌ حَبَابِ الْمَاءِ ، وَزَبْرُجٌ يَلْعَلُ وَلَا يَلْعَلُ وَعَجَائِبٌ لَا تَبَى وَلَا تَفْنَى ، وَجِدَّةٌ لَا تَتَغَيَّرُ ، [قالوا] : كان محمد - صلى الله عليه وسلم - أبلغهم قولاً ، وأحسنهم وصفاً . فيا سبحان الله ! ألا يعلمون أن لو كان القرآن كلاماً للعباد لما أقرت الأعداء من ... .. (١) بفضله ، ولا عجزت القبائل طراً عن مثله ، وهو يناديهم في الكتاب ويتحدثهم في الوحي ، بصوت رفيع ، ونداء سميع ، فيقول : هَاتُوا سُورَةَ مِنْ مِثْلِهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ، وهم فرسان الكلام ، وإخوان البلاغة ، وأبناء الخطب ، وأهل عداوة له وبغى

(١) بياض في الأصل بمقدار كلمة .

عليه ، فتستحسر الأبصار ، وتثقل الأسماع ، وتنعقد الألسن ، وتخرس الخطباء ، وتعجز البغاء ، وتحر الشعراء ، وتستسلم الكهان . ثم لقد قايست البصراء بالكلام والعلماء بالمنطق ، بين ما بأيدينا من كلام النبي - صلى الله عليه وسلم - وما جاء به من كلام الوحي ، فإذا بينهما بون بعيد وتفاوت شديد ، ليس يشبه له ولا مدان ولا قريب . وكذلك ينبغي لكلام الرب عز وجل أن يعلو كلام الخلق ، وألا يشبه قول العباد في تأليفه وأحاديثه ومعانيه وجميع ما فيه ؛ لأن الله عز وجل لا يشبهه شيء من ذلك أنه إذا قال المسلمون : كان محمد - صلى الله عليه وسلم - يرى ماضي أسلافنا وصلح آبائنا من العجائب العظام ، والآيات الجبار ، ما هو جديد عندنا ، بين قبلنا فلم يعرف أثره ، ولم يدرس خبره ، ولم يتقدم عهدُه : من شجرة ناداها فأقبلت ثم أمرها فرجعت ، ومن نحو يعير تظلم ، وذئب تكلم ، وأشباه ذلك كثيرة ، ونظائر له عجيبة ، قالوا : كان محمد - صلى الله عليه وسلم - كاهنا حاذقاً ، وساحراً ماهراً ، يُسبّه بالخيال ، ويأخذ بالأبصار . كيف والجموع الكثيرة تصدر عن الأطمعة السيرة والمياه القليلة ، شباعاً رواء ، أيكون ذلك والسحر سواءً ! والأخذ بالعيون لا يجرى في البطون ! ولو كانوا ينظرون لدينهم وينصفون من أنفسهم ، لعلموا أن أمر الساحر يدور على إفك وغرور ، وأن لمحمد - صلى الله عليه وسلم - آثاراً قائمة ، ومنافع دائمة . ثم لو كانت الكهانة والسحر يبلغان مثل هذا من الأمر ، لبطلت آيات الكتب ، وعلامات الرسل ، ولعلت الشبهة ، وسقطت الحجّة ، وكذبت النبوة ، ولبطل ما كان [يفعله] <sup>(١)</sup> عيسى عليه السلام : من إبرائه الأكمة والأبرص وإحيائه الموتي . فلا يكون التقليد للرجال مبلغ عامك ، ولا القبول لدعواهم بلا بينة .

ومن ذلك [أنه] إذا قالت البصراء من أمتنا والعلماء بملتنا : كان النبي - صلى الله عليه وسلم - أمياً لا يحسن الكتاب وحافظاً لا ينسى القرآن ، وقلماً يجتمع العقل السديد والحفظ السريع والنسيان البطيء ، قالوا : كان أخط الناس يداً ، وأذكاهم حفظاً ، كان يكتب بالنهار ، ويدرس بالليل .

(١) زيادة يقتضها السياق .

ولعمر الله أن لو كانت الحال كما يقولون والأمر كما يصفون ، لما خفيت الصحف له ، ولا آكثمت الدراسة عليه ، ولما كان يطبق سترها عن أهله ، ولا حجابها دون قومه . وكيف تؤمن القلوب وتقر العقول أن رجلا كبيرا حمل علما كثيرا وحكما جمًا : من آيات متشابهة ، وسور متوالية ، وهو صاحب أسفار مترامية ، وأخو حربٍ دائمة ، لا يسطئ لفظه ، ولا يسقط حفظه ! لولا أن الله عز وجل كفاه أن يحرك به لسانه ، وصن له جمعه وقرآنه ، فقال عز وجل : ﴿ سَنُقَرِّبُكَ فَلَا تَنْسَى ﴾ فلم يكن يسقط واوًا ولا ألفًا ، ولا ينسى كلمة ولا حرفًا . ما أين هذا وأعجبه ! وأعجب منه المنكر له .

وأما قولهم في الخط وإثكارهم في الكتاب ، فإن الله عز وجل جعله أميًا ليثبت حجته ، ويصدق مقالته ، ولئلا يسك المبتلون في أمره ، ويقولون : تعلم من غيره ؛ فإنه قد قال ذلك بطائن من مناقفة العرب وطوائف من كفر العجم ، فنطقت [ به ] الأعداء من جبرته ، والحسدة من عشيرته ، الذين بلغوا [ ما بلغوا ] من مجادلة حقه ، ومخاصمة ربه ، كفاة لمن قرب ، ووكلاء لمن بعد ، فيما لم تكن العرب واقعة عليه ، ولا الأمم مهتدية إليه ؛ لأنهم قد أحاطوا من علم خبره ، وخفي أثره ، بما كان عن غيرهم محتجبا ، ومن سواهم مكتئا . وقالوا : لو كان محمد صلى الله عليه وسلم يتعلم من بشر أو يختلف إلى أحد ، لما خفي عنا ولسقط علينا . وحقا لو كان محمد صلى الله عليه وسلم يختلف إلى أحد صغيرا ، أو يتعلم من بشر كبير ، لعرف ذلك أترابه المختلفون معه ورفقاؤه والمقتدون ، ولما جهل ذلك من حوله من جبرته نصره ، ولا من معه من أهل بيته دنية ، الذين عليهم يورد ومن قبلهم يُصدر ، وكان شائعاً عند حشم معلمه وجيرة موضعه الذين كان يختلف إليهم ، ويتأدب بين ظهرانيهم . ولو كانوا بذلك عالمين ، أو فيه من أمره شاكرين ، ثم بلغهم وتقرر قبلهم أنه يقول : إنا لله عز وجل أوحى إليه ، فيما أنزل من الكتاب عليه : ﴿ وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذَا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ ﴾ لخاصمه منهم من كفر ،

(١) في الأصل : « متراخية » . (٢) في الأصل : « ... ولا يسقط حقه ولولا أن ... الخ » .  
(٣) زيادة يتطلبها الكلام . (٤) في الأصل : « إلا أنهم ... » . (٥) في الأصل « ولا سقط » .

ولكفر به منهم من آمن . ثم يدعى ذلك قرآنا ، وينتحله وحيا ؟ أما كان يهَبُ أن ينتشر في الأقرين ، ويخرج إلى الأبعدين ، فتبطل حجته ، وتنقض دعوته ، وتسقط نيوته ، وينفِرَ أصحابه الذين لم يصبروا معه في المجاهدة أنفسهم ، ويذُلُّوا عند الشدائد مهجهم ، ويُنفقوا فيه على الحاجة أموالهم ، مُنَاصِبِينَ لأهل الشرق والغرب والعجم وكل الأمم ، وهم قليلون مُستضعفون عائلون جائعون ، لا طلباً لدنيا ولا طمعاً في منال ، إلا لما تعقبوا من قوله ، وعرفوا من صدقه . ولولا أنه أخبرهم ووعدهم أن يغلب كسرى وقصر لهم ، فصَدَّقوا بقوله ، وآمنوا بوعده ، حتى قويت البصائر ، وصُرِّمَت العزائم ، وقويت النيات ، فَنَشَطَت النفوس ، وَشَجَعَت القلوب ، وحملت الأبدان ، لَمَّا وَقَعَ لهم طمع فيه ، ولا ذهب لهم وهل إليه . فكن من ذلك على يقين لا يخلجه شك ، ومعرفة لا يخلطها ريب ، إن شاء الله .

ومن ذلك أنه اذا قال المسلمون : ما من فعَالٍ مجود ، ولا مقالٍ معروف ، ولا خُلُقٍ كريم ، ولا أدبٍ فاضل ، إلا وقد أذب الله عز وجل به مجدا صلى الله عليه وسلم وأنزله في الكتاب إليه ، فكان يأمر بالمكارم ، ويحض على المحامد ، ويعمل بالمحاسن التي ليس فيها مدخل لشبهة طاعن ، ولا مَعَلَقٌ لحجة قائل ، ولا مغمزٌ لبصيرة عائب ، ولا موضعٌ لخصومة بشر ، في وعد أو عهد ، أو حلٍّ أو عقد ، أو مقالٍ أو فعَالٍ ، أو غير ذلك من الأمور — قالوا : أمور حمل عليها نفسه ، ودعاها إليها عقله ، وصبر عليها ، لَمَّا أَقْمَل ورجا فيها . سبحان الله ! وما أقمل بها وأرتجى منها ؟ إن قالوا : الدنيا ، فلقد أكذبهم إداره عنها ، حيث أمكنته القدرة منها ، وأعثرته الحال عليها . وإن قالوا : حبُّ الأثرة ، فقد جعل نفسه للسامين أسوة : في سهامهم وقضاهم ، وحُدودهم وحقوقهم ، وغير ذلك من أمورهم . وإن قالوا : الملُك ، فلقد كان أشد الناس لربه تواضعا ، وأعظمهم في جنبه تصاعُرا ، ما إن أكل متكئا قط إلا مرة ، ثم قعد كهيئة الفرع لها النادم عليها ، فقال :

(١) صبر نفسه : حسبها

(٢) وهل : فرع .

”اللهم إني عبدك ورسولك“ . وإن قالوا : النعيم ، فمن كان أيسس منه معاشاً ، وأخشن ريشاً ، وأغاظ ما كلاً ! وكيف يذوق العيش أو يجد لذيق النعيم ، من حرم السكر والخمر ، ونهى عن الديباج والقز ، وكان أكثر دهره صائماً ، وأطول ليله قائماً ! فإن قالوا : طلب الصوت ورجب في الدين ، فذلك ما لم يطلبه أحدٌ في حب الصوت والتماس الحمد لما صبر مغاضب قومه ، وملاوم أهله ، وشتائم العرب وتوعد العجم ، وأستهزاء قريش ؛ يرمونه بالعقوق ، ويقذفونه بالخنون ، ويهتونه بالسحر ، وليس يدري ما يهجم به الأمر .

أم يقولون طلب تأييل الملك لقومه ، وأراد توطئة الولاية لأقاربه فكيف يطلب لقومه ما قد زهد فيه لنفسه ! أم كيف يطلب لهم عز الملك وقد أوطأهم الذل ثم القتل . لعمر الله أن لو أراد الملك لأقاربه ، وأراد طلب السلطان لذوى رحمه ، لوكد لهم عقداً لا يحل ، ولا برم لهم أمراً لا ينقض ، ولا تل لهم في عنفوان أمره ملكاً لا يخرج من أيديهم ، ولا يبرح أبداً فيهم ، امتثالاً لصنيعكم وأخذاءً على مثالكم ؛ مع أقاويل جمّة ونظائر كثيرة ، لا يستقيم لهم معها أن يقولوا إن محمداً صلى الله عليه وسلم غلب العرب وقهر العجم ؛ أو قال في أمر السلطان والنجوم بكذب .

فإن قلتم إن محمداً صلى الله عليه وسلم كان في قوة عقله وبين فضله ، على ما قلنا وقلتم وصدقنا به نحن وأنتم ، ولكن هفت العلماء وزلت الحكماء وأخطأت القلوب ؛ فقد يعلم أمير المؤمنين — وأنتم بذلك من العالمين — أن خطأ قلوب العلماء تخطأ دائرة الرّحا ، ليست العلماء بنحطمة إلا المزة والثنتين ، كما لا تخطئ الرّحا إلا الحبة والحبتين . ومثل الذي نسبتم الى النبي صلى الله عليه وسلم من الخطأ عندكم والجهل في أنفسكم ، كثير لا يحصيه أحد ، ولا يبلغه عدد . وأمير المؤمنين واصف بعضه لكم ، ومورد ما حصر كتابه إن شاء الله لكم . وآيم الله على ذلك لو قالت العلماء من المسلمين هبوا محمداً صلى الله عليه وسلم كان

(١) الصوت : الذكر الحسن كالصيت . (٢) كذا وردت هذه الجملة في الأصل وهي مضطربة .

(٣) في الأصل : ”ولا ينوح ...“ .

في أمر النجوم من المخطئين، فكيف أخطأت العربُ وهفّت الأمم في ترك مجادلته ورفض منازعته، وكيف لم تقل العلماء من إفانه والحكماء من حكمائهم، توبيخاً منهم له، وتعيراً لمن آمن معه : هذا أمرٌ من أوضح الأَكاذيب وأبطل الأباطيل؛ فلا يثبتُ مع قولهم إيمانٌ، ولا يُقيم على شرحهم إنسان . فإن قلت : فلعل ذلك قد كان، ولكنه درج على طول الأزمان، فكيف إذا صدقت العربُ بنبوته، ولم تكفّر القبائل برسالته، وهم يسمعون كذباً لا ينفع معه صدقٌ كان قبله، وباطلاً لا يعصم معه حقٌ حدث بعده . وإن قلت : أدخلهم بالقهر وضبطهم بالقتل وأكراههم بالسيف، فما بال القليل من المسلمين الذين قهرهم الكثير من المشركين، ما بالهم آمنوا وصدقوا، وصبروا وصابروا، وجدوا وجاهدوا، كيف لم تنكسر عزائمهم، وتَهِن بصائرهم، ويرجعوا إلى دينهم، ويهربوا عن توحيدهم! كلا! لو كان الأمر على ما تقول، لأرفض القوم عن الرسول، وكان صلى الله عليه وسلم أوّل مقتولٍ أو مخذول . فأحسنِ النظر فيما تذهب الأهواء برأيك إليه من آيات النبي صلى الله عليه وسلم . وإن جمحت الدعوى بكم، فقاتل : فدالت به الأهواء في الباطل، فقال : إنه إلا يكن الأنبياء ذكرت النجوم في صحفها بينت الحكماء منها ذكراً في كتبها، فجعلت المنقّص من الكواكب بين الأعوام، دليلاً على أمر يحدث تلك الأيام، ولا ما هذا الاختلاق يلطّ به الجاهل للفساق . ما ان وضعت الحكماء ذلك في الكتب، إلا ليالى ملئت السماء من الشهب . وبالله لو آدعيتم غير ذلك فكان حقاً، وكانت القالة منكم صدقا، لما كانت الدعوى بناقضاً لآية النجوم حجة، ولا مدخلة على أحدٍ فيها شبهة؛ لأن رميا يقع قرط السنين من الكواكب، لا يبطل رَجماً قد ملأ السماء من كل جانب . ثم لو لم تكن النجوم آية دامغة، وحجة بالغة، ودلالة قاهرة، وعلامة باهرة، وأمارة ظاهرة، وشهادة قاطعة، وبينة عادلة، وداعية قائمة، تُبطل أظانين المشركين، وتردع أقاويل المناققين، لما كان النبي صلى الله عليه وسلم ليعظم أمرها، ولا ليكرّر في آي القرآن ذكرها، رهبةً

(١) كذا في الأصل . (٢) في هذا الموضع اضطراب . (٣) في الأصل "دافعة ..."

لناهضة أحياء العرب، ومعرفةً بمجادلة إخوان الكتب، الذين لو وجدوا فيما كتبت به اليك أمير المؤمنين من أمر النجوم وأحتج [به] عليك من ذكر الرجوم، موقفاً لظن أو معلماً بطعن أو مغمزاً لقول، لناصبوه اذا بالمجادلة، وكاشفوه بالمنازعة، وجاهرهوه بالقول الذي لا يستطيع له ردًا، ولا يطيق له بحدا، ولكنها آية ملأت الأقطار كثرةً، وحسرت الأبصار قوة، قد وجت العقول، وولمته القلوب، وملأت النفوس جزعا ووجعا، وفزعاً شغلهم عن الأولاد، وأذهلهم عن البلاد، حتى بلغ أمير المؤمنين وتقرر عند فقهاء المسلمين أن الله عز وجل، لما ملأ السماء حرساً، وأحدث لها رصداً، وخلق فيها شهباً، ذكرت العقلاء من العرب، وقعات الله عز وجل في الكتب، بقوم نوح وعاد وممود، وأشباهم من مؤلفي تلك الجنود، الذين كانوا أشد بطشا، وأكثر جمعا، فانفجرت أيديهم عن كرائم أموالهم، وأرسلت أنفسهم متائن عقدهم. وإن أهل الطائف لما فعلوا ذلك بأموالهم، وأجمعوا فيه الخروج إلى فقراهم، قام فيهم رجل منهم ذوسن وعقل فقال :

يامعشر العرب، لا تهلكوا أنفسكم قبل أن تهلكوا، ولا تخرجوا من أموالكم قبل أن تخرجوا، تفقدوا مواقع نجوم السماء، وكواكب بدور الدجى، فإن كانت النجوم التي حدث الرمي بها والنجوم التي أخلتكم الأموال لها، هي لبروج الشمس والقمر ومسأل الحيوان والشجر، فهي جوائح الاستئصال، المتلفة الأنفس والأموال؛ وإن كانت النجوم التي حدث القذف بها، إنما هي نجوم خلقت اليوم، فليست المعرفة بواقعة على مبتدأها، ولا الأبصار بلا حقة منهاها، فأيسكوا العقد عليكم والأموال، فإنه أمر يحدث في إحدى هذه الليال .

فإن قلت : وكيف وقعت الأمور في هذا الرجل كالعيان، وصارت المقالة منه كوعى الأذان، أنباك أمير المؤمنين أن أوعية الفقه من المسلمين، الذين حملوا بنا سنن الدين، هم

(١) كذا في الأصل . (٢) العقد : جمع عقدة وهي الضيقة أو العقار الذي اقتناه صاحبه .

أَدْوَا ذَلِكَ الْبِنَاءَ، وَأَبْقَوْهُ نَحْرًا... عَلَيْنَا، فَمَا إِنْ يَنْفَكُ مِنْهُمْ مَفْتَحِرٌ يَقُولُ : أَبُوْنَا الَّذِي حَبَسَ عَلَى الْعَرَبِ الْأَمْوَالَ وَالْعَقْدَ، فَمَا إِنْ يَدْفَعُ الْقَوْلَ فِي ذَلِكَ مَنَّا أَحَدًا . هِيَهَاتَ مَا كَانَتْ الْعَرَبُ لِيُتَقَرَّرَ عِنْدَ الْفَخَّارِ ، إِلَّا بَطُولٌ هُوَ أَيْبُنُ فِيهَا مِنْ ضَوْءِ النَّهَارِ . فَافْهَمُوا مَا كَتَبَ بِهِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ فِي هَذَا إِلَيْكَ ، وَلَا يَكُنِ التَّعَلُّلُ فِيهَا بِالشُّبُهَاتِ أَوْثَقَ مَا لَدَيْكَ ؛ فَإِنَّهُ قَلَّ حُجَّةٌ إِلَّا وَإِلَى جَنْبِهَا شَبَهَةٌ تَحْيِلُ لِلْعُقُولِ ، وَتَعَرِّضُ لِلْقُلُوبِ ، وَتَجَلِّجُلُ فِي الصُّدُورِ ؛ فَلَا يَثْبُتُ مَعَهَا تَحْيِلُهَا ، وَلَا يُقِيمُ لِعَرَضِهَا بَشَرٌ إِلَّا مِنْ وَزَنِ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ بِمِيزَانٍ عَادِلٍ ، لَا يَمِيلُ إِلَى تَفْرِيطٍ ، وَلَا يَنْحَطُّ فِي تَقْصِيرٍ . وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ عِزَّ وَجَلَّ الْعُقُولَ مَوَازِينَ لِلْأُمُورِ ، فَرِزُوا مَا سَمِعْتُمْ مِنْ حُجَجِ كَلَامِ الرَّبِّ عِزَّ وَجَلَّ بِمَا تَتَفَوَّنُ بِهِ الشَّبَهَةُ عَنِ الْحَقِّ ، وَلَا تُمِيلُوا اللِّسَانَ ، فَتَحْضُرُوا الْمِيزَانَ . وَسَيَعْلَى أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ بِمَا جَاءَ عَنْ ذِكْرِ مَا كَتَبَ بِهِ إِلَيْكُمْ مِنْ أَمْرِ النُّجُومِ وَالرُّجُومِ وَالشُّهُبِ فِي الْقُرْآنِ وَالرِّوَايَةِ وَالْكِتَابِ ؛ فَالْطُّفُوا النَّظَرَ فِي صِحَّةِ مَعَانِيهِ ، وَنَحْوِهَا الْهُوَى عَنْ شَبَهَةٍ مَا وَقَعَتْ فِيهِ : قَالَ اللَّهُ عِزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ ﴾ وَقَالَ : ﴿ وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ ﴾ وَقَالَ : ﴿ أَنَا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ ﴾ . وَإِنْ شَطَبَ عَنِ الْحَقِّ شَاطِبٌ ، أَوْ ذَهَبَ إِلَى الْبَاطِلِ ذَاهِبٌ ، لَا يَعْرِفُ مَذَاهِبَ كَلَامِ الْعَرَبِ ، وَلَا وَجُوهَ مَعَانِي الْكِتَابِ ، وَلَا تَفْسِيرَ آيِ الْقُرْآنِ ، فَقَالَ : إِنَّمَا جُعِلَتِ الْكَوَاكِبُ وَالْمَصَابِيحُ حَفِظًا مِنْ اللَّهِ عِزَّ وَجَلَّ لِلسَّمَاءِ ، وَرُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْدينِ .

فَإِنْ فِي آيَاتِ الْقُرْآنِ مَا فِيهِ بَيَانٌ مِمَّا يُبْطِلُ دَعْوَاهُ الَّتِي لَا بَيِّنَةَ عَلَيْهَا ، وَيَكْذِبُ مَقَالَتَهُ الَّتِي لَا شُهُودَ لَهَا ؛ فَقَالَتِ الْجَنُّ - جَعَلَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى قَوْلَهَا وَحْيًا - وَبِهِ مِنْهَا صِدْقًا : ﴿ وَأَنَا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلْتَأَةً حَرَسًا شَدِيدًا وَثُمَّهَا ﴾ . أَلَا تَرَوْنَ أَنَّهَا كَانَتْ الْجَنُّ لَمَسَتْ السَّمَاءَ فَلَمْ تَجِدْهَا مُلْتَأَةً حَرَسًا شَدِيدًا وَثُمَّهَا ، وَقَعَدَتِ الشَّيَاطِينُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ

(١) بياض بالأصل بمقدار كلمة . (٢) في الأصل « عن شبهة إنما الخ » .

فلم تجد شهباً ولا رصداً، أو لا يسمعون إلى ما يحقق ذلك ويسدده ويصدقه ويشهد له من قول الله تعالى: ﴿ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ يَقُولُونَ السَّمْعَ وَأَكْثُرُهُمْ كَاذِبُونَ ﴾ مع قول الجن أيام حرست السماء ورُميت الشياطين: ﴿ وَأَنَا لَا نَدْرِي أَشْرٌ أُرِيدُ مِنِّي فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴾. فاذا أعلمتم في ذلك فكركم، وقلبتم فيه نظركم، فكنتم على برهان يقين، ونور مستبين، من استطاعة الجن للاستماع، وقدرية الشياطين على الاستراق، وإمكان السماء للعود في تلك الحال الأولى، ففكروا في الحال الأخرى حيث حرست الآيات أن تعارض باطلاً بحق، ومنعت الشياطين أن تنزل بصدق، وأمنت السماء أن يصعد إليها شيطان؛ فقال الله عز وجل: ﴿ وَمَا نَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَظِيلُونَ لَنُفُسِهِمْ مِنَ السَّمْعِ لَمْعُزُولُونَ ﴾. قَالَتِ الْجِنُّ: ﴿ وَأَنَا كَمَا تَقَعُدُّ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شَهَابًا رَّصَدًا ﴾ إن في قولهم الآن لأعظم نور وبيان. وأبين من ذلك لكم وأصح لمن عقل إن شاء الله منكم، إخبار الله عز وجل حين جعلت الكواكب حفظاً من كل شيطان مارد، أنهم ﴿ لَا يَسْمَعُونَ إِلَى الْمَلَأِ الْأَعْلَى وَيُقَدِفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ﴾ مع إخباره في الحال الأولى أنهم يسمعون ويقعدون وينزلون ويستطيعون ويتلون على ملك سليمان، فكن لهذا من الحافظين، وفيه من المفكرين.

ومن آيات النبي صلى الله عليه وسلم أنه لما نفرت القبائل من أعلام الشرك بجموعها، وتداعت القادة من صنديد الكفر باتباعها حذراً على غير لها أقبلت من الشام بصنوف رغائب أموال عظام، فكانت العير والنفير طائفتين: طائفة ذات عدة كثيرة وشوكة شديدة، وطائفة ذات أموال رغبية ورجال قليلة وفرصة ممكنة، أخرج الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم ووعده ومن معه من المسلمين إحداهما، فكره المؤمنون جموع المشركين، وأراد الله عز وجل أن يقطع دابر الكافرين، ويشيد بذلك أركان الدين، فلما تراءت الفئتان، وتناوشت الفرسان، وتلاقى الناس، وقبل ذلك ما قال الله عز وجل:

(١) كذا وردت هذه الجملة في الأصل وهي غير واضحة.

(سَيَهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ) قَبَضَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَبْضَةً [مِنْ تَرَابٍ] حَتَّىٰ هَا فِي وجوههم ، فلم يتناه دون مناخرهم وعيونهم ، فانصرفوا منهزمين بلا كثير قتالٍ من المسلمين . يا أهل الكتاب ، فأينما آية أعظم حجةً وأوضح بينة وأقهر غلبةً من هذه التي لو صدرت الأمور بلا تحقيق لها ، لانفضت الجموع من المسلمين كفارا بها . إشارة الله المسلمين بإمداد الملائكة المقترين ، وهزيمة نفيير المشركين ، التي نجت الأمور عليها ، وتناهت الحال بهم إليها . أم قبضةً من تراب يسير ، ما ملأ المناخر من عدد كثير .

فلئن قلتم : إن هذه آيات بينات ، وعلامات واضحات ، ولكنا [لا] نقر لكم بها ولا تؤمن بقولكم فيها .

أفتؤمنون أن محمداً صلى الله عليه وسلم مع ما نسبتموه من الفضل إليه ، كان يخلقها كذبا من تلقاء نفسه ، ثم يدعيها حياً من عنده ، وهو لا يدري لعل الأمور [تقع] بخلاف ما يقول ، فيظهر كذبهُ ، ويرفض تبعه . وإن تزعم أن أصحابه كانوا كثيراً أقوياء ، نشاطاً جلداء ، فكان على معرفة بقوتهم ويقين من غلبتهم ؛ فقد قال الله عز وجل : ﴿ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهِونَ يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ ﴾ . ولم يكن الرسول ولا غيره ليُخبر أصحابه من أمورهم بما يجهلون من أنفسهم ، ثم يدعي ذلك تزيلاً من ربهم . هذا لا تقبله الآراء ، ولا تُقر به الحكاء ، ولا يحده النظر .

أم تقولون : إنما أراد محمد صلى الله عليه وسلم ببشارته لهم وإخباره ما أخبرهم من هزيمة الله عدوهم ، أن يشجع جبينهم ويقوى ضعفهم ، فكيف إذا لم يبق لما كان يرى من كثرة المشركين وقوتهم ، وضعف المسلمين وقتهم ، بظهور الأنبياء على خلاف قوله ، وأن محال الخبر على غير ظنه ، فيقع ظفر يكذب نبوته ، ويقطع حجتة ، ويكون له ما بعده ! وكيف إذا لم ينسب الأمر إلى نفسه ويُنحى الخبر عن ربه ، ليكون الخطر أصغر والشأن أيسر ، إن جرت الأقدار بما يحذر ، أو وقعت الأمور على ما يكره . ولكنه أثبت في كتاب

(١) في الأصل « ويزعم أن أصحابه ... » والكلام عليه غير واضح . (٢) هكذا في الأصل .

مسطور، ورق منشور . فَعَلَّ لِعَمْرٍاءِ اللَّهِ يَدْلُ عَلَى النَّبِوةِ الَّتِي كَانَتْ بِهَا وَائْتِاقًا، وَيَهْدِي إِلَى الْوَحْيِ الَّذِي كَانَتْ إِلَيْهِ سَاكِنًا .

وإن عَرَضَ لِنَظَرِكَ، أَوْ وَقَعَ فِي خَلْدِكَ، أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ عَوَّدَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْغَلْبَةَ وَأَجْرَاهُ عَلَى الْمَنَعَةِ، فَكَانَ يَجْرِي عَلَى عَادَةٍ قَدِ عَرَفَهَا، وَيَسْلُكُ جَادَةً قَدْ خَبَرَهَا؛ فَلَقَدْ كَانَتْ الْهَزِيمَةُ فِي أَوَّلِ وَقْعَةٍ أَوْقَعَهَا اللَّهُ، ثُمَّ لَقَدْ دَالَتْ الْحَرْبُ فِيمَا بَعْدُ سَجَالًا فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ: تَارَةً عَلَيْهِ لَهُمْ، وَأُخْرَى لَهُ عَلَيْهِمْ . فَنَاصِحُوا اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ فِي نَظَرِكُمْ، وَقَلَّبُوا فِيمَا يَقُولُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ فَكَّرَكُمْ . فَلَعَمْرُ اللَّهِ مَا كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِيَقُولَ لِلْمُلُوكِ الْمُشْرِكِينَ: إِنَّ اللَّهَ هَزَمَكُمْ بِرَمِيَةٍ مِنْ تَرَابٍ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ عِنْدَهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ . فَأَحْضِرْ كِتَابِي هَذَا فَهَمَّكَ، وَأَصْبِرْ لَهُ وَإِنْ خَصَمَكَ؛ فَإِنَّ هَذِهِ آيَةٌ عَظِيمَةٌ، وَحِجَّةٌ بَلِيغَةٌ، وَبَيِّنَةٌ عَجِيبَةٌ، فِي غَلْبَةِ الْعَرَبِ . وَأَعْجَبُ مِنْ هَذِهِ وَالطَّفُّ، وَأَكْثَرُ مِنْهَا وَأَعْظَمُ، الْآيَةُ فِي غَلْبَةِ الْعَجَمِ . وَأَسْتَمِعُ: أَمَرَ اللَّهُ نَبِيَّهُ — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — أَنْ يَقُولَ لِلْمُؤْمِنِينَ — وَكَانُوا كَمَا قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ قَلِيلًا مُسْتَضْعَفِينَ —: «إِنَّ قِبَالَ الْعَرَبِ سَتَحْزَبُ عَلَيْكُمْ، وَإِنَّ اللَّهَ سَيَهْزِمُهُمْ لَكُمْ، وَحَيًّا أَنْزَلَهُ فِي الْكِتَابِ، فَقَالَ: ﴿جُنْدٌ مَا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِنَ الْأَحْزَابِ﴾»؛ فَكَانَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ مَا نَزَلَ هَذَا الْقَوْلُ عَلَيْهِ بِدَهْوَرٍ طَوِيلَةٍ وَسِنِينَ كَثِيرَةٍ، مُحْبُوسِينَ فِي حُومَةِ الْمَوْتِ وَعَسْكَرِ الْخُوفِ وَخَنْدَقِ الْقَهْرِ وَذُلِّ الْحَصْرِ، سَوَادُهُمُ الْأَعْمَى وَجُلَّهُمُ الْأَعْظَمُ حُفَاةٌ عُرَاةٌ عَالَّةٌ، إِخْوَانُ دَيْرٍ، وَأَصْحَابُ وَبَرٍ، لَا قُوَّةَ بِهِمْ، وَلَا مَنَعَةَ لَهُمْ، وَلَا أَسْلِحَةَ عِنْدَهُمْ، وَلَا عُدَّةَ مَعَهُمْ، قَدْ أَحْدَقَتْ الْعَرَبُ بِمَسْكَرِهِمْ وَأَحَاطَتْ الْقِبَائِلُ بِخَنْدَقِهِمْ، وَسَالَتْ الْأَحْزَابُ تَصَدِيقًا لِحَتْمِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ، تَرِيدُ أَنْ تَنْزِلَ أَقْدَامُهُمْ وَتُهْرِيقَ دِمَائِهِمْ؛ فَكَانَ الْمُؤْمِنُونَ كَمَا وَصَفَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ سُوءِ الْحَالِ، وَضَيْقِ الْمَالِ، وَشِدَّةِ الْكِظَاطِ؛ فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ وَصَفَ لَهُمْ حَالَهُمْ، وَأَذْكَرَهُمْ فِعْلَهُمْ؛ وَلَمْ يَكُنِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِيُصِفَ لَهُمْ عَنِ اللَّهِ مَا يَجْهَلُونَ، وَلَا لِيَذْكَرَهُمْ مِنْ أَمْرِهِ مَا لَا يَعْرِفُونَ؛ حِذَارًا أَنْ تَنْكَسِرَ

(١) فِي الْأَصْلِ: "فِيهَا بَعْدَ ...". (٢) الْكِظَاطُ: التَّعَبُ وَالشَّدَّةُ .

عزائمهم وتغير بصائرهم ، فتنهزم أفئدتهم وتموت نجاتهم ، وتختلف كلمتهم ؛ فقال الله عز وجل : ﴿ إِذْ جَاءَكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا . هُنَا لِكَ آتَى الْمُؤْمِنُونَ زَلْزَلًا شَدِيدًا ﴾ حتى قالت طائفة منهم لأهل المدينة : ﴿ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا ﴾ وقالت طائفة أخرى : يا رسول الله ، إن بيوتنا عورة ، فأذن لنا . يقول الله تعالى : ﴿ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴾ . فبيناهم على تلك الحال قد أجمعت العرب بتفريقهم في الجبال ، وتقسيمهم بالقداح ، وأخذهم بالأيدي ، إذ قال لهم الرسول صلى الله عليه وسلم ، فيما يبئهم به من علم الغيوب ، ويشرهم به من أمر الفتح : ” إن الله سينصركم على جمع الروم ويغلب لكم جنود فارس فيمزمم لكم جنودهم ويورثكم قصورهم ويستخلفكم في الأرض من بعدهم ويبدلكم من بعد خوفكم أمنا ” . وعدنا صدقه الكتاب ، وإشارة نطق بها الوحي ، فقال : ﴿ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ . وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ﴾ . فقال أقوام وأناس ارتابوا حين تضايقت الحال ، وتزلزلت الأقدام ، وطارت القلوب ، ودارت العيون ، وأشرف الموت : مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا أَيْعَدُنَا هَزِيمَةً جَمُوعِ الْأَحْزَابِ ، وَفَتَحَ قُصُورِ الشَّامِ ، وَغَلَبَةَ جُنُودِ كَسْرَى ، وَقَدْ سَالَتِ الْقَبَائِلُ عَلَيْنَا مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ، وَأَحْدَقَ الْمَوْتُ بَنَا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ ، فَبَقِينَا فِي مَسْغَبَةٍ مِنَ الْجُوعِ ، وَجَهْدَةٍ مِنَ الْخَوْفِ ، وَضَنْكٍ مِنَ الْحَالِ ، مَقْهُورِينَ مَقْمُوعِينَ . وقالت الخاصة من المؤمنين حين عاينوا الجموع من المشركين ، وذكروا ما خبرهم الله من تحزيبهم عليهم ومسيرهم اليهم : ﴿ هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ﴾ . فبينما أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم في مضايق تلك الحال ، وشدة ذلك الخصال ، وعموم تلك البلايا الباهظة ، والأمور الفادحة ، التي قد أخذت بأنفاسهم عمها ، وبلغ

مجهودهم كرهها، رافعين الى الله عز وجل أيديهم، يقبلون في السماء أعينهم، إذ أرسل الله على تلك الجنود الكثيفة والجموع العظيمة والأحزاب المقتدرة، ريحاً من الأرض وجنوداً من السماء، فقطعت الأبنية، وطيرت الأمتعة، وسفت التراب في العيون، وقذفت الرعب في القلوب، فولوا مذبرين، وخرجوا منهزمين، لا يلوي والد على ولد، ولا مولود على أحد. أمر صدق الله فيه قوله، وأنجز به وعده، وهزم الأحزاب وحده، وذكر المؤمنين نعمته فيهم، وعرفهم منته بهم، فقال: ﴿أذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا إِذْ جَاءَكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا﴾ . وقال عز وجل: ﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا﴾ ما كان الله عز وجل ليقصص على المسلمين في أنفسهم، إلا ما قد رأوه بأعينهم .

لولا أن هذا ما لا يتركه عقلك ولا يدفعه نظرك، لما جادلتك بالكتاب، ولا نازعتك بالتنزيل . وإني لأترك من آيات النبي صلى الله عليه وسلم وعلامات الوحي، ما هو أعظم من هذا وأبين وأجل وأوضح . ولكن ليس لي أن أحاجك من آيات القرآن، إلا بما عليه شاهد من برهان، ومخبر من بيان، لا يستطيع عقلك رداله ولا قلبك جحده له . وكيف ينسب لسانك أو يجترئ قلبك أن يقول: إن محمداً صلى الله عليه وسلم أخبر أصحابه بالكذب وهم يعلمون، فاقصص عليهم من أمورهم ما لا يعرفون! لا! ما يسوغ لك ولا يجمل بك، ولا يقبل منك أن محمداً صلى الله عليه وسلم يقوله من تلقاء نفسه، كيف! أما كان يخاف أن يكذبه أصحابه، وتنتقل أحواله، وتنتقص أموره! لعمر الله لو وصفت بهذا من لا يعرف بفضل ولا ينسب الى عقل، لما كان سائغاً لك ولا جائزاً منك، فكيف تصف به من يرفع عن الناس قدره، ويفضل عليهم عقله! وتقر أنك لم ترفى الدنيا أحداً صنع [ ما صنع ] وبلغ ما بلغ! فأيتها آية فيما اقتصص عليك أمير المؤمنين أعظم أو بينة أعجب: أما كان يتلى على المؤمنين في الكتاب من اجتماع قبائل الأحزاب بجنود عظيمة قبل اجتماعهم بسنين

كثيرة ، أم ما كان يُنادى به القرآن من الهزيمة لهم وينطق به الوحي من الفتح عليهم ، أم قول النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه : " إن الله عز وجل يؤمن خوفكم ويعز نصركم على الأمم " وهو على تلك الحال ثم نجت الأمور على ما قال ، أم عسكران مطابقان وجيشان متقابلان ، باتت الريح تحوس أحدهما حتى انهزموا ، وبات الآخرون منها في عافية وغفلة حتى أصبحوا ؟ فأحسن النظر في أمرك ، والتثبت في دينك إن شاء الله .

وَأَعْلَمُ أَنْ مِنْ أَعْظَمِ الْآيَاتِ وَأَيِّنِ الدَّلَالَاتِ ، عَلَى نُبُوَّةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَحَقِّهِ ، وَأَنْ لَيْسَ يَتَقَوْلُ شَيْئًا مِنْ تَلَقُّاءِ نَفْسِهِ ، أَنَّهُ قَالَ فِي عُنْفُونِ أَمْرِهِ : " إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ سَبَّطُهُ دِينِي عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ " وجاء مع ذلك بأثره عن ربه ، في كتابٍ مخطوط وتزليل محفوظ . فأى أمرٍ به لك أدل ، أو أيهما عندك أعجب ، إذ كنت بنبوته مصدقا ، ولرسالته محققا : الخبر الذي أخبره ، أم الفعل الذي صدقه ؟ لئن نظرت بعقلك وقلت في نفسك : كيف ترقّت الى هذا نيته وأرتفعت نحوه همته ، أم كيف امتدت اليه طيته وقويت عليه رويته ؟ بل كيف دعت اليه نفسه ، وشجعه عليه قلبه ، ودخل فيه طمعه ، وطاوعه فيه لسانه ، وهو يذكر جنود كسرى ، وجموع الروم ، وملوك الترك ، وملوك الشرك ، وقبول اليمن ، وصناديد الأمم ؟ إن هذا لعجب ، ولا سيما إذا لم يكن في إرث ملكٍ قاهر ، ولا كنفٍ عزّ غالب ، ولا معيدٍ علم سالف .

ولئن أعدت النظر وكررت ، فقلت : كيف وافق خبره أثره ، وكيف صدق فعله قوله ، حتى غلب الشرق والغرب ! إن هذا لعجب ! وأعجب من هذا أمرٌ يدلك أمير المؤمنين عليه ، ويهديك إن شاء الله اليه : لو قلت لأهل مملكتك ومن قبلك من أمتك : هل بلغكم أو تقتر قبلكم ، أنه كان في الدهر الأول ، والعصر الخالي ، أحد مثل محمد - صلى الله عليه وسلم - بدأت الأمور به مثل حاله من الوحدة والضعف والدلة والقلّة ، وصدرت الخال به كفعاله في العلة والمنعة ، والقهر والظهور ، وغير ذلك ؟ لقالوا لا .

(١) في الأصل : « أما كان ... » . (٢) تحوس أحدهما : تغشاه وتهينه . وفي الأصل « تحوسا ... » بالشين المعجمة وهو تحريف . (٣) في الأصل : « فأى أمر بذلك ... » .

ثم أنت لا تؤمن بمقالته ، ولا تُقرّ برسائله ، إلّفاً لدينك ، وضناً بملكك ، وطمَعاً في قليلٍ من الدنيا قد نَعَاه الله اليك ، ورغبةً في صُبابَةِ عَيْشٍ غيرِ باقيةٍ في يديك ؛ فهذا عَجَبٌ .  
وأعجَبُ من هذا أمرٌ يَقُفُك أميرُ المؤمنين على نورِ حقّه ، ويُوضِحُ لك إن شاء الله بيانَ أمره : أصبحت العربُ طُراً والأُممُ جميعاً في مجدِ صلي الله عليه وسلم ثلاثةً لا رابعَ لهم ولا مُخرَجَ للحق من بينهم : رجلٌ مصدِّقٌ به من المؤمنين ، ورجلٌ مكذِّبٌ به من الكافرين ، ورجلٌ شاكٌّ فيه من المنافقين .

فأما الشاكُّ فلما قيل له : أخرجتَ نفسك من الحق ، وأبرأتها من الصواب ، وأقررتَ عليها بالخطأ ، تقولك : لا بد أن يكون الحقُّ في التصديق أو التكذيب ، ولست على واحدٍ منهما ، اعتزل عنها .

وأما المكذِّب فلما قيل له : أنت مُنكِر والمذكّر ليس بمدّع ، ومن لم يدّع لم يلزمه بينةٌ ولا يسأل عن حجة ، اتبع صاحبه . وأيمُ الله على ذلك ، لو سُئِلَ هذا المدّعي عن بيّنته وكشِفَ حُجَّتُه ، فقيل له : من أين عَرَفَ قلبك ، وأيقنتَ نفسك إيقاناً لا يخالجه شكٌّ ، ومعرفةً لا يشوبها ريبٌ ولا ينازعها شبهة ، أن مجدداً صلي الله عليه وسلم ليس برسول ، لمّا درى ما يقول ؛ لأنه لا يستطيع أن يتقول على الرسل ، ولا أن يتكذّب على الكتب ، فيقول : قد أخبر الله فيها أنه لا يبعث نبيّاً ، ولا يُنزل وحيّاً في كتابٍ مسطور ، بعد التوراة والإنجيل والزبور . بل قد يجد أهلُ الكتاب في أقاويل رسلهم وأخبار كُتُبهم ، أن الله تبارك وتعالى يُنزل كتاباً جديداً أو كلاماً حديثاً ، بعد خراب بيت المقدس في آخر الزمان ، ولم يُنزل بعد ذلك كتاباً إلا القرآن .

وأما الرجل المصدّق بمحمد صلي الله عليه وسلم فقيل له : أما أنت فقد أدّعت ، والمدّعي يُسأل عن الحجة ويُقبل منه البيّنة ، فما بيّنتك ومن يشهد لك ؟ فقال : ألم تقولوا : إن الحق لا يُخرَج من بيننا ، ولا بد أن يكون مع بعضنا ؟ قالوا بلى ! قال : فأية بيّنة أحق وأعدل ، وأي شهودٍ أذكى وأفضل من شهادتكم بسقوط صاحبي وثبوت

الحق من بعدهما في يدَيَّ؟ قالوا : إن الأمرَ لكما تقول، ولكنَّ البينةَ أشقى للصدور؛ فأقام بينةً من الكتاب، وشهوداً من الوحي، وآياتٍ سوى ذلك عظاماً، وبيناتٍ عوامً، من كلامٍ لا يقدر عليه الخلق، وصدقٍ لا يكون إلا من قِبَلِ الرب، شبيهاً بما أورده أمير المؤمنين عليكم، وكتبَ به في صدر كتابه هذا اليكم، مما قد تشهد له قلوبُ الأمم، ويزيجهُ فعَالُ العرب .

فلما أقام بينته، وثبت حجتَه، ووجب حقه، وقضى به له، قيل له : وكيف توسعت الأمور عليك، وضافت المقالة لك، أن تقول : إن الله لا يبعث نبيا بعد محمد — صلى الله عليه وسلم — ولا وحيا ينزل غير القرآن، فأبطلت الكتب المحدثه، وأكذبت الوثيقة، ولم تترك وحيا غير القرآن، ولم يجوز للنصارى أن تقول : لا نبي بعد عيسى عليه السلام، ولا كتاب خلف الإنجيل؛ وعن ذلك من أخبار الكتب ما قلنا كل متنبئ بعد نبينا كذاب، فشاعت وجازت الحجّة، ووضع العذر . وأما النصارى فيجدون في أواخر كتبهم، وأقاويل رسالهم، أن الله عز وجل، يبعث نبيا حديثا، وينزل كتابا جديدا، فليس لهم أن يكذبوا نبينا — صلى الله عليه وسلم — ولا أن يردّوا كتابنا .

فهؤلاء الثلاثة . أما الشاك فسقط، وأما المنكر فبطل، وأما المصدق فنبت ثبوتا ليس فيه مدخل شبهة، ولا موضع حجة، ولا معلق لمنازعة . وذلك أن المنكر لوجوب حقه، والشاك في ثبوت صدقه، لا يجد بدا من أن يُنحى الصدق عن الخلق، ويخلى الدنيا من الحق، وهذا قول المكذبين برهيم، الشاكين في بعثهم، فأحسن النظر في معانيه ينكشف لك عما فيه، إن شاء الله .

ومن أبين آياته وأدلّ علاماته — صلى الله عليه وسلم — ووسع له فيما صدر إليه : أنه لما أخبرت النصارى واليهود أنهم لم يجدوا محمداً — صلى الله عليه وسلم — في التوراة والإنجيل موصوفاً مكتوباً، تجمعت العلماء منهم، وتدارست الكتب فيما بينهم؛ فلما نظروا

(١) في هذه الجملة غموض لم نوفق الى كشف سببه وان كان المراد منها واضحا .

الى اسمه وطأينوه بنعته ، وكانوا يعرفونه كما يعرفون أبناءهم ، ويستفتحون بذكره على من سواهم ، [كفرت] طائفة حسدا من عند أنفسها ، ومجدا من بعد ما تبين لها ، وأمنت طائفة ، تصديقا بكتابها ، وخوفا من ربها .

فلعمركم لو [لا] أن الذين آمنوا بحقه وصدقوا بأمره ، رأوا صفته عيانا ، وقبلوا نعتة إيقانا ، لما فارقوا أديانهم ، ولا جادلوا إخوانهم ، حتى وقفهم على اسمه ونسبه ، وصفته وعلامته ، وهم علماء بني إسرائيل ، وحملة الإنجيل : من أهل الكتاب الذين احتج الله عز وجل بهم على العرب ، فقال عز وجل : ﴿ أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ . ولعمركم إنها آية عظيمة ، وحجة بليغة ، ذكرها الله في كتابه ، وجعلها على العرب من بيناته ، فقال لهم : ﴿ قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَجْرُونَ لِلآذْقَانِ سُجداً وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبَّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبَّنَا لَمَفْعُولاً ﴾ . وعدنا أن يرسل رسولا ، فقد أرسله ، وحقق قوله ، وصدق وعده . واحتج النبي صلى الله عليه وسلم بذلك وذكره . ولم يكن النبي صلى الله عليه وسلم ليُجادل ويحتج في أمرهم بكذب وباطل ، ولم يكن ليقول للنصارى واليهود ، فيما ذكر الله من صدق الموعود : إنه في التوراة والإنجيل مكتوب موجود ، إلا وهو من ذلك على حق يقين ، ونور مستبين . وكيف كان يستشهد من التوراة والإنجيل بكذب ، ويتقول عليهم الباطل ، مع حرصه على تصديق أهل الكتاب ليستدعي به إيمان أحياء العرب . أما كان يعلم أنه إذا قال لهم : إنه موجود في مثابي كتبهم ، وسمى على أفواه رسلهم ، فلم يجدوا خبره يقينا ، ولا وصفه مستبيناً ، أنهم سيذنبون عنه إدارا ، تزداد به العرب نفارا ، إلا أن يقولوا خطأ من علمه ، وهواء من خبره ، فكيف لم يخطب إذا في كتبهم حرفا غيره ، ولم يخالف منها شيئا سواه ، سبحان الله ! لقد أكثر المؤمنون العجب من ذهاب الأساقفة بكم ، فاتم إن تنكر ما يقولون لكم ، مما ليس لدى لب أن يأذن له أن يؤمن به ، ولا أن ينهد إليه

(١) سمعه ، يقولون : إن أنبياء الله ورسله ، المبعوثين بالرحمة الى خلقه ، لطفت النبوة منهم ، ووقعت الأخبار المنزلة عليهم ، على صغائر الأمور ، وغوامض الخطوب ، فسار الناس عليها وأشاروا لهم الى طلبها ، فهي مكررة في مثنائ كتبهم ، وبطون صحفهم ، وأقاويل رسلهم ، وتركوا من كلام الله النبأ العظيم ، والأمر الكبير ، والذكر الحكيم ، الذى ملك آفاق الأرضين ، وأستفاض على جميع العالمين ، لم يذكروه بخير يأمرون به ، ولا بشرتتهمون عنه ؛ كلا ! ما ترك الله على هذا خلقه ، ولا بهذا وصّف تبارك وتعالى نفسه ؛ إنه لأرحم الراحمين ، وأحكم الحاكمين .

ولئن رجعت الى قلبك ، لتقولن في نفسك : لعمر الله لو كان هذا الأمر الذى طلع طلوع الشمس ، وأمتد أمتداد النهار فبلغ مشارق الأرض ومغاربها ، وسهول الآفاق وحزونها ، حقاً وصدقاً وعدلاً ، لبشّرت الكتب به ، وتنبأت الرسل عليه ، ودعت النذر اليه ، تريناه له وترغيباً فيه ، وأمرأ به . ولو كان ضلالةً وجهالةً وعمايةً ، لتقدموا فى التحذير منه ، والترهيد فيه ، والتشبيط عنه ؛ فيدعو ذلك الى أن تنظروا الى كتب الانبياء وأقاويل الرسل . فإيم الله لئن طلبت لتجدن ، ولئن آجتهدت لتوفّقن . وما الصواب بممنوع ، ولا الخير بمحذور . ولقد كانت العلماء بالكتب والبصراء بالتأويل تجده ، ولكنها كانت تكتمه بتحريف كلام الكتب عن مواضعه ، وصرف تأويل الحكم الى أشباهه ، حسداً من عند أنفسهم وبغياً بعد ما تبين لهم . ثم لقد أقنيتهم بهم وجرّيت معهم وأخذتم عنهم ، بلا حجة لكم ، ولا قوة معكم إلا الاقتداء بالآباء والأتباع للآثار . فاتق الله فى نفسك ، وآتهم الرجال على دينك ، ولا تجعل النظر الى غيرك من ذوى الشك فى القلوب ، والفسخ فى ... والثهم فى التعطيل ، الذين لعلهم يعرض لأرائهم ويقع فى أوهامهم أن يقولوا : فلعل ما يتلو عليكم أمير المؤمنين من آيات القرآن ، ويقرّع لكم من حجج الوحي شئ زِيد

(١) هكذا فى الأصل . (٢) فى الأصل «أن ينظروا...» بياء التخيبة . (٣) كذا فى الأصل .

وظاهر أن كلمة بعد «فى» سقطت من النسخ سهواً .

في المصاحف بعد النبي صلى الله عليه وسلم . وهذا ما لا يحتمله عقل صحيح ولا نظر قوى ،  
وذلك الشاك في شهادات الرجال ، متفقة من بلدان وأمصار مختلفة ، وشعوب وقبائل متفرقة ،  
ليس يدعوهم الى ماشهدوا ديناً ، ولا يجهلهم على ما اتفقوا عليه دنيا ، لا يستقيم له أن يؤمن<sup>(١)</sup>  
بما لم تدركه جوارحه وتُحيط به خواسه ؛ لإسقاطه حجة الإجماع وإبطاله شهادة العوام .  
وأتفاق المختلفين دلالة واضحة . فهو سائلكم عن الحجّة في الإنجيل والبيّنة على التوراة ، شكّاً  
في الربّ وتكذيباً بالرسول ، فما كنت قائله له أو مجيبه به في كتابكم ، فأجبه بمثله في كتابنا وإن  
كانت الأحوال منها غير معتدلة ولا مؤتلفة ولا مرتفقة ولا واحدة ، تعمدل حالهما ،  
ويتفق أمرهما ، من كتابكم ما لم تنزل به الملائكة وحيا كالقرآن ، ولم يشافه المسيح به  
أصحابه باللسان ، إنما كان فعلاً أثبت من بعده ، ولم يكن الفعال موضوعاً بعده . وليس<sup>(٢)</sup>  
يكتب أمير المؤمنين بهذا اليك شكّاً فيه ، ولا يورده عليكم مريية به .

ولقد علم أمير المؤمنين أن كُتِبَ الله عز وجل محفوظة ، وأن حُجَّجه مخزونة ، لا يُزَاد  
فيها على تقادم عهد ، ولا يُنْقَصُ منها على تقارب دهر ، وأن ذلك ثبت في الإنجيل من  
بعد عيسى عليه السلام ، وأنه قال لمن اجتمع اليه من الحواريين : ” بالوحي أكلّمكم ،  
والأمثال أضرب لكم ” . فأمثاله المضروبة كلام ، وكلامه الرائع وحى . ولكن ما بال الشك  
يُنْفَى عن كتابكم ، بحجة الاجتماع عليه عندكم ، وهو على ما وصّف أمير المؤمنين لكم ،  
وسيان في تنزيل كتابنا ، وقد أدرك شهادة دينه ، إما ما قربا من عهده ومعانيه وحيه<sup>(٣)</sup>  
وآجتماع على حفظه ، هذا حكم مختلف .

فقل للذين يشكون فيه ويرتابون به : أوقعوا أوهامكم على حالات الأوقات التي<sup>(٣)</sup>  
تعرفون ووقوها بطبقات الرجال الذين يهتمون .

فإن قالوا : أمّا طبقات الرجال التابعين ، وحالات زمان أمير المؤمنين ، فذلك  
ما لا يسوغ الأقاويل فيه ، ولا تدخلُ الشبهة عليه ، لانتشار القرآن وامتداد الزمان ،

(١) في الأصل : « لا يستقيم له أن يؤمن له بما ... » . بزيادة ” له ” . وهي قلقة في موضعها فلعلها  
زيدت من النسخ . (٢) في هذا الموضع اضطراب في الكلمات ، والمراد واضح . (٣) كذا في الأصل .

وكثرة الحملة لآياته فيهم، والحفظة لسانه منهم، ولكن الدين الذي نزل به القرآن، وقبض النبي صلى الله عليه وسلم بين أظهرهم. وكيف بوقوع تهمة أو دخول شبهة، على أقوام [لبث] النبي صلى الله عليه وسلم عشرين حجة فيهم يتلو كتاب الله عز وجل في كل عام عليهم، حتى حملوه في صدورهم، وحفظوه في قلوبهم، وكرروا في آذانهم مسموعا، وأمرت على أبصارهم مكتوبا، وجرى على ألسنتهم متلوًا، وجمعه كثير منهم محفوظا، ثم توارثوه فيهم وتداولوه فيما بينهم، حتى أدوه الينا، وأوفوا به عندنا، من مواضع متفاوتة، وأصناف وأجناس متباينة، على كلمة واحدة!

فإن قالوا: اتفقت الرجال على الزيادة فيه وأمكنتم الحلال من الحمل عليه، فليعلموا أن المؤمنين المخلصين ليسوا في الزيادة متهمين، وأن المنافقين الملحدون ليسوا على ذلك بقادرين. وكيف يقدر القليل من المنافقين على مخالفة الجمع من المؤمنين، بعد ما حفظته قلوبهم، ووعته أسماعهم، ثم تكتم القدرة لهم وتستر الزيادة منهم! هذا ما لا يقدر عليه منافق، ولا يطيقه مشرك ولا فاسق. وأيم الله أن لو قدرت اليهود على الزيادة في الإنجيل، لأفسدوا كتابكم وغيروا دينكم، ولو جعل الله المنافقين على الزيادة في كتابه قادرين، لبدلوا ديننا وغيروا حالنا. ولو كانوا لذلك مقرين وعلى ذلك مقتدرين، لكان الذي كتب به أمير المؤمنين اليكم، وأورده من حجج الله عليكم، أولى ما تلقون، ورأس ما تقرفون. فلا تلقين إلى ما قاله [المضل] سمعك، ولا تنصت الدهر إليه ذهناك، فإنه اتخذ الشك في كتابنا ذريعة إلى الإخلال بكتابك، وسألنا إلى الشك في دينك وعلته في الطعن على ملتك، ولكن قل يا ولي الشيطان: أتى وقع لك إيمان بأنك من ولد فلان؟ أتقول: شهدت الجيرة، واجتمعت العشيرة، واتفق المختلفون، فذهب الشك، وزال الريب، ووقع الإيقان، من غير العيان؟ صدقت. فما بال الشك فيما اجتمعت العامة على القول به، واتفقت الجماعة في الشهادة عليه من آيات الكتب وبيّنات الرسل! وإن ذهب بهذا عن أمره، وابعده

(١) في الأصل "في دينه..." . (٢) كذا بالأصل .

عن شبهه ، فتؤمن أنه من نطفة خُلِقَ ، ومن رَجِمَ نَجْرَجَ ، فإن مجدوا بنى ألا يؤمن بما لا يرى ، فقل : أرايت لو كنت سميعاً أعمى ، أكنت تؤمن بشيء مما فى الدنيا : من سماء أو هواء ، أو بحر أو سبع ، أو أرض أو جبل ، أو شبه ذلك مما لم يدركه العيان ولم يقبله إلا عن الناس؟ فإن قال نعم ، فقل : فهل لك إلا بالاجتماع الكفر بالرب ، وما لدائه دواء غير الصلب . فأتى الله إذ كنت إماماً وقائداً لأهل ملكك ، لا تقدمهم الى النار فتحمل أوزارهم مع وزرك .

فإن من أبين آيات الوحي ، وأدلّ علامات النبى صلى الله عليه وسلم أنه لا يتدع فى الدين أمراً من تلقاء نفسه ، ولا يتقدم فى الأمور بين يدي ربه . والله أظهر فيما أنزل من الكتاب أموراً كان يحسبها صلى الله عليه وسلم مستورة ، فقال تأديباً له ، وإخباراً لمن آمن من بعده : ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ ﴾ . وقال : ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّى أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّه يُزَكَّى أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى أَمَا مِنْ أَسْتَغْنَى فَآتَتْ لَهُ تَصَدَّى وَمَا عَلَيْكَ إِلَّا الْيُزَكَّى وَأَمَا مِنْ جَاءَكَ يَسْعَى وَهُوَ يَخْشَى فَآتَتْ عَنْهُ تَلْهُمَى كَلَّا لَإِنَّمَا تَذَكَّرُ ﴾ . وقال تعالى : ﴿ وَلَوْلَا أَنْ سَبَّأْتَ لَقَدْ تَرَكْنَا لِيَوْمِ سَبِّكَ قَلِيلًا إِذَا لَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴾ . وقال له حين صرف قلبه عن بيت المقدس الى البلد الحرام حين سكنت القلوب اليها ، وأنسيت النفوس بها : ﴿ وَلَئِنْ أَتَبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ . وكانت القبلة التي صرفه الله اليها وأمره بها عظيمة على المنافقين واقعة بخلاف الكافرين ، كبيرة إلا على الذين هدى الله من المؤمنين ، فإنهم قالوا : اذا اختلفت القبلتان واقترقت <sup>(٣)</sup> الجهتان ، كانت الطاعة فيهما واحدة لا اختلاف فيها ولا افتراق عليهما . وكيف تختلف الطاعة من رجل بنى بأمر الله عز وجل ثم هدم بوحى الله .

(١) كذا فى الأصل (٢) فى الأصل : "لمن آمن من بعده إذ يقول... " وظاهر أن كلمة

" إذ يقول " غير مفيدة هنا . فلعلها زيدت سهواً من الناسخ . (٣) فى الأصل : " كثيرة... " .

فإن قلت : إن الله حَوَّلَهُ عن أفضل القبليتين وأقوم الجهتين ، فلا سواء في الفضل  
البيّن والخير السرّ : قبله سأل الله عليها الكافرين ولم ينعها من الظالمين ، وقبله منعها بجنود  
من عنده ، وعصمها بغير ما حَوَّلَ من خلقه ولا جرمة يدعيها أحدٌ من فيها ؛ فأرسل طيراً  
أبائيل ترمي الأعداء بجارية من سجيل ، فجعلهم كعصفٍ ما كؤل . فإن تقل : هذا خبر  
نُكِرَهُ ، وقول لا نعرفه ؛ فأبى حديث بعد هذا تؤمن ، وتشهد لله عز وجل أنه من قبله ،  
وأتم تعلمون أنه أنزل الله عز وجل سورة الفيل على قوم أدركه منهم بشر كثير .

فإن قلت : إن محمداً صلى الله عليه وسلم خبّرهم بما عاينوه وأدركوا خلافه ، نقل :  
إنه أراد أن يفرّقهم عنه ويوحشهم منه ، وأحب أن يرموه بالكذب ، ويقذفوه بالحق ،  
ويصموه بالحنون ، ويظنون به الظنون ، كلاً ! ما كان نبي ولا غير نبي ليجاهد أقواماً بخلاف  
ما رأت أبصارهم وشاهدت آباؤهم ، فيخبرهم بخلاف ما شهدوا ، وتكذيب ما عاينوا . فلا  
تكون في هذا من المتزين ، ولا بأمر الفيل من المكذّبين .

فلعمراً لو كان من أمر النبي صلى الله عليه وسلم ما تلحد أنت وقومك إليه  
لما قام معه رجلاّن ولا آخلف فيه سيفان . وإن فيما صنع الله عز وجل بالفيل  
وأتباعه ، دلالة على قبلة الله وأنبائه . فأتق الله ! فقد شرح أمير المؤمنين علامات النبي  
صلى الله عليه وسلم وكشّف الأغطية لك عن النور بآيات الوحي . فإن مالت الأهواء  
بك ، وغلبت الأساقفة عليك ، وحضرك الرؤساء الذين يجعلون مع الله الهمة أخرى بلا حجة  
عندهم ، ولا سلطانٍ أتاهم فقل : أنبؤني عما آجتمعت عليه النصرانية وذهبت إليه بهم  
المعاني من تشقيق الكلام وتصريف الكتب : أحروف تتعسفونها ، أم لغة تعرفونها ؟  
فإن قالوا : إنهم بغير لغة يتكلمون ، فهم إذا قوم يلعبون . وإن قالوا : إنهم يتكلمون  
بالغة معروفة ومعاني معلومة ، فقل : أخبروني عن قولكم : أب وابن ، أيها ما تعترف  
العقول من المنطق ويقع في القلوب من المعنى أم لا ؟ فإن قالوا : لا ، ليس ذلك بالذي

تذهب أوهام العباد إليه، ولا بالذى تقع الحقائق في الآباء والأبناء عليه، إنما هو كقول الله عز وجل في التوراة لإسرائيل: "بكرى" لا يعنى ولادة الرحم؛ وكقول المسيح عليه السلام للحواريين: "أنتم إخوانى" لا يعنى أخوة النسب. فذلك قول لا يجدون معه بدءاً من أن ينسبوا عيسى عليه السلام عبداً. وإن قالوا: بل هو ما تجرى به السن العباد، ويقع في قلوب الخلق من الولادة المعروفة والأبوة المعلومه، فليخبرونا متى كان الأب والدا، والأبْن مولوداً: أقبل الولادة أم بعدها؟ فإن قالوا: قبلها، رجعوا عن القول الأول بتثبوت الأبوة. إلا أن ذلك ليس بالشئ الذى تذهب إليه الأوهام، ولا بالمعنى الذى يقع في قلوب الأنام.

ولا بد إذا سقطت الولادة المعروفة وبطلت الأبوة الموجودة، أن يقولوا: إن الأب والأبْن آسمان علّقاً على غير معنى، ونَسَبَانِ أُضِيفَا إلى غير حق؛ فيفترون أن عيسى عليه السلام حُلِقَ مثلهم، وأنهم يتكلمون بغير لغة أحدٍ منهم.

وإن قالوا: إنما كان الأبْن مولوداً والأب والدا بعد الولادة، فقد أقرّوا بأن الأبْن حَدَثَ مخلوق وعبد مربوب، لقولهم إنه لم يكن حتى وُلِدَ، ولم يُولد حتى حُلِقَ. وقل لمن يقول الزور العظيم، ويقذف بالإفك الميين: أليس الأبُّ أباً على حياله ولم يزل، والأبْن أبنا نُجِلَ، وروح القدس كذلك؟ فإن قالوا: نعم، فقد أقرّوا بأنهم ثلاثة متباينة، وقعت عليهم ثلاثة أسماء متفاوتة، وتركوا قولهم: إنهم ثلاثة أصلهم واحد.

وإن قالوا: الأب والأبْن وروح القدس واحد، ولكنّ بعضه أبٌ وبعضه ابن وبعضه روح القدس، فقد دخلوا في التّحديد الذى هو عيب عندهم، وقالوا في التبعض بما هو كفرٌ قبلهم. وإن قالوا: ليس مُبعضاً، ولا مجزأً، ولا محدوداً، ولا ثلاثة متباينين، فإذا هم قوم يلعبون: يقولون: الأبُّ ابنٌ، والأبْن أبٌ، والوالد مولود، والمولود والد، والكبير صغير، والصغير كبير، والقليل كثير، والكثير قليل. وهذا من أين المحال وأخلف المقال. وليس من المنطق ما لا يوجد في لغة عرب ولا عجم، ولا لسان أمة من الأمم. وإنما

أرسل الله عز وجل كل نبيّ بلسان قومه ليبيّن لهم ، فيُضِلُّ الله الظالمين . ولولا ذلك لمَّا  
فَهِمَّتْ الأُممُ مذاهبَ أقاويل الرسل ولا معاني أحاديث الكتب . فلا تُطع الذين يلعبون  
بأنفسهم ، ويتكلمون بغير لغتهم ، ويقولون : الثلاثةُ واحدٌ ، والواحد ثلاثة ؛ وهذا محالٌ  
في مجارى المقال ، ومعاني الفعال .

لعمركم لئن آتته عقول الأساقفة على دينك ، وأهتتمت بالنظر في توحيدك ،  
لتعلمن أن الواحد لا يكون ثلاثة وأن الثلاثة لا تكون واحداً ، إلا على وجه ماله ثانٍ يقول  
به ، ولا منه مخرجٌ تستريح إليه . فألق نحوه سمعك ، وأنصت إليه فهمك ؛ فإن أمير المؤمنين  
واصفه لك ، وليس واقعا إلا على المخلوقين ، ولا لازماً غير المحدودين ، ولا داخلاً على رب  
العالمين : وهو أن يكون الشيءُ أصله واحد وأجزاؤه كثيرة ، من نحو الانسان ، وهو أصل  
يجمع اسم ، وله أجزاء تلزمها أسماء ؛ فليس الجزء بالأصل ، ولا الأصل بالجزء ، ولكن الجزء  
بعض الأصل . فإذا أردت الجزء ، قلت يد الانسان وسمع الانسان . ولولا أنه محدود مخلوق  
مجزأ مبعوض لما جاز هذا القول فيه ولا دخل هذا المثل عليه ؛ وكذلك الشمس : الأصل  
واحد ، وهي شمس ، والأجزاء كثيرة وهو عين الشمس وضوء الشمس وشعاع الشمس ودقيقها  
وغليظها وحرورها وأعلاها وأسفلها وأشباه ذلك .

فلئن قلت : سميت كل جزء من الأجزاء على حياله إنساناً ، وكل جزء من الشمس دون  
أصله شمساً ، ونسبت فعل الأصل الى بعض أجزائه ، وتركت أن تنسب الأصل فاعلاً ببعض  
الأجزاء ، كما تقول : بسط الانسان بيده ، ومشي برجله ، ونظر بعينه ، ثم ضربت ذلك الله  
عز وجل مثلاً وجعلت الله له قياساً ، فقلت : الأصل واحد ، وهو الله عز وجل ، والأجزاء  
كثيرة وهي أب وآبن وروح القدس ، وكل جزء منها إله على حياله وربٌ دون غيره ، لم تجد  
بدأً أن تلحق اليد والعين والنفس بالأب والآبن وروح القدس ، فتكثر ألهتك ، وتحدد  
ربك ، وتترك قولك : إن الله ليس محدوداً ولا مجزأً ولا مبعوضاً ؛ إلا أن يكون إنما تريد مذاهب  
الأسماء فتقول : المعنى واحد ، وهو الله عز وجل ، والأسماء أب وآبن وروح القدس .

فإن كنت تقول هذا وكنت إنما تعبد أسماء، فما تجد بداً من أن تعبد الأسماء كلها وتقول : إنها آلهة على حيالها ، حتى تقول باسم أرحمى ، وبثان اغفر لى . فاتقوا الله يا أهل الكتاب ؛ فإن الله عز وجل ليس بأب ولا آبن ولا أسم ، ولكن له الأسماء الحسنى فادعوه بها ، وذروا الذين يلحدون فى أسمائهم سيحزون ما كانوا يعملون .

فإن أشارت الأساقفة الى بعض الإنسان باليد والرجل وأشباه ذلك وقالوا ليس إنساناً ، فقل لا ، ولكنه للإنسان ، وقل هو إنسان بكاله . وكذلك إن أشاروا الى بعض الشمس فقالوا : ليس هذا الشمس طالعا ، فقل لا ، ولكنه بعضها ، ولو كانت الأسماء التى تقع أبصاركم عليها وتشير أيديكم اليها من الشمس والسماء والهواء شمسا وهواءً وسماءً لكانت الشمس والهواء والسماء أكثر مما يبلغه الإحصاء . ولو قصدت بالإجابة لمسالك هذه الأودية ، لبطلت الحجج الداخضة وأنقطعت الأقاويل المتناقضة . وسل من قبلك من أساقف أمتك وشماسة أهل ملتك الذين يزعمون أن عيسى المسيح ، ويرفعونه أن يكون عبداً : على أى شىء وقع اسم المسيح من عيسى : على الروح أم الجسد أم على كليهما؟ فإن قالوا : وقع على الروح نفسه ، لأن الروح لله دون غيره ، فقد أقرروا بأن إلههم يأكل ويشرب ، ويمشى ويركب ، لأنهم يجدون ذلك من فعل عيسى مبيناً قبلهم ، موصوفاً عندهم . فإن قالوا : وقع اسم المسيح على الجسد بعينه ، فكان الجسد هو المسيح إذاً دون غيره ، والمسيح إذاً مخلوق عندهم ، والإله إنساناً إذاً مثلهم ، فلم يعبدون المخلوق ويدعون من خلقه وبرآه . وإن قالوا : وقع الاسم على الروح والجسد جميعاً ، فلن يجدوا محرّجا ولا بداً ولا محيصاً ، إذا أوقعوا الاسم عليهما ، من أن يضيفوا الأعمال إليهما ، فيقولوا : إن الجسد المخلوق هو خلقهم ، وإن الروح الخالقة قد ماتت قبلهم ، وذلك لما يجدون من ذكر موت عيسى عليه السلام فى الكتب عندهم وفى الإنجيل الذى قبلهم . وسل من قبلك عن الأب والآبن ، فقل أيهما أعظم وأيهما أصغر ؛ فإن قالوا : الأب أعظم والآبن أصغر ، فقد جعلوهما متباينين . وإن قالوا : هما واحد وكلاهما عظيم ، وليس الأب بأعظم من الآبن ،

ولا الابن بأصغر من الأب، فقد نُقض حينئذ جوابهم ، وأكذب المسيح عليه السلام كلامهم ، حيث يقول : «لو كنتم تحبوني لفرحتم حيث أذهب الى إلهي فإن إلهي أعظم مني» فلم يقل أعظم مني ، إلا وهو مقرر بأنه أصغر منه . وسلهم عن قول المسيح : «أنا أذهب الى إلهي وإلهكم» ، فقل : من هذا الإله الذي ذهب عيسى اليه صلى الله عليه وسلم : إله في السماء متباين منه منقطع عنه؟ فهما اذا اثنان متباينان ، أم إله كان به متصلاً وكانا جميعاً واحداً؟ فكيف اذا يجوز له أن يقول اذا أذهب اليه ! إلا أن يقولوا : إن بعضه ذهب الى بعض ! وهذا مما لا يجوز عندهم في صفة الرب عز وجل .

وسئل من قبلك : أخرج المسيح من بطن أمه مريم بكاله حتى كان البطن منه فارغاً وكان هو منه بكاله خارجاً؟ فإن قالوا : نعم ، فقد أنكسر قولهم : إن الله بكل مكان . وإن قالوا : لم يخرج المسيح ولم يخل البطن ، فقد كذبوا اذاً في قولهم : إنه قد خرج ، وأفتروا أنه قد وُلِدَ . فتعالى الله عما يصفون ، وتنزه عما يشركون . وسلهم لم يهبط عيسى الى بطن مريم ، وتجسد باللحم والدم ، فإن قالوا : يمتحق الخطايا من الأرض ويربط الشيطان عن الخلق ، فقل : كيف اذاً لم يربطه عن نفسه ! وكيف جلاباه من اليهود بصلبه ! ولم سلط على أهل دينه يتبعون في كل شعبٍ ويُقتلون بكل واد!

وقل للذين يقولون : إن الخالق في كل مكانٍ من السماء والأرض وغير ذلك : أيهما أعظم : المحيطُ المشتملُ ، أم المُحاطُ المشتملُ عليه كما يقولون ؟ تعالى الله عما يشركون . فإن قالوا : إنما ألثم بعضه دون بعض ، فقد حدوا وبعضوا ونقصوا وانتقصوا ، وإما قالوا فلن يجدوا بداً من أن يقولوا : إن بعض المسيح الذي جعلوه ربهم ، وهو إله عندهم ، ميت بعضه جيفة ، وإن بعضه حي طيب ، لأنهم زعموا أنه ألثم بجسد حي فيه

(١) الوارد في إنجيل يوحنا (فصل ٤ آية ٢٨ ج ٣ ص ١٨٦ من الكتاب المقدس طبعة بيروت سنة ١٨٨٢م) :

«فلو كنتم تحبونني لكنتم تفرحون بأني ماض الى الأب لأن الأب هو أعظم مني» .

(٢) الوارد في إنجيل يوحنا (فصل ٢٠ آية ١٧ ج ٣ ص ١٩٦ من الكتاب المقدس) : «إني صاعد الى

أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم» . (٣) كذا بالأصل

روح، فلا بدّ أذاً أن يدخل عليه ما يدخل على الأجسام الحية من الخوف والفرح والعطش وأشباه ذلك، وهو عندهم كفر عظيم وإفكٌ مبين. فاتّق عقوبة الله ربك، ولا تمش مُكجاً على وجهك، ولكن أطلبْ وأتمسْ وأبحثْ؛ فقد قال عيسى عليه السلام في الإنجيل: <sup>(١)</sup> «من سأل أعطى ومن طلب وجد ومن استفتح فتّح له».

اجمع العلماء والبصراء [الذين] عندك، والأساقفة والرهبان الذين قبلك، فقل: لأى شيء نسبتم المسيح إلهاً وجعلتموه رباً؟ ونجد الله سمّاه في الكتاب ابناً، وقد تجدونه قال: «إني أذهب إلى أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم أيضاً». وهذا كلامٌ يحتمل وجهين أحدهما أولى به، وقولٌ لا يحتمل إلا وجهاً وهو الرُبوبية. أم كيف تنظرون إلى كلامه: «أذهب إلى أبي وأبيكم». فتفردونها في نفسه وقد قالها فيه وفي غيره!

فاتّق الله وكن من القائمين بالحق، الموحدين للرب. إن أمير المؤمنين قد ضرب لك أمثالا جمةً، وصرف إليك مسائل كثيرة، وبين لك من آيات النبي صلى الله عليه وسلم وعلامات الوحي قليلاً من كثير، ووضحاً من تفسير، لا تمتنع العقول من التصديق به، ولا القلوب من الإقرار به.

وسيدك أمير المؤمنين من علامات النبي صلى الله عليه وسلم في التوراة والإنجيل، ما يُكتفى به، إن شاء الله، وباليسير منه؛ لأن كتب الله عز وجل محفوظة، ومُحججه محروسة، لا يزداد فيها ولا ينقص منها. وإذا وجدت فيها كلمةً تدلّك على حق وتمّديدك إلى رشد، فليست واجداً أخرى تصدّك عنه وتشكّكك فيه، إذا تلى ذلك بالحق ووضع على الصدق. ولكن ضلّت اليهود والنصارى بتعريف تأويل الكلام، وتصريف تفسير الكتب. وأمير المؤمنين يسأل الله العِصمة والتوفيق.

(١) الوارد في إنجيل متى (فصل ٥ آية ٢٤ ج ٣ من الكتاب المقدس): «من سأل فأعطه. ومن أراد أن يفترض منك فلا تمنعه». والوارد في إنجيل لوقا (فصل ١١ آية ١٠ ج ٣ من الكتاب المقدس). «من يسأل يعطى ومن يطلب يجد ومن يقرع يفتح له».

من ذلك ما قد شهد به عيسى عليه السلام عندكم وبينه في الإنجيل لكم ، إذ قال للحواريين <sup>(١)</sup> : ”أنا أذهبُ وسيأتيكم البار قليط روح الحق الذي لا يتكلم من قبل نفسه إنما يقول كما يُقال له ، وهو يشهد علىّ وأنتم تشهدون لأنكم معي من قبل الناس بالخطيئة ، وكل شيء أعد الله لكم يخبركم به“ . وترجمة البار قليط : أحمد . هذا ما لا شك ولا مريبة فيه ، وهو الذي يُخبر بما وعد الله المؤمنين وصالحى الحواريين في القرآن ؛ ولستم تجدون ذلك في التوراة ولا في الإنجيل .

ومن ذلك قول أشعيا النبي عليه السلام : ”قيل لى : اقم بطارا ما ترى بخبرى؟ قال : أرى راكبين بعيرين مقبلين أحدهما يقول لصاحبه : سقطت بابل وأصنامها المنحوتة“ <sup>(٢)</sup> .  
ولسنا نعلم نبيا ركب بعد موسى صلى الله عليه وسلم بعيرا إلا محمدا صلى الله عليه وسلم كثيرا .  
ومن ذلك قول داود عليه السلام : ”اللهم ابعث جاعل السنة كي يعلم الناس أنهم بشر“ يقول : كي يتبين الناس أن عيسى عليه السلام إنسان . ولسنا نعلم نبيا وضع سنة تُنسب إليه إلا محمدا صلى الله عليه وسلم . أما عيسى فإنه نصب سنة موسى عليه السلام .

ومن ذلك قول حبقوق النبي <sup>(٦)</sup> في زمان دانيال : ”جاء الله من السماء والقديس من جبال فاران، وأمتلأت السماء من تجميد أحمد وتقديسه، ومسح الأرض يمينه، وملك رقاب الأمم“ <sup>(٨)</sup> . وقال أيضا : ”تضىء لنوره الأرض، وتُحمل خيله في البحر“ . فالى من

(١) راجع إنجيل يوحنا (فصل ١٤ آية ٢٦ وفصل ١٥ آية ٢٦ وفصل ١٦ آية ١٣ ج ٣ ص ١٨٨ من الكتاب المقدس) .

(٢) راجع نبوءة أشعيا (فصل ٢١ آية ٩ ج ٢ ص ٣٤٨ من الكتاب المقدس) . (٣) كذا بالأصل ، ولم نوفق الي تصحيحه . (٤) في الأصل : « المنحرة » وقد استأنسنا في اثبات ما أثبتناه بالكتاب المقدس .

(٥) راجع سفر الزمير (فصل ٩ آية ٢١ ج ٢ ص ٥٢ من الكتاب المقدس) . (٦) راجع نبوءة حبقوق (فصل ٣ آية ١٥ ج ٢ ص ٧٠٩ من الكتاب المقدس) . (٧) في الأصل : ”من السماء ...“ .

(٨) راجع نبوءة حبقوق (فصل ٣ آية ١٥ ج ٢ ص ٧٠٩ من الكتاب المقدس) .

ينحو هذا القول، وإلى أين يذهب بهذا المعنى؟ لئن ذهب به إلى غير الذي [تحمّل] خيله<sup>(١)</sup> في البحر، وبدأ من جبال فاران أمره، وغلب على الأرض ومسحها، ومَلَكَ رِقَابَ الأُمَمِ كلها، لقد تركتم الحق وأنتم تعلمون .

ومن ذلك قول داود عليه السلام في الزبور<sup>(٢)</sup>: ”صَدَّقُوا وَسَبَّحُوا الرَّبَّ تَسْبِيحًا حَدِيثًا سَبَّحُوا الَّذِي هَلَّلَهُ الصَّالِحُونَ . لِيَفْرَحَ إِسْرَائِيلُ بِخَالْقِهِ وَيَتُوبَ صَاهِبُونَ مِنْ أَجْلِ أَنْ اللَّهُ اصْطَفَى لَهُ أُمَّتَهُ ، وَأَعْطَاهُ النَّصْرَ وَسَدَّدَ الصَّالِحِينَ بِالكَرَامَةِ ، يَسْبِّحُونَهُ عَلَى مَضَاجِعِهِمْ ، وَيَكْبُرُونَ اللَّهَ بِأَصْوَاتٍ عَالِيَةٍ ، بِأَيْدِيهِمْ سِوْفٌ ذَاتُ شَفَرَتَيْنِ ، لِيَنْتَقِمَ اللَّهُ مِنَ الأُمَّمِ الَّذِينَ لَا يَعْبُدُونَهُ ، ثُمَّ يَقْبِضُ مَلُوكَهُمْ بِالْقَيْودِ وَأَشْرَافَهُمْ بِالْأَغْلَالِ“ . فَأَيُّمَا أُمَّةٍ يَكْبُرُونَ اللَّهَ بِأَصْوَاتٍ وَأَذَانِ الصَّلَوَاتِ الدَّائِمَةِ وَعَلَى كُلِّ شَرَفٍ وَعِنْدَ كُلِّ حَرْبٍ ، وَأَيُّمَا أُمَّةٍ كَانَتْ سِوْفُهَا ذَاتَ شَفَرَتَيْنِ إِلَّا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ !

ومن ذلك قول أشعيا<sup>(٥)</sup>: ”سَبَّحُوا الرَّبَّ تَسْبِيحًا حَدِيثًا ، وَيَسْبِّحُهُ مِنْ آفَاقِ الأَرْضِ<sup>(٦)</sup> فَرِحَ يَكُونُ فِي بَنِي فَيَارَ“ . وَبَنُو فَيَارَ قَرِيشُ أَهْلِ فَارَانَ الَّذِي نَزَلَ فِيهِ الْقُرْآنُ . وَأَيُّمَا أُمَّةٍ تَسْبِّحُ مِنْ آفَاقِ الأَرْضِ إِلَّا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . عَدَى أَعْدَى .

ومن ذلك قول أشعيا<sup>(٨)</sup>: ”عَبْدِي الَّذِي وَجِبَ بِهِ حَبِّي الَّذِي بَشَّرْتُ بِهِ نَفْسِي أُفِيضُ عَلَيْهِ رُوحِي ، يُوَصِّي الأُمَّمَ بِالْوَصَايَا ، لَا يَضْحَكُ وَلَا يُسْمَعُ صَوْتُهُ فِي الأَسْوَاقِ ، وَيَفْتَحُ العُيُونَ العُورَ ، وَيُسْمِعُ الأَذَانَ الثَّمَمَ ، وَيُنْحِي القُلُوبَ العُلْفَ ، وَمَا أُعْطِيهِ لَا أُعْطِي غَيْرَهُ ، أَحَدًا<sup>(٩)</sup> يَجْمَدُ اللَّهُ حَمْدًا حَدِيثًا ، تَهْلِيلُهُ يَأْتِي مِنْ أَفْصَى الأَرْضِ ، يَجُوزُ المَاءَ بِشِدَّةِ أَمْوَاجِهِ ، وَيَهْرَحُ وَكُورَهَا ، سَكَنَهَا يَجْمَدُونَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَرَفٍ ، وَيَكْبُرُونَهُ عَلَى كُلِّ رَابِيَةٍ“ .

(١) زيادة يدل عليها ما قبلها . (٢) في الأصل: ”ومنحها...“ . (٣) راجع سفر المزمير (فصل ١٤٩ آية ١ — ٩ ج ٢ ص ١٥٧ من الكتاب المقدس) . (٤) في الأصل ”هلكة الصالحون...“ . (٥) راجع نبوءة أشعيا (فصل ٤٢ آية ١٠ ج ٢ ص ٣٧٦ من الكتاب المقدس) . (٦) كذا في الأصل، ولعله محرف عن «فوج» . والفوج: الجماعة من الناس . (٧) كذا بالأصل، ولم ندر لها تين الكلمتين ولا لذكرهما معنى . (٨) راجع نبوءة أشعيا (فصل ٤٢ آية ١ — ١٠ ج ٢ ص ٣٧٦ من الكتاب المقدس) . (٩) كذا بالأصل .

(١) ومن ذلك قول داود عليه السلام في المزمور الخامس والأربعين، يقول الله عز وجل  
 لمحمد في الزبور: "انصبت رحمتي على شفيتك من أجل ذلك باركتك الدهر، تقلد<sup>(٢)</sup>  
 السيف على الأمم، أيها الجبار على الأمم بالقتل والأسر والسبأ بهك وحمدك أحمد بعلب  
 الرمنك كلمة الحق وذلت لك الأشياء سيفك محسمه يمينك ونبالك مسمومة وسقط  
 عند الأمم". فأى نبي كان على الأمم جبارا ولهم بإذن الله قتالا إلا نبينا صلى الله عليه وسلم.

(٤) ومن ذلك في آخر التوراة: "جاء الله تبارك وتعالى من سيناء وأشرف من ساعير  
 واستبان واستعلن من جبال فاران، وجاء عن يمينه ربوات القديسين". وتفسير هذا  
 أن الله عز وجل أنزل التوراة على موسى في طور سيناء، وأنزل الإنجيل على عيسى عليه  
 السلام في جبل ساعير وهو جبل بالشام، وأنزل القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم في جبال  
 فاران وهي بلاد مكة. وأتم تجدون ذلك في كتبكم مكررا وتعرفونه جميعا بلغتكم.

(٥) ومن ذلك قول الله عز وجل لموسى عليه السلام «سأقيم لهم من إخوتهم مثلك أجعل  
 كلامي على فهمه ولا يتكلم إلا بما أمره به». فن إخوة بني إسرائيل إلا بنو إسماعيل!  
 أما تعلم أن لو كان الله عز وجل يعني أحدا منهم لقال لهم: أقيم لكم نبيا منكم!

فإن قلتم إنما قال من إخوتكم، وهو يريد من أنفسكم، فهب أمير المؤمنين قبل هذا  
 الخلف منكم ووسع في هذا المجال لكم، فكيف تصنعون بقول الله عز وجل في التوراة:  
 "مثل موسى في بني إسرائيل لا يقوم" فهل تجدون من هذا محرجا، ومن الإيمان أن المعنى  
 وقع على محمد صلى الله عليه وسلم بدأ.

(١) راجع سفر الزمير (فصل ٤٤ « وفي بعض النسخ ٤٥ » آية ٣ — ٨ ج ٢ ص ٧٩ من الكتاب  
 المقدس). (٢) في الأصل: « في خمسة وأربعين زمورا ». (٣) في الأصل: « من  
 أجل ذلك باركل الدهر. واستعنا في تصحيحها بالكتاب المقدس الذي وردت فيه الجملة هكذا: « وقد انسكبت  
 النعمة على شفيتك فلذلك باركك الله الى الأبد ». أما الباقي فلم نوفق الى تصحيحه فأثبتناه كما وردت بالأصل.  
 (٤) راجع سفر تثنية الاشرع (فصل ٣٣ آية ٢ ج ١ ص ٤٤٣ من الكتاب المقدس).  
 (٥) راجع سفر تثنية الاشرع (فصل ١٨ آية ١٥ ج ١ ص ٣١٨ من الكتاب المقدس).

ألا تسمع قول الله عز وجل : "أَجْعَلُ كَلَامِي عَلَىٰ فَمِّهِ كَمَا يُعْنَىٰ بِهِ ، أُمَّيٌّ لَا يَقْرَأُ وَلَا يَكْتُبُ" .

أوليس قد أمر عيسى عليه السلام حَوَارِيَّهٖ أَنْ يَقُولُوا فِي صَلَوَاتِهِمْ : «يَا أَبَانَا الَّذِي فِي السَّمَاءِ تَقَدَّسَ اسْمُكَ» . كيف صار عيسى دونهم ابناً ، وصار له دونهم أباً ، وهم يقولون : يَا أَبَانَا ! أم كيف لم يُجْعَلْ سَلِيمَانُ بْنُ دَاوُدَ إِلَهًا وَقَدْ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِدَاوُدَ : «يُولَدُ لَكَ غُلَامٌ يُسَمَّى لِي وَأُسَمَّى لَهُ» ! ولم لا يجعلون إسرائِيلَ إلهًا وقد قال الله عز وجل له : «أَنْتَ بَكْرِي» ! بل لم لا يُسَمُّونَ الْمُؤْمِنِينَ عَامَّةً وَالْحَوَارِيَّينَ خَاصَّةً [آلهة] ، وقد قال المسيح للحواريين : أتم إخوتي ، وقد قال في الإنجيل : «أَعْطِ كُلَّ مَنْ آمَنَ بِي سُلْطَانًا يُدْعَىٰ لَهُ» . وإن كان هؤلاء كلهم للمسيح إخوة أفلا تجعلونهم كلهم آلهة ! وكيف يقولون : إن عيسى ابن الله ، وهو يقول في مواضع جمة وأما كن كثيرة إنه ابن الانسان ! فكيف يكون ابن الانسان ابن الله ؟ ومتى كان ذلك ؟ لئن قالوا : إن عيسى لم يزل ابن الانسان ، لقد جعلوا مع الله إنساناً قديماً وجعلوا الله إنساناً حديثاً ، وجعلوا المسيح ابن الله لم يزل ، وابن الإنسان فيما حَدَثَ . وهذه أمور متناقضة ، وحجج داحضة ، وأقاويل فاحشة .

فإن قالوا : إنما نعبد المسيح لأنه رُجِعَ إِلَى السَّمَاءِ ، فليعبدوا الملائكة فإنهم في السماء قبله ، وإدريس فقد رفعه الله وغيره . وإن كانوا يعبدون المسيح لأنه لم يُخَلِّقْ مِنْ ذَكَرٍ ، فَأَدْمٌ وَحَوَاءٌ لَمْ يُخَلِّقَا مِنْ ذَكَرٍ وَلَا أَنْثَى ، وَلَمْ يَقَعَا مِنْ غَمِّ الرَّحْمِ وَضَيْقِ الْبَطْنِ وَحَالِ الصَّبَا فِيمَا [وَقَعَ] فِيهِ الْمَسِيحُ .

وإن قالوا : إنما نعبد عيسى لأنه أحيأ الموتى ، فما أحيأ حزقيل أكثر ، وما كان من اليسع تلميذ إلياس أعجب ؛ لأنه أحيأ الموتى بعد مئتين من السنين . وإن طلبتم ذلك في سير الملوك عند قصة اليسع أصبتموه ، إن شاء الله .

(١) راجع إنجيل متى (فصل ٦ آية ٩ ج ٣ ص ١٠ من الكتاب المقدس) . (٢) في الأصل : «وصار دونه أبا ...» . (٣) لم نجد هذا في الإنجيل . (٤) حزقيل نبي بعثه الله تعالى إلى بني إسرائيل ، وهو الذي أحيأ الله القوم الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت ، فأحيأهم الله تعالى بعد موتهم بدهوته . وهو ما يشر إليه قوله تعالى : (ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت) الآية .

وإن كانوا إنما يعبدون المسيح من أجل الأسقام التي أبرأ والعجائب التي أرى ،  
 فعجائب موسى أعجب وآياته أعظم . أين ما ذكرت لك من [عجائب] عيسى من عجائب  
 موسى : من انقلاب البحر له ، وسلوك الجيش معه ! أم أين ذلك من حجر يضربه فينفجر  
 بعيون الماء ، ويحمله معه حيث شاء ! بل أين تلك وهذه وغير هذه من الآيات من حبس  
 يوشع الشمس ثلاث ساعات<sup>(١)</sup> ! وكل ما صنع موسى وعيسى وغيرهما بإذن الله وأمره وقدره  
 وقضائه . فاتق الله وكن من الفائزين بالحق ، الموحدون للرب ، ولا تقل على عيسى ما لم  
 يُقل ؛ فإنكم لا تجدونه قال لكم في شيء من كتبكم : اعبدوني فإني ربكم . تعالى الله عما يقول  
 الظالمون ، ويذهب إليه الجاحدون .

وإن أمير المؤمنين قد أحب أن ينصح لك ، في أولي داريك بك وأهم شأنك لك ،  
 فدعاك إلى الإسلام وأمرك بالإيمان الذي به تدخل الجنة وتتجو من النار . فإن قبلت  
 حفظك أصبت ، ونفستك أحرزت ، ولك ما للمسلمين ، وعليك ما عليهم . وإن رددت  
 نصيحة أمير المؤمنين فيما فيه الخطأ في آخرتك ، فإن أمير المؤمنين ينصح لك فيما فيه الصلاح  
 في عاجلتك : من إعطاء الجزية التي يحقن الله بها دماءكم ويحترم بها سبائكم ، ويجعلها قواماً  
 لمعاشكم ، وصلاًحاً لبلادكم ، وتوفيراً لأموالكم ، وأمنناً لجنابكم ، وسعةً لسريركم<sup>(٢)</sup> ، وبركةً على  
 نفرائكم ، وغنى لأهل الحاجة والفاقة والمسكنة منكم .

وان يذكر أمير المؤمنين في الجزية لكم من حلول الأمن فيكم ، وعموم العافية إياكم ،  
 وأستقامة البركة عليكم ، وكف أيدي المسلمين عنكم ، وبسطها على الأعداء منكم ، شيئاً إلا  
 وفي قليل ما كان من أشباه ذلك أيام تلك الفدية التي كان الله أجرى نعمتها لكم على يده ،  
 وفتح بركتها عليكم من قبله ، ما يدلُّكم على صدق أمير المؤمنين فيما يذكر ، ويشهد له على  
 حقه فيما يقول ان شاء الله . فقد تعلمون أن الله قد أدخل على كل طرف من أطرافكم ،

(١) إشارة إلى قصة يوشع بن نون فتي موسى عليهما السلام واستيقافه الشمس ؛ فقد روى أن يوشع قاتل  
 الجبارين يوم الجمعة ، فلما أدبرت الشمس للغروب خاف أن تغيب قبل فراغه ويدخل السبت فلا يحل له قتالهم فيه ،  
 فدعا الله تعالى ، فرد له الشمس حتى فرغ من قتالهم . (٢) السرير : الطريق .

وصنّف من أصنافكم، بتلك الفدية، أموراً عظيمة البركة، واسعة المنفعة، في أمورٍ غير واحدة :

منها : أن قادة جنودكم وساسة حربكم، كانوا بعد وقوع أمرها وأستحكام عقدها، فراغاً لمحاربة أعدائكم ومناصبية من ناوأكم، بين أن يستعجموهم في بلادهم ويتزلوا عليهم في ديارهم، ولا يرهبون تعقب بَشِيرٍ إن ساروا في أرضهم، ولا يتخوفون طراداً إن اجتمعوا لقتالهم أن يقيموا في خَفِضٍ ودعة، وأمنٍ وسعة، مع الأزواج والأولاد والعيال والأوطان والرباع والمحال، وهم اليوم يترقبون الجيوش من كل شعبٍ ويتخوفون الختوف في كل وقت، لا يهدأ لهم جأش، ولا يسكن لهم فزع، ولا ينام لهم ليل، ولا يأمن فيهم حال، قد قَطَعَتْ<sup>(٢)</sup> الهموم دابرتهم، وأضمرت المخاوف جنوبهم، وأستأصلت الجنودُ أموالهم .

ومنها : أن أهل الحِرَاثة وإخوان العمارة، في بلادك وأطراف أرضك، كانوا سراعاً الى عمارة أرضهم وإصلاح ما تحت أيديهم، فيما لا قوام لهم ولا معاشهم إلا به، ولا بقاء لدينهم إلا معه؛ قد آمنوا الجيوش ومعرّتها، والجنود وبادرتها، وانتشروا للعمارة، وأبتكروا في الزراعة، فارقوا رؤوس الجبال وإقام الغياض، وراحوا في أوساط أوطانهم وظلال محالهم، يشققون الأنهار، ويفرسون الأشجار، ويؤججرون العيون، حتى نمت الأموال، وأخضرت الحال، وأخصب الجنباب، وأصبحوا اليوم عن الزراعة ممسكين، وللحِرَاثة تاركين، وبغيرها مشغولين في إصلاح آلات الحرب، وإحراز العيال في الحصون، ورمّ القلاع للبلاء، وتحريش الحصون للبلاء، قد أنتقلوا عن منابت البر وكرائم الأرض، ومجارى المياه، الى أوшал الجبال، وأشجار الغياض، وبطون الأودية؛ فليس يبغون من عمارة بلادهم، ولزوم أوطانهم، [و] من تناول ثمارهم وقوام معاشهم مثل ما كانوا يبغون، ولا يتالون من خفص العيش وطيب الأمن ولذة الدعة، قريباً مما كانوا يتالون .

(١) كذا في الأصل . (٢) في الأصل : «لا سكن لهم الخ» .

ومنها : أن إخوان التجارات ، وأصحاب الأموال وأهل الظَّف والحافر ، كانوا يتناولون ما شاركهم من بلادنا وما قاربهم من أسواقنا ، فينفقون تجارتهم ويُغلبون بضائعهم ، فتعظم الأرباح وتضعف الأثمان . وكانت الباعة من تجار المسلمين وغيرهم من الذميين ، يتناولونهم للبيع لهم ويتناولونهم للشراء منهم ، فعمت البركة وسهلت المنفعة ، حتى نالت الرعاء في جبالها وأهلها ، والنساء في غزولهن وعمل أيديهن فضلا عن غيرهن .

ومنها : أنك ومن قبلك من ذوى العبادة والزهادة والتأله والنسك والنيات ، كنتم على عافية من أيام الرضا بالحرب ، وسلامة من أوزار الخص على قتال الخوف ، قد تجوتم من معصية المسيح في الدنيا التي نهاكم عنها ، والأمور التي أمركم بها ، من نحو قوله : ” من لطم خدك الأيمن فأمكنه من الأيسر ، ومن أتزع قيصك فأعطه كساءك ، ومن لطمك فأغفر له ، ومن شتمك فأعرض عنه “ .

ومنها : أن من بأقاصى بلادك ونواحي حوزتك ، قد ذاقوا تلك الأيام من لذة الخفض ، ودعة الحال ، وحلاوة الأمن ، ورفاهية العيش ، وسعة العافية من سبأ أزواجهم ، وهيب أولادهم ، وحطم معاشهم ، وأسر رجالهم ، وغنمة بقرهم وغنمهم ، وإفساد شجرهم وثمارهم ، وإجلاء عن مساكنهم وأوطانهم ، ما لم يكن لهم رأى يعرفه ، ولا ظن يبلغه ، ولا طمع يقاربه ، ولا أمل يذهب إليه . وما قد عرفت الخاصة من بطارقتكم ، والعامه من أهل ملتكم به : من رأفتكم بهم ، ورحمتكم لهم ، وشفقتكم عليهم ، وأثرتكم إياهم ، وبركة ولايتكم ملكهم ، ومنفعة سياستكم أمرهم ، ما قد ازدادوا لكم به محبة ، وفي بقائكم رغبة ، ولأمركم طاعة ، وولى ملككم شفقة ، وفيما نابكم نصيحة ، مع ما قد آزددمت بذلك من الهيبة في صدور الأعداء ، والشرف في قلوب النظراء ، والعظم في عيون الأمم ، حتى أقروا لكم بقوة عزائم العقول ، وفضل سياسة الأمور ، وصحة تدبير الملك ، وصدق النية ، ولطف الحيلة التي

(١) في الأصل : ” من بلادهم ... “ . (٢) كذا في الأصل . (٣) راجع إنجيل متى (فصل ٥ آية ٣٩ ج ٣ ص ٩ من الكتاب المقدس) .

جعلوا نسبة عملكم بها ، ومحل رأيكم فيها ؛ على أنكم نظرتم لضعفائكم حتى قووا ، ولفقرائكم حتى استغنوا ، ولقرانكم حتى بسوا وحيو وهووا المسلمين من أيام الحروب وأوزار القتال ، ومعصية المسيح عليه السلام ، ولأعدائكم الأبعدين وجيرتكم الأقربين ، حتى كنتم من فراغكم لهم ، وأشتغالكم من أمركم بها ما أوطأتموه لحر ببحر القتل ، وذلل الأسر وغلبة القهر ، والإذعان والاستسلام . وإما كيفتموهم بالصلح ، وأستوثقتم منهم بالرهن .

فاذا ذكرت ما كان من هذا وأشباهه وأمثاله في الفدية ، فاعلموا أن أمثاله وأضعافه مقيم معكم في الجزية ، فلا يكون لك رأى غيرها ولا أمر سواها ؛ فلقد أكثر أمير المؤمنين العجب من أمركم ، وأطال تقلاب الفكرة في بعضكم ، فظن أن إخراجكم من جميع ما كنتم فيه الى خلافه مما أصبحتم عليه من انتظار وقعات الحروب ، ووصولات الجنود وأكل الحدود ، وتوقع الجلاء والسب والقتل ، والأسر والحصر ، شيئا آخذتكم الله عز وجل فيه عن أنفسكم وكيداً أستدرركم به لما علم من قلوبكم .

ألا إن أعجب عذركم وأفظعه كان عند أمير المؤمنين إذ بلغه جرأتكم على الله عز وجل في نقض عهده ، وأستخفافكم بحقه في خفر ذمته ، وتهاونكم بما كان منكم ، وأتمتعتمون أن موثيق العهود ونذور الأيمان الذي وضعه الله عز وجل حرماً بين ظهراني خلقه ، وأماناً أفاضه في عبادته ، لتسكن إليه نفوسهم ، وتطمئن به قلوبهم ، وليتعاملوا به فيما بينهم ، ويسيروا به من دنياهم ودينهم ؛ فما من ملك من الملوك ولا أمة من الأمم ، تبيح حرمي الله عز وجل ، تهاونا به وجرأة عليه ، إلا أجرى الله عليهم دائرة من دول الأعداء ، وأنزل عليهم عذاباً من السماء . وقد رجا أمير المؤمنين أن يجرى الله نعمته منكم بأيدي المسلمين ، بعد إذ كان أعتقد عهدكم ، وأخذ ميثاقكم بالأيمان المغالطة ، والعهود الموكدة ، التي قد اعتقدها في رقابكم ، وحملها على ظهوركم ، فأشهدتم الله بها على أنفسكم ، وتسامع بها من حولكم ، وحكم بها بطارقتكم وأساقفتكم . فلا الله أتقيتم ، ولا من الناس أستحيتم ، نكثاً للعهد ، وبغضاً للمسلمين ،

وَحَتَرًا بِالْأَمَانَةِ، وَإِبَاحَةً لِلْحَمَى . فتوقعوا العقوبة، وانتظروا الغيب؛ فلقد وثق أمير المؤمنين أن من عذاب الله ما هو حالٌّ إن شاء الله بكم .

ومن أسباب ما يريد الله من الانتقام منكم، ما قد أزعج أمير المؤمنين وعزم عليه، وقذف الله في قلبه: من الإرادة والنية والرغبة في إبطاء الجيوش بلادكم، واستبَاء المقاتلة أرضكم، والتفرُّغ لكم من كل شغل، والإيثار للجهادكم على كل عمل، حتى تؤمنوا بالله وأنتم طائعون أو كارهون، وتؤدُّوا الجزية عن يدٍ وأنتم صاغرون . فكونوا على عدة من الجزية، ويقين من الاتِّجاع الذي لا طاقة لكم إن شاء الله به، ولا صبر لكم بإذن الله عليه؛ فان جنود أمير المؤمنين فارغة كثيرة، وخزائمه عامرة وافرة، ونفسه سخية بالإنفاق، ويده مطلقة بالبذل، والمسامون نَسَاط اليكم، منقلبون عليكم، قد عودهم الله في لقاءكم عادة يرجون آنتظار مثلها، وأبلاهم في قتالكم بلاء من أمثلها، إن شاء الله .

وكتاب أمير المؤمنين نذيره بين يدي جنوده، ومُقدِّمه إن شاء الله من جيوشه، إلا أن تؤدُّوا الجزية عن التي دعاك أمير المؤمنين إليها، وحداك ومن قبلك عليها، رحمةً للضعفاء الذين لا ترحمهم، وتوجَّعا للمساكين مما لا توجَّع منه لهم من الجلاء والسبَاء والقتل والأسر والقهر، وقساوة من قلوبكم، وأثرة لأنفسكم، واعتصاما بنجواصكم، وإجلاء لعوامكم الضعفاء الفقراء المساكين الذين لا تمنعونهم بقوة، ولا تدفعون عنهم بحيلة، ولا تراقبون في الرحمة لهم والتعطف عليهم، أدب المسيح إياكم، وقوله في الكتاب لكم: <sup>(١)</sup> "طوبى للذين يرحمون الناس؛ فإن أولئك أصفياء الله ونور بني آدم".

وأيام الله لو يعلم من قبلك من المساكين والزراعيين والفقراء والضعفاء والعملة بأيديهم، ما لهم عند أمير المؤمنين لتحدروا عليه وأقبلوا إليه، من إيوائهم؛ وإنزالهم الأرض الواسعة، وإمكانهم من مسايل المياه السائحة، والعدل عليهم بما لا تباهه أنت ولا تقاربه، رفقاً بهم ونظراً لهم وإحساناً إليهم، مع تخليته إياهم واديانهم، لا يُكرههم على خلافها ولا يجبرهم على

(١) راجع إنجيل متى (فصل ٥ آية ٧ ج ٣ ص ٧ من الكتاب المقدس) .

غيرها ، لأختاروا قرب أمير المؤمنين على قربك ، وجواره على جوارك ، ولأنقذوا أنفسهم<sup>(١)</sup> وأموالهم وأولادهم وأزواجهم وعيالاتهم ، مما يحل بهم في كل عام ويلقون من كل غزاة . فاتق الله وأقبل ما عُرِضَ عليك من الجزية ، ولا يمنعك ما فيه الحظ لك ولأهل مملكك . ونحن على رجاء أن الله لا يؤخر ذلك منكم ويدفعه عنكم ، إلا ليجعله على يد أهل بيت النبوة والرحمة ، ولأهل الورثة فيهم للكتاب والحكمة ، الذين لا يدخل عليكم في الإذعان [لهم] وأداء الجزية إليهم حميةً ولا نقيصة ولا عار ، والذين يقفون لكم بما يعقدون ، ويتبعون فعلهم ما يقولون .

ثم أمير المؤمنين بخاصة لما جعل الله عليه رأيه وفيه نظره من البر والرحمة والإسقاط والوفاء بالعقود والعهود والشروط ، نظراً لدينه وخوفاً من ربه ، ولما قذف الله في قلبه وقلوب المساميين من المحبة والطاعة والأثرة ، ولما جعلهم الله عليه من اجتماع الكلمة ، واتفاق الأئمة ، والنصائح في السر والعلانية ، وما عوّده الله ممن نصب له بمجادبة ورماء بمكيدة ، وعراه بحيلة : من النصر العزيز ، والفتح القريب ، والظفر المبين . فابذل من الجزية ما شئت ، وسمّ منها ماهويت . وأعلم أن أمير المؤمنين ليس يحدوك عليها لحاجة به إليها ولا للمساميين ، ولكن طاعة لربه وأثرة لحقه ، وليجعلها سبباً لما يريد أن يجري فيما بينه وبينكم . وإنه إنما كان قبول المهدي — رحمه الله — الفدية منكم ، بطلبة أمير المؤمنين كانت إليه ، والحاجة كانت فيها عليه ؛ ولم يكن من رغبة فيها ، ولا حاجة إليها ، ولا استعظام لها ، ولقد كان يعطى في المجلس الواحد مراراً أمثالها ، ولكن ذلك كان رأى أمير المؤمنين يومئذ فيكم . فأما اليوم إذ استبان له غدركم وتفضكم ونكثكم وأستخفافكم بدينكم وجرأتكم على ربكم ، فليس بين أمير المؤمنين وبينكم : إلا الاسلام أو الحرب المجلية ، ان شاء الله . ولا حول بأمير المؤمنين ولا قوة إلا بالله ؛ عليه يتوكل وبه يثق وإياه يستعين . والسلام على من أتبع الهدى .

(١) في الأصل : "ولأبتدلوا ... " . (٢) كذا في الأصل وهو غير واضح ولعل أصل الجملة "ولا يمنعك انشيطان ما فيه ... الخ" فسقط هذا أو نحوه سهواً من النسخ . (٣) كذا في الأصل .

## ٣ - رسالة يحيى بن زياد في تقيظ الرشيد

أما بعدُ، فإنني أسأل الله لأمير المؤمنين في غير أموره ، أحسن ما عودَه في سالفها من السلامة التي حرسه بها من المكاره، والعز الذي قهر له به الأعداء، والنصر الذي مكن له في البلاد، والهدى الذي وهب له به المحبة، والرفق الذي أدركه به الحلب ، والأستصلاح الذي آتت له به الرعية، حتى يكون بما أعطاه من ذلك، وما هو مُستقبل به منه، أبعَد خُلفائه في الخير ذكراً ، وأبغاهم في العدل أثراً، وأطولهم في العمر مدَّةً ، وأحسنهم في المعاد منقلباً .

ثم نحمد الله الذي جعل نعمته على أمير المؤمنين شواهد منه على منزلته منه ومكانه عنده ، لا يحتاج معها الى شهادات المثنين ، ولا صفات المقرّطين ، ثم جعل ذكر نعمته على أمير المؤمنين ومناصحتها والمجاهدة لمن كادها فريضةً أوجبها على العباد ، ومحبةً أمتحنهم بها ، وفوقاً يميز به بينهم ، فمن أصبح من رعيته أكثر شغله أن يستعمل لسانه في صفته ، وذكر محاسنه وفضائله ، ووجوب حقه وطاعته ؛ فقد أصبح أثراً أولى الأمور وأحسنها مغبةً في دنياه ودينه ؛ ومن بدل ذلك عن قدرة عليه ، ودفعه بعد معرفة ، فلم يدعه إلا عن خذلان حاق به ، أو بدعة استمالت به ؛ كانت حجة الله لأمير المؤمنين عليه هي الكافية لمؤنتبه . وقد كان علماء الناس وجهالهم يسوون في عام المعرفة بفضل أمير المؤمنين ؛ فأما الخاص فلاهل الفضل فيه فضلهم ، غير أنه مهما كان من ذلك فقد أصبحوا وهم فيه على منازل ثلاث : حاسدٌ حجب الحسد بصره عن مواقع الصواب أن يراه ، والنعمة أن يشكرها ، والحق أن يؤدبه ؛ وكانت معرفته عليه وبألا ، وحسده الى الضربه قائداً .<sup>(١)</sup> أو دوهوى قاده الهوى الى البدعة وأخرجته الضلالة من الجماعة ، فهو عرضة لسوء الأدب أو سيف النكال ، لم يوحش الله أحداً بفقده ، ولم يعزر أحداً بموالاته . وموفق معصوم استنقذه [الله]<sup>(٢)</sup>

(١) في الأصل : « الغير » . (٢) في الأصل : موفق معصوم ثم استنقذه بمولاة الخ .

بمؤالاة أمير المؤمنين من غل الحسد ويدع الآراء وجبله على صححة الهوى ، فهو إن نظر فبعينه ينظر، وإن قال فبلسانه يقول ، لا يأمن حتى يعلم أن أمير المؤمنين قد أستوتطأ مهاد الخفض ، ولا يزال له طليعة رأي توفى على حطة حرم وغامض فطنة ، تغفل الى لطيف منفعته و [تكون] سهم مكيدة نحو عروة ، قد علم أن يوم أمير المؤمنين يومه ، وأن غده غده ، فهو وإن تعرض لأداء الحق في نصيحته ينظر لنفسه نظر من لا يأمل السلامة إلا بسلامته ، ولا البقاء إلا ببقائه . وقد رجوت بالقرابة التي جعلها الله لي به ، والواجب الذي عرفته من حقه ، والعظيم الذي حملته من معرفته ، ألا يكون أحد ينظر اليه بعين الإشفاق أقوم ما جعله الله أهله مني ، فإن أبلغ الذي أردت فبتوفيق الله ، وإن أقصر فعن مثل ما حاولت قصر المجتهد .

فأول ما أنا ذا كره من فضله : أن الله قدم له الصنع في سابق علمه ، فجعل محنته خير المحائد عنصراً ، ثم أختار له أباً فأباً لا ينقله من أب الى أب إلا نقل معه وإليه فضيلة العنصر الذي هو منه حتى صيره بعد فضائل آبائه الى أفضل بدنه ، فكان خير خليف من خير سلف ، وأفضل ولد من أفضل أبوة ، وأرضى إمام من أركى أئمة ؛ ثم أختار له مكارم الأخلاق ، وألبسه جمال الصورة ، فلا نعلم نحن ولا آباؤنا خليفة أبعد في حلمه من ذل ، ولا في هيئته من تجبر ، ولا في شدته من عنف ، ولا في لينه من وهن ، ولا في أناته من غفلة ، ولا في اقتصاده من مجل ، ولا في بذله من إضاعة ، ولا أرق وجهها عند لقاء ، ولا أحسن بشرًا عند تحية ، ولا أغزر دمعاً عند موعظة ، ولا ألين قياداً عند تذكير بالله منه .

(٢) ثم أفضت اليه الخلافة وفي المال ما فيه من القلة ، وفي الناس ما فيهم من الإحراج ، فما دفع عن مال يعطيه عن قلة ، ولا قطع عادة توسعة على رعيته ؛ ثم أستدر الحلب برقيقه ، فكما دزله منه شخب فوقه طائفة من جنده حتى سقاهم بعد التفويق رياً ، وبعد النهل

(١) في الأصل : "عورة" . (٢) الاحراج : الضيق وفي الأصل . "الاستخراج" .  
 (٣) الشخب (بالضم) : ما خرج من تحت يد الحالب عند كل غمرة وعصرة للضرع . (٤) فوقه الشيء .  
 أعطاه إياه قليلاً قليلاً .

عَلَا؛ ثم ساس رعيته بألين السياسة فعفا عن مذبها ولو شاء لعاقب، وأمن خائفها ولو  
 طلب لأدرَك، ودفع بالحسنة السيئة ولو كافأ لقدَر، فما برح صنع الله له يفض مجموع  
 الضلالة بلا قتال، ويُعزله النصر بلا مكاثرة، حتى فرغ بشغله من كان لا يفرغ من الوزراء،  
 ونام بسره من كان لا ينام من العامة، وأطمأنت بنا آتته<sup>(١)</sup> للأسفار دار من كان لا ينال  
 الخفض من الجنود حتى استوطئوا مركب الأمن فكلهم ضنين بمفارقة. أما ذو النية فرك  
 الى التقص. وأما من لا يبدله ففعل ما كان يؤخذ به من الاستكراه. وأما الحشر من الجند  
 والرعا فغلبت عليهم عادة الهوينا، حتى لو رأيناه يجذبه الأمر فما يجد له الأمر غناء عنده  
 ولا نشاطا ولا حدا إن وكله الى قوته، وقواه بماله.

فلما رأى ما رأى من تحاذل العامة، وتواكل الجنود، وتزور الفئء، وجهود الحلب،  
 واستكلاب العمال على الخيانة، وجرأة الرعية على منع الحق، ومال الفراغ بكثير من الناس  
 عن القصد، فتحزكت الأهواء، واستعرت نيران العصبية، وجاشت صدور الحسدة  
 وأشياهم بالأمانى، وظنوا أن لا شدة معه، وأن عفوه لا نكير بعده، وأمير المؤمنين  
 يرمقهم بعين بصيرة، وأذن مصيخة، وقلب يقظان؛ وقد وفر الحلم أن يخف لأول بوادر  
 السفهاء، فهو ينتظر بالمُدبر أن يقبل، وبالمسائد أن يعتدل، وبالمغلوب على رأيه أن يتذكر  
 فيبصر، شمر في إثرهم تسمير من قدم الروية قبل العجلة، والعمو قبل العقوبة، والتثبت  
 قبل الإقدام، فاتخذ روابط أتجها على الجلد والنشاط، ليست لهم سوايق تدعوهم الى  
 الإدلال، وتسمو بهم الى كثير لم ينالوه؛ إنما همهم أن يتفاضلوا في النجدة، ويستوجبوا  
 بالغناء، ثم فزقهم على خواص خدمه، فإذا أراد أن يتناول بهم فرصة ممكنة، أو عدوا غاط،  
 أوراتق فتق قبل الساعة، يغمس يديه الى أيهم أراد، فينفذ لأمره ولم يشركه فيه مشير،  
 ولم يخرج به توقيع، ولم يخص فيه عاقمة، ولم يطالع منه على مكيدة، فلم نعلم أننا رأينا جندا

(١) في الأصل : « بما آتته » . (٢) في الأصل : « إن وكله الى قوته ولا نشاطا ولا حدا وقواه

بماله » . (٣) غاط : دخل .

أسرع نهضةً إذا مروا ، وأحسن إجابةً إذا دُعوا ، وأفضل غناءً إذا استكفوا من جُنده .  
ثم قصّد بنفسه حتى مثل بين النواحي الى اهمّها له فسأداً في البيضة ، وانتقاصاً من  
الأطراف ، فأتى ناحية الشام فوطئها وطأة جمع الله بها لهم شتات الفرقة ، وأحمد بها بينهم  
نار الفتنة .

وأما الجزيرة فإنه ألناها وهي كالجرح النغل ، فاستأصل الله به منها شافة الداء ، وأطفاً به  
عنها بوادر السفهاء ؛ وخير أمير المؤمنين من منزله الذي هو به منزلاً جمع من بسطته  
في الموضع ، ورأهيته في المعاش ، أنه حامل للجنود ، جامع للرافق ، فباشراً أمره أمراً ،  
حتى إذا استدير له منها مبرم ، استقبل بعده جسام متقض ؛ وإذا أشحن من ثغوره ثغراً  
لم يرّض حتى يفتح من حصون أعدائه حصنا ، وإذا قضى الله عنه حجة ، وصل خطوه  
منها عزاً ؛ ثم رأينا ما عزم الله به عليه من ترك الصوائف صواباً للذي كان من غموظ  
أهل الشام لما كانوا فيه من النعمة ، فلم نتشكك في أنه توفيق من الله له وافق سُخطاً  
عليهم حتى استباحوا الحرم ، وتسافكوا الدماء ، ونقضوا ما بينهم من مبرم حبل الإسلام .

ومن ذلك أن أرمينية كانت فيها جنود تُخرج عليهم أطعم تحمل اليها ، بعد أعرافهم  
بإخراجهم الأموال من كور الشام ، فلما رأى ذلك فعل كذا وكذا ، فلم يتوكل على الله في أمر  
فوكّه الى نفسه ، ولم يكتف به في حفظ طرف أو قاصية ثغر إلا كفاه مؤنثه ، وعلم أن  
ما يخل من أضعاف العافية من عوارض العلل ، إنما هو بتقدير من الله لا يمتنع بعذر ،  
ولا يستطيع دفعه بحيلة ، يصيب فيه أقواماً بالبلايا والتحصيص ، ويقسم فيه لأقوام الأجر  
والجهاد والسعادة ، فرأى أن في عاجل ما يرفع عن أهل أرمينية من ضرر مؤنثهم  
وعمطهم نفعاً للرعية ، وإجمالاً للثيء ، ورفقاً بالعامة مع اقتصاده في الأبواب على أكثاف  
سجيتها ، وفي سائر أرمينية على المقاتلة من أهلها ، ولم يزل منذ أراه الله ذلك ، يكفيه مؤونة  
ذلك الثغر ، ويكف عنه بوائقه ، حتى كأنه في هدوء الأحداث عنه ، وسكون الأفتدة من

(١) الصوائف : جمع صائفة وهي الغزوة في الصيف .

رَوَعَاتِهِ مِصْرَ مِنَ الْأَمْصَارِ ، وَإِسْطُ الْحَلَّةِ مَأْمُونُ النَّائِرَةِ . فَلَمَّا آغْتَمَ خَاقَانَ مَا آغْتَمَ ، وَآتَهَزَ  
الْفُرْصَةَ مُبَادِرًا ، لِمَا قَدْ آيَقَنَ مِنْ مَعَالِجَةِ الْمُؤْمِنِينَ إِيَّاهُ ، فَكَأَنَّهُ حِينَ بَلَغَهُ ذَلِكَ مِنْ إِعْظَامِهِ  
إِيَّاهُ بِسَبَبِهِ لَهُ ، وَمَا أَنْصَبَ فِيهِ مِنْ بَدَنِهِ ، وَأَسْهَرَ فِيهِ مِنْ لَيْلِهِ ، وَأَنْضَبَ فِيهِ مِنْ نَهَارِهِ ، لَمْ يَعْلَمْ  
الَّذِي يَكُونُ مِنْ أَشْتَبَاهِهِ فِي الْأَزْمِنَةِ الْمَاضِيَةِ قَبْلَهُ ، وَأَنَّهُ بِذَلِكَ لِحُدِّ عَالَمٍ ؛ غَيْرَ أَنَّ حِمِيَّتَهُ  
لِلْإِسْلَامِ وَشَفَقَتَهُ عَلَيْهِ وَآمْتَعَاضَهُ مِنْ أَنْ يَتَنَاوَلَ شَيْءٌ مِنْ أَطْرَافِهِ ، قَدْ زَادَ ذَلِكَ عِنْدَهُ قَدْرًا  
فِي الْعِظَمِ ، وَتَفَاقُمًا فِي الْخَطْبِ ، حَتَّى أَكَلَ الْبَعْثُ بِأَكْثَرِ الْعَدَدِ ، وَأَكَلَ الْعُدَّةَ ، وَأَسْتَقْتَلَ  
أَهْلَ الْكُورِ وَالْأَمْصَارِ ، وَنَدَبَ لَهُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ مَنْ لَمْ يَتْرِكْ بَعْدَهُ نَهَابِيَّةً فِي التَّخْيِيرِ ؛ وَكَانَ  
قَدْ صَرَفَ بِالْهَيْبَةِ إِلَى هَذَيْنِ الثَّغْرَيْنِ مِنَ الْخَزَرِ وَالرُّومِ ، وَإِلَى هَذَيْنِ الْعَدُوِّينِ الْمُحَارِبِينَ لَهُ مِنْ  
الْمَارِقَةِ الْمُتَعَصِّبَةِ .

فَلَمَّا بَلَغَ اللَّهُ فِي إِحْكَامِ أَمْرِهِمَا مَا بَلَغَ ، لَمْ يَسْتَعْنِ عَنِ إِعَادَةِ النَّظَرِ فِي أَمْرٍ غَيْرِهِمَا مِنْ  
نَوَاحِيهِ لِيَسْتَبْرِيَّ بِهِ ، وَإِرَادَتِهِ فِي أَقْوَامٍ يُدَافِعُ ظُنُونَهُمْ بِهِ فِي أُخْرَى ، وَعَلِمَ غَيْرَهُمَا أَنَّ مَا شَمِلَ  
مَنْ بِمَدِينَةِ السَّلَامِ مِنَ الْأَمْنِ وَالْفَرَاحِ نَتِيجَةُ مَكْرُوهُةٍ ، فَشَخَّصَ عَنْهَا لِتَحْقِيقِ ذَلِكَ مُؤَثِّرًا  
لِلْأَبْغَضِ وَطَنِيهِ عَلَى أَحَبِّهِمَا وَأَخْشَنَ عَيْشِيهِ عَلَى أَلْيَنِيهِمَا ؛ فَلَمَّا ظَهَرَتْ لَهُ الْعَوْرَةُ أَقْدَمَ لِأَقْدَامِ  
ذِي الْحُجَّةِ ، فَلَمْ يَرْمِثْهَا نَارًا خَبَتْ ، وَسَجَابَةَ أَفْشَعَتْ ، لَمْ يَسْفِكْ بِهَا دَمَ أَمْرِيٍّ مُسْلِمٍ صَبْرًا ،  
وَلَمْ يَتَمَكَّ فِيهَا حُرْمَةً مَحْرَمٍ إِبَاحَةً .

وَذَلِكَ أَنَّهُ بَسَطَ يَدَهُ بَسْطًا مِنْ يُرِيدُ الْأَسْتِصْلَاحَ لَا مِنْ يُرِيدُ الْإِنْتِقَامَ ، فَلَمْ يَلْبَثِ الظَّالِمُ  
أَنْ رَجَعَ عَنْ ظَلْمِهِ ، وَالنَّاطِقُ أَنْ صَمَّتْ عَنِ بِدْعَتِهِ ، وَالنَّاكِثُ أَنْ رَجَعَ إِلَى قَصْدِهِ ، وَأَزْدَادُ  
الْبِرِّ عَلَى الْبِرَاءَةِ فَرِحُوا ، وَالسَّالِمُ بِالسَّلَامَةِ آغْتَبَاطًا ، وَلَمْ تَرْمِثْهُ فِيهَا أَفْضَى اللَّهُ بِهِ إِلَيْهِ مِنْ  
خِلَافَتِهِ ، وَحَمَلَهُ مِنْ أُمُورِ عِبَادَتِهِ ؛ أَمَا لَيْلُهُ بِمُنَاجَاةِ رَبِّهِ فِيهَا وَاسْتِعَانَتِهِ إِيَّاهُ عَلَيْهِمَا فَسَاهَرُ ؛  
وَأَمَا نَهَارُهُ فِي حَلْبِ فِيئِهَا وَإِحْكَامِ أُمُورِهَا فَتَعَبٌ ؛ وَأَمَا صَدَقَاتُهُ عَلَى فَقْرَائِهَا وَأَهْلِ الْحَاجَةِ  
بِخَارِيَّةٍ ؛ وَأَمَا مَجْلِسُهُ مِنْ فُقَهَائِهَا وَصُلَحَائِهَا فَغَاصٌّ ؛ وَأَمَا غِلْظَتُهُ عَلَى ظَالِمِهَا فَعَتِيدَةٌ ؛ وَأَمَا  
أَفْضَالُهُ لِمُظْلَمِهَا فَهَبْسُوطَةٌ ؛ وَلِئِنْ كَانَ الْحَقُّ أَلْزَمَ أَقْوَامًا اسْتَوْجَبُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ ،

إنا لنعلم أن ما ترك أكثر، وأنه لولا ما خفف من الوطأة على أقوام حمل الواحد منهم مثل الذي حمّله للجميع ، ولكنه رضى بالعمو، وسخا نفساً عن الاستقصاء، فأوجب أن يبسط يداً بغلظة ويتبعها أخرى بلين؛ فكان من ذلك نظره في هذه البقايا التي هي فيء المسلمين ومال الله ، غير أن الله جعله قيمه فيه ، وفي أخذه وصرفه في وجوهه ؛ فلما رأى ضراوة العمال بها ومصانعتهم دونها ، وأن قد صارت كالتسنة اللازمة لا يدعها عفيفهم تورعاً ، ولا شريفهم تنزهاً ، أحبّ مع توفيره للمسلمين فيهم ، أن يحدث لهم أديباً يفطم به عنهم أهل الضراوة ، ويعرف به ذوو الاستخفاف بالأمانة ، والأمر للتبعة ؛ أن عليهم من تفقده وأديه عيناً ترمق ، ويذاً تقبض ، ولو أنه حين هم بأخذ تلك البقايا حمل على المؤسر بقدر يساره ، وأخذ المعسر بطاعته ، كان قد أنصف ، كلاً ! ولكنه أحبّ أن يستبق قوة ، ولا يبلغ من المكثر جهداً ، واقتصر بهم على العشر من ذلك ، كرمًا في القدرة حين رأى موضع الرفق ، وتجاوفاً عن العلة حين عرف مكان الغدر؛ فأى نعمة أعظم ، وأى بلاء أحسن من هذه البقايا ! كانت في أيديهم جماماً ، فلما أطلع طلوعها ، وأخذ ما أخذ ، وترك ما ترك ، محلاً مع ما جعل الله في ذلك من [ كلمات ] المقصر من العمال المؤذية التي لم تكن تعدو أفواههم ، فليس منهم أحدٌ إلا وكان منه له واعظ ألا يكسر شيئاً من الخراج تضييعاً ، أو يأخذ غلواً (١) أو ينفقه إسرافاً ، أو يتركه إرهاباً .

فلما تفرغ من علاج الداء الخوف وأستأصله ، ومن الفئء المتفرق بجمعه ، ومن الأمور المعطلة فأحكمتها ، أستخلف على القيام بذلك من يحويه عقله عن حذر ، ولا إضاعة عن حفظ ، ولا لين عن تشدد ، ولا يستحل الأكل عن نقض ما أبرم ، ولا مزاولة ما أحكم ، ولا فتح ما أغلق ، ولا إغلاق ما فتح ، فلان خيرة أبويه ، ومح بيضته ، وجوهر أرومته ، الفاتت سبقاً ، البين عدواً ، الراشح عرقاً ، المنفجر بجرأ ، المحمود أمراً ، القائل فصلاً ،

(١) الضراوة : اللهج بالثاء والإغراء به . (٢) في الأصل : « لهم » والسياق يقتضى ما أثبتناه .

(٣) وضمتنا هذه الكلمة لأنها تنفق والسياق ، ومكانها في الأصل بياض . (٤) الغلول : الطعام أو الشراب

الذي يدخل في الجوف .

الحاكم عدلاً، ثم أنصرف بما أفاده الله من الأجر الى جناحه الذي كان مده على من خلف من الأهل والأموال والرايا والجنود، فلان سليله صلبه، وثمره قلبه، المحتك مع ققاء سنه عقلاً، والمأمون مع شدة شكيمة حملاً، والمحصد مع لينه وتعطفه أمراً، الشبيه بأمر المؤمنين إن نطق نطقاً، وإن نظر لحظاً، وإن سُئل جوداً، وإن اهتصر عوداً، وإن ساس رفقاً، وإن غضب حماً، وإن وصف عاباً، وإن كلم فهماً، وإن قدر عفواً، وإن لقي بشراً، وإن نازع فلجاً، وإن قارع ظفراً؛ فكان عند ظنه به، رعايةً للحُرمة، وحرماً في المكيدة، وحلباً للفيء، وحياطةً للغائب، ومباشرةً للشاهد؛ هذا قليلٌ من كثير. مما جعلك الله أهلاً، وإنما اقتصرْتُ عليه لأني رأيت المتكلمين من الخطباء تركوه، وأن ما سمعت من الكتب المقروءة لم تنظمه، فأجبتُ أن يعلم أمير المؤمنين أن له في كلِّ أمرٍ عملٌ به في رعيته حجة واضحة، وعدراً معروفاً، إن قام به متكلمٌ في خاصية حسن موقعه، وإن قُرئ به كتابٌ في عامة، قويت به حجته .

والحمد لله الذي جعله وذريته أولياء هذه النعم، والمخصوصين بهذه الفضائل، ونسأله أن يُبقية وإياهم للدين الذي سد بهم عورته، والحق الذي أقر بهم جادته، والعدل الذي أوضح بهم أعلامه، حتى يكونوا ورثة هذه الأمة وخلفاءها في غابر الدهر، وباقيات الأيام؛ مستقلين بالعدل، موقفين للسداد، معصومين من الشبهات، مستوحيين مع فضائل الدنيا لأفضل كرامات المعاد . والسلام .<sup>(١)</sup>

(١) هذه الرسالة ورسالة أبي الربيع محمد بن الليث السابقة من كتاب اختيار المنظوم والمنثور لابن طيفور .

## كتب الرشيد

### ١ - كتاب عهد البيعة<sup>(١)</sup>

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا كتاب لعبد الله هارون أمير المؤمنين ، كتبه محمد بن هارون أمير المؤمنين في صحبة من عقله ، وجواز من أمره ، طائفاً غير مكره ؛ إن أمير المؤمنين ولأني العهد من بعده ، وصير البيعة لي في رقاب المسلمين جميعاً ، وولي عبد الله بن هارون أمير المؤمنين العهد والخلافة ، وجميع أمور المسلمين بعدى ، برضا منى وتسلم ، طائفاً غير مكره . وولاه خراسان وثغورها ، وكورها وحرها ، وجندتها وخراجها ، وطرازها وبريدها ، وبيوت أموالها وصدقاتها ، وعشرها وعشورها ، وجميع أعمالها في حياته وبعده ؛ وشرطت لعبد الله هارون أمير المؤمنين ، برضا منى وطيب نفس ، أن لأخى عبد الله بن هارون على الوفاء بما عقد له هارون أمير المؤمنين : من العهد والولاية والخلافة ، وأمور المسلمين جميعاً بعدى ، وتسليم ذلك له وما جعل له من ولاية خراسان وأعمالها كلها ، وما أقطعه أمير المؤمنين من قتيعة ، أو جعل له من عقدة أو ضيعة من ضياعه ، أو ابتاع من الضياع والعقد ، وما أعطاه في حياته وصحته من مال ، أو حلي أو جوهر ، أو متاع أو كسوة ، أو منزى أو دواب ، أو قليل أو كثير ؛ فهو لعبد الله بن هارون أمير المؤمنين ، موقراً عليه مسأماً له . وقد عرفت ذلك كله شيئاً شيئاً ، فإن حدث بأمر المؤمنين حدث الموت ، وأفضت الخلافة الى محمد ابن أمير المؤمنين ، فعلى محمد إنفاذ ما أمره به هارون أمير المؤمنين ، في تولية عبد الله بن هارون أمير المؤمنين خراسان وثغورها ، ومن ضم إليه من أهل بيت أمير المؤمنين بقرمسين ، وأن يمضى عبد الله ابن أمير المؤمنين الى خراسان والرئى ، والكور<sup>(٢)</sup>

(١) هذا العهد ورد في تاريخ يعقوبى (ج ٢ ص ٥٠٢ طبعه ليدن) وفيه عبارات تخالف ما أثبتناه هنا

عن الطبرى . (٢) قرمسين : موضع بين الزبيدية ومكة .

التي سماها أمير المؤمنين حيث كان عبد الله ابن أمير المؤمنين من معسكر أمير المؤمنين وغيره، من سلطان أمير المؤمنين، وجميع من ضمّ إليه أمير المؤمنين حيث أحبّ من لدن الرّبيّ الى أقصى عمل خراسان، ليس لمحمد ابن أمير المؤمنين أن يحول عنه قائداً ولا مقوداً ولا رجلاً واحداً ممن ضمّ إليه من أصحابه الذين ضمّهم إليه أمير المؤمنين؛ ولا يحول عبد الله ابن أمير المؤمنين عن ولايته التي ولاة إياها هارون أمير المؤمنين : من ثغور خراسان وأعمالها كلّها، ما بين عمل الرّبيّ مما يلي همدان الى أقصى خراسان، وثغورها وبلادها، وما هو منسوب إليها ولا يتخصه إليه؛ ولا يفرق أحداً من أصحابه وقواده عنه، ولا يؤلّي عليه أحداً، ولا يبعث عليه ولا على أحد من عماله وولاة أموره بنداراً ولا محاسباً ولا عاملاً، ولا يدخل عليه في صغير من أمره ولا كبير ضرراً، ولا يحول بينه وبين العمل في ذلك كلّ برأيه وتدييره، ولا يعرض لأحد ممن ضمّ إليه أمير المؤمنين من أهل بيته وصحّابته، وقضّاته وعمّاله، وكتّابه وقواده، وخدمه ومواليه وجنده، بما يلتمس إدخال الضرر والمكروه عليهم في أنفسهم، ولا قراباتهم ولا مواليتهم، ولا أحد يتنسل منهم؛ ولا في دنائهم ولا في أموالهم، ولا في ضياعهم ودورهم، ورباعهم وأمتعتهم، ورقيقهم ودوابهم، شيئاً من ذلك صغيراً ولا كبيراً؛ ولا أحد من الناس بأمره ورأيه وهواه، وبترخيص له في ذلك، وإدهان منه فيه لأحد من ولد آدم، ولا يحكم في أمرهم، ولا أحد من قضّاته ومن عماله، وممن كان بسبب منه، بغير حكم عبد الله ابن أمير المؤمنين ورأيه ورأى قضّاته؛ وإن نزح إليه أحد ممن ضمّ أمير المؤمنين الى عبد الله ابن أمير المؤمنين، من أهل بيت أمير المؤمنين وصحّابته، وقواده وعمّاله وكتّابه وخدمه، ومواليه وجنده، ورقض اسمه ومكتبته ومكانه مع عبد الله ابن أمير المؤمنين، عاصياً له، أو مخالفاً عليه، فعلى محمد ابن أمير المؤمنين رده الى عبد الله ابن أمير المؤمنين، بصغره له وقمّاء<sup>(٢)</sup>، حتى ينفذ فيه رأيه وأمره، فإن أراد محمد ابن أمير المؤمنين خلع عبد الله ابن أمير المؤمنين عن ولاية العهد من بعده، أو عزّل عبد الله ابن أمير المؤمنين

(١) البندار : الحافظ . (٢) القاء : الذل والخضوع .

عن ولاية خراسان ، وثغورها وأعمالها ، والذي من حدّ عملها مما يلي همدان ، والكُور التي سماها أمير المؤمنين في كتابه هذا ، أو صرّف أحد من قواده الذين ضمّهم أمير المؤمنين إليه ، ممن قدّم قَرَمَاسِينَ ، أو أن يتنقّصه قليلا أو كثيرا ، مما جعله أمير المؤمنين له ، بوجه من الوجوه ، أو بجيلة من الحيل ، صغرت أو كبرت ، فاعبد الله بن هارون أمير المؤمنين الخلافة بعد أمير المؤمنين ، وهو المُقَدَّم على محمد بن أمير المؤمنين ، وهو وليُّ الأمر من بعد أمير المؤمنين ، والطاعة من جميع قواد أمير المؤمنين هارون ، من أهل خراسان وأهل العطاء ؛ وجميع المسلمين في جميع الأجناد والأمصار لعبد الله بن أمير المؤمنين والقيام معه ، والمجاهدة لمن خالفه ، والنصر له والدّبُّ عنه ، ما كانت الحياة في أبدانهم ، وليس لأحد منهم جميعا من كانوا أو حيث كانوا أن يخالفه ولا يعصيه ، ولا يخرج من طاعته ؛ ولا يطيع محمد بن أمير المؤمنين في خلع عبد الله بن هارون أمير المؤمنين ، وصرّف العهد عنه من بعده إلى غيره ، أو تنقصه شيئا مما جعله له أمير المؤمنين هارون ، في حياته وصحته ؛ وأشترط في كتابه الذي كتبه عليه في البيت الحرام ، وفي هذا الكتاب ؛ وعبد الله بن أمير المؤمنين المصدّق في قوله ، وأتم في حلّ من البيعة التي في أعناقكم محمد بن أمير المؤمنين هارون ، إن نقص شيئا مما جعله له أمير المؤمنين هارون ، وعلى محمد بن هارون أمير المؤمنين أن ينقاد لعبد الله بن أمير المؤمنين هارون ، ويُسلم له الخلافة ؛ وليس لمحمد بن أمير المؤمنين هارون ، ولا لعبد الله بن أمير المؤمنين ، أن يخلعا القاسم بن أمير المؤمنين هارون ، ولا يقدموا عليه أحدا من أولادها وقرباتها ، ولا غيرهم من جميع البرية ؛ فإذا أفضت الخلافة إلى عبد الله بن أمير المؤمنين ، فالأمر إليه في إمضاء ما جعله أمير المؤمنين من العهد للقاسم بعده ، أو صرّف ذلك عنه إلى من رأى من ولده وإخوته ، وتقديم من أراد أن يقدم قبله ، وتضمير القاسم بن أمير المؤمنين بعد من يقدم قبله ، يحكم في ذلك بما أحب ورأى ؛ فعليكم معشر المسلمين إنقاد ما كتب به أمير المؤمنين في كتابه هذا ، وشرط عليهم وأمر به ؛ وعليكم السمع والطاعة لأمر المؤمنين فيما ألزمكم وأوجب عليكم لعبد الله بن أمير المؤمنين ؛

وعهدُ الله وذمته وذمة رسوله صلى الله عليه وسلم وذم المسلمين ، والعهود والمواثيق التي أخذ الله على الملائكة المُقَرَّبِينَ والنَّبِيِّينَ والمرسلين ، ووَكَّدها في أعناق المؤمنين والمسلمين ، لَتَفَنَّ لعبد الله أمير المؤمنين بما سَمِيَ ، ولمحمد وعبد الله والقاسم بنَي أمير المؤمنين بما سَمِيَ ، وكتب في كتابه هذا وأشترط عليكم ، وأقررتم به على أنفسكم ؛ فإن أتمم بدلتم من ذلك شيئاً ، أو غيرتم أو نكثتم ، أو خالفتم ما أمركم به أمير المؤمنين ، وأشترط عليكم في كتابه هذا ، فبرئت منكم ذمة الله ، وذمة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم ، وذم المؤمنين والمسلمين ، وكل مالٍ هو اليوم لكل رجل منكم ، أو يستفيده إلى خمسين سنة فهو صدقةٌ على المساكين ، وعلى كل رجل منكم المثنى إلى بيت الله الحرام الذي بمكة خمسين حجة ، نذراً واجباً ، لا يقبل الله منه إلا الوفاء بذلك ؛ وكل مملوك لأحد منكم ، أو يملكه فيما يستقبل إلى خمسين سنة حرّاً ، وكل امرأة له فهي طالق ثلاثاً البتة ، طلاق الحرج لا مثنوية فيها ، والله عليكم بذلك كفيلاً وراعٍ ، وكفى بالله حسيباً .

٢ - نسخة الشرط الذي كتب عبد الله بن أمير المؤمنين

بخط يده في الكعبة

هذا كتاب لعبد الله هارون أمير المؤمنين ، كتبه له عبد الله بن هارون أمير المؤمنين ، في صحبة من عقله ، وجوازٍ من أمره ، وصدق نية فيما كتب في كتابه هذا ؛ ومعرفة بما فيه من الفضل والصلاح له ولأهل بيته وجماعة المسلمين .

إن أمير المؤمنين هارون ولأني العهد والخلافة ، وجميع أمور المسلمين في سلطانه ، بعد أخى محمد بن هارون ؛ وولاني في حياته تُفُور خراسان وكورها وجميع أعمالها ، وشرط على محمد بن هارون الوفاء بما عقد لي من الخلافة ، وولاية أمور العباد والبلاد بعده ، وولاية خراسان وجميع أعمالها ، ولا يعرض لي في شيء مما أقطعتني أمير المؤمنين ، وأبتاع لي من الضياع والعقد والرِّباع ، وأبتعت منه من ذلك ، وما أعطاني أمير المؤمنين من الأموال ، والجواهر والكساء ، والمتاع والدواب ، والرقيق وغير ذلك ؛ ولا يعرض لي ولا لأحدٍ من

عمالي وكتابي بسبب محاسبة، ولا يتبع لي في ذلك، ولا لأحد منهم أبداً، ولا يدخل عليّ ولا عليهم، ولا على من كان معي؛ ومن استعنت به من جميع الناس مكروهاً في نفس ولا ديم ولا شعراً ولا بشيراً ولا مالاً، ولا صغيراً من الأمور ولا كبيراً، فأجابه الى ذلك وأقر به، وكتب له كتاباً أكد فيه على نفسه، ورضى به أمير المؤمنين هارون، وقبّله وعرف صدق نيته فيه؛ فشرطتُ لأمر المؤمنين، وجعلتُ له على نفسي أن أسمع لمحمد، وأطيع ولا أعصيه؛ وأنصح ولا أغشه، وأوفى ببيعتي وولايته، ولا أعدر ولا أنكث، وأنفذ كُتبه وأموره، وأحسِن مؤازرته وجهاد عدوه في ناحيتي؛ ما وقي لي بما شرطتُ لأمر المؤمنين في أمرى، وسميتُ في الكتاب الذي كتبه لأمر المؤمنين، ورضى به أمير المؤمنين، ولم يتبني بشيء من ذلك، ولم ينقض أمراً من الأمور التي شرطها أمير المؤمنين لي عليه؛ فإن احتاج محمد ابن أمير المؤمنين إلى جُنْدٍ، وكتب إليّ يأمرني بإشخاصه إليه، أو إلى ناحية من النواحي، أو إلى عدو من أعدائه خالفه، أو أراد نقض شيء من سلطانه أو سلطانى الذى أسنده أمير المؤمنين إلينا، وولانا إياه، فعلى أن أنفذ أمره، ولا أخالفه ولا أقصر في شيء كتب به إليّ؛ وإن أراد محمد أن يوئى رجلاً من ولده العهد والخلافة من بعدى، فذلك له ما وقي لي بما جعله أمير المؤمنين إليّ، وأشترطه لي عليه، وشرط على نفسه في أمرى؛ وعلى إنفاذ ذلك والوفاء له به لا أنقض من ذلك ولا أغيره ولا أبدله ولا أقدم قَبلاً أحداً من ولدى ولا قريباً ولا بعيداً من الناس أجمعين؛ إلا أن يوئى أمير المؤمنين هارون أحداً من ولده العهد من بعدى، فيلزمى ومحمدًا الوفاء له، وجعلتُ لأمر المؤمنين ومحمد عليّ الوفاء بما شرطتُ وسميتُ في كتابى هذا، ما وقي لي محمد بجميع ما اشترط لي أمير المؤمنين عليه في نفسى، وما أعطانى أمير المؤمنين من جميع الأشياء المسماة في هذا الكتاب الذى كتبه لي؛ وعلى عهد الله وميثاقه، وذمة أمير المؤمنين وذمتى، وذمة آبائى وذمة المؤمنين؛ وأشدُّ ما أخذ الله على النبيين والمرسلين من خلقه أجمعين، من عهوده وموآثيقه، والأيمان المؤكدة التى أمر الله بالوفاء بها، ونهى عن نقضها وتبديلها؛ فإن أنا نقضتُ شيئاً مما شرطتُ

وسميت في كتابي هذا، أو غيرت أو بدلت أو نكثت أو غدرت، فبرئت من الله عز وجل، ومن ولايته ودينه، ومجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولقيت الله يوم القيامة كافرا مشركا؛ وكل امرأة هي لي اليوم، أو أتزوجها إلى ثلاثين سنة طالق ثلاثا البتة، طلاق الحرج؛ وكل مملوك هو لي اليوم، أو أملكه إلى ثلاثين سنة، أحرار لوجه الله؛ وعلى المشي إلى بيت الله الحرام الذي بمكة ثلاثين حجة، نذرا واجبا على في عني، حافيا راجلا لا يقبل الله مني إلا الوفاء بذلك؛ وكل مال لي أو أملكه إلى ثلاثين سنة هدى بالغ الكعبة، وكل ما جعلت لأمر المؤمنين، وشرطت في كتابي هذا لازما لي، لا أضمر غيره، ولا أنوى غيره. وشهد سليمان بن أمير المؤمنين، وفلان وفلان. وكتب في ذي الحجة سنة ست وثمانين ومائة.

### ٣ - نسخة كتاب الرشيد الى العمال

بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد، فإن الله ولي أمير المؤمنين وولي ما ولاه، والحافظ لما استرعاه، وأكرم به من خلافته وسلطانه، والصانع له فيما قدم وأخر من أموره، والمنعم عليه بالنصر والتأييد في مشارق الأرض ومغاربها، والكالئ والحافظ والكافي من جميع خلقه، وهو الحمود على جميع آلائه، المسئول تمام حسن ما أمضى من قضائه لأمر المؤمنين وعادته الجميلة عنده، وإلهام ما يرضى به ويوجب له عليه أحسن المزيد من فضله؛ وقد كان من نعمة الله عز وجل عند أمير المؤمنين وعندك وعند عوام المسلمين ما تولى الله من محمد وعبد الله أبي أمير المؤمنين من تبليغه بهما أحسن ما أملت الأمة ومدت إليه أعناقها، وقذف الله لهما في قلوب العامة من المحبة والمودة والسكون اليهما والثقة بهما لعماد دينهم وقوام أمورهم وجمع ألفتهم وصلاح دهمائهم ودفع المحذور والمكروه من الشتات والفرقة عنهم حتى ألقوا اليهما أزمتهما، وأعطوهما بيعتهما، وصفقات أيمانهم بالعهود والمواثيق ووكيد الأيمان المغلظة عليهم؛ أراد الله فلم يكن له مرد، وأمضاه فلم يقدر أحد من العباد على نقضه ولا إزالته، ولا صرف له عن محبته ومشيتته، وما سبق في علمه منه؛ وأمير المؤمنين يرجو تمام النعمة

عليه وعليهما في ذلك، وعلى الأمة كافة لعاقيب لأمر الله ولا راداً لقضائه ولا معقب لحكمه؛ ولم يزل أمير المؤمنين منذ اجتمعت الأمة على عقد العهد لمحمد ابن أمير المؤمنين من بعد أمير المؤمنين، ولعبد الله ابن أمير المؤمنين من بعد محمد ابن أمير المؤمنين يُعْمَلُ فكره ورأيه ونظره ورويته، فيما فيه الصلاحُ لهما ولجميع الرعية؛ والجمع للكلمة، واللّم للشعث، والدفع للشئات والفرقة، والحسم لكيد أعداء النعم من أهل الكفر والتفاق، والغسل والشقاق، والقطع لآمالهم من كل فرصة يرجون إدراكها وأتهازها منهما بانتقاص حقهما، ويستخير الله أمير المؤمنين في ذلك ويسأله العزيمة له على مافيه الخيرة لهما، ولجميع الأمة والقوة في أمر الله وحقه وأتتلاف أهوائهما، وصلاح ذات بينهما، وتحصينهما من كيد أعداء النعم، ورد حسدهم ومكرهم وبغيهم وسعيهم بالفساد بينهما، فعزم الله لأمر المؤمنين على الشخوص بهما الى بيت الله وأخذ البيعة منهما لأمر المؤمنين بالسمع والطاعة والإنفاذ لأمره، وأكتاب الشرط على كل واحد منهما لأمر المؤمنين ولهما بأشد المواثيق والعهود، وأغلظ الأيمان والتوكيد، والأخذ لكل واحد منهما على صاحبه بما ألتبس به أمير المؤمنين اجتماع ألفتها ومودتها وتواصلها ومؤازرتها ومكاتفتهما على حسن النظر لأنفسهما، ولرعية أمير المؤمنين التي أسترعاها، والجماعة لدين الله عز وجل وكتاباه وسُنن نبيه صلى الله عليه وسلم، والجهاد لعدو المسلمين من كانوا وحيث كانوا وقطع طمع كل عدو مظهر للعداوة ومسر لها، وكل منافق ومارق، وأهل الأهواء الضلالة المضلة من فرقة تكيد بكيد توقعه بينهما، وبدحس يدحس به لهما، وما يلتبس أعداء الله وأعداء النعم وأعداء دينه من الضرب بين الأمة والسعي بالفساد في الأرض، والدعاء الى البدع والضلالة، نظراً من أمير المؤمنين لدينه ورعيته، وأمة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، ومناصحة لله ولجميع المسلمين، ودباً عن سلطان الله الذي قدره وتوحد فيه للذي حمّله إياه؛ والاجتهاد في كل ما فيه قرينة الى الله، وما يتال به رضوانه والوسيلة عنده .

فلما قَدِمَ مَكَّةَ أَظْهَرَ لِمُحَمَّدٍ وَعَبْدِ اللَّهِ رَأْيَهُ فِي ذَلِكَ وَمَا نَظَرَ فِيهِ لِهَما، فَصَلَا كُلَّ مَادَعَاهِما  
إِلَيْهِ مِنَ التَّوَكُّيدِ عَلَى أَنْتَفِيسِها بِقَبُولِهِ ، وَكَتَبَا لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فِي بَطْنِ بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ بِمَخْطُوطِ  
أَيْدِيهِما بِمُحَضَّرٍ مِنْ شَهِدِ الْمَوْسِمِ مِنْ أَهْلِ بَيْتِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَقَوَادِهِ ، وَصَحَابَتِهِ وَقُضَاتِهِ ، وَحِجَّةِ  
الْكَعْبَةِ وَشَهَادَاتِهِمْ عَلَيْهِما ، كَتَّابِينَ اسْتَدْعَاهُما أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ الْحِجَّةَ ، وَأَمَرَ بِتَعْلِيقِهِما فِي دَاخِلِ  
الْكَعْبَةِ ؛ فَلَمَّا فَرَّغَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ فِي دَاخِلِ بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ وَبَطْنِ الْكَعْبَةِ ؛  
أَمَرَ قُضَاتِهِ الَّذِينَ شَهِدُوا عَلَيْهِما وَحَضَرُوا كِتَابَهُما أَنْ يُعْلِمُوا جَمِيعَ مَنْ حَضَرَ الْمَوْسِمَ مِنَ الْحَاجِّ  
وَالْعُمَّارِ وَوَفُودِ الْأَمْصَارِ ، مَا شَهِدُوا عَلَيْهِ مِنْ شَرَطِهِما وَكِتَابِهِما وَقِرَاءَةَ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ ، لِيُفْهَمُوا  
وَيَعُوهُ وَيَعْرِفُوهُ وَيَحْفَظُوهُ وَيُؤَدُّوهُ إِلَى إِخْوَانِهِمْ وَأَهْلِ بِلْدَانِهِمْ وَأَمْصَارِهِمْ ، فَفَعَلُوا ذَلِكَ ،  
وَقُرِئَ عَلَيْهِمُ الشَّرْطَانِ جَمِيعًا فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ؛ فَانصَرَفُوا وَقَدْ اسْتَهْرَ ذَلِكَ عِنْدَهُمْ ، وَأَثْبَتُوا  
الشَّهَادَةَ عَلَيْهِ ، وَعَرَفُوا نَظَرَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَعِنَايَتَهُ بِصِلَاحِهِمْ ، وَحَقَّنَ دَمَائِهِمْ وَلَمْ شَعَثَهُمْ ،  
وَإِطْفَاءَ بَحْمَرَةِ أَعْدَاءِ اللَّهِ وَأَعْدَاءِ دِينِهِ وَكِتَابِهِ وَجَمَاعَةِ الْمَسَالِمِينَ عَنْهُمْ ، وَأَظْهَرُوا الدُّعَاءَ  
لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَالشُّكْرَ لِمَا كَانَ مِنْهُ فِي ذَلِكَ ، وَقَدْ نَسَخَ لَكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ذَيْنَكَ الشَّرْطَيْنِ  
الَّذِينَ كَتَبَهُمَا لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَبْنَاءَ مُحَمَّدٍ وَعَبْدِ اللَّهِ فِي بَطْنِ الْكَعْبَةِ فِي أَسْفَلِ كِتَابِهِ هَذَا ؛  
فَأَحْمَدَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى مَا صَنَعَ لِمُحَمَّدٍ وَعَبْدِ اللَّهِ وَلِيِّ عَهْدِ الْمَسَالِمِينَ حَمْدًا كَثِيرًا ، وَأَشْكِرُهُ  
بِبِلَائِهِ عِنْدَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَعِنْدَ وَلِيِّ عَهْدِ الْمَسَالِمِينَ وَعِنْدَكَ وَعِنْدَ جَمَاعَةِ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ  
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَثِيرًا ؛ وَأَقْرَأَ كِتَابَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَنْ قَبْلَكَ مِنَ الْمَسَالِمِينَ وَأَفْهِمَهُمْ إِيَّاهُ ،  
وَقُمْ بِهِ بَيْنَهُمْ وَأَثْبَتَهُ فِي الدِّيْوَانِ قَبْلَكَ ، وَقَبَلَ قَوَادِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَرَعِيَّتَهُ قَبْلَكَ ، وَأَكْتُبُ إِلَى  
أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا يَكُونُ فِي ذَلِكَ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ . وَحَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ، وَبِهِ الْحَوْلُ  
وَالْقُوَّةُ وَالطَّوْلُ . كَتَبَهُ اسْمَاعِيلُ بْنُ صَبِيحٍ يَوْمَ السَّبْتِ لِسَبْعِ لَيَالٍ بَقِيْنَ مِنَ الْمُحَرَّمِ سَنَةِ  
سِتِّ وَثَمَانِينَ وَمِائَةٍ .

## باب المنظوم

صورتنا لك بالمجلد الأول حالة الشعر في صدر الدولة العباسية وذكرنا لك جملة صالحة من شعراء ذلك العصر ووعدناك بذكر مختارات من شعرهم، وإليك ما وعدناك به .

١ - بَسَّارُ بْنُ بُرْدِ الْعُقَيْلِيِّ<sup>(١)</sup>

سأله المهدي لما دخل عليه فقال له : فيمن تُعْتَدُّ بِبَشَارِ؟ فقال : أمَّا اللسان والزبي فَعَرَّيَانِ ، وأما الأصل فَعَجَمِيٌّ ، كما قلتُ في شعري يا أمير المؤمنين :  
وَبَنَيْتُ قَوْمًا بِهِمْ جَنَّةٌ \* يقولون من ذا وكنتُ العَلَمَ  
ألا أيها السائلُ جاهِدًا \* ليعرفني أنا أنفُ العِكرَمِ

(١) هو أبو معاذ بشار المرعي بن برد ، أشعر محضري الدولتين ، ورأس الشعراء المحدثين ، ومهد طريق الاختراع ، والبداع للتفننين ، وأحد البلغاء المكفوفين . وأصله من فرس طخارستان من سبي المهلب بن أبي صفرة ، ووقع ملك أبويه لبني عقيل بن كعب ، فنشأ بشار فيهم وترى في منازلهم ، واختلف إلى الأعراب الصاريين بالبصرة حتى خرج نابغة زمانه في الفصاحة والشعر . وكان أكمه مجدور الوجه ، قبيح المنظر ، مفرط الطول ، ضخيم الخنثى ، متوقد الذكاء ، صادق الحس ، لطيف الدراية ، شديد المجون والاستخفاف بالناس ، كثير الاستهتار بالدين ، قليل المبالاة للوقوع فيه ، متهمًا بالزندقة شعوبيا ، متعصبا على العرب ، شديد التبرم بالناس ، نهاشا لأعراضهم ، لا يسلم من لسانه خليفة ولا سوقة ، وكان من سعادة الرجل من أهل البصرة ألا يعرف بشارا ولا بشار يعرفه ، فإنه إن لم يصبه في عرضه أصابه في ماله . وقال بشار الشعر ولم يبلغ عشرين ، وما بلغ الحلم إلا وهو مخشئ معزة لسانه . وقد أجمع رواة الشعر وتقده على أن بشارا هو رأس المحدثين وأسبقهم إلى معاطاة البديع ، وطرق أبواب المجون والخلاعة والغزل الرقيق الحضري والهجاء المقذع .

وأنه أول من جمع في شعره بين جزالة العرب ورقة المحدثين ، وفتق عن المعاني الدقيقة ، والأخيلة اللطيفة ، حتى عد شعره برزخا بين الشعر القديم والحديث ، ومجازا يعبر عليه الشعر من مراع البداوة إلى مقاصير الحضارة .  
وقد طرق كل باب من أبواب الشعر التي عرفت قبله وأرنب عليها ، وغلب عليه الهجاء والتشبيب بالنساء والخروج به عن الحد المألوف عند أهل زمانه ، حتى أنكزه عليه العلماء والمتورعون لما رأوا من سوء أثره في شبان البصرة .  
وقد نهاه المهدي عن التشبيب ، فكان إذا مالت له نفسه يذكر منه ما يشاء ويقول : إن الخليفة منعه من كذا وكذا وأنه له مطع .

وضمن ذلك بعض قصائد مدح بها الخليفة ، فلم يزد على أن حرره الجائزة ، وشجعه على ذلك وزره يعقوب بن داود ، وكان متورطا ، فهجأها ، فكان ذلك إلى زندقته سبب قتله . توفي سنة ١٦٧ هـ وقد نيف على التسعين . وتجد ترجمته في الأغاني (ج ٣ ص ١٩ وج ٦ ص ٧) وابن خلكان (ج ١ ص ٨٨) والشعر والشعراء (ص ٤٧٦) والفهرست (ص ١٥٩) .

نَمَتْ فِي الْكَرَامِ بَنِي عَامِرٍ \* فَرُوعِي وَأَصْلِي قُرَيْشُ الْعَجَمِ  
فَإِنِّي لِأَغْنَى مَقَامِ الْفَتَى \* وَأُصْبِي الْفِتَاةَ فَمَا تَعْتَصِمُ

وكان أبو ذؤلامه حاضراً ، فقال : كلاً ! لَوْجَهْكَ أَقْبَحَ مِنْ ذَلِكَ ، وَجَهِي مَعَ وَجْهِكَ ،  
فقال بشار : كلاً ! والله ما رأيت رجلاً أصدق على نفسه وأكذب على جليسه منك ، والله  
إني لطويلُ القامة ، عظيمُ الهامة ، تامُّ الألواح ، أُنْبِجُ الحَدِيدَ ، ولربُّ مُسْتَرْتَمِي المَزورين  
للعين فيه مُرَاد . ثم قال له المهدي : من أيِّ العجم أصلك ؟ فقال : من أكَثَرِهَا  
في الفُرسان وأشدّها على الأقران ، أهل طَخَارِسْتان ، فقال بعضُ القوم : أولئك الصغد ،  
فقال : لا ! الصغد تجار ، فلم يردّد ذلك المهدي .

وكان بشار كثير التلون في ولّائه ، شديد التشيع والتعصب للعجم ، مرّة يقول يفتخر  
بولائه في قيس :

أَمِنْتُ مَضْرَّةَ الْفُحْشَاءِ إِنِّي \* أَرَى قَيْسًا تُسَبُّ<sup>(١)</sup> وَلَا تُضَارُ  
كَأَنَّ النَّاسَ حِينَ تَغِيْبُ عَنْهُمْ \* نَبَاتُ الْأَرْضِ أَخْطَأَهُ الْقِطَارُ  
وَقَدْ كَانَتْ بِنْدَمَرٍ خَيْلُ قَيْسٍ \* فَكَانَ لِتَدْمُرٍ فِيهَا دِمَارُ  
بِحَيٍّ مِنْ بَنِي عَيْلَانَ شُويسٍ \* يَسِيرُ الْمَوْتُ حَيْثُ يُقَالُ سَارُوا  
وَمَا نَلَقَاهُمْ إِلَّا صَدْرَنَا \* يَرِيٌّ مِنْهُمْ وَهُمْ حِرَارُ

ومرة يتبرأ من ولاء العرب فيقول :

أَصْبَحْتُ مَوْلَى ذِي الْجَلَالِ وَبَعْضُهُمْ \* مَوْلَى الْعَرِيبِ بِحُدِّ بَفْضِكَ فَانْفِرِ  
مَوْلَاكَ أَكْرَمُ مِنْ تَمِيمِ كُلِّهَا \* أَهْلُ الْفِعَالِ وَمِنْ قُرَيْشِ الْمَشْعَرِ  
فَارْجِعْ إِلَى مَوْلَاكَ غَيْرِ مُدَافِعٍ \* سَبْحَانَ مَوْلَاكَ الْأَجَلِّ الْأَكْبَرِ

وقال يفتخر بولاء بني عقيل :

إِنِّي مِنْ بَنِي عَقِيلِ بْنِ كَعْبٍ \* مَوْضِعُ السِّيفِ مِنْ طَلِي الْأَعْنَاقِ

(١) تشب : تزداد وترتفع .

وولد بشار أعمى، فما نظر إلى الدنيا قط، وكان يشبه الأشياء بعضها ببعض في شعره،  
فيأتي بما لا يقدر البصراء أن يأتوا بمثله؛ فقليل له يوما وقد أنشد قوله:

كأن مثار النقع فوق رعوسنا \* وأسيفنا ليل تهاوى كواكبهُ

ما قال أحد أحسن من هذا التشبيه، فمن أين لك هذا ولم تر الدنيا قط ولا شيئا فيها؟  
فقال: إن عدم النظر يقوى ذكاء القلب ويقطع عنه الشغل بما ينظر إليه من الأشياء،  
فيتوفر حسه وتذكور بحتة؛ ثم أنشدهم قوله:

عميت جنينا والذكاء من العمى \* بحثت عجيب الظن للعلم مؤثلا  
وغاض ضياء العين للعلم رافدا \* بقلب إذا ما ضيع الناس حصلا  
وشعر كنور الروض لآء مت بينه \* بقول إذا ما أحن الشعر أسهلا

وكان من أشد الناس تبرما بالناس. وكان يقول: الحمد لله الذي ذهب ببصرى.  
فقليل له: ولم يا أبا معاذ؟ قال: لئلا أرى ما أبغض.

قال الأصمعي: بشار خاتمة الشعراء، والله لولا أن أيامه تأخرت لفضلته على كثير منهم.  
وقيل لأبي عبيدة: أمروان أشعر أم بشار؟ فقال: حكم بشار لنفسه بالاستظهار،  
إنه قال ثلاثة عشر ألف بيت جيد، ولا يكون عدد الجيد من شعر شعراء الجاهلية  
والإسلام هذا العدد، وما أحسبهم برزوا في مثلها، ومروان أمدح للوك.

وسئل الأصمعي عن بشار ومروان أيهما أشعر؟ فقال: بشار؛ فسئل عن السبب لذلك؛  
فقال: لأن مروان سلك طريقا أكثر من يسلكه، فلم يلحق بمن تقدمه وشركه فيه من كان  
في عصره، وبشار سلك طريقا لم يسلكه وأحسن فيه وتفرد به، وهو أكثر تصرفا وفنون  
شعري، وأغزر وأوسع بديعا، ومروان لم يتجاوز مذهب الأوائل.

وقيل لبشار: ليس لأحد من شعراء العرب شعرا ولا وقد قال فيه شيئا استنكرته العرب  
من ألفاظهم وشك فيه، وإنه ليس في شعرك ما يشك فيه؛ قال: ومن أين يأتيني الخطأ؟  
وولدت ها هنا، ونشأت في حجور ثمانين شيخا من فصحاء بني عقيل ما فيهم أحد يعرف كلمة

من الخطأ، وان دخلت الى نسائهم فنسأؤهم أفصح منهم، وأَيْفَعْتُ فَأَبْدَيْتُ<sup>(١)</sup> الى أن أدركتُ،  
فمن أين يأتيني الخطأ؟ .

كان جرير بن المندر السدوسي يفاخر بشارا، فقال فيه بشار :

أمثل بنى مَضِرٍ وائل \* فقدتُك من فاحر ما أجنَّ  
أفى النوم هذا أبا منذر \* خيرا رأيت وخيرا يُكَنُّ  
رأيتُك والفخر فى مثلها \* كماجنة غير ما تطحن

كان بشار يهوى امرأة من أهل البصرة، فراسلها يسألها زيارته، فوعدهت بذلك ثم  
أخلفته، وجعل ينتظرها ليلته حتى أصبح، فلما لم تأت أرسل اليها ليعاتبها فأعذرت بمرض  
أصابها، فكتب اليها بهذه الأبيات :

يا ليلتى تزدادُ نُكُرا \* من حُبِّ من أحببتُ يكرأ  
حوراء ان نظرتُ اليه \* لك سَقَتُك بالعينين نحرأ  
وكان رجعَ حديثها \* قطعُ الرياض كسين زهرا  
وكان تحت لسانها \* هاروت ينفت فيه سحرا  
وتخال ما جمعتُ عليه \* ه ثيابها ذهباً وعطرا  
وكانها بَرْدُ الشرا \* ب صفا وصادف منك فطرا  
جَنِيَّةٌ إنْسِيَّةٌ \* أو بين ذلك أجلُ أمرا  
وكفك أنى لم أحط \* بستكاة من أحببتُ خبرا  
إلا مقالة زائري \* تترت لى الأحران نثرا  
متخشسا تحت الهوى \* عَشرا وتحت الموت عَشرا

وكان إسحاق الموصلى لا يعتد بشار ويقول : هو كثير التخليط فى نثره، وأشعاره مختلفة

لا يشبه بعضها بعضا، أليس هو القائل :

(١) أبدت أى أخرجت الى البادية .

إِنَّمَا عَظُمُ سُلَيْمَى حُجَّتِي \* قَصَبُ السُّكَّرِ لَا عَظْمَ الْجَمَلِ

وَإِذَا أَدْنَيْتَ مِنْهَا بَصَلًا \* غَلَبَ الْمِسْكُ عَلَى رِيحِ الْبَصْلِ

لو قال : كلُّ شيءٍ جيّدٌ ثم أُضِيفَ إليه هذا لزيّفه . وكان يُقدّم عليه مروانٌ ويقول : هو أشدُّ استواءً شعر منه ، وكلامه ومذهبه أشبه بكلام العرب ومذاهبها ، وكان لا يعدُّ أبانؤاس البتّة ولا يرى فيه خيرا .

قال الجاحظُ : كان بشارٌ خطيباً صاحب منشور ومزدوج وسبّغ ورسائل ، وهو من المطبوعين أصحاب الإبداع والاختراع ، المتفنّين في الشعر ، القائلين في أكثر أجناسه وضروبه . وقال الشعر في حياة جرير وتعرض له ، وحكى أنه قال : هجوتُ جريراً فأعرض عني ، ولو هاجاني لكنتُ أشعر الناس ، وكان يدين بالرجعة ، ويكفر جميع الأئمة ، ويصوّب رأى إبليس في تقديم النار على الطين ، وذَكَرَ مثلاً ذلك في شعره فقال :

الْأَرْضُ مُظْلِمَةٌ وَالنَّارُ مُشْرِقَةٌ \* وَالنَّارُ مَعْبُودَةٌ مَدَّ كَانَتِ النَّارُ

وقال بعضُ الرواة لأبي عمرو : مَنْ أبداعَ الناسَ بيتنا؟ قال الذي يقول :

لَمْ يَطَّلْ لَيْسَى وَلَكِنْ لَمْ أُنِّم \* وَنَفَى عَنِّي الْكِرَى طَيْفُ أَلَمِّ

وَإِذَا قَلْتُ لَهَا جُودِي لَنَا \* نَحَرَجْتُ بِالصَّمْتِ عَنِ لَا وَنَعَم

رَوِّحِي يَا عَبَدَ عَنِّي وَأَعْلَمِي \* أَنْبِي يَا عَبَدَ مِنْ لَحْمٍ وَدَمِ

إِنِّ فِي بُرْدِي جَسْمًا نَاحِلًا \* لَوْ تَوَكَّأْتُ عَلَيْهِ لَأَنْهَدَمَ

وهذه الأبيات لبشار .

قال : فن أمدح الناس؟ قال الذي يقول :

لَمَسْتُ بِكَفِّي كَفَّهُ أَبْتغِي الْغَنَى \* وَلَمْ أُدْرِ أَنْ الْجُودَ مِنْ كَفِّهِ يُعْدِي

فَلَا أَنَا مِنْهُ مَا أَفَادَ ذُو الْغَنَى \* أَفَدْتُ وَأَعْدَانِي فَأَتَلَفْتُ مَا عِنْدِي

وهذه الأبيات لبشار .

ودخل بشارٌ على إبراهيم بن عبد الله بن حسن ، فأنشده قصيدةً يهجو فيها المنصورَ  
ويُشير عليه برأى يستعمله في أمره ، فلما قُتِل إبراهيم خاف بشار ، فقلَّب الكُنية وأظهر أنه  
كان قاهلاً في أبي مُسلم ، وحذَف منها أبياتا ، وأولها :

أبا جَعْفِرٍ ما طوَل عَيْشٍ بَدَائِمٍ \* ولا سَأَلِمَ عَمَّا قَلِيلٍ بِسَأَلِمِ  
قَلْبَ هَذَا الْبَيْتِ فَقَالَ : أبا مُسَلِم :

على الملك الجَبَّارِ يَتَّحِمُ الردى \* وَيَصْرَعُهُ فِي الْمَأْرِقِ الْمُتَلَاحِمِ  
كَأَنَّكَ لَمْ تَسْمَعْ بِقَتْلِ مُتَوَجِّجٍ \* عَظِيمٍ وَلَمْ تَسْمَعْ بِقَتْلِكَ الْأَعَاجِمِ  
تَقَسَّمُ كَسْرِي رَهْطُهُ بِسَيُوفِهِمْ \* وَأَمْسَى أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْلَامَ نَائِمِ

يعنى الوليد بن يزيد

وقد كان لا يَخْشَى أَنْقِلَابَ مَكِيدَةٍ \* عَلَيْهِ وَلَا جَرَى النُّحُوسِ الْأَشْأَمِ  
مُقِيماً على اللذات حتى بت له \* وَجُوهُ الْمَنَايَا حَاسِرَاتِ الْعَمَائِمِ  
وقد تَرِدُ الْأَيَّامُ غُرّاً وَرَبْها \* وَرَدَدَتْ كُلوْحاً بِأَدْيَاتِ الشَّكَايِمِ  
ومرَّوَانُ قد دارت على رأسه الرِّحَا \* وَكَانَ لِمَا أَجْرَمَتْ تَزْرَأُ الْجَرَائِمِ  
فأصبحت تجرى سَادِرًا في طَرِيقِهِمْ \* وَلَا تَسْتَقِي أَشْبَاهَ تِلْكَ النَّقَائِمِ  
تَجَرَّدَتْ لِلْإِسْلَامِ تَعْفُو سَبِيلَهُ \* وَتُعْرِي مَطَاهِ<sup>(١)</sup> لَلْيُوثِ الضَّرَاعِمِ  
فأزَلَتْ حتى آسَنَصَرَ الدِّينَ أَهْلَهُ \* عَلَيْكَ فَعَاذُوا بِالسُّيُوفِ الصَّوَارِمِ  
فَرَمَ وَزَرًا يُجِيحُكَ يَا بَنَ سَلَامَةٍ \* فَلَسْتَ بِنَاجٍ مِنْ مَضِيمٍ وَضَائِمِ

جعل موضع "يابن سلامة" "يابن وشيكة" وهي أم أبي مسلم

لَحَا اللَّهُ قَوْمًا رَأْسُوكَ عَلَيْهِمْ \* وَمَا زَلَتْ مَرءُوسًا خَيْثَ الْمَطَاعِمِ  
أَقُولُ لِبَسَامٍ عَلَيْهِ جَلَالَةٌ \* غَدَا أَرْيَجِيَّ عَاشِقًا لِلْكَارِمِ  
من الْفَاطِمِيَّينَ الدُّعَاةَ إِلَى الْهَدْيِ \* جِهَارًا وَمِنْ يَهْدِيكَ مِثْلُ ابْنِ فَاطِمِ

(١) مطاه : ظهره .

هذا البيتُ حذفه بشار من الأبيات :

سِرَاجٌ لِعَيْنِ الْمُسْتَضِيءِ وَتَارَةٌ \* يَكُونُ ظَلَامًا لِلْعَدُوِّ الْمُزَاحِمِ  
 إِذَا بَلَغَ الرَّأْيُ الْمَشُورَةَ فَاسْتَعِينُ \* بِرَأْيِ نَصِيحٍ أَوْ نَصِيحَةٍ حَازِمِ  
 وَلَا تَجْعَلِ الشُّورَى عَلَيْكَ غَضَاضَةً <sup>(١)</sup> \* فَإِنَّ الْخَوَافِي <sup>(٢)</sup> قُوَّةٌ لِلْقَوَادِمِ  
 وَمَا خَيْرُ كَفِّ أَمْسِكِ الْغُلَّ أَخْتَهَا <sup>(٣)</sup> \* وَمَا خَيْرُ سَيْفٍ لَمْ يُؤَيِّدْ بِقِصَامِ  
 وَخَلَّ الْهُوَيْنَا لِلضَّعِيفِ وَلَا تَكُنْ \* تَوْمًا فَإِنَّ الْحَزْمَ لَيْسَ بِنَائِمِ  
 وَحَارِبٌ إِذَا لَمْ تُعْطَ إِلَّا ظُلَامَةً \* شِبَا الْحَرْبِ خَيْرٌ مِنْ قَبُولِ الْمَظَالِمِ <sup>(٤)</sup>  
 وَأُذِنِ عَلَى الْقُرْبَى الْمُقَرَّبِ نَفْسَهُ \* وَلَا تُسْمِدِ الشُّورَى أَمْرًا غَيْرَ كَاتِمِ  
 فَإِنَّكَ لَا تَسْتَطِرِدُ الْهَمَّ بِالْمُنَى \* وَلَا تَبْلُغُ الْعَلِيَا بِغَيْرِ الْمَكَارِمِ  
 إِذَا كُنْتَ قَرْدًا هَرَّكَ الْقَوْمَ مُقْبِلًا \* وَإِنْ كُنْتَ أَدْنَى لَمْ تَفْرُ بِالْعِزَائِمِ  
 وَمَا قَرَعَ الْأَقْوَامَ مِثْلُ مُشِيْعٍ <sup>(٥)</sup> \* أَرِيْبٍ وَلَا جَلَى الْعَمَى مِثْلُ عَالِمِ

قال أبو عبيدة : ميميةٌ بشار هذه أحبّ إلى من ميميتي جرير والفرزدق . وقال الأصمعي لبشار : يا أبا معاذ ، إن الناس يُعجبون من أبياتك في المشورة ، فقال له : يا أبا سعيد ، إن المشاورين صواب يفوز بثمرته ، أو خطأ يُشارك في مكروهه ، فقال له : أنت في قولك هذا أشعر منك في شعرك .

توفي ابن لبشار بجزع عليه ، فقيل له : أبحر قدامته ، وفرط أفرطته ، وذخر أحرزته ، فقال : ولد دفتته ، وتكلّ تعجلته ، وغيب وعدته فانتظرتة ، والله لئن لم أجزع للنقص لا أفرح للزيادة . وقال يرثيه :

(١) الغضاضة : المنقصة . (٢) الخوافي : الريشات الصغيرات التي في جناح الطائر إذا ضمها خفيته ، وأحدها خافية صد القوادم . (٣) الغل بالضم : الحديدة التي تجمع بين يد الأسير وعنقه وتسمى الجمامة . (٤) الشبا بالفتح جمع شباة وهي من كل شيء حده . (٥) المشيع : الشجاع .

أَجَارَتْنَا لَا تَجْزِعِي وَأَنْبِي \* أتانى من الموت المَطْلُ نَصِيبي  
 بِنَى عَلَى رَعْمِي وَسُخْطِي رُزْتُهُ \* وَبَدَّلَ أَحْجَارًا وَجَالَ قَلْبُ<sup>(١)</sup>  
 وَكَانَ كَرِيحَانَ الْعُرُوسِ تَخَالُهُ \* ذُوِي بَعْدَ إِشْرَاقِ يَسْرٍ وَطِيْبِ  
 أُصِدْتُ بِهِ فِي حِينِ أَوْرَقِ غَصْنِهِ \* وَأَلْقَى عَلَيَّ الْهَمَّ كُلَّ قَرِيبِ  
 عَجِبْتُ لِإِسْرَاعِ الْمَنِيَّةِ نَحْوَهُ \* وَمَا كَانَ لَوْ مَلَيْتُهُ بَعَجِبِ

قيل لبشار : إنك لتجىء بالشيء المهجين المتفاوت ، قال : وما ذاك ؟ قيل : بينما تقول

شعرا يُثير النقع وتُخلع به القلوب مثل قولك :

إِذَا مَا غَضِبْنَا غَضَبَةً مُضْهِرِيَّةً \* هَتَكْنَا حِجَابَ الشَّمْسِ أَوْ تُمَطَّرَ الدَّمَآ  
 إِذَا مَا أَعْرَنَّا سَيِّدًا مِنْ قَبِيلَةٍ \* ذُرَى مِنْبَرِ صَلَّى عَلَيْنَا وَسَلَّمَا  
 تقول :

رَبَابَةٌ رَبَّةُ الْبَيْتِ \* نَصَبَ الْخَلِّ فِي الزَّيْتِ  
 لَهَا عَشْرُ دَجَاجَاتٍ \* وَدِيكَ حَسَنُ الصَّوْتِ

فقال : لكل وجه ، فالقول الأول جد ، وهذا قلته في ربابة جاريتي ، وأنا لا آكل البيض من السوق ، وربابة لها عشر دجاجات وديك ، فهي تجمع لى البيض ، فهذا عندها أحسن من « قِفَانَبِكِ » عندك . وسألته جارية مغنية لبعض ولد سليمان بن علي ، وكانت محسنة بارعة الظرف ، أن يذكرها في قصيدة ولا يذكر فيها اسمها ولا اسم سيدها ويكتب بها اليها ، فأنصرف وكتب اليها :

وَذَاتِ دَلٍّ كَأَنَّ الْبَدْرَ صَوْرَتُهَا \* بَاتَتْ تَغْنِي عَمِيدَ الْقَلْبِ سَكْرَانَا  
 « إِنْ الْعَيُونَ الَّتِي فِي طَرْفِهَا حَوْرٌ \* قَتَلْنَا نَمَّ لَمْ يُجِيبَنَّ قَتْلَانَا »  
 فَفَلْتُ أَحْسَنْتِ يَا سُوْلَى وَيَا أَمْلَى \* فَأَسْمِعِينِي جَزَاكَ اللهُ إِحْسَانَا  
 « يَا حَبْدًا جَبَلُ الرَّيَّانِ مِنْ جَبَلِ \* وَحَبْدًا سَاكِنُ الرَّيَّانِ مَنْ كَانَا »  
 قَالَتْ فَهَلَّا فَدَتَكَ النَّفْسُ أَحْسَنَ مِنْ \* هَذَا لِمَنْ كَانَ صَبَّ الْقَلْبِ حَيْرَانَا

(١) الجمال : حافة القبر ونواحيه .

« يا قوم أذني لبعض الحى عاشقة \* والأذن تعشق قبل العين أحيانا »  
 فقلت أحسنت أنت الشمس طالعة \* أضرمت في القلب والأحشاء نيرانا  
 فأسمعني صوتًا مطربًا هزجًا \* يزيد صباً محباً فيك أشجانا  
 يا ليتني كنتُ تفاحاً مفلجاً \* أو كنتُ من قُضبِ الریحان ریحانا  
 حتى إذا وجدت ريحى فأعجبها \* ونحن في خلوةٍ مثلتُ إنسانا  
 فتركتُ عودها ثم آثنتُ طرباً \* تشدو به ثم لا تحفيه كتابنا  
 « أصبحتُ أطوعَ خلقِ الله كلهم \* لأكثر الخلق لي في الحب عضيانا »  
 فقلتُ أطربتنا يازين مجلسنا \* فهاتِ إنك بالإحسان أولانا  
 لو كنتُ أعلم أن الحب يقتلني \* أعددتُ لي قبل أن ألك أكفانا  
 فغنتُ الشربَ صوتاً موقفاً رملاً \* يذكي السرور ويبيكى العين أولوانا  
 « لا يقتل الله من دامت مودته \* والله يقتل أهل الغدر أحيانا »

كان الزوار يُسمون في قديم الدهر الى أيام خالد بن برمك السؤال ، فقال خالد : هذا والله أسم أستقبله لطلاب الخير ، وأرفع قدر الكرم عن أن يسمى به أمثال هؤلاء المؤمنين ، لأن فيهم الأشراف والأحرار وأبناء النعم ، ومن لعله خير ممن يقصد وأفضل أدباً ، ولكننا نسميهم الزوار ، فقال بشار يمدحه بذلك :

حدا خالد في فعله حدو برمك \* فمجد له مستطرف وأصيل  
 وكان ذوو الآمان يدعون قبله \* بلفظ على الإعدام فيه دليل  
 يسمون بالسؤال في كل موطن \* وإن كان فيهم نابه وجليل  
 فسماهم الزوار ستر عليهم \* فأستاره في المهتدين سدول

وقال بشار هذا الشعر في مجلس خالد في الساعة التي تكلم خالد بهذا في أمر الزوار ، فأعطاه لكل بيت ألف درهم .

دخل بشار على عُقْبَةَ بنِ سَلْمٍ فأنشده بعض مدائحه فيه ، وعنده عُقْبَةُ بنِ رُوْبَةَ ينشده  
رَجَزًا يمدحه به ، فسمعه بشار وجعل يستحسن ما قاله الى أن فرغ ، ثم أقبل على بشار  
فقال : هذا طراز لا تُحْسِنُه أنت يا أبا معاذ ، فقال بشار : ألي يقال هذا ! أنا والله أرجز منك  
ومن أبيك وجدك ؛ فقال له : عقبة أنا وأبي فتحنا للناس باب الغريب وباب الرجز ، وإني  
لخليق أن أسده عليهم ؛ فقال بشار : أرجهم رحك الله ، ولما كان من غد غدا على عقبة  
ابن سلم وعنده عقبة بن روبة ، فأنشده أرجوزته التي مدحه فيها :

يا طَلَّلَ الحى بذات الصمِّدِ \* بالله خبر كيف كنت بعدى  
أوحشت من دعدٍ وتربٍ دعد \* سقياً لأسماء أبنة الأشد  
قامت تراءى إذ رأيتني وحدي \* كالشمس تحت الزبرج المنقذ<sup>(١)</sup>  
صدت بخدّ وجلت عن خدّ \* ثم اثنت كالنفس المُرْتَد  
عهدي بها سقياً له من عهد \* تُخلف وعدا وتنفى بوعد  
فنحن من جهد الهوى في جهد \* وزاهر من سيط وجعد  
أهدى له الدهر ولم يستهد \* أفواف نور الحبر المجد  
يلقى الضحى ريحانه بسجد \* بدلت من ذاك بكى لا يجدى  
وافق حظاً من سعى بجد \* ما ضر أهل النوك ضعف الجد  
الحرّ يلحى والعصا للعبد \* وليس لللحف مثل الرد  
والنصف يكفيك من التعدى \* وصاحب كالدمل المجد  
حملته في رقعة من جلدى \* أرقب منه مثل يوم الورد  
حتى مضى غير فقيد الفقد \* وما درى ما رغبتى من زهد  
إسلم وحيث أبا الملد \* مفتاح باب الحدث المنسد  
مُشترك النيل وريّ الزند \* أغرّ لباس ثياب الحمد

(١) الزبرج : الزينة من وثى أوجوهه ،

ما كان مني لك غير السود \* ثم ثناءً مثل ربح الورد  
 نسجته في محكمات النَّد \* فالبس طرازي غير مسترد  
 لله أيامك في معد \* وفي بني خيطان غير عد  
 يوماً بذى طخفة<sup>(١)</sup> عند الحد \* ومثله أودعت أرض الهند  
 بالمهفات والحديد السرْد \* والمقربات<sup>(٢)</sup> المبعدات الجرد  
 إذا الحيا أكدى بها لا تكدي \* تلحم أمراً وأمورا تُسدي  
 وابن حكيم إن أذاك يردي \* أصم لا يسمع صوت الرعد  
 حيتته بتخفة المعد \* فانهت مثل الجبل المنهد  
 كل أمرئ رهن بما يؤدى \* ورب ذى تاج كريم الجدد  
 كآل كسرى وكآل برد \* أنكب جاف عن سبيل القصد  
 \* فصلته عن ماله والولد \*

فطرب عقبة بن سلم وأجرل صلته، وقام عقبة بن رؤبة فخرج عن المجلس بخزي وهرب من تحت ليلته فلم يعد إليه .

قال الجاحظ : فأنظر الى سوء أدب عقبة بن رؤبة وقد أجمل بشار محضه وعشرته ، فقابله بهذه المقابلة القبيحة ، وكان أبوه أعلم خلق الله به ، لأنه قال له وقد فآخه بشعره : أنت يا بني ذهبان الشعر ، إذا ماتت مات شعرك معك ، فلم يوجد من يرويه بعدك ، فكان كما قال له ، ما يعرف له بيت واحد ولا خبر غير هذا الخبر القبيح الإخبار عنه ، الدال على سخفه وسقوطه وسوء أدبه .

وقال بشار في هوى له كانت بالبصرة ، ثم خرجت مع زوجها الى عمان :

هوى صاحبي ربح الشمال اذا جرت \* وأشفتني لقلبي أن تهب جنوب  
 وما ذاك إلا أنها حين تنتهي \* تنأهى وفيها من عبيدة طيب

(١) طخفة : موضع بعد النجاج وبعد إمرة في طريق البصرة الى مكة ، ومنه يوم طخفة لبنى يربوع على قايوس ابن المذون من ماء السماء . (٢) المقربات : الطبول التي يقرب صريرها ويملأها لكراسيا .

عَذِيرِي مِنَ الْعُدَالِ إِذْ يَعْدُونِي \* سَفَاهًا وَمَا فِي الْعَاذِلِينَ لِيَب  
 يَقُولُونَ لَوْ عَزَّيْتُ قَلْبَكَ لِأَرْعَوِي \* فَقُلْتُ وَهَلْ لِلْعَاشِقِينَ قُلُوبٌ  
 إِذَا نَطَقَ الْقَوْمُ الْجُلُوسُ فَإِنِّي \* مُكِبٌّ كَأَنِّي فِي الْجَمِيعِ غَرِيبٌ  
 جَاءَ أَبُو الشَّمَقْمَقِ إِلَى بَشَارٍ يَشْكُو إِلَيْهِ الضَّيْقَةَ وَيَحْلِفُ لَهُ أَنَّهُ مَا عِنْدَهُ شَيْءٌ ، فَقَالَ لَهُ  
 بَشَارٌ : وَاللَّهِ مَا عِنْدِي مَا يَغْنِيكَ ، وَلَكِنْ قُمْ مَعِيَ إِلَى عُقْبَةَ بْنِ سَلْمٍ ، فَقَامَ مَعَهُ ، فَذَكَرَ لَهُ  
 أَبُو الشَّمَقْمَقِ وَقَالَ : هُوَ شَاعِرٌ وَهُوَ شَكْرٌ وَثَنَاءٌ ، فَأَمَرَ لَهُ بِخَمْسِمِائَةِ دَرَاهِمٍ ، فَقَالَ لَهُ بَشَارٌ :  
 يَا وَاحِدَ الْعَرَبِ الَّذِي \* أَمْسَى وَلَيْسَ لَهُ نَظِيرٌ  
 لَوْ كَانَ مِثْلَكَ آخِرًا \* مَا كَانَ فِي الدُّنْيَا فَقِيرٌ

فَأَمَرَ لِبَشَارٍ بِأَلْفِي دَرَاهِمٍ ، فَقَالَ أَبُو الشَّمَقْمَقِ : نَفَعْتَنَا وَنَفَعْنَاكَ يَا أَبَا مَعَاذٍ ، فَجَعَلَ  
 بَشَارٌ يَضْحَكُ .

دَخَلَ يَزِيدُ بْنُ مَنْصُورِ الْحَمِيرِيِّ عَلَى الْمَهْدِيِّ وَبَشَارٌ بَيْنَ يَدَيْهِ يُنْشِدُهُ قَصِيدَةً أَمْتَدَحَهُ  
 بِهَا ، فَلَمَّا فَرَغَ مِنْهَا أَقْبَلَ عَلَيْهِ يَزِيدٌ ، وَكَانَتْ فِيهِ غَفْلَةٌ ، فَقَالَ : يَا شَيْخُ ، مَا صَنَعْتُكَ ؟ فَقَالَ :  
 أَتَقْبُّ اللُّؤْلُؤَ ، فَضَحَكَ الْمَهْدِيُّ ، ثُمَّ قَالَ لِبَشَارٍ : أَغْرُبُ وَبَيْتُكَ ! أَتَنْتَادِرُ عَلَى خَالِي ؟  
 فَقَالَ لَهُ : وَمَا أَصْنَعُ بِهِ ؟ يَرَى شَيْخًا أَعْمَى يُنْشِدُ الْخَلِيفَةَ شِعْرًا وَيَسْأَلُهُ عَنْ صِنَاعَتِهِ .  
 وَقَفَّ عَلَى بَشَارٍ بَعْضُ الْمَجَانِّ ، وَهُوَ يَنْشِدُ شِعْرًا ، فَقَالَ لَهُ : أَسْتَرُّ شِعْرَكَ هَذَا كَمَا تَسْتَرُّ  
 عَوْرَتَكَ ، فَصَفَّقَ بَشَارٌ بِيَدَيْهِ وَغَضِبَ ثُمَّ قَالَ لَهُ : وَمَنْ أَنْتَ ؟ وَبَيْتُكَ ! قَالَ : أَنَا — أَعَزَّكَ اللَّهُ —  
 رَجُلٌ مِنْ بَاهِلَةَ ، وَأَخْوَالِي سَلُولٌ ، وَأَصْهَارِي عُكْلٌ ، وَأَسْمَى كَلْبٌ ، وَمَوْلَدِي بِأَضَاخِ<sup>(١)</sup> ،  
 وَمَنْزَلِي بِظَفَرِ بِلَالٍ ، فَضَحَكَ بَشَارٌ ، ثُمَّ قَالَ : أَذْهَبُ وَبَيْتُكَ ! فَأَنْتَ عَتِيقٌ لَوْمِكَ ، قَدْ عَلِمَ اللَّهُ  
 أَنَّكَ أَسْتَرْتِ مَنْتَى بِحِصُونٍ مِنْ حَدِيدٍ .

مَرَّ بَشَارٌ بِرَجُلٍ قَدْ رَحِمَتْهُ بَغْلَةٌ وَهُوَ يَقُولُ : الْحَمْدُ لِلَّهِ شُكْرًا ، فَقَالَ لَهُ : بَشَارٌ أَسْتَرِدُّهُ يَزِيدُكَ .  
 وَمَرَّ بِهِ قَوْمٌ يَجْلُونَ جَنَازَةً وَهُمْ يُسْرِعُونَ الْمَشْيَ بِهَا ، فَقَالَ : مَا لَهُمْ مُسْرِعِينَ ؟ أَتَرَاهُمْ سَرَقَوْهُ  
 فَهُمْ يَخَافُونَ أَنْ يُلْحَقُوا فَيُؤْخَذَ مِنْهُمْ .

(١) مِنْ لَرِي الْجَاهِلِيَّةِ لَهَا نَهْرٌ .

رفع غلامٌ بشار إليه في حساب نَفَقَتِهِ جِلاءَ مِرْآةٍ عَشْرَةَ دِرَاهِمًا، فصاح به بشار وقال :  
والله ما في الدنيا أعجب من جِلاءِ مِرْآةٍ أعمى بعشرة دراهم ، والله لو صَدِثْتُ عَيْنُ الشَّمْسِ  
حتى يبقِ العَالَمُ في ظُلْمَةٍ ما بلغتْ أجرةً من يجلوها عشرة دراهم .

قال قُدَامَةُ بنُ نُوحٍ : كان بشارٌ يحشو شعره إذا أُعوزته القافيةُ والمعنى بالأشياء التي  
لا حقيقةَ لها ؛ فمن ذلك أنه أَسَدُ يوماً شعراً له فقال فيه : « غنني للغريض يا بن قبان »  
ف قيل له : من ابن قبان هذا ؟ لسنا نعرفه من مَعْنَى البصرة ، قال : وما عليكم منه ؟ أَلَمْ كُنْ قَبْلَهُ  
دين فتطالبوه به ، أو ثارٌ تريدون أن تُدركوه ، أو كَفَلْتُ لكم به ، فإذا غاب طالبتموني  
بإحضاره ؛ قالوا : ليس بيننا وبينه شيء من هذا ، وإنما أردنا أن نعرفه ، فقال : هو رجل  
يعتق لي ولا يخرج من بيتي ، فقالوا له : إلى متى ؟ فقال : مذ يوم وُلِدَ وإلى أن يموت . وذكر  
أيضاً في هذه القصيدة « البردان » ف قيل له : يا أبا معاذ ، أين البردان هذا ؟ لسنا نعرفه  
بالبصرة ، فقال : هو بيت في بيتي سَمَّيته بالبردان ، أفعليكم من تَسْمِيَتِي داري وبيوتها شيء  
قتسألوني عنه ؟ .

قالت امرأةٌ لبشار : أي رجل أنت لو كنت أسود اللحية والرأس ، قال : أما علمتِ  
أن بيض البُرَّةِ أشهر من سودِ الغِربان ؟ فقالت له : أما قولكُ فحسن في السمع ، ومن لك  
بأن يحسن شيبك في العين كما حسن قولك في السمع ؟ فكان بشار يقول : ما أحمى قط غير  
هذه المرأة .

دعاه رجل إلى منزله فأكل وشرب ، ولما أراد الانصراف قامت جارية للرجل وأخذت  
بيده ، فلما صار بالصحن أوما إليها ليقبلها ، فأرسلت يدها من يده ، فجعل يجول في العرصة  
وخرج مولى الجارية فقال : مالك يا أبا معاذ ؟ فقال : أذنبتُ ذنباً ولا أبرح أو أقول شعرا ،  
فقال :

أَتُوبُ اليك من السيئات \* وأستغفرُ الله من فَعَلَتِي  
تَنَاولتُ ما لم أُردْ نَيْلُهُ \* على جهلِ أمرِي وفي سَكْرَتِي

ووالله والله ما جئته \* لِعَمْدٍ وَلَا كَانَ مِنْ هَمِّي  
وإلا قمتُ إذا ضائعا \* وَعَدْبِي اللهُ فِي مَيْتِي  
فمن نال خيرا على قبلة \* فلا بارك الله في قبلي

لما كثرت استهتار نساء البصرة وشبانها بشعر بشار، وقال سوار بن عبد الله ومالك بن دينار: ما شيء أدمى لأهل هذه المدينة إلى الفسق من أشعار هذا الأعمى، وما زالا يعظانه وكان واصل بن عطاء يقول: إن من أخدع جائل الشيطان وأغواها لكلمات هذا الأعمى المالحد، فلما كثرت ذلك وأتته خبره إلى المهدي تنهاه عن ذكر النساء وقول التشبيب، وكان المهدي من أشد الناس غيرة، فقال في ذلك:

يا منظرًا حسنا رأيتُه \* في وجه جارية فديته  
بعثت إلى تسومني \* ثوب الشباب وقد طويته  
والله رب محمد \* ما إن غدرت ولا نويته  
أمسكتُ عنك وربما \* عرض البلاء وما ابتغيته  
إن الخليفة قد أبى \* وإذا أبى شيئا أبيتُه  
ومحضب رخص البنات \* ن بكى على وما بكيتُه  
ويشوقني بنت الحبيد \* ب إذا أدكرت وأين بيته  
قام الخليفة دونَه \* فصبرتُ عنه وما قلبيته  
ونهايتي الملك الهما \* م عن النساء وما عصيتُه  
لا بل وفيت فلم أضع \* عهدا ولا رأيا رأيتُه  
وأنا المظل على العدا \* وإذا غلا الحمد أشتريته  
أصفي الخليل إذا دنا \* وإذا نأى عنى نأيتُه  
وأميل في أنس التدير \* سم من الحياء وما أشتيتُه

وكان الخليل بن أحمد ينشد هذه الأبيات ويستحسنها ويعجب بها .

وكان لِبشار خمسة نُدَماء، فمات منهم أربعة وبقى واحد يقال له : البراء، فركب في زورق يُريد عبور دجلة العوراء ففرق، فكان بشار يقول : ماخير في الدنيا بعد الأصدقاء، ثم رثى أصدقاءه بقوله :

يَا بَنَ مُوسَى مَاذَا يَقُولُ الْإِمَامُ \* فِي فِتَاةٍ بِالْقَلْبِ مِنْهَا أَوْامُ  
بَتُّ مَنْ حَبَّهَا أَوْ قَرُّ بِالْكَأ \* سَ وَيَهْفُو عَلَى فُؤَادِي الْهِيَامُ  
لَمْ يَكُنْ بَيْنَهَا وَبَيْنِي إِلَّا \* كُتُبُ الْعَاشِقِينَ وَالْأَحْلَامُ  
يَا بَنَ مُوسَى أَسْقِنِي وَدَعْ عَنكَ سَلْمِي \* إِنَّ سَلْمِي حَمِيٌّ وَفِيَّ أَحْتِشَامُ  
رَبُّ كَأْسٍ كَالسَّلْسِيلِ تَعَلَّد \* تَبُّهَا وَالْعَيُونُ عَنِّي نِيَامُ  
حَبِسْتُ لِلشُّرَاةِ فِي بَيْتِ رَأْسٍ <sup>(١)</sup> \* عَتَقْتُ عَانِسًا عَلَيْهَا الْخِتَامُ  
نَفَحْتُ نَفْحَةً فَهَزَّتْ نَدِيمِي \* بَنَسِيمٍ وَأَنْشَقَّ عَنْهَا الزُّكَامُ  
وَكَأَنَّ الْمَعْلُولَ مِنْهَا إِذَا رَا \* حَ شَجَّ فِي لِسَانِهِ بَرَسَامُ <sup>(٢)</sup>  
صَادَمَتْهُ الشَّمُولُ حَتَّى بَعِينِي \* هَ أَنْكَسَارٌ وَفِي الْمَفَاصِلِ خَامُ  
وَهُوَ بَاقِي الْأَطْرَافِ حَيْثُ بِهِ الْكَأ <sup>(٣)</sup> \* سُ وَمَاتَتْ أَوْصَالُهُ وَالْكَلامُ  
وَفَتَى يَشْرَبُ الْمُدَامَةَ بِالْمَا \* لَ وَيَمشِي يَرُومُ مَا لَا يُرَامُ  
أَنْفَدْتُ كَأْسَهُ الدَّنَانِيرَ حَتَّى \* ذَهَبَ الْعَيْنُ وَأَسْتَمَرَ السَّوَامُ  
تَرَكَتُهُ الصَّبَاءُ يَرْنُو بَعِينِ \* نَامَ إِنْسَانُهَا وَليست تَنَامُ  
جَنَّ مِنْ شَرِبَةٍ تُعَلُّ بِأُخْرَى \* وَبِكِي حِينَ سَارَ فِيهِ الْمُدَامُ  
كَانَ لِي صَاحِبًا فَأُودِي بِهِ الدَّهْ \* سُرُ وَفَارَقْتُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ  
بَقِيَ النَّاسُ بَعْدَ هُلْكَ نَدَامَا \* يَ وَقُوعًا لَمْ يَشْعُرُوا مَا الْكَلَامُ  
بَحْزُورِ الْإَيْسَارِ لَا كَعِيدٍ فِيهِ <sup>(٤)</sup> \* لَ لِيَاغٍ وَلَا عَلَيْهَا سَنَامُ

(١) بيت رأس : قرية بالشام من قرى حلب ينسب إليها الخمر .  
(٢) البرسام : علة يهذى فيها وهو  
ردم حار يعرض للهباب الذي بين الكبد والأمعاء ثم يتصل إلى الدماغ .  
(٣) صحبت بالإدغام لغة في حى  
كرض .  
(٤) الأيسار : جمع يسره وهو الالتهاب بالمفاجع .

يابن موسى قَدُّ الحبيب على العيب \* من قَدَاةً وفي الفؤاد سَقَام  
كيف يصفو لي النعيم وحيداً \* والأخلاء في المقابر هام  
نَفْسَتَهُمْ عَلَى أُمِّ المَنَايَا \* فَأَنَا مَتَهُمْ بَعُفٍ فَنَامُوا <sup>(١)</sup>  
لا يَغِيضُ أُنْسِجَامُ عَيْنِي عَلَيْهِمْ \* إِنَّمَا غَايَةُ الحَزِينِ السَّجَامُ  
وقال في نَهْيِ الخليفة إياه عن ذِكْرِ النساءِ :

والله لولا رِضَا الخليفة ما \* أُعْطِيتُ ضَمِيمًا عَلِيٍّ فِي شَجْنِ  
وربما خَيْرَ لَابْنِ آدَمَ فِي الِ \* كُرْهُ وَشَقِّ الهوى على البدنِ  
فاشربْ على أُنْبَسَةِ الزمانِ فَمَا \* تَلَقَى زَمَانًا صَافًا مِنَ الأَبْنِ  
الله يُعْطِيكَ مِنَ فَوَاضِلِهِ \* وَالْمَرْءُ يُغْضِي عَيْنًا عَلَى الكُنْ <sup>(٢)</sup>  
قد عَشْتُ بَيْنَ الرِّيحَانِ وَالزَّاحِ وَالزَّ \* هَرٍ فِي ظِلِّ مَجْلِسِ حَسَنِ  
وقد مَلَأْتُ البلادَ ما بَيْنَ يَغْبِ \* وَرِى إِلَى القَيْرَوَانِ فَالْيَمَنِ  
شِعْرًا تُصَلِّي لَه العَوَاتِقُ وَالشُّدَّ \* يِبُ صَلَاةَ العَوَاةِ لِلوَثَنِ  
ثم نَهَانِي المَهْدَى وَأَنْصَرَفَتْ \* نَفْسِي صَنِيعَ المَوْفِقِ اللِّقَنِ  
فالحمدُ لله لا شَرِيكَ لَهُ \* لَيْسَ بَبَاقٍ شَيْءٌ عَلَى الزَّمَنِ

وَأُنشِدُ المَهْدَى قَصِيدَتَهُ الَّتِي أَوَّلُهَا :

تَجَالَلْتُ عَنِ فَهْرٍ وَعَنْ جَارَتِي فَهْرٍ \* وَوَدَعْتُ نِعْمًا بِالسَّلَامِ وَبِالبِشْرِ  
وَقَالَتْ سُلَيْمَى فَيْكَ عَنَّا جَلَادَةٌ \* مَحَلِّكَ دَانَ وَالزِّيَارَةَ عَنِ عَفْرِ <sup>(٣)</sup>  
أَخِي فِي الهوى مَالِي أَرَاكَ جَفَوْتَنَا \* وَقَدْ كُنْتَ تَقْفُونَا عَلَى العُسْرِ وَالْيُسْرِ  
تَثَاقَلَتْ إِلا عَنِ يَدِ اسْتَفِيدُهَا \* وَزَوْرَةَ أَمَلَاكِ أَشَدَّ بِهَا أَزْرَى  
وَأَخْرَجَنِي مِنْ وَرْرِ خَمْسِينَ حِجَّةً \* فَتَى هَاشِمِيٍّ يَقْشَعِرُّ مِنَ الوِزْرِ

(١) نفسهم : حمدتهم . (٢) الكمن واحدا كمنه وهي جرب وحرة تبقى في العين من رمد يساء علاجه .

(٣) العفر : لغة الزيادة ، يقال : ما تأتينا إلا من هفر أي بعد قلة زيارته وطول عهد .

دَفَنْتُ الهوى حَيًّا فَلَسْتُ بِزَائِرٍ \* سَلِمِي وَلَا صَفْرَاءَ مَا قَرَّ قَرَّ الْقُمْرِي  
 وَمُضَفَّرَةً بِالزَّعْفَرَانِ جَلُودُهَا \* إِذَا أَجْتَلَيْتُ مِثْلَ الْمَفْرَطَةِ الصَّفْرِي  
 فَرَبِّ تَقَالَ الرَّدْفِ هَبَّتْ تَلُومِي \* وَلَوْ شَهِدْتُ قَبْرِي لَصَلَّتُ عَلَى قَبْرِي  
 تَرَكْتُ لِمَهْدَى الْأَنَامِ وَصَالِهَا \* وَرَاعَيْتُ عَهْدًا بَيْنَنَا لَيْسَ بِالخَيْرِ  
 وَلَوْلَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مُحَمَّدٌ \* لَقَبَلْتُ فَا هَا أَوْ لَكَانَ بِهَا فِطْرِي  
 لَعَمْرِي لَقَدْ أَوْقَرْتُ نَفْسِي خَطِيئَةً \* فَمَا أَنَا بِالْمُزْدَادِ وَقُرَا عَلَى وَقْرِي  
 تَسَلَّى عَنِ الْأَحْبَابِ صَرَامُ خَلَّةٍ \* وَوَصَّالٍ أُخْرَى مَا يُقِيمُ عَلَى أَمْرِي  
 وَرَكَضَ أَفْرَاسِ الصَّبَابَةِ وَالْهَوَى \* جَرَّتْ حِجَابًا ثُمَّ اسْتَقَرَّتْ فَلَا تَجْرِي  
 فَأَصْبَحُنَّ مَا يُرَكَّبُنَّ إِلَّا إِلَى الْوَعَى \* وَأَصْبَحْتُ لَا يُزْرَى عَلَى وَلَا أُرَى  
 فَهَذَا وَإِنِّي قَدْ شَرَعْتُ مَعَ التَّقَى \* وَمَاتَ هَمُومِي الطَّارِقَاتِ فَمَا تَسْرِي

ثم قال يصف السفينة :

وعذراء لا تجسرى بلحم ولا دم \* قليلة شكوى الأين مُلجَمَةُ الدُّبْرِ  
 إِذَا ظَعَنْتَ فِيهَا الْفُلُوقَ تَشَخَّصْتُ \* بِفُرْسَانِهَا لَا فِي وَعُوثٍ وَلَا وَعَرٍ  
 وَإِنْ قَصَدْتَ زَلْتَ عَلَى مَتْنِصَبٍ \* ذَلِيلَ الْقَوَى لَا شَيْءَ يَقْرَى كَمَا تَقْرَى  
 تَلَّاعِبُ تِيَّارِ الْبُحُورِ وَرَبْمَا \* رَأَيْتَ نَفُوسَ الْقَوْمِ مِنْ جَرِيهَا تَجْرِي  
 إِلَى مَلِكٍ مِنْ هَاشِمٍ فِي نُبُوءَةٍ \* وَمِنْ حَمِيرٍ فِي الْمُلْكِ وَالْعَدَدِ الدُّثْرِ<sup>(٢)</sup>  
 مِنَ الْمُشْتَرِينَ الْحَمْدَ تَنْدَى مِنَ النَّدَى \* يَدَاهُ وَيَنْدَى عَارِضَاهُ مِنَ الْعِطْرِ  
 فَأَلْزَمْتُ حَبْلِي حَبْلَ مَنْ لَا تُغْبِيهِ \* عَفَاةُ النَّدَى مِنْ حَيْثُ يَدْرِي وَلَا يَدْرِي  
 بَنِي لَكَ عَبْدُ اللَّهِ بَيْتَ خِلَافَةٍ \* نَزَلَتْ بِهَا بَيْنَ الْفَرَاقِدِ وَالنَّسْرِ  
 وَعِنْدَكَ عَهْدٌ مِنْ وَصَاةِ مُحَمَّدٍ \* فَرَعَتْ بِهِ الْأَمْلَكَ مِنْ وَلَدِ النَّضْرِ

(١) كان قد قال : نينان البحور، فعا به بذلك سبويه ، فجعله تيار البحور .

(٢) الدثر : الكثرة ،

ولما أنشد الوليد بن يزيد قول بشار :

أيها الساقيان صبا شرابي \* وأسقياني من ريق بيضاء رويد<sup>(١)</sup>  
 إن دائي الظأ وإن دوائ \* شربة من رصاب تغير برود  
 ولها مضحك كغز الأفاحي \* وحديث كالوشى وشي البرود  
 نزلت في السواد من حبة القل \* وب ونالت زيادة المستريد  
 ثم قالت نلقاك بعد ليل \* والليالي يبلين كل جديد  
 عندها الصبر عن لقائي وعندي \* زفرات يأكلن قلب الحديد

طرب الوليد وقال : من لي بمزج كأسى هذه من ريق سامى ، فيروى ظمئى ، وتطفأ غلتي ،  
 ثم بكى حتى مزج كأسه بدمعه ، وقال : إن فاتنا ذلك فهذا .

مدح بشار خالد بن برمك فقال فيه :

لعمري لقد أجدى على ابن برمك \* وما كل من كان الغنى عنده يجدى  
 حلبت بشعري راحتيه فدرتنا \* سماحا كما دز السحاب مع الرعد  
 إذا جتته للحمد أشرق وجهه \* اليك وأعطاك الكرامة بالحمد  
 له نعم في القوم لا يستثيبها \* جزاء ويكل التاجر الممد بالمد  
 مفيد ومثلاف سبيل تراثه \* إذا ما غدا أو راح كالجزر والمد  
 أخالد إن الحمد يبقى لأهله \* جمالا ولا تبقى الكنوز على الكد  
 فاطم وكل من عارة مستردة \* ولا تبقيها إن العواري للرد

فأعطاه خالد ثلاثين ألف درهم ، وكان قبل ذلك يعطيه في كل وفادة خمسة آلاف درهم ،  
 وأمر خالد أن يكتب هذان البيتان في صدر مجلسه الذي كان يجلس فيه ، وقال ابنه يحيى  
 ابن خالد : آخر ما أوصاني به أبي العمل بهذين البيتين .

(١) الرود : الشابة الحسة الناعمة .

وكان إسحاق الموصلي يطعن على شعر بشار ويضع منه ، ويذكر أن كلامه مختلف لا يشبه

بعضه بعضاً ، ف قيل له : أتقول هذا لمن يقول :

إذا كنت في كلِّ الأمور مُعَاتِبًا \* صديقك لم تَلقَ الذي لا تعاتبه  
فِعْشٌ واحدًا أَوْصِلْ أخاك فإنه \* مُقَارِفٌ<sup>(١)</sup> ذنبٍ مرّةً ومُجَانِبُهُ  
إذا أنت لم تشربِ مراراً على القَدَى<sup>(٢)</sup> \* ظَمِئْتَ وأىُّ الناس تصفو مشاربه

وهي من غرر قصائده ، مدح بها عمر بن هبيرة ، ومنها قوله :

يخاف المنايا إن ترحلت صاحبي \* كأن المنايا في المقام تُناسبه  
فقلت له إن العراق مقامه \* وخيم إذا هبت عليك جنائبه  
لألقى بني عيلان إن فعالمهم \* تزيد على كل الفغال مراتبه  
أولئك الألى شقوا العمى بسيوفهم \* عن العين حتى أبصر الحق طالبه  
وجيش كنجح الليل يزحف بالحصا \* وبالشوك والخطى حمرًا تغالبه  
غدونا له والشمس في خدر أمها \* تطالعا والطلل لم يجر ذائبه  
بضرب يذوق الموت من ذاق طعمه \* وتدرك من نجي الفرار متالبه  
كأن مثار النقع فوق رؤوسنا \* وأسيافنا ليل تهاوى كواكبها<sup>(٣)</sup>  
بعثنا لهم موت الفجاءة إننا \* بنو الموت حقا ق علينا سبائبه  
فراحوا فريق في الإسار ومثله \* قتيلا ومثلا لاذ بالبحر هاربه

ومنها :

إذا الملك الجبار صعر خده \* مشينا اليه بالسيوف نعاتبه  
رويدا تصاهل بالعراق جيانا \* كأنك بالضحاك قد قام نادبه  
وسام لمروان ومن دونه الشجا \* وهول كلج البحر جاشت غواره

(١) مقاروف ذنب : مخالطه ومرتكبه من قارف الخطيئة إذا خالطها . (٢) القدى : ما يسقط

في الشراب من ذباب أو غيره . (٣) السبائب : جمع سبيبة ، وهي شقة من الكنان رفيقة يريد بها الألوية .

أحلت به أم المنايا بناتها \* بأسيا فإنا إنا رددي من نحاربه  
 وكنا إذا دب العدو لسخطنا \* وراقبنا في ظاهر لا نراقبه  
 ركبتنا له جهرا بكل مثقف \* وأبيض تستسقى الدماء مضاربه

ومنها :

فلما تولى الحى وأعصر الثرى \* لظى الصيف من نجم توقد لاهبه  
 وطارت عصافير الشقائق وأكنسى \* من الآل أمثال المجرة ناضبه  
 غدت عانة تشكو بأبصارها الصدى \* الى الجأب إلا أنها لا تخاطبه

ومن حسن شعره :

لو كنت تلقين ما تلقى قسمت لنا \* يوما نعيش به منكم ونبهج  
 لا خير في العيش إن كنا كذا أبدا \* ما فى التلاقى ولا فى قبلة حرج  
 من راقب الناس لم يظفر بحاجته \* وفاز بالطيبات الفاتك اللهج  
 أشكو إلى الله هما ما يفارنى \* وشرعاً فى فؤادى الدهر تعالج

وقال يهجو عبيد الله بن قزعة :

خليلي من كعب أعينا أكاكا \* على دهره إن الكريم معين  
 كأن عبيد الله لم يلق ماجدا \* مخافة أن يرجو نداء حزين  
 ولا تبجلا بجمل ابن قزعة إنه \* ولم يدّر أن المكرمات تكون  
 فقل لأبي يحيى متى تدرك العلا \* وفى كل معروف عليك يمين  
 إذا جنته فى حاجة سدّ بابه \* فلم تلقه إلا وأنت كمين

وفد على خالد بن برمك فأنشده :

أخالد لم أخيط اليك بذمة <sup>(٢)</sup> \* سوى أنى عاف وأنت جواد  
 أخالد بين الأجر والحمد حاجتى \* فأيهما تأتى فانت عماد

(١) العانة: القطعة من الحير . والجأب: ذكرها ، ومعنى شكواها الصدى بأبصارها أن العطش قد تبين فى أحداقها

فغارت ، وهذا من أحسن ما وصف به الحمار والأذن . (٢) أى لم اطلب معروفك متوسلا اليك بعهدة أو قرابة .

فإن تُعْطِنِي أَفْرِغْ عَلَيْكَ مَدَائِحِي \* وإن تَأْبَ لَمْ يُضْرَبْ عَلَيَّ سِدَادُ  
رِكَابِي عَلَيَّ حَرْفٍ وَقَلْبِي مَشِيحٌ \* ومَالِي بِأَرْضِ الْبَاخِلِينَ بِلَادِ  
إِذَا أَنْكَرْتَنِي بِلَدَّةٍ أَوْ نَكْرَتُنَا \* نَحَرَجْتَ مَعَ الْبَازِي عَلَيَّ سَوَادُ

فدعا خالد بأربعة آلاف دينار في أربعة أيكاس، فوضع واحدا عن يمينه، وواحدا عن شماله،  
وآخرين يديه، وآخر خلفه، وقال: يا أبا معاذ، هل أستقل العباد؟ فلمس الأيكاس ثم قال:  
استقل والله أيها الأمير .

قال أبان بن عبد الحميد: نزل في ظاهر البصرة قوم من أعراب قيس بن عيلان،  
وكان فيهم بيان وفصاحة، فكان بشار يأتهم وينشدهم أشعاره التي يمدح بها قيسا، فيجلونه  
لذلك ويعظمونه، وكان نساؤهم يجلسن معه ويتحدثن إليه وينشدهن أشعاره في الغزل،  
وكنت كثيرا ما أتى في ذلك الموضع فأسمع منه ومنهم، فأتيتهم يوما فاذا هم ارتحلوا، فجئتُ  
إلى بشار فقلت: يا أبا معاذ: أعلمت أن القوم قد ارتحلوا؟ قال: لا، فقلت: فاعلم، قال:  
قد علمت لا علمت، ومضيتُ، فلما كان بعد ذلك بأيام سمعتُ الناس ينشدون:

دعا بفراق من تهوى أبانُ \* ففاض الدمعُ وأحترق الجنانُ  
كأن شرارةً وقعت بقلبي \* لها في مقلتي ودعى أستنانُ  
إذا أنشدتُ أو نسمتُ عليها \* رياحُ الصيفِ هاج لها دحانُ

فعلمت أنها لبشار، فأتيته فقلت: يا أبا معاذ، ما ذنبي إليك؟ قال: ذنبُ غراب البين،  
فقلت: هل ذكرتني بغير هذا؟ قال: لا، فقلت: أنشدك الله ألا تزيد، فقال: أمض  
لشأنك فقد تركتك .

مدح بشار المهدي فلم يعطه شيئا، فقبل له: لم يستجد شعرك، فقال: والله لقد  
قلتُ فيه شعراً لو قيل في الدهر لم يُحشَّ صرْفُه على أحدٍ، ولكنَّا نكذب في القول فيكذب  
في الأمل .

مدح بشار سليمان بن هشام بن عبد الملك ، وكان مقياً بجران وخرج إليه ، فأنشده قوله  
فيه :

نَأْتِكَ عَلَى طُولِ التَّجَاوِرِ زَيْنُبُ \* وما شعرت أن النوى سوف تَشَعْبُ  
يرى الناس ما تلقى بزَيْنُبِ إِذْ نَأَتْ \* عَجِيباً وَمَا تُخْفِي بِزَيْنُبِ أَعْجَبُ  
وَقَائِلَةٌ لِي حِينَ جَدَّ رَحِيلُنَا \* وَأَجْفَانُ عَيْنَيْهَا تَجْوُدُ وَتَسْكُبُ  
أَعَادَ إِلَى حَرَّانَ فِي غَيْرِ شَيْعَةٍ \* وَذَلِكَ شَأْوٌ عَنْ هَوَاهَا مُعْزَبُ  
فَقُلْتُ لَهَا كَلَفْتَنِي طَلَبَ الْغِنَى \* وَليْسَ وَرَاءَ آبِنِ الْخَلِيفَةِ مَذْهَبُ  
سَيُكْفِي قَتِيٍّ مِنْ سَعِيهِ حَدُّ سَيْفِهِ \* وَكَوْرٌ عَلَاقِيٍّ وَوَجْنَاءُ ذِعْلَبِ<sup>(٢)</sup>  
إِذَا اسْتَوْعَرْتُ دَارًا عَلَيْهِ رَمَى بِهَا \* بِنَاتِ الصُّوَى مِنْهَا رَكُوبٌ وَمُضْعَبُ  
فَعَدَى إِلَى يَوْمِ آرْتَحَلْتُ وَسَائِلِي \* بَزُورِكَ وَالرَّحَالُ مِنْ جَاءِ يَضْرِبُ  
لَعَلِّكَ أَنْ تَسْتَيْقِنِي أَنْ زَوْرَتِي \* سَلِيَانٌ مِنْ سِيرِ الْهَوَاجِرِ تَعْقِبُ  
أَغْرَمَ هِشَامِيَّ الْقِنَاءَ إِذَا أَنْتِي \* تَمَّتْهُ بَدُورٌ لَيْسَ فِيهِنَّ كَوْكَبُ  
وَمَا قَصَدْتُ يَوْمًا فِخْلِينَ خَيْلُهُ \* فَتُضْرَفُ إِلَّا عَن دِمَاءِ نَصَبُ

فوصله سليمان بحمسة آلاف درهم ، وكان يَحْلَلُ ، فلم يَرْضَهَا وَأَنْصَرَفَ عَنْهُ مُغْضَبًا ،  
فقال :

إِنْ أَمَسَ مِنْقَبُضُ الْيَدَيْنِ عَنِ النَّدَى \* وَعَنِ الْعَدُوِّ مَخِيسُ الشَّيْطَانِ  
فَلَقَدْ أَرُوْحَ عَلَى اللَّئَامِ مَسْلَطًا \* تَلِجُ الْمَقِيلُ مِنْعَمَ النَّدْمَانِ  
فِي ظِلِّ عَيْشٍ عَشِيرَةَ مَحْمُودَةٍ \* تَنْدَى يَدِي وَيُخَافُ فَرَطُ لِسَانِي  
أَزْمَانِ خَيْبِنِي الشَّبَابُ مَطَاوِعِ \* وَإِذَا الْأَمِيرُ عَلَى مَنْ حَرَّانِ  
رِيمٍ بِأَحْوِيَةِ الْعِرَاقِ إِذَا بَدَا \* بَرَقَتْ عَلَيْهِ أَكِلَةُ الْمَرْجَانِ  
فَأَحْكَلُ بَعْدَهُ مَقْلَتِيكَ مِنَ الْقَدَى \* وَبِوَشِكَ رُؤَيْتَهَا مِنَ الْهَمْلَانِ  
فَلَقَرْتُ مِنْ تَهْوَى وَأَنْتِ مَتِيمٌ \* أَشْفَى لِدَائِكَ مِنْ بَنِي مِرْوَانَ

(١) العلاقى : الرجل العظيم . (٢) وجناء ذعلب أى ناقة شديدة سريعة .

قدم بشار على المهديّ بالرصافة فدخل عليه في البستان، فأنشده مديحا فيه تشبيب  
حسن، فنهاه عن التشبيب لغيره شديدة كانت فيه، فأنشده مديحا يقول فيه :

كأنما جتّه أبشّره \* ولم أجيّ راغبا ومُحبّبا  
يزين المنبر الأشمّ بعطفية \* به وأقواله إذا خطبا  
تُسمّ تعلاه في النديّ كما \* يُسمّ ماء الريحان منتها

قال : وقد طلب منه أن يُنشده شيئا من غزله :

وقائل هات شوقنا فقلت له \* أناّم أنت يا عمرو بن سَعْمَان  
أما سمعت بما قد شاع في مُضِر \* وفي الحليفين من بكرٍ وحَطّان  
قال الخليفة لا تنسب بجارية \* إياك إياك أن تُسقي بعضيان

وقال له المهديّ : قل في الحب شعرا ولا تُطل، وأجعل الحب قاضيا بين المحبين

لا تُسمّ أحدا، فقال :

أجعل الحبّ بين حيّ وبيني \* قاضيا إني به اليوم راض  
فاجتمعنا فقلت يا حبّ نفسي \* إن عيني قيلة الإغماض  
أنت عدّيتي وأنحلت جسمي \* فأرحم اليوم دائم الأمراض  
قال لي لا يحلّ حكى عليها \* أنت أولى بالسقم والإعراض  
قلت لما أجابني بهواها \* شمّل الجور في الهوى كلّ قاض

فبعث اليه المهديّ : حكمت علينا ووافقنا ذلك، فأمر له بألف دينار .

وقال بشار في عشق السّمع :

يا قوم أذني لبعض الحيّ عاشقة \* والأذنُ تعشق قبل العين أحيانا  
قالوا بمن لا ترى تهذي فقلت لهم \* الأذنُ كالعين تُوفي القلب ما كانا  
هل من دواء لمشغوفٍ بجارية \* يلقى بلقيانها رَوْحًا وريحانا

وقال في مثل ذلك :

قالت عُقَيْلُ بن كعب إذ تعلقها \* قلبي فأضحى به من حبها أثرُ  
أنى ولم ترها تهدي فقلت لهم \* إن الفؤاد يرى ما لا يرى البصرُ  
أصبحتُ كالحائم الحيران مجتنباً \* لم يقض وردا ولا يرجي له صدرُ

وقال :

يزهدني في حبِّ عبدة معشر \* قلوبهم فيها مخالفة قلبي  
فقلت دعوا قلبي وما آختر وأرتضى \* فبالقلب لا بالعين يُبصر ذو الحبِّ  
فما تبصر العينان في موضع الهوى \* ولا تسمع الأذنان إلا من القلب  
وما الحسن إلا كلِّ حسن دعا الصبا \* وألّف بين العشق والعاشق الصبِّ

وقال :

يا قلب مالي أراك لا تقرُّ \* إياك أعنى وعندك الخبرُ  
أذعت بعد الألى مضوا حرقاً \* ما ضاع ما استودعوك إذ بكروا

وقال :

إن سُلَيْمِي واللهُ يكلؤها \* كالسُّكَّر يزداد على السُّكَّر  
بلغتُ عنها شكلا فأعجبنى \* والسَّمْعُ يكفيك غيبة البصرِ

وقال وقد مدح المهديَّ فخرمه :

خليلي إن العسر سوف يُفِيق \* وإن يسارا في غد نخلِّق  
وما كنتُ إلا كالزمان إذا صحا \* صحوتُ وإن ماق الزمان أموق<sup>(١)</sup>  
أدماء لا أسطيع في قلة الثرا \* خروزاً ووشياً والقليل محيق  
خذى من يدي ما قل إن زماننا \* شموسٌ ومعروفُ الرجال رقيق  
لقد كنتُ لأرضى بأدنى معيشةٍ \* ولا يَشْتكى بخلاً على رقيق

(١) ماق : حق في غبارة .

خيلِيّ - إن المال ليس بنافع \* إذا لم ينل منه أخٌ وصديق  
 وكنتُ إذا ضاقت على محمّلة<sup>(١)</sup> \* تيممتُ أخرى ما على تضييق  
 وما خاب بين الله والناس عاملٌ \* له في التقي أو في المحامد سوق  
 ولا ضاق فضلُ الله عن متعففٍ \* ولكن أخلاق الرجال تضييق

هجا بشار يعقوب بن داود وزير المهديّ فقال :

بني أمية هبوا طال نومكم \* إن الخليفة يعقوب بن داود<sup>(٢)</sup>  
 ضاعت خلافتكم يا قوم فالتسوا \* خليفة الله بين النأي والعود

فاتهمه عند المهديّ بالزندقة وقال : إنه قد هجا المهديّ ، فأمر ، فُضربَ بالسياط حتى مات .

(١) المحلّة : منزل القوم . (٢) أصله من الموالي ، وقد استوزره الخليفة المهديّ وسلّمه الأمور كلها

وأشتغل هو باللهو .

٢ - حمادُ عَجْرَدُ<sup>(١)</sup>

«ولو أتى أحببت أن أشخص حمادا بوصفته قبل كل شيء بحدة الطبع، وسوء الخلق، وحب الانتقام، والإسراع إليه، ثم بالصراحة في القول، والملاءمة بينه وبين العمل، وبكره النفاق والانصراف عنه، لا يعنيه أَرْضَى الناسُ عنه أم خَطَوا عليه، ثم بحدة اللسان ومُضِيَّه وإفداعه وكلفه بفاحش القول وبجته عن أسوئه وأقبحه، ثم بالسخرية من الناس وأزدراءهم، لا على أنه يتخذ ذلك فلسفةً وأصلاً من أصول الحياة كالوليد ومطيع وأبي نُوَّاس، بل على أنه يتخذ ذلك وسيلةً من وسائل الشعراء يَخُصُّ بها كلما ضاقت عليه المذاهب وأخذت عليه، أو دَعَتْه إلى ذلك حاجةٌ. لم يكن حمادٌ يَحْفَلُ بما يَحْفَلُ به الناسُ من الوفاء والانصراف عن التناقض، وإنما كان صديقاً مُخْلِصاً حتى تبدوله حاجة أو تَسَنَّحَ له فرصةٌ أو تضطره ضرورةٌ، فإذا صدقته قد استطلت إلى عداًءه، وإذا هو ليس أقلَّ صدقاً وإخلاصاً في العداًء منه في المودة والحُب: فقد مدح يحيى بن زياد وأخذ صديقاً ونال جوارحه، ثم كان الخلاف فهجاه. وصادق بشاراً وصافاه، ثم آخضهما فلم يعرفا في الخصومة رحمة ولا رفقاً. وصافى مطيعاً وأحبه ومدحه وأكثر في الثناء عليه، ثم آخضهما في امرأةٍ مرةً وفي غلامٍ مرةً أخرى، فهجاه وأقذع في هجائه. وكان على هذا كله يؤثر شعره وضروراته على البرّ بالناس في معاملتهم: هجا ذات يوم رجلاً يقال له حُشَيْشٌ وجعل اسمه قافيةً لهذا الشعر وأراد أن يبالغ في دمه فشبهه بِحَيْشٍ، وكان بِحَيْشٍ هذا رجلاً من أهل البصرة

(١) هو حماد بن يحيى بن عمرو مولى عامر بن صعصعة. نشأ في الكوفة ثم واسط. وعاصر الدولتين، لكنه نبغ في الدولة العباسية بعد أن نادم الوليد بن يزيد الأموي. وجاء بغداد أيام المهدي ومعه مطيع بن إياس ويحيى بن زياد، وكلهم من المهتمين في دينهم. وحماد من الشعراء المحيدين، وكان ماجنا ظريفاً خليعاً متمماً في دينه مرمياً بالزندقة. وأدرك بشار بن برد وله معه أهاج فاحشة، ولم يكن يهاب كبيراً ولا صغيراً، عالماً كان أو خليفة. توفي سنة ١٦١ هـ. ونجد ترجمته في الأغاني (ج ١٣ ص ٧٣) وابن خلكان (ج ١ ص ١٦٥) والشعر والشعراء (ص ٤٩٠) والفهرست (ص ٩١). (٢) من بحوث صديق الدكتور طه حسين أستاذ الآداب العربية بالجامعة المصرية.

وإدعًا لا يعرف حمادًا ولا يعرفه حمادٌ، فلما قرأ الرجلُ هذا الشعرَ جَزِعَ له وسافرَ من البصرة حتى بلغ الكوفةَ فعاتبَ حمادًا؛ فقال له حمادٌ ضاحكًا معتذرًا: لا بأس عليك فإن هذا من آثام القافية ولن أعود إليه .

وكان السبب في مهاجاة حماد وبتشار أن حمادًا كان نديما لنافع بن عتبة، فسأله بتشار تتخبر حاجة له من نافع فأبطأ عنها، فقال بتشار فيه :

مَوَاعِيدُ حَمَادٍ سَمَاءٌ مَحِيَلَةٌ \* تَكْشِفُ عَنْ رَعْدٍ وَلَكِنْ سَتَبْرُقُ  
أِذَا جَتَّتْهُ يَوْمًا أَحَالَ عَلَى غَدٍ \* كَمَا وَعَدَ الْكَمُونَ مَا لَيْسَ يَصْدُقُ  
وَفِي نَافِعٍ عَنِّي جَفَاءٌ وَإِنِّي \* لِأَطْرُقُ أحيانًا وَذُو اللَّبِّ يُطْرُقُ  
وَلِلنَّقَرِيِّ قَوْمٌ فَلَوْ كُنْتُ مِنْهُمْ \* دُعِيْتُ وَلَكِنْ دُونِي الْبَابُ مُغْلَقُ  
وَمَا زِلْتُ أَسْتَأْنِيكَ حَتَّى حَسَرْتَنِي \* بُوْعَدِ بَحَارَى الْآلِ يَحْفَى وَيَحْفَقُ

فغضب حمادٌ وأتسد نافعًا الشعرَ فمنع بتشارا، فقال بتشار :

أَبَا عَمْرٍ مَافِي طِلَابِيكَ حَاجَةٌ \* وَلَا فِي الَّذِي مَنِينَتَا ثُمَّ أَجْبُرَا  
وَعَدْتِ فَلَمْ تَصْدُقِ وَقَلْتِ غَدًا غَدًا \* كَمَا وَعَدَ الْكَمُونَ شَرِبًا مَوْخِرَا  
فَكَانَ ذَلِكَ سَبَبَ التَّهَاجِي بَيْنَ بَشَّارٍ وَحَمَادٍ . وَكَانَ بَشَّارٌ يَرْمِي حَمَادًا بِالزَّنْدَقَةِ ، وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ :

إِبْنُ نَهْيٍ رَأْسٌ عَلَى تَقِيلٍ \* وَأَحْتِمَالُ الرُّعُوسِ خَطْبٌ جَلِيلُ  
أُدْعُ غَيْرِي إِلَى عِبَادَةِ الْأَنْبِيَاءِ \* مِنْ فِإْنِي بُوَاحِدٍ مَشْغُولُ  
يَا بَنَ نَهْيٍ بَرِئْتُ مِنْكَ إِلَى اللَّهِ جِهَارًا وَذَلِكَ مِنِّي قَلِيلُ

فأشاع حمادٌ هذه الأبيات لبشّار، وجعل فيها مكان : « فإني بواحد مشغول » « فإني عن واحد مشغول » ليصح عليه الزندقة والكفر بالله تعالى . فما زالت الأبيات تدور في الناس حتى انتهت إلى بشّار، فأضطرب منها وجزع وقال : أشاط ابنُ الفاعلةِ يدِي، والله ما قلتُ إلا « فإني بواحد مشغول » فغيرها حتى شهرت في الناس .

كأن رجلٌ من أهل البصرة يدخل بين حماد وبشار على اتفاقٍ منهما ويرى بأن ينقل  
إلى كل واحد منهما وعنه الشعر، فدخل يوماً إلى بشار فقال له : إيه يافلان ، ما قال ابن  
الفاعلة؟ فأنشده :

إن تاه بشارٌ عليكم فقد \* أمكنتُ بشاراً من التيه

فقال بشار : بأى شيءٍ ويحك؟ فقال :

وذاك إذ سميتُه باسمه \* ولم يكن حراً نسيته

قال : سخنت عينه ، فأبى شيء كنتُ أعرف! إيه ، فقال :

فصار إنساناً بذكري له \* ما يتغنى من بعد ذكريه!

فقال : ما صنع شيئاً ، إيه ويحك! فقال :

لم أفرج بشاراً ولكني \* هجوتُ نفسي بهجائبه

فقال : على هذا المعنى دار وحوله حام . وتأم الأبيات :

لم آت شيئاً قط فيما مضى \* ولستُ فيما عشتُ آتية

أسوأ لى فى الناس أهدوثة \* من خطأ أخطأته فيه

فأصبح اليوم لسي له \* أعظم شأناً من مواله

وقال بشارٌ لراوية حماد : ما هجاني به اليوم حماد؟ فأنشده :

ألا من مبلغ عني ال \* بذى والده بُرد

فقال : صدق ابنُ الفاعلة فما يكون؟ فقال :

إذا ما نُسبَ الناس \* فلا قبل ولا بعد

فقال : كذب ، أين هذه العرصاتُ من عقيل! فما يكون؟ فقال :

وأعمى قَلطبان<sup>(١)</sup> ما \* على قاذفه حد

(١) القلطان : الذى لا يغار .

فقال : كذب ، بل عليه ثمانون جلدَةً ، هيه ، فقال :

وأعمى يُسبِّه القِرْدَ \* إذا ما عمى القِرْدُ

فقال : والله ما أخطأ حين شبّهني بقِرْدٍ ، حَسْبُكَ حَسْبُكَ ! ثم صَفَّقَ بيديه وقال :  
ما حيلتي ! يراني فُيَشِّبَنِي ولا أراه فأشبهه . وتأمُّ الأبيات :

دَنِيُّ لَمْ يَرْحُ يَوْمًا \* إلى مَجْدٍ ولم يَفْدُ

ولم يَحْضُرْ مع الحُضَا \* رٍ في خَيْرٍ ولم يَبْدُ

ولم يُحْشَ له ذَمٌّ \* ولم يُرْجَ له حَمْدُ

جَرَى بالنَّحْسِ مُدْكَان \* ولم يَجْرِلْه سَعْدُ

هو الكلبُ إذا مات \* فلم يُوجَدْ له فَقْدُ

وقال علي بن مهدي : أجمع علماء البصرة أنه ليس في هجاء حماد تجرد لبشار إلا أربعون بيتاً معدودة ، ولبشار فيه من الهجاء أكثر من ألف بيت جيد . وكل واحد منهما هو الذي هتك صاحبه بالزندقة وأظهرها عليه ، وكانا يجتمعان عليهما ، فسقط حماد وهتك بفضل بلاغة بشار وجودة معانيه ، وبقي بشار على حاله لم يسقط ، حتى عرف مذهبه في الزندقة فقتل به .

ومن أغلظ ما هجا به حمادُ بشاراً :

نَهَارُهُ أَخْبِثُ من لَيْسَلِهِ \* ويَوْمُهُ أَخْبِثُ من أَمْسِهِ

وليس بالمُقْلِعِ عن غِيَّةٍ \* حتى يُوَارَى في ثَرَى رَمْسِهِ

كان حمادُ صديقاً ليحيى بن زياد ، فأظهر يحيى تورعاً وقراءةً وزُوعاً عما كان فيه وهجر حماداً وأشباهه ، فكان إذا ذُكر عنده ثلثه وذُكر تهتكه ومُجُونه ، فبلغ ذلك حماداً فكتب إليه :

هَلْ تَدْرُكُنْ دَيْلِي اليه \* بك على المَضْمَرَةِ الفِلاصِ

أَيَّامَ تُعْطِينِي وتَأُ \* خُدُّ من أباريق الرِّصَاصِ

إن كان نُسْكُكَ لا يَتِي \* مٌ بغير شَمْتِي وأنتِقاصِي

أو كنتَ لستَ بغيرِ ذَا \* لك تَنالَ مَنزِلَةَ الخِلاصِ

فعليك فاشتمُّ آمِنًا \* كَلَّ الأمان من الفِصَاصِ  
 وأقعد وقمَّ بي ما بدا \* لك في الأَدَانِي والأَقَاصِي  
 فَلَطَمًا زَكَّيْتِي \* وأنا المَقِيمُ على المعاصِي  
 أَيامَ أنتَ إذا ذُكِرَ \* تُ مُناضِلٌ عَنِّي مُناصِي<sup>(١)</sup>  
 وأنا وأنتَ على آرتكا \* بالمُؤَبِّقاتِ من الحِراصِ  
 وبِنَا مَواطِنُ ما بنا \* في البرِّ آهَلَةُ العِراصِ

فاتصل هذا الشعرُ بيجي بن زياد، فنسب حمادا الى الزندقة وربما بالخروج عن الإسلام؛ فقال حماد فيه :

لا مُؤمِنٌ يُعَرِّفُ إيمانَهُ \* وليس يَحِييُ بالفتى الكافرِ  
 منافقٌ ظاهِرُهُ ناسِكٌ \* مخالفٌ الباطِنُ للظاهرِ

كان حمادُ صديقاً لحريث بن أبي الصلتِ الثَّقَفِيِّ، وكان يعيبه بالبخل، وفيه يقول :

حريثُ أبو الفضلِ ذو خَبْرَةٍ \* بما يُصْلِحُ المَعَدَّ الفاسدِ  
 تَخَوَّفَ نُجْمَةَ أَضْيافِهِ \* فعودهم أَكَلَةً واحِدِ

ومن قوله :

ألا قُلْ لعبدِ الله إنَّكَ واحِدٌ \* ومثلك في هذا الزمانِ كثيرُ  
 قَطَعْتَ إِحائِي ظالِمًا وهَجَرْتَنِي \* وليس أُنحَى من في الإخاءِ يَجُورُ  
 أُدِيمُ لأهلِ الوُدِّ وُدِّي وإِنِّي \* لمن رامَ هَجْرِي ظالِمًا لهَجُورُ  
 ولو أن بَعْضِي رَأَيْتَنِي لَقَطَعْتُهُ \* وإِنِّي بِقَطْعِ الرائِثِينَ جَدِيرُ  
 فلا تَحْسَبَنَّ مَنَحِي لك الوَدَّ خالِصًا \* لِعِزِّ ولا أُنِي إِلَيْكَ فقيرُ  
 ودونَكَ حَظِّي منك لستُ أريدُهُ \* طَوَالَ اللَّيالي ما أَقامَ تَبِيرُ<sup>(٢)</sup>

(١) مناص : مدافع، من قولهم ناصاه مناصاة : أخذ كل بناصية صاحبه . (٢) تبير : اسم جبل .

كان حماد صديقاً لحفص بن أبي بردة ، وكان حفص أعمش أفتس أعصب مقبح  
الوجه ، فاجتمعوا يوماً على شرابٍ وجعلوا يتناشدون ويتحدثون ، فأخذ حفص يطعن على  
مرقسش ويعيب شعره ويلحنه ، فقال له حماد :

لقد كان في عينيك يا حفص شاغلٌ \* وأنفٌ كئيلٌ العودِ عما نتبعُ<sup>(١)</sup>  
نتبعُ لحنًا في كلامٍ مرقشٍ \* ووجهك ميني على اللحن أجمع  
فأذناك إقواءً وأنفك مكفأً \* وعيناك إيطاءً فانت المرقعُ

ومن قوله :

إني أحبك فاعلمي \* إن لم تكوني تعامينا  
حباً أقل قلبه \* بجمع حب العالمينا

وأنشد بشار قول حماد مجرد :

أحى كُف عن لومي فإنك لا تدري \* بما فعل الحب المبرح في صدري  
أحى أنت تلحاني وقلبك فارغٌ \* وقلبي مشغول الجوانح بالفكر  
دوائٍ ودائٍ عند من لو رأيتَه \* يقلب عينيه لأقصرت عن زجري  
فأقسم لو أصبحت في لوعة الهوى \* لأقصرت عن لومي وأظنبت في عذري  
ولكن بلائي منك أنك ناصحٌ \* وأنت لا تدري بأنك لا تدري

فطرب بشار ثم قال : ويلكم أحسن والله ! من هذا؟ قالوا : حماد مجرد ؛ قال : أوه وكنتموني  
والله بقية يومى لهم طويل ، والله لا أطمع بقية يومى طعاما ، ولأصومن عمّا بما يقول  
النبطي مثل هذا .

قال محمد بن الفضل السلولي : لقيت حماد مجرد بواسطة وهو يمشى وأنا راكب ، فقلتُ  
له : أنطلق بنا الى المنزل ، فإني الساعة فارغٌ لتحدث ، وحبست عليه الدابة ، فقطع شغلٌ  
عرَض لي لم أقدر على تركه ، ففضيتُ وأُسيتُهُ ، فلما بلغتُ المنزل خفتُ شره فكتبتُ اليه :

(١) الثيل : وعاء قضيب البعير ، والعود : البعير .

أَبَا عَمْرٍو أَخْفَرَهَا هُدَيْتَ فَإِنِّي \* قَدْ أَذْنَبْتُ ذَنْبًا مَخْطَأًا غَيْرَ عَامِدٍ  
فَلَا تَجِدَنَّ فِيهِ عَلَيَّ فَإِنِّي \* أَقْرُ بِإِجْرَامِي وَلَسْتُ بِعَائِدٍ  
وَهَبْهُ لَنَا تَفْدِيكَ نَفْسِي فَإِنِّي \* أَرَى نِعْمَةً أَنْ كُنْتَ لَسْتَ بِوَاجِدٍ  
وَعُدْ مِنْكَ بِالْفَضْلِ الَّذِي أَنْتَ أَهْلُهُ \* فَإِنَّكَ ذُو فَضْلٍ طَرِيفٍ وَتَالِدٍ

فأجابني عن الأبيات :

مُحَمَّدُ يَا أَبَا الْفَضْلِ يَا ذَا الْحَمَامِدِ \* وَيَا بَهْجَةَ النَّادِي وَزَيْنَ الْمَشَاهِدِ  
وَحَقِّكَ مَا أَذْنَبْتَ مِنْذَ عَرَفْتَنِي \* عَلَيَّ خَطَأٌ يَوْمًا وَلَا عَمْدٌ عَامِدٍ  
وَلَوْ كَانَتْ مَا أَلْفَيْتَنِي مَتَسْرَعًا \* إِلَيْكَ بِهِ يَوْمًا تَسْرَعُ وَاجِدٌ (١)  
وَلَوْ كَانَ ذُو فَضْلٍ يُسَمَّى لَفَضَلَهُ \* بِغَيْرِ اسْمِهِ سُمِّيَتْ أُمُّ الْقَلَائِدِ

فبينما رقعته في يدي وأنا أقرؤها إذ جاءني رسوله برقعة فيها :

قَدْ غَفَرْنَا الذَّنْبَ يَا بَنَ الْ \* فَضْلِ وَالذَّنْبَ عَظِيمِ  
وَمُسَى أَنْتَ يَا بَنَ الْ \* فَضْلِ فِي ذَاكَ مُلِيمِ  
حِينَ تَخْشَانِي عَلَى الذَّنْبِ \* بِكَمَا يُخْشَى اللَّئِيمِ  
لَيْسَ لِي إِنْ كَانَ مَا خَفَ \* تَ مِنْ الْأَمْرِ حَرِيمِ  
أَنَا وَاللَّهِ وَلَا أَفُ \* حَرُّ الْغَيْظِ كَطُومِ  
وَبِأَصْحَابِي وَلَا رِي \* بَةَ بَرٍّ وَرَحِيمِ  
وَبِمَا يُرْضِيهِمْ عِنْدِي \* وَيُرْضِينِي عَلِيمِ

كان عثمان بن شيبه مبخلًا وكان حماد يهجوهُ ، فجاء رجل كان يقول الشعر الى حماد

فقال له :

أَعْنِي مِنْ غِنَاكَ بَيْتَ شِعْرٍ \* عَلَى فَقْرِي لِعُثْمَانَ بْنِ شَيْبَةَ

فقال :

فإنك إن رضيت به خليلاً \* ملأت يديك من فقر وخييه

(١) أي لو كان لك ذنب ما صادفتني مسرعا اليك بالمكافأة .

فقال له الرجل : جزاك الله خيراً فقد عرفني من أخلاقه ما قطعني عن مدحه وصنت وجهي عنه .

لما مات محمد بن أبي العباس طلب محمد بن سليمان حمادَ مجرد لما كان يقوله في أخته زينب من الشعر ، فعلم أنه لا مقامَ له معه بالبصرة ، فاستجار بقبر أبيه سليمان بن علي وقال فيه :

مِنْ مُقَرِّ بِالذَّنْبِ لَمْ يُوجِبِ اللد \* هُ عَلَيْهِ سِيَّءٌ إِقْرَارَا  
 لَيْسَ إِلَّا بِفَضْلِ حَامِكِ يَع \* تَدَّ بِلَاءٌ وَمَا يَعُدُّ آعْتَارَا  
 يَا ابْنَ بِنْتِ النَّبِيِّ أَحْمَدَ لَا أَج \* عَلَّ إِلَّا إِلَيْكَ مِنْكَ الْفِرَارَا  
 غَيْرَ أَنِّي جَعَلْتُ قَبْرَ أَبِي أَيُّ \* بَلَى مِنْ حَوَادِثِ الدَّهْرِ جَارَا  
 وَحَرِيٌّ مِنْ آسْتَجَارَ بِذَلِكَ ال \* قَبْرِ أَنْ يَأْمَنَ الرَّدَى وَالْعِتَارَا  
 لَمْ أَجِدْ لِي مِنَ الْعِبَادِ مُجِيرَا \* فَآسْتَجَرْتُ التُّرَابَ وَالْأَحْجَارَا  
 لَسْتُ أَعْتَاضُ مِنْكَ فِي بُغْيَةِ الْعِزَّةِ حَقَّانَ كُلَّهَا أَوْ نِزَارَا  
 فَأَنَا الْيَوْمَ جَارٌ مِنْ لَيْسَ فِي الْأَر \* ضِ مُجِيرٌ أَعَزُّ مِنْهُ جَوَارَا  
 يَا ابْنَ بِنْتِ النَّبِيِّ يَا خَيْرَ مَنْ حَطَّ \* نَتْ إِلَيْهِ الْغَوَارِبُ الْأَكْشَارَا  
 إِنْ أَكُنْ مَذْنِبًا فَأَنْتَ ابْنُ مَنْ كَا \* نَ لِمَنْ كَانَ مَذْنِبًا غَفَّارَا  
 فَاعْفُ عَنِّي فَقَدْ قَدَّرْتَ وَخَيْرُ ال \* عَفْوِ مَا قَلَّتْ : كُنْ ، فَكَانَ آقْبِدَارَا  
 لَوْ يُطِيلُ الْأَعْمَارَ جَارٌ لَعَزَّ \* كَانَ جَارِي يُطَوِّلُ الْأَعْمَارَا

فقال : والله لأبلى قبر أبي من دمه ، فهرب حماد إلى بغداد ، فعاد بجعفر بن المنصور فأجاره ، وقال : لا أرضى أو تهجو محمد بن سليمان ، فقال يهجو :

قُلْ لَوَجْهِ الْخَصِيِّ ذِي الْعَارِإِي \* سَوْفَ أَهْدِي لَزَيْنَبَ الْأَشْعَارَا  
 قَدْ لَعَسَرِي فَرَزْتُ مِنْ شِدَّةِ الْخَوْ \* فِي وَأَنْكَرْتُ صَاحِبِي نَهَارَا  
 وَظَنَنْتُ الْقُبُورَ تَمْنَعُ جَارًا \* فَآسْتَجَرْتُ التُّرَابَ وَالْأَحْجَارَا

كنتُ عند أستجارتى بأبي آية \* وب أبي ضلالة وخسارا  
 لم يُجِرني ولم أجد فيه حظًا \* أضرم الله ذلك القبر نارًا  
 فبلغ هجاءه محمد بن سليمان فقال : والله لا يُفلتني أبدا، وإنما يزداد حَتْفًا بلسانه ! ولا والله  
 لا أعفو عنه ولا أتغافل أبدا .

ومن قوله :

إن الكريم ليخفي عنك عُسْرته \* حتى تراه غنياً وهو مجتهد  
 وللبخيل على أمواله عِلٌّ \* زُرُقُ العيون عليها أوجه سُود  
 إذا تكرمت أن تُعطى القليل ولم \* تقدر على سعة لم يظهر الجود  
 أبرق بخير تُرجى للنوال فما \* تُرجى الثمار إذا لم يُورق العود  
 بُتُّ النوال ولا تمنعك قَلْتُهُ \* فَكُلُّ ما سدَّ فقراً فهو محمود

وقال أيضا :

كَمْ من أخ لك لست تُنكره \* ما دمت من دنياك في يسر  
 مُتصنِّع لك في مودته \* يلقاك بالترحيب والبشر  
 يُطسرى الوفاء وذا الوفاء ويد \* حتى القدر مجتهدا وذا القدر  
 فإذا عدا، والدهر ذو غير، \* دهرٌ عليك عدا مع الدهر  
 فارفض باجمال مودة من \* يقلي المُقسل ويعشق المثرى  
 وعليك من حاله واحدة \* في العسر إتما كنت واليسر  
 لا تخلطنهم بغيرهم \* من يخلطُ العقيان بالصفر!

وهو القائل في محمد بن طلحة :

زرتُ أمراً في بيته مرة \* له حياءٌ وله خير  
 يكره أن يُنخِمَ إخوانه \* إن أذى التُّخمة محذور  
 ويشتهي أن يُوجروا عنده \* بالصوم والصائم مأجور  
 يا ابن أبي شهدة أنت أمرؤ \* بصحة الأبدان مسرور

وهو القائل في محمد بن أبي العباس السفاح :

أرجوك بعد أبي العباس إذ بآنا \* يا أكرم الناس أعرافا وأغصانا  
لومحَّ عودٌ على قوم عَصارتَه \* لمحَّ عودك فينا المسك والبآنا

قيل : إن حمادا مضى الى الأهواز ، فأقام هناك مُستترا ، وبلغ محمدا خبره فأرسل مولى له الى الأهواز، فلم يزل يطلبه حتى ظفر به فقتله غيلة . وقيل : إنه خرج من الأهواز يريد البصرة ، فمر بشيراز في طريقه ، فمريض بها ، فأضطر الى المقام بسبب علته ، فأشتد مرضه فمات هناك ودُفن على تلعة . وكان بشارا بلغه أن حمادا عليل ، ثم نُعي اليه قبل موته ، فقال بشار :

لو عاش حماد لهونا به \* لكانه صار الى النار

فبلغ هذا البيت حمادا قبل أن يموت وهو في السياق ، فقال يرد عليه :

نُبئتُ بشارا نعانى ولد \* سموت برانى الخالق البارى  
يا ليتنى مت ولم أهجه \* نعم ولو صرتُ الى النار  
وأى تخزى هو أخزى من آن \* يُقال لى ياسب<sup>(٢)</sup> بشار

فلما قتل المهدي بشارا بالطيحة أتفق أن حُل الى منزله ميتا ، فدُفن مع حماد على تلك التلعة ، فتر بها أبو هشام الباهلي الشاعر البصرى الذى كان يُهاجى بشارا ، فوقف على قبريهما فقال :

قد تبع الأعمى قفا عجرد \* فأصبحا جارين فى دار  
قالت يقاع الأرض لامر حبا \* بقرب حماد وبشار  
تجاورا بعد تنائيهما \* ما أبغض الجار الى الجار  
صارا جميعا فى يدى مالك \* فى النار والكافر فى النار

(١) السياق : الاحتضار . (٢) السب : الكثر السباب .

٣ - مروان بن أبي حفصة<sup>(١)</sup>

« لم يكن مروان متصرفاً في فنون الشعر، ولعله لم يعد منها فناً أو فنين؛ فلسنا نعرف له غزلاً إلا هذا الغزل الذي تعود الشعراء أن يبدءوا به مدائحهم؛ ولسنا نعرف له هجاء إلا هذا النحو من الهجاء الذي يضطر اليه الشعراء السياسيون حين يدافعون عن مذهبهم ويهاجمون خصومهم. على أن موقف مروان كان في هذا دقيقاً جداً، فهو لم يكن ينصر بنى العباس على بنى أمية فيبلغ منهم ما يريد، ويهجوهم في حرية؛ وإنما كان السيف هو الذي آتتصر للعباسيين من بنى أمية، وكان العباسيون في حاجة إلى من ينصرهم على العلويين وأتباعهم من بنى هاشم، ولم يكن هجاء العلويين يسيراً! كان الدين يأباه في ذلك الوقت، وكانت كرامة الخلافة العباسية نفسها تأباه أيضاً، فالعلويون من بنى هاشم وهجاؤهم هجاءً للعباسيين؛ ومن هنا سلك مروان وأمثاله من الشعراء السياسيون الذين ناضلوا عن حقوق العباسيين مسلك الدفاع والمناظرة الشريفة البريئة من الشتم والقذف، فكان دفاعهم أبلغ، وكانت مناظراتهم أحسن وقعاً من هجاء أولئك الشتاميين المسرفين في الشتم؛ ثم لا نعرف

(١) هو من الشعراء الموالي أصل جده من سبي اصطخر، وكان غلاماً اشتراه عثمان بن عفان ووهبه لمروان بن الحكم، وأقام بعدئذ بايماة، وقد اختلفوا في حقيقة نسبه. شب مروان على كره الشيعة لأنه من موالى بنى أمية وقد حارب معهم، وكان شجاعاً مجرباً، فلما نبغ في الشعر قدم بغداد ومدح المهدي ثم الرشيد، وكان يتقرب إليه بهجاء العلويين، وهو من الفحول المقدمين، أول من شهره ونوه به معن بن زائدة الجواد المشهور بقصيدة نونية مدحه بها، مطلعها:

معن بن زائدة الذي زيدت به \* شرفاً على شرف بنو شيبان

ولكنه اشتهر على الخصوص بقصيدة لامية مدح بها معنا مطلعها:

بنو مطريوم اللقاء كأنهم \* أسود لهم في بطن خفان أشبل

فأجازه عليها بمال كثير، فكان كلما زاده معن عطاء زاده مروان مدحا. توفي سنة ١٨١ هـ. وتجد أخباره في الأغاني (ج ٩ ص ٣٦) وابن خلكان (ج ٢ ص ١٣٠) والشعر والشعراء (ص ٤٨١) وخرانة الأدب (ج ١ ص ٤٤٧) والفهرست لأبن النديم (ص ١٦٠).

(٢) من بحوث صديق الدكتور طه حسين أستاذ الآداب العربية بالجامعة المصرية.

لمروان مجونا ولا عبثا، فلم يكن كما قلنا ماجنا ولا عابثا وإنما كان بخيلا، والبخل والعبث شيان لا يتفان، ومن ضنَّ على نفسه باللحم وطيبات الطعام لم يستبح لنفسه نحرا ولا ما تستبعه الخمر . ثم لا يعرف مروان نحرا وما تحسب أنه فاحر أو مال الى الفخر، فقد كان رجلا عمليا يعنيه أن يظفر بالمكانة والثروة وكان يرضن بوقته وجهده على الفخر الذي لا يقيد . لم يعرض إذن إلا لفنَّين اثنين : المدح والرثاء، وهو في المدح أشعر منه في الرثاء وهذا طبعي، فهو راغب حين يمدح، يطلب المال ويحرص على أن يظفر به، فمعقول أن يُجيد وأن يبلغ من الإجادة حظا عظيما؛ أما في الرثاء فهو لا يرغب ولا يطلب مالا وإنما يفي بعهد ويشكر صنعة . ومعقول أن موقفه هذا لا يدفعه الى الإجادة إلا أن يكون حساسا دقيق الشعور راقى النفس، ولم يكن مروان من هذا كله في شيء، وإنما كان كما قلت لك رجلا عمليا يريد المال . على أن رثاء لمعني ليس بالردىء وكذلك رثاؤه للهدى، وهل نستطيع أن نعد رثاءه للهدى رثاء! هو مدح لأنه عزاء للخليفة الجديد، ففيه ذكر للخليفة الراحل، والثناء على وارثه، وفيه المثوبة والعطاء . فهو الى المدح أقرب منه الى الرثاء .

أما مدح مروان فمن آيات المدح العربي، ونحن لا نحفظ منه إلا متفرقات قليلة ولكنها تكفي لنحكم أن مروان كان قد أتقن المدح وبرع فيه، بل نحسب أنه برز في هذا الفن على غيره من المعاصرين، ولكن مدح مروان ينقسم الى قسمين متميزين : أحدهما المدح بالمعنى الشائع المعروف، وهو موجه لمع بن زائدة، فهو يفتن في وصف من بالجوهر والكرم والشجاعة والحب، ثم يفتن في مدح بني شيان الذين ينتمى اليهم معنى، وهو لا يخرج في مدحه هذا عن سنة الشعراء من قبله، ولكنه جيد المعاني متقاهما، حسن الألفاظ صافيها .

وأما القسم الثاني فهو هذا المدح السياسي الذي كان يُنشد الخلفاء من بني العباس، وهو مدح إن شئت ولكنه يمتاز عن المدح المعروف بما فيه من هذا النضال السياسي

الذي كان يحتاج الى مهارة وفطنة ودقة وخفة ، والذي كان يضطر صاحبه الى أن يقهر العلويين دون أن يؤذيهم ، والى أن ينصر العباسيين دون أن يزدري خصومهم ، وقد بلغ مروان من ذلك ما أراد ، فقد أغضب العلويين لا لأنه آذاهم أو هجاهم فيما نعتقد ، بل لأنه كان خصما قويا عنيدا ماهرا في الخصام .

ثم هناك شيثان لا بد من الإشارة اليهما ليكمل رأينا في مروان، ولنستطيع أن نحكم على شعره حكما معللا إن صح هذا التعبير :

الأول : أت مروان لم يكن عراقيا ولم يرض الإقامة في العراق ولم يُطل عشرة العراقيين من أهل المَجُون والعَبَث ، وإنما كان من أهل اليمامة أقام فيها لا يبرحها إلا وافدا على أمير أو وزير أو خليفة ، فاذا أنسد قصيدته وظفر بجائزته عاد الى اليمامة وأقام فيها عامه ثم استأنف الرحلة . ولهذا أثره في شعر مروان ، فهو أقرب الى شعر الجاهليين والإسلاميين منه الى شعر المُحدَثين من شعراء الحضارة العباسية ، تقرأه فتجد عليه هذه المسحة التي تخلو أو تكاد تخلو من الدُعابة والحِقة ، وتمتاز بشيء من الجلال والرصانة ، يُمثل البادية تمثيلا صحيحا ؛ ولهذا أثره من وجهة أخرى ، فقد رضى علماء اللغة جميعا عن مروان وأحبوه من هذه الناحية ، وما أشك أنا في أنهم كانوا يودون لو استطاعوا إيثاره على بشار وأبي نواس ، لأنه كان أقرب منهما الى الأسلوب البدوي القديم ، ولكن أنى لهم ذلك ! وقد سلط الله عليهم لسان بشار وأبي نواس فاضطروا الى أن يحابوا هذين الشاعرين ويمتلقوهما ، وأجمعوا أو كادوا يُجمعون على تقديم بشار وإيثاره على مروان . ومع ذلك فليس الى المقارنة سبيل بين الشاعرين اذا آتخذنا وجهة البحث والنقد ، هذه الوجهة التي كان يُعنى بها علماء اللغة وهى وجهة المتانة والرصانة فى اللفظ والأسلوب ، لا يُقاس الى مروان فى هذا أحد من شعراء العراق ، أما اذا آتخذنا وجهة أخرى للنقد ، اذا آتخذنا اختلاف الفنون التي طرقتها الشاعر ، وقرب المأخذ ، والدنو من أذهان الناس والقدرة على تمثيل حياتهم ، فليس مروان يقاس الى بشار ولا الى أبي نواس بنوع خاص ؛ على أت من علماء اللغة من أستطاع أن يكون شجاعا شريفا فى فنه لا يخاف

ولا يهاب فصدق نفسه وصدق الناس، وآثر مروان على غيره من الشعراء المعاصرين، وهذا العالم اللغوي هو ابن الأعرابي الذي ختم الشعر بمروان وأبى أن يدون لأحد من المحدثين بعده، والذي كان يُنشد مع الإعجاب الشديد هذه الأبيات الجيدة من شعر مروان، وهي:

بَنُو مَطَرٍ يَوْمَ اللِّقَاءِ كَأَنَّهُمْ \* أَسْوَدُ لَهَا فِي بَطْنِ خَفَّانٍ أَشْبَلُ  
هُمْ يَمْنَعُونَ الْجَارَ حَتَّى كَأَنَّهَا \* لِجَارِهِمْ بَيْنَ السَّمَائِكَيْنِ مَنَزِلُ  
لَهَا مِيمٌ فِي الْإِسْلَامِ سَادُوا وَلَمْ يَكُنْ \* كَأَوْلِهِمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ أَوْلُ  
هُمْ الْقَوْمُ إِنْ قَالُوا أَصَابُوا وَإِنْ دُعُوا \* أَجَابُوا وَإِنْ أَعْطُوا أَطَابُوا وَأَجْرُوا  
وَلَا يَسْتَطِيعُ الْفَاعِلُونَ فَعَالَهُمْ \* وَإِنْ أَحْسَنُوا فِي النَّائِبَاتِ وَأَجْمَلُوا

وكان ابن الأعرابي يقول: لو أتت معنًا أعطى مروان كل ما يملك بهذه الأبيات لما بلغ حقه.

الثاني: أن مروان لم يكن سريعاً في الشعر ولا متعجلاً ولا مسترسلاً مع الطبع وإنما كان بطيئاً متمهلاً. كان يجيد الشعر لأنه كان يجوده. كان يسلك هذه الطريقة التي يزعم الرواة أن زهيراً كان يسلكها في هذه القصائد التي يسمونها الحواريات، كان يُنفق أشهراً في إنشاء القصيدة وأشهرها في إصلاحها وأشهرها في عرضها حتى إذا استقام له هذا كله أنشد قصيدته بمدوحه خليفة كان أو وزيراً أو أميراً، فليس عجيباً مع هذه الأناة أن يخلو شعره مما يُستنكر وأن يبرأ من الضعف والوحشية معاً. ولقد يُحدثنا الرواة بطائفة من أخبار مروان مع اللغويين والشعراء الذين كان يعرض عليهم شعره قبل أن ينشده الخلفاء. ولست أُشير إلا إلى سيرته مع بشار فلها معناها. كان مروان يعرض القصيدة على بشار ويسأله رأيه فيها فلا يجيبه بشار بأنها جيدة أو بأنها رديئة، بل يُقدر له قيمة القصيدة مالياً، فيقول: سيعطونك عليها كذا وكذا... وقد صدق بشار مرتين فأظهره مروان العجب من ذلك، فقال بشار: ألم أقل لك إنى أعلم الغيب! ولم يكن يعلم الغيب،

(١) طامع واحداً لطموم، وهو العظيم الكثير الخير.

وإنما كان يفهم مروان ويفهم الخلفاء ويفهم الميول السياسية التي كان من شأنها أن تُجَزَل حَظَّ مروان من العطاء .

كان مروان متناقضا ولكنه تناقض مفهوم، كان شديد الحرص على الإجابة، فكان يشك في شعره، ويستشير فيه الشعراء والنحاة، ولكنه كان مع ذلك معجبا بنفسه لا يقدم عليها أحدا بعد هؤلاء الشعراء الثلاثة : الأخطل والفرزدق وجرير . وأسمع رأيه فيهم وفي نفسه، فقد عَقدَهُ شعرا لِيُثَبَّتَ كما يقول :

ذَهَبَ الْفَرَزْدَقُ بِالْفَخَّارِ وَإِنَّمَا \* حُلُو الْقَرِيضِ وَمُرُهُ لِحَرِيرِ  
ولقد هَجَا فَا مَضَّ أَخْطَلُ تَغْلِبِ \* وَحَوَى اللَّهُمِّي بَيَانَهُ الْمَشْهُورِ  
كُلُّ الثَّلَاثَةِ قَدْ أَجَادَ فَمَدْحُهُ \* وَهَجَاؤُهُ قَدْ سَارَ كُلَّ مَسِيرِ  
ولقد جَرَيْتُ فُتُّ غَيْرَ مَهَلِّ \* بِجَرَاءِ لَا قَرِيفٍ وَلَا مَبْهُورِ  
إِنِّي لَأَنْفَ أَنْ أَحْبَرَ مِدْحَةَ \* أَبَدًا لَغَيْرِ خَلِيفَةَ وَوَزِيرِ  
مَا ضَرَّتْنِي حَسَدُ اللَّثَامِ وَلَمْ يَزَلْ \* ذُو الْفَضْلِ يَحْسُدُهُ ذُوو التَّقْصِيرِ

أما رأى مروان في النقد فبديع، كان يُنشد الشعر لأمرئ القيس ويقول : هو أشعرُ الناس، ثم ينشد شعر الأعشى ويقول : هو أشعر الناس، ثم ينشد شعر زهير ويقول : هو أشعر الناس، حتى إذا أنشد لطائفة كثيرة من الشعراء، فرآهم جميعا أشعر الناس، قال ضاحكا : الناس أشعر الناس ! ولست أعرف رأيا كهذا الرأي يمثل الشك في نقد الناقد المعاصرين والسخرية بهذا النقد» .

وننتقل من ذلك الوصف الرائع الى ذكر نبذة صالحة من أخباره وأشعاره .

دخل مروان بن أبي حفصة على المهدي بعد وفاة معن، فأنشدته مديحا فيه، فقال له المهدي : أَلَسْتَ الْقَائِلُ :

أَقْنَا بِالْإِمَامَةِ بَعْدَ مَعْنٍ \* مُقَامَا لَا نُزِيدُ بِهِ زَوَالًا

وَقَلْنَا أَيْنَ نَزَحَلُ بَعْدَ مَعْنٍ \* وَقَدْ ذَهَبَ النَّوَالُ فَلَا نُوَالَا

قد ذهب النوال فيما زعمت، فلم جئت تطلب نوالنا؟ لاشيء لك عندنا. فلما كان من العام المقبل تلتطف حتى دخل مع الشعراء، وإنما كانت الشعراء تدخل على الخلفاء كل عام مرة، فمثل بين يديه، وأنشد — بعد رابع أو خامس من الشعراء — :

طَرَقَتْكَ زَائِرَةٌ فِي خَيَالِهَا \* بِيضَاءُ تُخْلِطُ بِالْجَمَالِ دَلَالِهَا  
 قَادَتْ فَوَادِكَ فَاسْتَقَادَ وَمِثْلُهَا \* قَادَ الْقُلُوبَ إِلَى الصَّبَا فَأَمَالِهَا  
 فَكَأَنَّمَا طَرَقَتْ بِنَفْحَةِ رَوْضِيَّةٍ \* سَحَّتْ بِهَا دِيمُ الرِّبْعِ طِلَالِهَا  
 بَاتَتْ تَسْأَلُ فِي الْمَنَامِ مُعْرَسًا \* بِالْبَيْدِ أَشْعَثَ لَا يَمَلُّ سَوَالِهَا  
 فِي فِتْنَةٍ هَجَعُوا غِرَارًا بَعْدَ مَا \* سَمِعُوا مُرَاعِشَةَ السُّرَى وَمِطَالِهَا  
 فَكَأَن حَشَوْا ثِيَابَهُمْ هِنْدِيَّةً \* نَحَلْتُ وَأَغْفَلْتُ الْقِيُونَ صِفَالِهَا  
 وَضَعُوا الْخُدُودَ لِدَى سِوَاهُمْ جُنْحٍ \* تَشْكُو كَلُومَ صِفَاحِهَا وَكَلَالِهَا  
 طَلَبْتُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَوَاصَلْتُ \* بَعْدَ السُّرَى يُغْدُوهَا أَصَالِهَا  
 نَزَعْتُ إِلَيْكَ صَوَادِيًا فَتَقَاذَفْتُ \* تَطْوِي الْفَلَاحَةَ حُرُونَهَا وَرِمَالِهَا  
 يَتْبَعُنَ نَاجِيَةً يَهْزُ مِرَاحُهَا \* بَعْدَ النُّحُولِ تَلِيْلَهَا وَقَدَالِهَا  
 هُوَجَاءَ تَدْرِعُ الرُّبَا وَتَشْقُهَا \* شَقَّ الشَّمْسُ إِذَا تُرَاعَ جَلَالِهَا  
 تَنْجُو إِذَا دَفَعَ الْقَطِيعُ كَمَا نَجَتْ \* خَرَجَاءُ<sup>(٣)</sup> بَادَرْتُ الظَّلَامَ رِيَالِهَا<sup>(٤)</sup>  
 كَالْقَوْسِ سَاهِمَةٌ أَنْتَكَ وَقَدْتَرَى \* كَالْبُرْجِ تَمَلُّ رَحْلَهَا وَجِبَالِهَا

ومنها .

أَحْيَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مُحَمَّدٌ \* سُنَنِ النَّبِيِّ حَرَامِهَا وَحِلَالِهَا  
 مَلِكٌ تَفَرَّعَ نَبْعَةً مِنْ هَاشِمٍ \* مَدَّ الْإِلَهَ عَلَى الْأَنَامِ ظِلَالِهَا  
 جِبَلٌ لِأُمَّتِهِ تَلُوذُ بِرُكْنِهِ \* رَادَى جِبَالَ عَدُوِّهَا فَأَزَالِهَا

(١) الليل : العتق . (٢) تنجو : تسرع . (٣) الخرجاء : النعام . (٤) الرئال : فراخ

النعام واحد رأل .

لم يَغَشَّهَا مِمَّا يَخَافُ عَظِيمَةً \* إلا أَجَالَهَا الأُمُورَ مُجَاهَلًا  
 حَتَّى يُفَرِّجَهَا أَغْرًا مَهْدَبًا \* أَلْفَى أَبَاهُ مُفَرِّجًا أَمْثَالَهَا  
 ثَبَّتْ عَلَى زَلَلِ الحَوَادِثِ رَاكِبًا \* من صَرَفَهِنَّ لِكُلِّ حَالٍ حَالَهَا  
 كَلْنَا يَدَيْكَ جَعَلْتَ فَضْلَ نَوَالِهَا \* لِلسَّامِينِ وَلِلْعَدُوِّ وَبَالِهَا  
 وَقَعْتَ مَوَاقِعَهَا بَعْفُوكَ أَنْفُسُ \* أَذْهَبْتَ بَعْدَ مَخَافَةِ أَوْجَالِهَا  
 وَنَصَبْتَ نَفْسَكَ خَيْرَ نَفْسٍ دُونَهَا \* وَجَعَلْتَ مَالِكَ وَأَقِيًّا أَمْوَالَهَا  
 هَلْ تَعْلَمُونَ خَلِيفَةً مِنْ قَبْلِهِ \* أَجْرَى لِفَايَتِهِ الَّتِي أَجْرَى لَهَا  
 طَلَعَ الدَّرُوبَ مُشْمَرًا عَنِ سَاقِهِ \* بِالنَّخِيلِ مُنْصَلِتًا يُجِدُّ نَعَالَهَا  
 قُدُودًا تَرِيحُ إِلَى أَغْرٍ لَوَجْهِهِ \* نُورٌ يُضِيءُ أَمَامَهَا وَخِلَالَهَا  
 قَصُرَتْ حَمَائِلُهُ عَلَيْهِ فَقَلَّصَتْ \* وَلَقَدْ تَحَفَّظَ قَيْنُهَا فَأَطَالَهَا  
 حَتَّى إِذَا وَرَدَتْ أَوَائِلُ خَيْلِهِ \* جِيحَانًا بَثَّ عَلَى العَدُوِّ رِعَالَهَا<sup>(١)</sup>  
 أَحْمَى بِلَادَ المُسْلِمِينَ عَلَيْهِمْ \* وَأَبَاحَ سَهْلَ بِلَادِهِمْ وَجِبَالَهَا  
 أَدَمَتْ دَوَابِرَ خَيْلِهِ وَشَكِيمَهَا \* غَارَاتُهَا وَأَلْحَقَتْ أَطَالَهَا  
 لَمْ يُبْقِ بَعْدَ مُغَارِهَا وَطِرَادِهَا \* إِلَّا نَحَائِزَهَا<sup>(٢)</sup> وَإِلَّا آهَهَا  
 رَفَعَ الخَلِيفَةُ نَاطِرِيَّ وَرَاشِنِي \* بِيَدِ مَبَارَكَةِ شَكَرَتُ نَوَالَهَا  
 وَحُسِدَتْ حَتَّى قِيلَ أَصْبَحَ بَاغِيَا \* فِي المَشِيِّ مُتَرَفِّ شَيْئَةً مُخْتَالَهَا  
 وَلَقَدْ حَذَوْتَ لَنْ أَطَاعَ وَمِنْ عَصِي \* نَعْلًا وَرِثَتْ عَنِ النَّبِيِّ مَثَالَهَا

فزحف المهدي من صدر مُصَلَّاهِ حَتَّى صَارَ عَلَى البِيسَاطِ إِعْجَابًا بِمَا سَمِعَ ، ثُمَّ قَالَ :  
 كَمْ هِيَ ؟ قَالَ : مائة بيت ، فأمر له بمائة ألف درهم ، فكانت أول مائة ألف درهم أُعْطِيهَا  
 شاعر في أيام بنى العباس ، وهكذا فعل معه الرشيد لما أنشده قصيدته التي يقول فيها :

لَعَمْرُكَ مَا أَنَسَى غَدَاةَ المُحْصَبِ \* إِشَارَةَ سَلَمِيَّ بِالنَّبَانِ المُخْضَبِ  
 وَقَدْ صَدَرَ المُجْجَجُ إِلَّا أَقْلَهُمْ \* مَصَادِرَ شَتَّى مَوْجِبًا بَعْدَ مَوْكِبِ

(١) الرعال : القطع من الخيل واحدا رعلة . (٢) النحائر : الانساع .

قال مروان : دخلتُ على المهدي في قصر السلام، فلما سأمت عليه وذلك يعقب  
سُخْطه على يعقوب بن داود، فقلت : يا أمير المؤمنين، إن يعقوب رجل رافضى، وإنه  
سمعى أقول في الوراثه :

أنى يكونُ وليس ذاك بكائِنِ \* لِنى البناتِ وِراثَةُ الأعمامِ  
فذلك الذى حمه على عداوتى؛ ثم أنشدته :

كأنَّ أمير المؤمنين مجدا \* لرأفته بالناس للناس والدُّ

فقال له المهدي: والله ما أعطيك إلا من صُلبِ مالى، فاعذرني، وأمر لي بثلاثين ألف درهم  
وكساني جبةً ومُطْرَفًا، وفرض لي على أهل بيته ومواليه ثلاثين ألفًا أخرى .

لما قَدِمَ مَعَن من اليمن دخل عليه مروان والمجلس غاصُّ بأهله، فأخذ بعضادتي الباب  
وأنشأ يقول :

أرى القلبَ أمسى بالأوانس مولعًا \* وإن كان من عهد الصبا قد تمتعا  
ويقول فيها :

ولما سرى الهم الغريب قريته \* قري من ازال الشك عنه وأزما  
عزمتُ ففعلتُ الرحيل ولم أكن \* كذى لؤثة لا يطلع الهمم مطالعا  
فأمت ركابى أرض مَعينٍ ولم تزل \* الى أرض مَعينٍ حيثما كان نُزعا  
نجائب لولا أنها سُخِّرَت لنا \* أبت عِزَّةً من جهلها أن تورعا  
كسونا رحال الميس<sup>(١)</sup> منها غواربًا \* تدارك فيها<sup>(٢)</sup> التي صيفا ومربعا  
فما بلغت صنعا حتى تواضعت \* ذراها وزال الجهل عنها وأقلعا

الى أن قال :

وما الغيثُ اذ عمَّ البلادَ بصوبه \* على الناس من معروف مَعينٍ بأوسعا  
تدارك مَعَن قبة الدين بعدما \* حشينا على أوتادها أن تُزعا

(١) الميس : شجر عظيم تتخذ منه الرحال . (٢) التي : الشحم .

أقام على التَّهرِ المخوف وهاشم \* تُسَاقِ سِماما بالأسنَّة مُنقَعَا  
 مُقامَ امرئٍ يَأبى سِوى الخِطَّةِ التي \* تكون لدى غِيبِ الأحاديث أنفعا  
 وما أحجم الأعداءُ عنكَ بقيَّة \* عليك ولكن لم يروا فيكَ مَطعما  
 رأوا مُخَدِّراً قد جرَّبوه وعابنوا \* لدى غِيبِله منهم مجرَّاً ومَصْرعا  
 وليس بثنائه إذا شدَّ أن يرى \* لدى نحره زُرْقُ الأسنَّة سُمرَّعا  
 له راحتان الغيثُ والحنفُ فيهما \* أبى الله إلا أن تُضراً وتنفعا  
 لقد دَوخَ الأعداءَ مَعْنُ فأصبحوا \* وأمنعهم لا يدفع الذلَّ مدفعا  
 نجيبٌ مناجيبٌ وسيدٌ سادٍ \* ذرى المجد من فرعى نزارٍ تفرعا  
 لبانت خِصال الخير فيه وأكثت \* وما كُلتُ خمساً سنوه وأربعا  
 لقد أصبحت في كلِّ شرقٍ ومغربٍ \* بسيفك أعناقُ المُرَّيين خُضعا  
 وطئتُ حدود الحضرميين وطاة \* لها هُدُ ركنٌ منهم فتَضَعُضعا  
 فأقعوا على الأذنان إقعاء معشرٍ \* يرون لزوم السِّلْمِ أبى وأودعا  
 فلو مُدَّت الأيدي إلى الحرب كلها \* لكفوا وما مدوا إلى الحرب أصبعا

فقال له مَعْنُ : احتكم، قال : عشرة آلاف درهم، فقال مَعْنُ : رَجِينا عليك تسعين ألفا،  
 قال : أقلني، قال : لا أقال الله من يُقِيلُكَ .

لما مات المهديّ وفَدَّت العرب على موسى الهادي يهتونه بالخِلافَة ويُعزّونه عن  
 المهديّ، فدخل مروان فأخذ بعَضادتي الباب وقال :

لقد أصبحتُ تَحْتالُ في كلِّ بلدةٍ \* بقبر أمير المؤمنين المقابرُ

ولو لم تُسَكَّنْ بآبِه في مكانه \* لما بَرَحْتَ تبكي عليه المنابرُ

مرض عمرو بن مسعدة فدخل عليه مروان وقد أبلَّ من مرضه، فأنشأ يقول :

صَحَّ الجسمُ يا عمرو \* لك التَّمحيصُ والأجرُ

ولله علينا الحمد \* دُ والمِنَّة والشكر

فقد كان شكا شوقاً \* إليك النهى والأمر

قال موسى بن يحيى : أوصلنا الى مروان بن أبي حفصة في وقت من الأوقات سبعين ألف درهم، وجمع اليها مالا حتى تمت مائة ألف وخمسين ألف درهم وأودعها يزيد بن مزيد، فبينما نحن عند يحيى بن خالد إذ دخل يزيد بن مزيد، وكانت فيه دُعاة، فقال : يا أبا علي، أودعني مروان خمسين ومائة ألف درهم، وهو يشتري الخبز من البقال؛ فغضب يحيى ثم قال : علي بمروان، فأُتِيَ به، فقال له : قد أخبرني أبو خالد بما أودعته من المال وما تتناعه من البقال، والله لكأيرى من أثر البخل عليك أضرت من الفقر لو كان بك . ويروى أنه قال له : والله للبخل أسوأ عليك أثرا من الفقر لو صرت إليه فلا تبخل . وقال عمر بن شبة قال مروان : ما فرحت بشيء قط فرحي بمائة ألف وهبها لي أمير المؤمنين المهدي، فوزتها فزادت درهما، فاشترت به لحما . وقال جهم بن خلف : أتينا اليمامة فنزلنا على مروان بن أبي حفصة فأطعمنا تمرا وأرسل غلامه بفلس وسكجة ليشتري زيتا، فلما جاء بالزيت قال لغلامه : ختنني؛ قال : من فلس ! كيف أخونك؟ قال : أخذت الفلس لنفسك وأستوهبت الزيت . وقال التوزي : مر مروان بن أبي حفصة في بعض سفراته وهو يريد مغنى امرأة من العرب، فأضافته ؛ فقال : لله علي إن وهب لي الأمير مائة ألف أن أهب لك درهما؛ فأعطاه ستين ألف درهم، فأعطاه أربعة دوانق . وقال أبو دعامة : آشتري مروان لحما بنصف درهم فلما وضعه في القدر وكاد ينضج دعاه صديق له ، فردّه على القصاب بنقصان دائق، فشكاه القصاب وجعل ينادى هذا لحم مروان، وظن أنه يأنف لذلك ؛ فبلغ الرشيد ذلك فقال : ويلك ! ما هذا؟ فقال : أكره الإسراف .

دخل مروان على موسى الهادي فأنشده قوله فيه :

تَشَابَهَ يَوْمًا بِأَسِهِ وَنَوَالِهِ \* فَمَا أَحَدٌ يَدْرِي لِأَيِّهِمَا الْفَضْلُ

فقال له الهادي : أيما أحب اليك؟ أثلثون ألفا معجلة، أم مائة ألف تدون في الدواوين؟ فقال له : يا أمير المؤمنين، أنت تحسن ما هو خير من هذا، ولحكك أنسيته، أفأذن لي أن أذكرك؟ قال : نعم؛ قال : تعجل لي الثلاثين ألفا وتدون المائة ألف في الدواوين، فضحك وقال : بل يعجلان جميعا، فحمل اليه المال أجمع .

قال محمد النوفلي : آجتاز مروان برجل من بأهله من أهل الإمامة ، وهو يُنشد قوما كان جالسا اليهم شعرا مدح به مروان بن محمد ، وأنه قُتل قبل أن يلقاه ويُشده إياه ، أوله :

مروانُ يابن محمد أنت الذي \* زيدت به شرفا بنو مروان

فأعجبتة القصيدة ، فأمهل الباهلي حتى قام من مجلسه ، ثم أتاه في منزله فقال له : إني سمعت قصيدتك وأعجبتني ، ومروان قد مضى ومضى أهله ، وفاتك ما قدرت عنده . أفتبغني القصيدة حتى أتحتها ، فإنه خير لك من أن تبقى عليك وأنت فقير ؟ قال : نعم ؛ قال : بكم ؟ قال : بثلاثمائة درهم ، قال : قد آبتعتها ، فأعطاه الدراهم وحلقه بالطلاق ثلاثا وبالأيمان المحرجة ألا ينتحلها أبدا ، ولا ينسبها الى نفسه ولا ينسبها ، وأنصرف بها الى منزله فغير منها أبياتا وزاد فيها وجعلها في معن ، وقال في ذلك البيت :

معنُ بن زائدة الذي زيدت به \* شرفا على شرف بنو شيبان

ووفد بها الى معن حتى أثرى وآتست حاله ، فكان معن أول من رفع ذكره ونوه به . وله فيه مدائح بعد ذلك شريفة ومراثٍ حسنة . قال مروان : كان المنصور قد طلب معن بن زائدة طلبا شديدا وجعل فيه مالا ، فحدثني معن باليمن أنه أضطر لشدة الطلب الى أن قام في الشمس حتى لوحت وجهه ، وخفف عارضيه ولحيته ، وليس جبّة صوف غليظة ، وركب جملا من الجمال الثقالة يمضي الى البادية فيقيم بها ، وكان قد أبلى في حرب يزيد ابن عمر بن هبيرة بلاء حسنا غاظ المنصور وجده في طلبه ، قال معن : فلما خرجت من باب حرب تبغني أسود متقلدا سيفا حتى اذا غبت عن الحرس قبض على خطام جملي فأناخه وقبض على ، فقلت له : مالك ؟ قال : أنت طليبة أمير المؤمنين ، قلت : ومن أنا حتى يطلبني أمير المؤمنين ؟ قال : معن ابن زائدة ، قلت : يا هذا ، آتق الله ، وأين أنا من معن ؟ قال : دع هذا عنك ، فانا والله أعرّف بك منك ، فقلت له : فإن كانت القصة كما تقول ، فهذا جوهر حملته معي يفي بأضعاف ما بذله المنصور لمن جاءه بي ، فخذ ولا تسفك دمي ، قال : هاته ، فأخرجته اليه ، فنظر اليه ساعة وقال : صدقت في قيمته ، ولست قابله حتى أسألك

عن شيء ، فإن صدقني أطلقك ، فقلت : قل ، قال : إن الناس قد وصّفوك بالجوذ فأخبرني ، هل وهبت قط مالك كله؟ قلت : لا ، قال : فنصفه؟ قلت : لا ، قال : فثلثه؟ قلت : لا ، حتى بلغ العشر ، فاستحييت ، فقلت : أظن أني قد فعلت هذا ، فقال : ما أراك فعلته ، أنا والله راجل ورزقي من أبي جعفر عشرون درهما وهذا الجوهر قيمته آلاف الدنانير وقد وهبته لك ، ووهبتك لنفسك ولجوذك المأمون عنك بين الناس ، ولتعلم أن في الدنيا أجود منك فلا تعجبك نفسك ، ولتُحقر بعد هذا كل شيء تفعله ولا تتوقف عن مكربة ؛ ثم رمى بالعقد في حجرى وخطى خطام البعير وأنصرف ؛ فقلت : يا هذا ، قد والله فضحتني ولسفك دمي أهون عليّ مما فعلت ، فخذ ما دفعته اليك فإنني غني عنه ، فضحك وقال : أردت أن تكذبني في مقامى هذا ، والله لا أخذه ولا آخذ بمعروف ثمنا أبدا ومضى ؛ فوالله لقد طلبته بعد أن أمنت وبدلت لمن جاءني به ما شاء ، فما عرفت له خبرا وكان الأرض آبتلته . وكان سبب رضا المنصور عن معن أنه لم يزل مستترا حتى كان يوم اذاشمية<sup>(١)</sup> ، فلما وثب القوم على المنصور وكادوا يقتلونه ، وثب معن وهو متلثم فانتضى سيفه واتل فأبلى بلاء حسنا وذبح القوم عنه حتى نجا وهم يحاربونه بعد ؛ ثم جاء والمنصور راكب على بغلة ولحماها بيد الربيع فقال له : تتحّ فإنني أحقّ بالبحام منك في هذا الوقت وأعظم فيه غناء ؛ فقال له المنصور : صدق فادفعه اليه ، فأخذه ولم يزل يقاتل حتى أنكشفت تلك الحال ، فقال له المنصور : من أنت؟ لله أبوك! قال : أنا طلبتكم يا أمير المؤمنين معن بن زائدة ؛ قال : قد أمنتك الله على نفسك ومالك ومثلك بضطّاع ، ثم أخذه معه وخلع عليه وحباه وزينه ، ثم دعا به يوما فقال له : إني قد أملتك لأمر فكيف تكون فيه؟ قال : كما يحبّ أمير المؤمنين ؛ قال : قد وليتكم اليمن فابسط السيف فيهم حتى ينقضّ حلف ربيعة واليمن ، وأبلغ من ذلك ما يحبّ أمير المؤمنين ؛ فولاه اليمن وتوجه إليها فبسط السيف فيهم حتى

(١) مدينة بناها السفاح بالكوفة وذلك أنه لما ولي الخلافة نزل بقصر ابن هبيرة واستتم بناءه وجعله مدينة وسماها الهاشمية ، فكان الناس ينسبونها إلى ابن هبيرة على العادة ، فقال : ما أرى ذكر ابن هبيرة يسقط عنها ، فرفضها وبني حياها مدينة سماها الهاشمية ونزلها .

أسرف . قال مروان : وقدم معن بعقب ذلك فدخل على المنصور ، فقال له بعد كلام طويل :  
قد بلغ أمير المؤمنين عنك شيء لولا مكانك عنده ورأيه فيك لغضب عليك ؛ قال :  
وما ذاك يا أمير المؤمنين ؟ قال : إعطاؤك مروان بن أبي حفصة ألف دينار لقوله فيك :

معنُ بنُ زائدة الذي زيدتُ به \* شرفاً على شرف بنو شيبانِ  
إن عُدَّ أيامَ الفِعالِ فإنما \* يوماه يومُ ندى ويومُ طِعانِ

فقال : والله يا أمير المؤمنين ما أعطيتُه ما بلَغك لهذا الشعر ، وإنما أعطيته لقوله :

ما زلتَ يومَ الهاشميةِ مُعلناً \* بالسيفِ دونَ خليفةِ الرحمنِ  
فمَنعتَ حوزتهِ وكنتَ وقاه \* مِن وقعِ كلِّ مهتدٍ وسنانِ

فأستحيا المنصور وقال : إنما أعطيتُه ما أعطيتُه لهذا القول ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين ؛  
والله لولا مخافة الشُّنعة لأمكتته من مفاتيح بيوت الأموال وأبجته إياها ؛ فقال له المنصور :  
لله دَرَك من أعرابي ! ما أهونُ عليك ما يعزُّ على الرجال وأهل الخزم !

وأختم هذه الترجمة بموت مروان يقصه قائله . روى صاحب الأغاني عن رجل  
يقال له صالح بن عطية الأصبجيم أنه قال :

لما قال مروان :

أني يكونُ وليس ذاك بكائن \* لبنى البناتِ وراثتهِ الأعمامِ

لزمته وعاهدت الله أن اغتاله فأقتله أي وقت أمكني ، وما زلت الألفه وأبره ، وأكتب  
أشعاره حتى خُصصت به فأبس بي جدا ، وعرفت ذلك بنو حفصة جميعا فأنسوا بي ،  
ولم أزل أطلب غيرة حتى مرض من حمى أصابته ، فلم أزل أظهر له الجزع عليه والأزمه  
والألفه حتى خلا لي البيت يوما ، فوثبت عليه فأخذت بحلقه فما فارقت حتى مات ، فخرجت  
وتركته فخرج إليه أهله بعد ساعة فوجدوه ميتا وأرتفعت الصيحة ، فحضرت وتباكيتُ  
وأظهرت الجزع عليه حتى دُفن وما فطن لما فعلت أحد ولا آتهمني به .

(١)  
٤ - أبو دَلَامَةَ

كان أوَّلَ ما حَفِظَ من شعره وأُسْنِيتِ الجِوَارِئِلِ به ، قصيدةٌ مَدَحَ بها أبا جعفر المنصور  
وذَكَرَ قَتْلَهُ أبا مُسْلِمٍ يَقولُ فيها :

أبا مسلم خَوْفَنِي القَتْلَ فَانْتَحَى \* عليك بما خَوْفَنِي الأَسَدَ الوَرْدُ

أبا مسلم ما غَيَّرَ اللهُ نِعْمَةً \* على عبده حتى يُغَيِّرَها العَبْدَ

أنشدها المنصور في مَحْفَلٍ من الناس فقال له : أَحْتَكِمُ ، فطلب عشرة آلاف درهم ،

فأمر له بها ، فلما خلا قال له : إيه ، أما والله لو تعديتها لقتلتك .

أمر أبو جعفر أصحابه بلبس السواد وقلانسٍ طوَالٍ تُدَعِّمُ بعيْدانٍ من داخلها ، وأن يُعَلِّقُوا

السيف في المناطق ويكتبوا على ظهورهم : ﴿ فَسَيَكْفِيكَمُ اللهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ فقال

أبو دلامة :

وَكَأُتْرَجِّي من إمامٍ زِيادَةَ \* بِخَادِ بَطُولٍ زَادَهُ في القِلاَنِسِ

تَراها على هامِ الرجالِ كأنها \* دِنانُ يهودٍ جَلَّتْ بالبرائِسِ

ودخل الى المنصور مرّةً فأنشده :

إِنَّ الخَلِيطَ أَجَدَ البَيْنَ فانتجعوا \* وَزَوْدوكِ خَبالًا ، نِئْسًا صَنَعُوا

والله يَعْلَمُ أَنَّ كادَتْ لِيَبِينَهُمُ \* يَوْمَ الفِراقِ حِصَاةُ القَلبِ تَنصِدِعُ

عَجِبْتُ من صِبْغَتِي يوماً وأُمَّهُمُ \* أُمَّ الدُّلَامَةِ لَمَّا هاجها الحَزَنُ

(١) هو زبد بن الجون ، وسمى أبا دلامة نسبة إلى ابنه دلامة ، وهو كوفي المنشأ أسود اللون مولى لبنى أسد ، وكان أبوه عبدا لرجل منهم فأعتقه . أدرك أبو دلامة أواخر الدولة الأموية ، ولكنه نبغ في الدولة العباسية ، وانقطع إلى أبي العباس السفاح والمنصور والمهدى ، وكانوا يقصدونه ويصلونه ويستطيّبون بحاسته ونوادره ، وفيه دعاية وظرف ، لا يخلو حديثه من نكتة أو ملحّة ، وكان مع ذلك معدودا في جملة التهمين بالزندقة وفساد الدين ، وكان يشرب الخمر ولا يحضر صلاة ولا فريضة . توفي سنة ١٦١ هـ . وأخباره في الأغاني ( ج ٩ ص ١٢٠ ) وابن خلكان طبع بلاق ( ج ١ ص ٢٦٧ ) والشعر والشعراء ( ص ٤٨٧ ) والدميري ( ج ١ ص ١٣٢ ) والمستطرف ( ج ٢ ص ٤٣ ) . (٢) في الشعر والشعراء : "أبا مجرم" . (٣) في الطبري ج ٢ ص ٣٧١ طبع أوربا "فزااد الامام المصطفى" .

لا بارك الله فيها من مُنْهَبَةٍ \* هَبَّتْ تَلُومَ عِيَالِي بَعْدَ مَا هَجَعُوا  
 وَنَحْنُ مُشْتَبِهُوا الْأَلْوَانَ أَوْجُهَنَا \* سُودٌ قِيَاحٌ وَفِي أَسْمَائِنَا شَنَعٌ  
 إِذَا تَشَكَّتْ إِلَى الْجُوعِ قَلْتُ لَهَا \* مَا هَاجَ جُوعَكَ إِلَّا الرَّيُّ وَالشَّبَعُ  
 لَا وَالَّذِي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَضَى \* لَكَ الْخِلَافَةَ فِي أَسْبَابِهَا الرَّفَعُ  
 مَا زِلْتُ أُخْلِصُهَا كَسْبِي فَمَا كَلُّهُ \* دُونِي وَدُونَ عِيَالِي ثُمَّ تَضْطَجِعُ  
 شَوْهَاءَ مَشْنَأَةً فِي بَطْنِهَا بِحَجْرٍ \* وَفِي الْمَفَاصِلِ مِنْ أَوْصَالِهَا فَدَعُ  
 ذَكَرْتُهَا بِكِتَابِ اللَّهِ حُرْمَتِنَا \* وَلَمْ تَكُنْ بِكِتَابِ اللَّهِ تَنْفَعُ  
 فَأَخْرَجْتُمُ ثُمَّ قَالَتْ وَهِيَ مُغْضَبَةٌ \* أَنْتِ تَتْلُو كِتَابَ اللَّهِ يَا لُكْعُ  
 أُخْرِجْ لِنَبِيِّ لَنَا مَالًا وَمَزْرَعَةً \* كَمَا لِلْجَيْرَانِنَا مَالٌ وَمُزْدَرَعُ  
 وَأَخْدَعُ خَلِيفَتِنَا عَنَّا بِمَسْأَلَةٍ \* إِنَّ الْخَلِيفَةَ لِلسُّؤَالِ يَنْخَدِعُ  
 فضحك أبو جعفر وكتب له بضبعة .

كان واقفا بين يدي السَّفَاحِ فقال له : سَلْنِي حَاجَتَكَ ، قَالَ : كَلْبٌ أَتَصِيدُ بِهِ ، قَالَ :  
 أَعْطُوهُ إِيَّاهُ ، قَالَ : وَدَابَّةٌ أَتَصِيدُ عَلَيْهَا ، قَالَ : أَعْطُوهُ دَابَّةً ، قَالَ : وَغَلَامٌ يَصِيدُ بِالْكَلْبِ  
 وَيَقُودُهُ ، قَالَ : أَعْطُوهُ غَلَامًا ، قَالَ : وَجَارِيَةٌ تُصَلِّحُ لَنَا الصَّيْدَ وَتُطْعِمُنَا مِنْهُ ، قَالَ :  
 أَعْطُوهُ جَارِيَةً ، قَالَ : هَؤُلَاءِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَمِيدُكَ ، فَلَا بَدَّ لَهُمْ مِنْ دَارٍ يَسْكُنُونَهَا ، قَالَ :  
 أَعْطُوهُمْ دَارًا تَجْمَعُهُمْ ، قَالَ : فَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُمْ ضَيْعَةٌ فَمِنْ أَيْنَ يَعِيشُونَ ؟ قَالَ : قَدْ أَعْطَيْتِكَ مِائَةَ  
 جَرِيْبِ عَامِرَةَ ، وَمِائَةَ جَرِيْبِ غَامِرَةَ ، قَالَ : وَمَا الْغَامِرَةُ ؟ قَالَ مَا لَا نَبَاتَ فِيهَا ، فَقَالَ : قَدْ  
 أَقْطَعْتُكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ خَمْسِمِائَةَ أَلْفِ جَرِيْبِ غَامِرَةَ مِنْ فَيَافِي بَنِي أَسَدٍ ، فَصَحِّحْ وَقَالَ :  
 اجْعَلُوهَا عَامِرَةَ ، قَالَ : فَأَذِنُّ لِي أَنْ أَقْبَلَ يَدَكَ ، قَالَ : أَمَا هَذِهِ فَدَعَّهَا ، قَالَ : وَاللَّهِ مَا مَنَعَتْ  
 عِيَالِي شَيْئًا أَقَلَّ ضَرَرًا عَلَيْهِمْ مِنْهَا ، قَالَ الْجَاحِظُ : فَانْظُرْ إِلَى حِدْقِهِ بِالْمَسْأَلَةِ وَلُطْفِهِ فِيهَا ، ابْتَدَأَ

(١) البجر : خروج السرة وتبوتها وغلظ أصلها . والقدح : أعوجاج في الرسغ من اليد أو الرجل حتى يقلب

الكف والقدم إلى إنسيها . (٢) أي غضبت .

بكلب فسَهَّل القصة به وجعل يأتي بما يليه على ترتيب وفكاهة حتى نال ما لو سأله بديهية  
لما وصل إليه .

قال علي بن سَلَام : كنت أسقى أبا دلامة والسَّنْدِيَّ إذ خرجت بُنْتُ لأبي دلامة،  
فقال فيها أبو دلامة :

فما وَلَدَتِكَ مريمُ أمُّ عيسى \* ولا رَبَّكَ لِقمانَ الحكيم

أجز يا أبا عطاء، فقال :

ولكن قد تَضُمُّكَ أمُّ سوءٍ \* الى لَبَّاتِها وأبُّ لئيم

فضحك لذلك، ثم غدا أبو دلامة الى المنصور فالتفاه في الرَّجَبَةِ يُصلِح فيها شيئاً يريد، فأخبره  
بقصة ابنته وأنشده البيتين، ثم آندفع فأنشده بعدهما :

لو كان يَقَعُدُ فوقَ الشمسِ من كَرِّمٍ \* قومٌ لَقيلَ آقعدوا يا آلَ عباس

ثم آرتقوا في شُعاعِ الشمسِ كُلُّكُمْ \* الى السماءِ فآتمَّ أَطهرُ الناس

وقدّموا القائمَ المنصورَ رَأْسَكُمْ \* فالعينِ والأَنفِ والأذنانِ في الراس

فاستحسنها وقال : بأى شىء تحبُّ أن أُعِينَكَ على قُبْحِ آبنتِكَ هذه؟ فأخرج خريطة كان  
قد خاطها من الليل، فقال : تملأ لى هذه دراهم، فثَلثتُ فوسِعتُ أربعة آلاف درهم .

لما توفى أبو العباس السفاح دخل أبو دلامة على المنصور والناس عنده يعزونه، فأنشأ  
أبو دلامة يقول :

أمسيتَ بالآئبَارِ يا ابنَ محمِدٍ \* لم تَسْتَطِيعَ عن عَقْرُها تحويلا

ويلى عليك وويلَ أهلى كلَّهم \* وَيلاً وَعَوَلاً في الحياةِ طويلا

فلتبيكينَ لك النساءُ بَعْبِرَةَ \* وليبِ كَبِينِ لك الرجالِ عويلا

مات الندى إذ مُتَّ يا ابنَ محمِدٍ \* فجعلته لك في الترابِ عديلا

إنى سألتُ الناسَ بعدك كلَّهم \* فوجدتُ أسمعَ من سألتُ بنجيلا

أليسقوتى أُحْرَتُ بعدك للتى \* تدعُ العزيمَ من الرجالِ ذليلا

فلأحلفنَّ يمينَ حقي بَرَّةً \* باللهِ ما أعطيتُ بعدك سُولا

فأبكى الناس قوله، فغضب المنصور غضبا شديدا وقال: لئن سمعتك تُنشد هذه القصيدة لأقطعن لسانك، فقال: يا أمير المؤمنين، إن أبا العباس أمير المؤمنين كان لي مكرما، وهو الذي جاء بي من البدو كما جاء الله بإخوة يوسف فقل كما قال يوسف لإخوته: ﴿لَا تَثْرِبَ عَلَيْكُمْ أَيُّومَ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ فسرى عن المنصور وقال: قد أقتلك يا أبا دلامة، فسل حاجتك، فقال: يا أمير المؤمنين، قد كان أبو العباس أمر لي بعشرة آلاف درهم وخمسين ثوبا وهو مريض، ولم أقبضها. فقال المنصور: ومن يعرف هذا؟ فقال: هؤلاء، وأشار إلى جماعة ممن حضر، فوثب سليمان بن خالد وأبو الجهم فقالا: صدق أبو دلامة نحن نعلم ذلك، فقال المنصور لأبي أيوب الخازن وهو مغيظ: يا سليمان، ادفعها إليه وسيده إلى هذا الطاغية «يعني عبد الله بن علي» وقد كان خرج بناحية الشام وأظهر الحلاف، فوثب أبو دلامة فقال: يا أمير المؤمنين إني أعيدك بالله أن أخرج معهم، فوالله اني لمشئوم، فقال المنصور: امض، فإن يميني يغلب شؤمك فأخرج، فقال: والله يا أمير المؤمنين ما أحب لك أن تجزب ذلك مني على مثل هذا العسكر، فإني لا أدري أيهما يغلب، أيمنك أم شؤمي، إلا أني بنفسى أوثق وأعرف وأطول تجربة، قال: دعني من هذا فمالك من الخروج بد، فقال: إني أصدقك الآن، شهدت والله تسعة عشر عسكرا كلها هزمت وكنت سببها، فإن شئت الآن على بصيرة أن يكون عسكرك العشرين فافعل، فاستغرب أبو جعفر ضحكا وأمره أن يتخلف مع عيسى بن موسى بالكوفة.

قال أبو دلامة: أتى بي المنصور أو المهدي وأنا سكران، فحلف ليُخرجني في بعث حرب، فأخرجني مع رَوْح بن حاتم المهلبى لقتال الشراة، فلما التقى الجمعان قلت لِرَوْح: أما والله لو أتتحتي فرسك ومعى سلاحك لأثرت في عدوك اليوم أثرا ترنضيه، فضحك وقال: والله العظيم لأدفعن ذلك إليك ولأخذتك بالوفاء بشرطك، ونزل عن فرسه ونزع سلاحه ودفعهما إلى ودعا بغيرهما فاستبدل بهما، فلما حصل ذلك في يدي وزالت عنى حلاوة الطمع قلت له: أيها الأمير هذا مقام العائذ بك، وقد قلت أبياتا فاسمعهما، قال: هات، فأنشدته:

إني أستجرتك أن أقدم في الوغى \* لِنَطْأَيْنِ وَتَنَازُلِ وَحِرَابٍ<sup>(١)</sup>  
 فهب السيف رأيتها مشهورة \* فتركها ومضيت في الهُراب  
 ماذا تقول لما يحيى وما يرى \* من واردات الموت في النُّشاب

فقال : دَعَّ عنك هذا وسَتَعَلَّمْ، وبرز رجل من الخوارج يدعو للبارزة : فقال : اخرج  
 اليه يا أبا دلامة، فقلت : أَنَسُدُكَ اللهُ أَيُّهَا الأَمِيرُ فِي دَعْيِي، قال : والله لَتَخْرُجَنَّ، فقلت :  
 أَيُّهَا الأَمِيرُ فَإِنَّهُ أَوَّلُ يَوْمٍ مِنْ أَيَّامِ الآخِرَةِ وَأَخْرُ يَوْمٍ مِنْ أَيَّامِ الدُّنْيَا وَأَنَا وَاللَّهِ جَائِعٌ مَا شَبِعَتْ  
 مِنِّي جَارِحَةٌ مِنَ الجُوعِ، فُرِّئِي بَشِيءَ آكَلِهِ ثُمَّ أَخْرُجْ، فأمر لي برغيفين ودجاجاة، فأخذتُ  
 ذلك وبرزتُ عن الصَّفِّ، فلما رَأَى الشَّارِي أَقْبَلَ نَحْوِي وَعَلِيهِ فَرَوْ قَدْ أَصَابَهُ المَطْرُ فَأَبْتَلَّ  
 وَأَصَابَتْهُ الشَّمْسُ فَأَنْفَعَلَ وَعَيْنَاهُ تَقْدَانُ<sup>(٢)</sup>، فَأَسْرَعُ إِلَى، فقلت له : عَلَى رِسْلِكَ يَا هَذَا، كَمَا أَنْتَ،  
 فوقف، فقلت : أَتَقْتُلُ مِنْ لَا يَقَاتِلُكَ؟ قال : لا، قلت : أَتَقْتُلُ رَجُلًا عَلَى دِينِكَ؟ قال :  
 لا، قلت : أَفَنَسْتَحَلُّ ذَلِكَ قَبْلَ أَنْ تَدْعُوَ مَنْ تَقَاتِلُهُ إِلَى دِينِكَ؟ قال : لا، فاذهب عني  
 إِلَى لَعْنَةِ اللهِ، قلت : لَا أَفْعَلُ أَوْ تَسْمَعُ مِنِّي، قال : قُلْ، قلت : هَلْ كَانَتْ بَيْنَنَا قَطُّ عِدَاوَةٌ  
 أَوْ تَرَةً أَوْ تَعْرِفُنِي بِحَالٍ تُحْفِظُكَ عَلَيَّ أَوْ تَعْلَمُ بَيْنِي وَبَيْنَ أَهْلِكَ وَتَرًا، قال : لا والله، قلت :  
 وَلَا أَنَا وَاللَّهِ أَضْحِرُّكَ إِلَّا بِحَيْلِ الرَّأْيِ، وَإِنِّي لِأَهْوَاكُ وَأَنْتَ لِمَذْهَبِكَ، وَأَدِينُ دِينِكَ، وَأُرِيدُ  
 السُّوءَ لِمَنْ أَرَادَهُ لَكَ، قال : يَا هَذَا جَزَاكَ اللهُ خَيْرًا فَانصِرْ، قلت : إِنْ مَعِيَ زَادًا أَحَبُّ  
 أَنْ آكُلَهُ مَعَكَ وَأَحَبُّ مَوَاكِلَتِكَ لَتَنَا كَدَّ المَوَدَّةِ بَيْنَنَا وَيَرَى أَهْلُ العَسْكَرِ هَوَانَهُمْ عَلَيْنَا، قال :  
 فَأَفْعَلُ، فَتَقَدَّمْتُ إِلَيْهِ حَتَّى اخْتَلَفْتُ أَعْنَاقُ دَوَابِّنَا، وَجَمَعْنَا أَرْجُلَنَا عَلَى مَعَارِفِهَا وَالنَّاسُ قَدْ غَلِبُوا  
 صَحِيحًا، فَلَمَّا اسْتَوْفِينَا وَدَعَّنِي، ثُمَّ قُلْتُ لَهُ : إِنْ هَذَا الجَاهِلُ إِنْ أَقَمْتَ عَلَى طَلْبِ المَبَارَزَةِ  
 نَدَبُنِي إِلَيْكَ فَتُتَعَبِنِي وَتَتَعَبُ نَفْسِكَ، فَإِنْ رَأَيْتَ أَلَّا تَبْرُزَ اليَوْمِ فَأَفْعَلُ، قال : قَدْ فَعَلْتُ،  
 ثُمَّ أَنْصَرَفْتُ وَأَنْصَرَفْتُ فَقُلْتُ لِرُوحٍ : أَمَا أَنَا فَقَدْ كَفَيْتُكَ قِرْنِي، فَقُلْ لغيري أَنْ يَكْفِيكَ قِرْنَهُ  
 كَمَا كَفَيْتُكَ، فَأَمْسِكْ، وَخَرَجَ آخِرُ يَدْعُو إِلَى البِرَازِ، فَقَالَ لِي : ائْجِرْ إِلَيْهِ، فَقُلْتُ :

(١) الحراب بمعنى المحاربة وفي الأغاني « ضراب » . (٢) هكذا بالأصل ولعلها : افعل، من قولهم افعلت يده : تقيضت .

إِنِّي أَعُوذُ بِرُوحِ أَنْ يَقْدَمَنِي \* إِلَى الْبِرَازِ فَتَخْزِي بِي بَنُو أَسَدٍ  
 إِنَّ الْبِرَازَ إِلَى الْأَقْرَانِ أَعْلَمُهُ \* مِمَّا يَفْتَرِقُ بَيْنَ الرُّوحِ وَالْجَسَدِ  
 قَدْ حَالَفْتُكَ الْمَنَايَا إِنْ صَدَّمْتَ لَهَا \* وَأَصْبَحْتُ لِجَمِيعِ الْخَلْقِ بِالرَّصَدِ  
 إِنْ الْمُهَلَّبُ حَبَّ الْمَوْتِ أَوْرَثَكُمْ \* وَمَا وَرِثْتُ أَخْتِيَارَ الْمَوْتِ عَنْ أَحَدٍ  
 لَوْ أَنَّ لِي مُهْجَةً أُخْرَى جَلَدْتُ بِهَا \* لَكُنَّهَا خُلِقْتُ فَرْدًا فَلَمْ أَجِدْ

فضحك وأعفانى .

قال أبو أيوب المورياتى لأبى جعفر وكان يشنأ أبا دلامة : إن أبا دلامة مُعْتَكِفٌ عَلَى  
 الْخَمْرِ، فَمَا يَحْضُرُ صَلَاةً وَلَا مَسْجِدًا وَقَدْ أَفْسَدَ فِتْيَانُ الْعَسْكَرِ، فَلَوْ أَمَرْتَهُ بِالصَّلَاةِ مَعَكَ لَأَجْرْتَ  
 فِيهِ وَفِي غَيْرِهِ مِنْ فِتْيَانِ عَسْكَرِكَ بَقَطْعِهِ عَنْهُمْ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ أَبُو دِلَامَةَ قَالَ لَهُ : مَا هَذَا الْمُجُونُ  
 الَّذِي يَبْلُغُنِي عَنْكَ ؟ فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَا أَنَا وَالْمُجُونُ وَقَدْ شَارَفْتُ بَابَ قَبْرِى !، قَالَ :  
 دَعْنِي مِنْ أَسْتِكَاتِكَ وَتَضَرَّعِكَ، وَإِيَّاكَ أَنْ تَقْوَتَكَ الظُّهْرَ وَالْعَصْرَ فِي مَسْجِدِي، فَلَنْ فَاتِكَ  
 لِأَحْسَنِ أَدَبِكَ وَلَا تُطِيلَنَّ حَبْسَكَ، فَوَقَعَ فِي شَرِّ وَلِزَمَ الْمَسْجِدَ أَيَّامًا، ثُمَّ كَتَبَ قِصَّةً وَدَفَعَهَا  
 إِلَى الْمَهْدِيِّ فَأَوْصَلَهَا إِلَى أَبِيهِ وَكَانَ فِيهَا :

أَلَمْ تَعْلَمَا أَنَّ الْخَلِيفَةَ لَزْنِي<sup>(١)</sup> \* بِمَسْجِدِهِ وَالْقَصْرِ، مَالِي وَاللَّقَصْرِ  
 أُصَلِّي بِهِ الْأَوَّلَى جَمِيعًا وَعَصْرَهَا \* فَوَيْلِي مِنَ الْأَوَّلَى وَوَيْلِي مِنَ الْعَصْرِ  
 أَصْلِيهِمَا بِالْكُرْهِ فِي غَيْرِ مَسْجِدِي \* فَمَالِي فِي الْأَوَّلَى وَلَا الْعَصْرِ مِنْ أَجْرِ  
 لَقَدْ كَانَ فِي قَوْمِي مَسَاجِدُ جَمَّةً \* وَلَمْ يَنْشَرْحْ يَوْمًا لِعِشْيَانِهَا صَدْرِي  
 يَكْفِنُنِي مِنْ بَعْدِ مَا سَبَتْ خُطَّةً \* يُحِطُّ بِهَا عَنِّي الثَّقِيلُ مِنَ الْوِزْرِ  
 وَمَا ضَرَّهُ وَاللَّهُ يَغْفِرُ ذَنْبَهُ \* لَوْ أَنَّ ذُنُوبَ الْعَالَمِينَ عَلَى ظَهْرِي

فقال : صدق، ما يضرني ذلك، والله لا يصلني هذا أبدا، فدعوه يعمل ما يشاء .

(١) لزه بالشئ : ألزمه إياه .

وقال الهيثم في خبره : قد أعفيناك من هذا الحال ، ولكن على ألا تدع القيام معنا في ليالي شهر رمضان فقد أظلل ، فقال : أفعل ، قال : فإنك إن تأخرت لشرب الخمر علمت ذلك والله لئن فعلت لأحدتك ، فقال أبو دلامة : البلية في شهر أخف منها في طول الدهر ، سمعاً وطاعة ، فلما حضر شهر رمضان لزم المسجد ، وكان المهدي يبعث إليه في كل ليلة حرسياً يجيء به ، فشق ذلك عليه وفزع إلى الخيزران وإلى أبي عبيد الله وكل من يلوذ بالمهدي ليشفعوا له في الإعفاء من القيام ، فلم يجبهم ، فقال له أبو عبيد الله : الدال على الخير كفاعله ، فكيف شكرك ؟ قال : أتم شكر ، قال : عليك برية فإنه لا يخالفها ، قال : صدقت ، ثم رفع إليها رقعة يقول فيها :

أبلغنا ربيعة أني \* كنت عبدا لأبيها  
فضى يرحمه الله \* له وأوصى بي إليها  
وأراها نسيتني \* مثل نسيان أخيها  
جاء شهر الصوم يمشي \* مشية ما أشتها  
قائداً لي ليلة القدر \* ركائي أبتغيها  
تنطح القبلة شهرا \* جهتي لا تأتليها  
ولقد عشتُ زمانا \* في قيافي وجيها  
في ليل من شتاء \* كنت شيخاً أصطليها  
قاعداً أوقد ناراً \* لضباب أشتويها  
وصبوح وغبوق \* في علاب أحسسيها  
ما أبالي ليلة القدر \* ر ولا تُسمعنيها  
فأطلب لي فرجاً من \* بها وأجرى لك فيها

فلما قرأت الرقعة صحت وأرسلت إليه : أصطر حتى تمضي ليلة القدر ، فكتب إليها :  
إني لم أسألك أن تكلمني في إعفائي عما قابلا ، وإذا مضت ليلة القدر فقد فني الشهر ،  
وكتب تحتها أبياتا :

خافي إلهك في نفس قد احتضرت \* قامت قيامتها بين المصلينا  
 ما ليلة القدر من همى فأطلبها \* إني أخاف المنيا قبل عشرينا  
 ياليلة القدر قد كسرت أرجلنا \* ياليلة القدر حقا ما ممتينا  
 لا بارك الله في خير أوَمَله \* في ليلة بعد ما قمنا ثلاثينا

فلما قرأت الرقعة ضحكك ودخلت الى المهدي فشفت له اليه وأنشدته الأبيات ،  
 فضحك حتى استأق ودعا به وربطة معه في الجملة ، فدخل ، فأخرج رأسه اليه وقال : قد  
 شفعنا ربطة فيك وأمرنا لك بسبعة آلاف درهم ، فقال : أما شفاعة سيدتي في حتى أعفيتني  
 فأعفاها الله من النار ، وأما السبعة الآلاف فما أعجبنى ما فعلته إما أن نتمها بثلاثة آلاف  
 فتصير عشرة أو تنقصني منها ألفين فتصير خمسة آلاف ، فإني لا أحسن حساب السبعة ،  
 فقال : قد جعلتها خمسة ، فقال : أعيذك بالله أن تختار أدنى الحالين وأنت أنت ، فعبث  
 به المهدي ساعة ، ثم تكلمت فيه ربطة ، فآتمها له عشرة آلاف درهم .

شرب أبو دلامة في بعض الحانات فسكر وأنصرف وهو يميل ، فلقبه العسس ، فأخذه  
 وقالوا له : من أنت ، وما دينك؟ فقال :

ديني على دين بني العباس \* ما ختم الطين على القرطاس  
 اني أصطحبت أربعا بالكاس \* فقد أدار شربها براسي  
 \* فهل بما قلت لكم من باس \*

فأخذه ومضوا وخرقوا ثيابه وسأجه ، وأتى به أبو جعفر ، وكان يؤتى بكل من أخذه  
 العسس ، فحبسه مع الدجاج في بيت ، فلما أفاق جعل ينادى غلامه مرة وجاريتته مرة ،  
 فلم يجبه أحد ، وبينما هو في ذلك إذ سمع صوت الدجاج وزقاء الديوك ، فلما أكثر قال له  
 السجان : ما شأنك؟ قال : ويحك من أنت؟ وأين أنا؟ قال : في الحبس وأنا فلان

(١) الساج : الطيلسان الأخضر، وقيل الأسود .

السجان ، قال : من حبسني ؟ قال : أمير المؤمنين ، قال : ومن تحرق طيئساني ؟ قال :  
الحرس ، فطلب منه أن يأتيه بدواة وقرطاس ، ففعل ، فكتب الى أبي جعفر :  
أمير المؤمنين فدتك نفسي \* علام حبستى ونحقت ساجي  
أمن صفراء صافية المزاج \* كأن شماعها لهب السراج  
وقد طيخت بنار الله حتى \* لقدصارت من النطف النضاج  
تهش لها القلوب وتستهيها \* اذا برزت تفرق في الزجاج  
أقاد الى السجون بغير جرم \* كأني بعض عمال الخراج  
ولو معهم حبست لكان سهلاً \* ولكني حبست مع الدجاج

فدعا به وقال : أين حبست يا أبا دلامة؟ قال : مع الدجاج ، قال : فما كنت تصنع؟  
قال : أقوق معهن حتى أصبحت ، فضحك وخلق سبيله وأمر له بجائزة ، فلما خرج قال له  
الربيع : إنه شرب الخمر يا أمير المؤمنين ، أما سمعت قوله : وقد طيخت بنار الله ، يعنى  
الشمس؟ فأمر برده ، ثم قال : يا خبيث ، شربت الخمر؟ قال : لا ، قال : أفلم تقل : طيخت  
بنار الله تعنى الشمس؟ قال : لا والله ما عنت إلا نار الله الموقدة التي تطلع على فؤاد  
الربيع ، فضحك وقال : خذها ياربيع ولا تعاود .

صام الناس في سنة شديدة الحر على عهد المهدي ، وكان أبو دلامة يتجزأ جائزة أمر  
له المهدي بها ، فكتب اليه أبو دلامة رقعة يشكو فيها أذى الحر والصوم ، وهي :

أدعوك بالرحم التي قد جمعت \* في القرب بين قريتنا والأبعد  
إلا سمعت وأنت أكرم من مشى \* من مُنشدٍ يرجو جزاء المنشد  
جاء الصيام فصمته متعبداً \* أرجو رجاء الصائم المتعبد  
ولقيت من أمر الصيام وحره \* أمرين قيساً بالعذاب المؤصد  
وسجدت حتى جبهتي مشجوجة \* مما يناطحني الحصى في المسجد  
فامنن بتسريحي بمطلك بالذي \* أسلفتيه من البلاء المرصد

فلما قرأ المهدي رُفَعته غضب وقال : أئى قرابة بينى وبينك؟ قال : رحم آدم وحواء ،  
 أَنَسِيَتَهُمَا يا أمير المؤمنين ! فضحك وقال : لا والله ما نَسِيَتُهُمَا ، وأمر بتعجيل ما أجاز به  
 وزاد فيه ، وأنشده أيضا فى ذم الصوم :

هَلْ فى البِلاد لرزق الله مُقْتَرَش \* أم لا فى جِدِيدِهِ من خُشْنَةِ بَرَش<sup>(١)</sup>  
 أَصْحَى الصِيَامِ مُنِيحًا وَسَطَ عَرَصَتِنَا \* لَيْتَ الصِيَامِ بأَرْضِ دُونِهَا جُرَشُ  
 إن صَمْتُ أَوْجَعَنِي بَطْنِي وَأَقْلَقَنِي \* بَيْنَ الجَوَانِحِ مَسَّ الجُوعِ والعَطَشِ  
 وإن خَرَجْتَ بَلِيلٍ نَحْوَ مَسْجِدِهِمْ \* أَضْرَنِي بَصَرَ قَدِ خانَهُ العَمَشِ

دخل أبو دلامة على سعيد بن دَعَلَجِ مولى بنى تميم فقال :

إذا جِئْتَ الأَمِيرَ فقل سَلامٌ \* عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللهِ الرَّحِيمِ  
 وأما بَعْدَ ذاك فلى غَرِيمٍ \* من الأَعْرَابِ قُبْحُ من غَرِيمِ  
 غَرِيمٍ لَازِمٌ بِفِئَاءِ بِنْتِي \* لِرُومِ الكَلْبِ أَصْحَابِ الرِّقِيمِ  
 له مائة عَلى وَنِصْفُ أُخْرَى \* وَنِصْفُ النِّصْفِ فى صَكِّ قَدِيمِ  
 دراهمُ ما انتَفَعْتُ بِهَا وَلَكِنْ \* وَصَلْتُ بِهَا شِيوخَ بنى تَمِيمِ  
 أَتَوْنِي بِالعَشِيرَةِ يَسْأَلُونِي \* وَلَمْ أَكُ فى العَشِيرَةِ بِاللثِيمِ

فأمر له بمائتين وخمسة وسبعين درهما وقال : ما أساء من أنصف ، وقد كافأتك عن  
 قومك وزدتك مائة .

دخل أبو دلامة على المهدي فأنشده قصيدته فى بغلته المشهورة :

أَتَانِي ، بَغْلَةٌ يَسْتَامُ مِنِّي ، \* عَرِيْقٌ فى الخَسَارَةِ والضَّلَالِ  
 فقال تَبِعْهَا قَلتْ أَرْتَبِطُهَا \* بِجُحُوكَ إن بَيْعِي غَيْرُ غَالِ  
 فَأَقْبِلْ ضاحِكًا نَحْوِي سرورا \* وقال أراك سَمَحًا ذا جَمالِ  
 هَلُمَّ إلیَّ يَحِلُّوا بِي خِداعا \* وما يَدْرِي الشَّقِيقَ لِمَنْ يُحَالِي

(١) البرش : قط بيض فى الجلد .

فقلتُ بأربعين، فقال أحسنُ \* إلى فإن مثلك ذو سبجال

فأتركُ خمسة منها لعلمي \* بما فيه يصيرُ من الخبال

فقال المهدي : لقد آفَلتُ من بلاءٍ عظيمٍ ، قال : والله يا أمير المؤمنين لقد مكثت شهرا أتوقع صاحبها أن يردّها ، ثم أنشدّه :

فأبدلني بها يا ربَّ طرِّقا \* يكون جمالَ مرَّكبه جمالي

فقال لصاحب دوابه : خيرُه من الإصطبل بين مركبين ، قال : يا أمير المؤمنين إن كان الاختيار لي وقعتُ في شرٍّ من البغلة ، ولكن مرّه أن يختار لي ، فاختر له .

خاصم رجل أبا دلامة في داره فارتفعا الى عافية القاضي ، فأنشأ أبو دلامة يقول :

لقد خاصمتني دهاة الرجال \* وخاصمتها سنةً وافية

فا أدحص الله لي حجةً \* ولا خيب الله لي قافية

ومن خفت من جورهِ في القضاء \* فلست أخافك يا عافية

فقال له عافية : والله لأشكوتك الى أمير المؤمنين ، ولأعلمته أنك هجوتني ، قال : إذا يعزلك ، قال : ولمّه ؟ قال : لأنك لا تعرف المدح من الهجاء ، فبلغ ذلك المنصور فضحك وأمر لأبي دلامة بجائزة .

دخل أبو دلامة على المهدي وعنده إسماعيل بن محمد وعيسى بن موسى والعباس ابن محمد ومحمد بن محمد بن إبراهيم الإمام وجماعة من بني هاشم فقال له : أنا اعطى الله عهدا لئن لم تهجّ واحدا من في البيت لأقطعن لسانك ، فنظر اليه القوم ، فكلما نظر الى واحد منهم غمزه بأن عليه رضاه ، قال أبو دلامة : فعلمت أني قد وقعت وأنها عزيمة من عزماته لا بد منها ؛ فلم أر أحدا أحقّ بالهجاء مني ، ولا أدعى الى السلامة من هجاء نفسي ؛ فقلت :

ألا أبلغ لديك أبا دلامه \* فليس من الكرام ولا كرامه

إذا لبس العمامة كان قردا \* ويخزيرا إذا نزع العمامه

جمعت دَمَامَةً وجمعت لؤمًا \* كذاكَ اللؤم تتبعه الدَّمَامَةُ  
فإن تك قد أصبتَ نعيمَ دنيا \* فلا تفرح فقد دنتِ القيامة  
فضحك القوم ولم يبق منهم أحدٌ إلا أجازه .

خرج المهديّ وعليّ بن سليمان الى الصيد، فسَنَحَ لَهَا قَطِيعَ مِنَ الطَّيِّاءِ، فَأرْسِلتِ  
الكلابَ وأجريت الخيل، فرمى المهديّ ظيياً بسهم فصرعه، ورمى عليّ بن سليمان، فأصاب  
بعض الكلاب فقتله، فقال أبو دلّامة :

قد رمى المهديّ ظيياً \* شك بالسهم فؤادَه  
وعليّ بن سليمان \* ن رمى كلباً فصاده  
فهنيئاً لهما كَلُّ \* كلُّ أمرئٍ يأكل زاده

فضحك المهديّ حتى كاد يسقط عن سرجه وقال : صدق والله أبو دلّامة؛ وأمر له بجائزة  
سنيّة، فلُقّب عليّ بن سليمان صائد الكلب، وعَلِقَ به .

أنشد أبو دلّامة المنصورَ يوماً :

هاتيك والدتي عجوزٌ هَمَةٌ <sup>(١)</sup> \* مثل البليّةِ دِرْعِهَا فِي المَشْجَبِ <sup>(٢)</sup>  
مهزولةٌ اللّخين من رها يَقل \* أبصرتُ غُولاً أو خيالَ القُطْرِبِ <sup>(٣)</sup>  
ما إن تركت لها ولا لابن لها \* مالا يؤمل غير بكرٍ أجربِ  
ودجائجاً نَحْمَساً يَرْحَنُ اليهم \* لما يَبْضَنَ وغيرَ عنزٍ مغربِ <sup>(٤)</sup>  
كتبوا الى صحيفة مطبوعة \* جعلوا عليها طينّة كالعقربِ  
فعلمت أن الشرّ عند فكها \* ففككتُها عن مثل ريح الجوربِ  
وإذا شبيهه بالأفاعي رُقّشت \* يؤدّني بتلّظ وتثوّبِ  
يشكون أن الجوع أهلك بعضهم \* لزّبا فهل لك في عيال لُزّبِ

(١) همة : همة . (٢) المشجب : خشبات موانعة منصوبة توضع عليها الثياب وتنشر .

(٣) القطرب : ذكر الفيلان . (٤) المغرب : الأبيض من كل شيء .

لا يسألونك غيرَ طَلِّ سَحَابَةٍ \* تَغْشَاهُمْ مِنْ سَيْلِكَ الْمُتَحَبِّبِ  
يا باذِلَ الخِيراتِ يا بنَ بَدُوها \* وَأَبْنَ الكِرَامِ وَكُلَّ قَرِيمٍ مُنْجِبِ  
أَنْتُمْ بَنُو العِباسِ يُعَلِّمُ أَنْكُمْ \* قَدِمًا فَوَارِسُ كُلِّ يَوْمٍ أَشْهَبِ  
أَحْلَاسِ خَيْلِ اللَّهِ وَهِيَ مُغِيرَةٌ \* يَخْرُجَنَّ مِنْ خَلَلِ العُبَّارِ لِأَكْهَبِ

فأمر له بدار يسكنها وكسوة ودراهم، وكانت الدار قريبة من قصره، فأمر أن تزداد في قصره بعد ذلك لحاجة دعت إليها، فدخل عليه أبو دلامة فأنشده قوله :

يا بنَ عَمِّ النَّبِيِّ دَعْوَةَ شَيْخِ \* قَدْ دَنَا هَدْمُ دَارِهِ وَدَمَارُهُ  
فَهُوَ كَالْمَاخِضِ الَّتِي أَعْتَادَهَا الطَّلْدُ \* قُفِّقْتُ وَمَا يَقَرُّ قَرَارُهُ  
إِنْ تُحْزِرُ عُسْرَةً بِكَفِّيكِ يَوْمًا \* فَبِكَفِّيكِ عُسْرُهُ وَيَسَارُهُ  
أَوْ تَدْعُهُ فَلِلْبَوَارِ وَأَنْتِ \* وَلِمَاذَا وَأَنْتِ حَيَّةٌ بَوَارُهُ  
هَلْ يَخَافُ لِلْمَلَائِكِ شَاعِرِ قَوْمِ \* قُدِّمْتُ فِي مَدِيحِهِمْ أَشْعَارُهُ  
لَكُمْ الْأَرْضِ كُلِّهَا فَأَعْبِرُوا \* شَيْخَكُمْ مَا أَحْتَوَى عَلَيْهِ جِدَارُهُ  
فَكَأَنَّ قَدْ مَضَى وَخَلَّفَ فِيكُمْ \* مَا أَعْرَتُمْ وَأَقْفَرْتُمْ مِنْهُ دَارُهُ

فاستعبر المنصور وأمر بتعويضه دارا خيرا منها ووصله .

دخل على المهديّ يوما وعنده محرز ومقاتل ابنا ذوال يعاتبانه على تقريبه أبا دلامة ويعيابه عنده فقال :

أَلَا أَيُّهَا المَهْدِيُّ هَلْ أَنْتِ مُحْرِي \* وَإِنْ أَنْتِ لَمْ تَفْعَلِ فَهَلْ أَنْتِ سَائِلِي  
أَلَمْ تَرَحِمِ العَلِيِّينَ مِنْ لِحِيَّتَيْهِمَا \* وَكَلْتَاهُمَا فِي طَوْلِهَا غَيْرِ طَائِلِ  
وَإِنْ أَنْتِ لَمْ تَفْعَلِ فَهَلْ أَنْتِ مُكْرِي \* بِحَلْقِهِمَا مِنْ مُحْرِيٍّ وَمُقَاتِلِ  
فَإِنْ يَأْذُنُ المَهْدِيُّ لِي فِيهِمَا أَقُلُّ \* مَقَالًا كَوَقْعِ السَيْفِ بَيْنَ المَقَاتِلِ  
وَإِلَّا تَدْعُنِي وَالهِمُومُ تَنْوِبُنِي \* وَقَلْبِي مِنَ العَلِيِّينَ جَمُّ البَلَابِلِ

(١) يقال : فلان من أحلاس الخيل ، أى من راضتها وساستها والملازمين ظهورها .

فقال : أو أخذ لك منهما عشرة آلاف درهم يفديان بهما أعراضهما منك ، قال :  
ذلك الى أمير المؤمنين ، فأخذها له منهما وأمسك عنهما .

دخل على أم عبيدة حاضنة موسى وهارون ، فذفع اليها رقعة قد كتبتها الى الخيزران فيها :

أبلغني سيدي بالذ \* به يا أم عبيده  
أنها أرشدها اللد \* هو إن كانت رشيده  
وعدتني قبل أن تخ \* ربح للبحج وليده  
فتأيت وأرسلد \* ست بعشرين قصيده  
كلما أخلقن أخلفد \* ست لها أخرى جديده  
ليس في بيتي لتمهيد \* سد فراشي من قعيده  
غير عجفاء عجوز \* ساقها مثل القديده  
وجهها أقبح من حو \* ت طري في عصيده  
ما حياة مع أني \* مثل عرسى بسعيده

فلما قرئت عليها الأبيات ضحكت وأستعادتها منه لقوله : « حوت طري في عصيدة »

وجعلت تضحك ووهبت له جارية .

دخل يوما على المهدي فخادته ساعة وهو يضحك وقال له : هل بقي أحد من أهلي لم  
يصلك ؟ قال : إن أمنتني أخبرتك وإن أعفيتني فهو أحب إلي ، قال : بل تخبرني وأنت  
آمن ، قال : كلهم قد وصلني إلا حاتم بن العباس ، قال : ومن هو ؟ قال : عمك العباس  
ابن محمد ، فالتفت الى خادم على رأسه وقال : جأ عنقه ، فلما دنا منه صاح به أبو دلامة :  
تتح يا عبد السوء لا تحنت مولاك وتكثه عهدده وأمانه ، فضحك المهدي وأمر الخادم  
ففتح عنه ، ثم قال لأبي دلامة : ويلك ! والله عمي أبجل الناس ، فقال أبو دلامة : بل  
هو أسخى الناس ، فقال له المهدي : والله لو ميت ما أعطاك شيئا ، قال : فإن أنا أتيتته

فأجازني؟ قال: لك بكل درهم تأخذه منه ثلاثة دراهم، فانصرف أبو دلامة فحفر للعباس قصيدة، ثم غدا بها عليه وأنشده:

قِفْ بالديار وأى الدهر لم تَقِفِ \* على المنازل بين الظهر والنَجَفِ  
وما وقوفك في أطلال مَنزِلَةٍ \* لولا الذى أَسْتَدْرَجْتَ من قلبك الكَلِفِ  
ان كنت أصبحت مشغوفاً بساكنها \* فلا وربك لا تُشْفِيكَ من شَغَفِ  
دَعْ ذا وَقْلٍ فى الذى قد فاز من مُضَرِّ \* بالمَكْرُمَاتِ وعِزٍّ غيرِ مُقْتَرَفِ  
هذى رسالة شيخ من بنى أسد \* يهْدِي السلام الى العباس فى الصُّحُفِ  
تَحْطُّهَا من جَوَارِي المِصرِ كَاتِبَةٌ \* قد طالما ضَرَبْتَ فى اللام والألفِ  
وطالما اختلفت صَيِّفاً وشَاتِيَةً \* الى مُعَلِّمِهَا باللُّوحِ وَالكَتِفِ<sup>(١)</sup>  
حتى اذا نَهَدَ التُّدَيَانِ وَأَمْتَلَا \* منها وَخِيفَتْ على الإِسْرَافِ والقَرْفِ  
صَيِنْتَ ثَلَاثَ سِنِينَ مَا تَرَى أَحَدًا \* كما يَصُونُ تِجَارَةً دُرَّةَ الصِّدْفِ  
فبينما الشيخ يهوى نحو مجلسه \* مُبَادِرًا لصلَاةِ الصَّبْحِ بالسِّدْفِ<sup>(٢)</sup>  
حانت له لَحْمَةٌ منها فأبصرها \* مُطَلَّةً بَيْنَ سِجْفِيهَا من العُرْفِ  
نَحَرَ والله ما يدري غَدَاتِيذِ \* أَحْرَمُنْكَشِفًا أم غيرِ مَنْكَشِفِ  
وجاءه الناس أفواجا بمائهم \* لِيَغْسِلُوا الرِجْلَ المَغْسِيَّ بالنُّطْفِ  
ووسوسوا بقران فى مسامعه \* نِخَافَهُ الجُنَّ وَالإِنْسَانَ لم يَخْفِ  
شيئا ولكنه من حبّ جارية \* أَمْسَى وَأَصْبَحَ موقُوفًا على التَّلْفِ  
قالوا لك الويلُ ما أبصرتِ قلت لهم \* تَطَلَّعْتُ من أعلى القِصرِ ذى الشُّرْفِ  
فقلت أَيْكُمْ والله يأججره \* يُعِينُ قُوَّتَهُ فيها على ضَعْفِ  
فقام شيخ بوى من رجالهم \* قد طالما خَدَعَ الأَقْوَامَ بِالْحَلْفِ  
فابتاعها لى بألفى درهم فأتى \* بها لى فالتقاها على كَتْفِي

(١) الكتف: عظم عريض يكون فى أصل كتف الحيوان كانوا يكتبون فيه لقلة القراطيسي.

(٢) السدف: الضوء واقبال الصبح.

فَبَيْنَ ذَاكَ كَذَا إِذْ جَاءَ صَاحِبُهَا \* يَبْنِي الدَّرَاهِمَ بِالمِيزَانِ ذِي الكِفِّفِ  
وَذِكْرُ حَقِّ عَلَى زَنْدٍ وَصَاحِبِهِ \* وَالْحَقُّ فِي طَرْفِ والطَّيْنِ فِي طَرْفِ  
وَبَيْنَ ذَاكَ شَهُودٌ لَا يَضُرُّهُمْ \* أَكُنْتُ مُعْتَرِفًا أَمْ غَيْرَ مُعْتَرِفِ  
فَإِنْ يَكُنْ مِنْكَ شَيْءٌ فَهُوَ حَقُّهُمْ \* أَوْ لَا فَإِنِّي مَدْفُوعٌ إِلَى التَّلْفِ

فضحك العباس وقال : ويحك ! أصادق أنت ؟ قال : نعم والله ، قال : يا غلام أَدفع  
إليه ألفى درهم ثمنها ، فأخذها ثم دخل على المهدي فأخبره القصة وما أحتال له ، فأمر له  
المهدي بستة آلاف درهم ، وقال له المهدي : كيف لا يضرهم ذلك ؟ قال : لأنى مُعَدِم  
لأشياء عندى .

دخل على إسحاق الأزرق يعوده ، وكان إسحاق قد مرض مرضاً شديداً ثم تعافى منه  
وأفاق ، فكان من ذلك ضعيفاً وعند إسحاق طبيب يصف له أدوية تُقَوِّى بَدَنَهُ ، فقال  
أبودلامة للطبيب : أتصف هذه الأدوية لرجل أضعفه المرض ؟ ما أردت والله إلا قتله ،  
ثم ألتفت إلى إسحاق فقال : اسمع أيها الأمير متى ، قال : هات ما عندك يا أبا دلامة ،  
فأنشأ يقول :

نَحَّ عَنْكَ الطَّيِّبَ وَأَسْمَعَ لِنَعْتِي \* إِنِّي نَاصِحٌ مِنَ النَّصَاحِ  
ذُو تِجَارِيَبٍ قَدْ تَقَلَّبْتُ فِي الصَّحْبِ \* لَهْ دَهْرًا وَفِي السَّقَامِ المُتَّاحِ  
غَادِ هَذَا الكِبَابَ كُلَّ صَبَاحٍ \* مِنْ مُتُونِ الفَتِيَّةِ السَّاحِ  
فَإِذَا مَا عَطِشْتَ فَاشْرَبْ ثَلَاثًا \* مِنْ عَتِيقِ فِي الشَّمِّ كَالنُّفَاحِ  
ثُمَّ عِنْدَ المَسَاءِ فَاعْكُفْ عَلَى ذَا \* وَعَلَى ذَا بِأَعْظَمِ الأَقْدَاحِ  
فُقُوِّى ذَا الضَّعْفِ مِنْكَ وَتَلْقَى \* عَنِ لَيَالِ أَحْمَرَ هَذَى الصَّحَاحِ

فضحك إسحاق وعُوداه وأمر لأبى دلامة بمخمسائة درهم ، وكان الطبيب نصرانياً  
فقال : أعوذ بالله من شرك ياركل « يريد يارجل » وقال الطبيب : أقبل مني أصاحك الله

ولا تسألني عن شيء قدامه، فقال أبو دلامة: أما وقد أخذت أجرة صفتقي وقضيت الحق في نصح صديق فأنعت له الآن أنت ما أحببت .

دخل على المهديّ وبين يديه سلمة الوصيف واقفاً، فقال: إني أهديت إليك يا أمير المؤمنين مهراً ليس لأحد مثله، فان رأيت أن تُشرفني بقبوله، فأمر بإدخاله إليه، فخرج وأدخل إليه دابته التي كانت تحته، فاذا برؤن محطّم أعجف هريم، فقال له المهديّ: أيّ شيء هذا؟ ألم تزعم أنه مهراً؟ قال له: أو ليس هذا سلمة الوصيف بين يديك قائماً، تسميه الوصيف وله ثمانون سنة، وهو عندك وصيف؟ فاذا كان سلمة وصيفاً فهذا مهراً، فجعل سلمة يشتمه والمهديّ يضحك، ثم قال المهديّ لسلمة: ويلك! إن لهذه منه أخوات، وإن أتى بها في محفل فضحك، فقال أبو دلامة: والله لأفضحنه يا أمير المؤمنين، فليس من مواليك أحد إلا وقد وصلني غيره، فاني ما شربت له الماء قط، قال: فقد حكمت عليه أن يشتري نفسه منك بألف درهم حتى يتخلص من يدك، قال: قد فعلت على ألا يعاود، فقال له: ما ترى؟ قال: أفعل، فلولا أتى ما أخذت منه شيئاً قط ما فعلت معه مثل هذه، فضى سلمة فحملها إليه .

### ٥ - أبان بن عبد الحميد اللاحق<sup>(١)</sup>

ذكرنا في المجلد الأول أن أَبَانَ كَانَ صَدِيقًا لِلْبَرَامِكَةِ مُتَصِلًا بِهِمْ أَشَدَّ اتِّصَالًا ، يَسْتَشِيرُونَهُ وَيَعْتَمِدُونَ عَلَيْهِ فِي تَدْيِيرِ أُمُورِهِمْ ، جَدَّهَا وَهَزَلَهَا ، صَعِبَهَا وَهَيَّنَهَا . وَكَانُوا قَدْ اتَّخَذُوهُ أَدْيِيمَهُمُ الرَّسْمِيَّ ، وَبِالغَوَا فِي ذَلِكَ حَتَّى جَعَلُوا إِلَيْهِ امْتِحَانَ الشُّعْرَاءِ وَتَقْدِيرَ مَا يَسْتَحِقُّونَ مِنَ الْجَوَائِزِ وَالصَّلَاتِ . فَغَضِبَ الشُّعْرَاءُ لِذَلِكَ ؛ وَكَانَ أَشَدَّهُمْ غَضَبًا أَبُو نُوَاسٍ الَّذِي كَانَ يَكْرَهُ الْبَرَامِكَةَ كَرَاهًا شَدِيدًا ، وَكَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَبَانَ مَهَاجَةٌ ذَكَرَهَا صَاحِبُ الْأَغَانِي .

وَكَانَ أَبَانَ صَدِيقًا لِلْمَعْدَلِ بْنِ غَيْلَانَ ، وَكَانَا مَعَ صِدَاقَتِهِمَا يَتَعَابَثَانِ بِالْهَجَاءِ ، فَيَهْجُوهُ الْمَعْدَلُ بِالْكَفْرِ وَيُنْسِبُهُ إِلَى الشُّؤْمِ . وَيَهْجُوهُ أَبَانَ وَيُنْسِبُهُ إِلَى الْفُسَاءِ الَّذِي تُهْجَى بِهِ عَبْدِ الْقَيْسِ وَبِالْقِصْرِ ، وَكَانَ الْمَعْدَلُ قَصِيرًا . فَسَعَى فِي الْإِصْلَاحِ بَيْنَهُمَا أَبُو عُيَيْنَةَ الْمَهَلْبِيُّ ، فَقَالَ لَهُ أَخُوهُ عَبْدِ اللَّهِ وَهُوَ أَسَنُّ مِنْهُ : يَا أُنْحَى إِنْ فِي هَذَيْنِ شَرًّا كَثِيرًا وَلَا بَدَّ مِنْ أَنْ يُخْرَجَا ، فَدَعَاهُمَا لِيَكُونَ شَرَّهُمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَّا فَزَقَاهُ عَلَى النَّاسِ .

ومن قوله يهجو أبا النضير :

إذا قامت بوايك \* وقد هتكن أستارك  
 أيثنين على قبر \* لك أم يلعن أحجارك  
 وما ترك في الدنيا \* إذا زرت غدا نارك  
 ترى في سقر المثوى \* وإبليس غدا جارك  
 بلى تترك بايك \* ودياك وأوتارك  
 ونحس من بنات اللد \* مل قد ألبسن أطارك  
 تعالى الله ما أقب \* حج إذ وليت أدبارك

(١) تجد ترجمته في الجزء الأول من هذا الكتاب ص ٤٢٩ وقد ذكرناه هنا المناسبة ذكر ما عثرنا عليه من

منظومته لكتاب كلبية ودمنة . وقد أضفنا هنا ما لم نذكره في ترجمته هناك .

خرج أبان من البصرة طالبا للاتصال بالبرامكة ، وكان الفضل بن يحيى غائبا فقصدته ، فأقام ببابه مدة مديدة لا يصل إليه ، فتوسل الى من وصل له شعرا اليه ؛ وقال له :

يا عزيزَ النَّدى ويا جوهراً الجو \* هير من آل هاشمٍ بالبِطاح  
 إنَّ ظنِّي ، وليس يُخْلِفُ ظنِّي \* بك في حاجتي سبيلَ النَّجاح  
 إنَّ من دونها لمُصمَّتَ بابٍ \* أنت من دون قُفله مِفْتاحي  
 تاقَت النفسُ يا خليلَ السَّماح \* نحو بحر النَّدى مُجارى الرياح  
 ثم فَكَّرْتُ كيف لى وأستخرتُ الله \* عند الإمْساء والإصباح  
 وأمّدتحتُ الأميرَ أصلحه الله \* بشعر مُشهر الأوضاح

فقال : هات مديحك ؛ فأعطاه شعرا في هذا الوزن وقافيته ، ترى فيه أن الرجل مُعجب بنفسه ، مدللٌ بعلمه وأدبه ، تياه لا حد لتبه وغروره :

أنا من بغية الأمير وكنز \* من كنوز الأمير ذو أرباب  
 كاتبٌ حاسبٌ خطيبٌ أديب \* ناصحٌ زائدٌ على النَّصاح  
 شاعرٌ مُفلقٌ أخف من الريد \* شة مما يكون عند الجناح

وهي طويلة ذكرناها في المجلد الأول .

وكان أبان شديد الحرص على المال يُضحى في سبيله بأشياء كثيرة ، منها العقيدة والرأى . وكان يحسد مروان بن أبي حفصة لمكانه من الرشيد ولظفره بالصلوات الضخمة والجوائز السنية ؛ فقد آتتهى الأمر بنى العباس مع مروان بن أبي حفصة الى أن كانوا يمنحونه بالبيت ألف درهم ، ففاظ ذلك أبان وأراد أن يصيب من أموال الرشيد ما كان يصيب مروان ، فعاتب أبان البرامكة على تركهم إيصاله للرشيد وإيصال مديحه اليه ؛ فقالوا له : ما تريد من ذلك ؟ فقال : أريد أن أحظى منه بمثل ما يحظى به مروان بن أبي حفصة ، فقالوا : إن لذلك مذهبا في هجاء آل أبي طالب وذمهم ، به يُحظى وعليه يُعطى ، فاسلكه حتى تفعل ؛ قال : لا أستحل ذلك ؛ قالوا : فما تصنع ، لا يجيء طلب الدنيا إلا بما لا يحل ! فقال أبان :

تَسَدَّتْ بِحَقِّ اللَّهِ مَنْ كَانَ مُسْلِمًا \* أَعْمٌ بِمَا قَدُّ قُلْتُهُ الْعُجْمَ وَالْعَرَبَ  
 أَعْمٌ رَسُولِ اللَّهِ أَقْرَبُ زُلْفَةً \* لَدَيْهِ أُمُّ ابْنِ الْعَمِّ فِي رُبَيْبَةِ النَّسَبِ  
 وَأَيُّهُمَا أَوْلَى بِهِ وَبِعَهْدِهِ \* وَمَنْ ذَا لَهُ حَقُّ التَّرَاثِ بِمَا وَجَبَ  
 فَإِنْ كَانَ عَبَّاسٌ أَحَقَّ بِتَلْكَكُمْ \* وَكَانَ عَلَى بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى سَبَبِ  
 فَأَبْنَاءُ عَبَّاسٍ هُمْ يَرْتُونَهُ \* كَمَا الْعَمُّ لِابْنِ الْعَمِّ فِي الْإِرْثِ قَدْ حَجَبَ

وهي طويلة .

فقال الفضل : ما يرد على أمير المؤمنين اليوم شيء أعجب من أبياتك . فركب فأنشدها  
 الرشيد ، فأمر لأبان بعشرين ألف درهم . ثم اتصل مدحه للرشيد بعد ذلك وخص به .  
 وكان أبان هجاء قبيح اللسان ، وكان مع هذا شريفا قاسيا يؤثر الشر ويحذ فيه لذة .  
 وقد روى له أبو الفرج قصة تمثل نصيبه من القسوة وحب الشر ، كما أنها تعطينا صورة  
 من شعره ومن الحياة في عصره . قالوا : كان يُقيم بالقرب من أبان رجلٌ ثَقْفِيٌّ يقال له : محمد  
 ابن خالد ، وكان عدواً لأبان ، فتزوج محمد هذا ثَقْفِيَّةً معروفةً هي عمارة بنت عبد الوهاب ،  
 وكانت عمارة غنيّة موفورة الثروة ، فاغناظ أبان لهذا الزواج ، وقال هذه القصيدة التي  
 بلغت عمارة فأفسدت زواجها :

لما رأيت البز والشاره \* والفرش قد ضاقت به الحارة  
 واللوز والسكّر يرمى به \* من فوق ذى الدار وذى الدارة  
 وأحضروا الملهين لم يتركوا \* طبلاً ولا صاحب زماره  
 قلت : لماذا قيل : أعجوبة \* محمد زوج عمارة  
 ما ذا رأيت فيه وما ذا رجحت \* وهى من النسوان مختارة  
 أسود كالسقود ينسى لدى السنور بل محرّك قياره (١)  
 يُجرى على أولاده خمسة \* أرغفة كالريش طيارة

وأهله في الأرض من خوفه \* إن أفرطوا في الأكل سيّارة  
ويحك فيزي واعصي ذا به \* فهذه أختك فرّارة  
إذا غفا بالليل فاستيقظي \* ثم أطفري إنك طفّارة<sup>(١)</sup>  
فصعدت نائلة سلّما \* تخاف أن تصعده الفارة  
”سرور“ غرّتها فلا أفلحت \* فإنها الخناء غرّارة  
لونت ما أبعدت من ريقها \* إن لها نفثة سحّارة

فلما بلغت هذه القصيدة عمارة هربت، فحرم من جهتها مالا عظيما. والثلاثة الأبيات الأخيرة التي أولها \* فصعدت نائلة سلّما \* زادها في القصيدة بعد أن هربت .

جلس أبان ليلة في قوم فنلبّ أبا عبيدة فقال : يقدح في الأنساب ولا نسب له . فبلغ ذلك أبا عبيدة فقال في مجلسه : لقد أغفل السلطان كل شيء حين أغفل أخذ الجزية من أبان اللاحق ، وهو وأهله يهود، وهذه منازلهم فيها أسفار التوراة وليس فيها مصحف ، وأوضح الدلالة على يهوديتهم أن أكثرهم يدعى حفظ التوراة ولا يحفظ من القرآن ما يصلّي به . فبلغ ذلك أبان فقال :

لا تميم عن صديق حديثا \* وأستعد من تسرر النمام  
وأخفص الصوت إن نطقت بليل \* وألتفت بالنهار قبل الكلام

قال عيسى بن اسماعيل : كذا في مجلس أبي زيد الأنصاري قد كروا أبان بن عبد الحميد، فقالوا: كان كافرا؛ فغضب أبو زيد وقال : كان جاري فما فقدت قراءته في ليلة قط .

\*  
\*

وكان أبان يفوق الشعراء في شيء نحسب أنه هو الذي سبق إليه، فقد ابتكر في الأدب العربي فنا لم يتعاطه أحد من قبله، وهو فن الشعر التعليمي، طرّق فيه فنونا مختلفة من العلم والحكمة والدين. وقد تحدّث أبو الفرج أنه نظم للبرامكة كتاب «كليلة ودمنة» ليسهل عليهم

(١) طفر : وثب في ارتفاع .

حفظه ، فأعطاه يحيى بن خالد عشرة آلاف دينار ، وأعطاه الفضل بن يحيى خمسة آلاف واكتفى جعفر<sup>١</sup> بأن يكون راويته . وروى أبو الفرج أبياتا أربعة من هذا النظم ، وقد عثرنا على قطعة من كتاب مخطوط يوجد في دار الكتب المصرية تحت رقم (٥٩٤) تاريخ ، وهو كتاب «الأوراق» للصولي . وفي هذا الكتاب قطعة صالحة من نظم أبان لكليلة ودمنة ، فرأينا أن نثبتها هنا ، لأن المنظومة ضاعت ولم يبق منها إلا الأبيات الأربعة التي رواها أبو الفرج . وها هي ذى :

هَذَا كِتَابٌ كَذِبٌ وَمِحْنَةٌ \* وَهُوَ الَّذِي يُدْعَى كَلِيلَهُ دِمْنَةٌ  
 فِيهِ دَلَالَاتٌ وَفِيهِ رُشْدٌ \* وَهُوَ كِتَابٌ وَضَعْتَهُ الْهِنْدُ  
 فَوَصَّفُوا آدَابَ كُلِّ عَالِمٍ \* حِكَايَةً عَنِ أَلْسِنِ الْبِهَائِمِ  
 فَالْحِكْمَاءُ يَعْرِفُونَ فَضْلَهُ \* وَالسَّخَفَاءُ يَشْتَمُونَ هَزْلَهُ  
 وَهُوَ عَلَى ذَاكَ سَيْرُ الْحَفِظِ \* لَدَّى عَلَى اللِّسَانِ عِنْدَ اللَّفْظِ  
 يَا نَفْسُ لَا تَشَارِكِي الْجَهْلَالَ \* فِي حَبِّ مَذْمُومٍ كَأَنَّ قَدْ زَالَ  
 يَا نَفْسُ لَا تَشْقَى وَلَا تَعْنَى \* فِي طَلْبِ الدُّنْيَا وَلَا تَمْنَى  
 مَا لَمْ يَنْلُهُ أَحَدٌ إِلَّا نَدَمٌ \* إِذَا تَوَلَّى ذَاكَ عَنْهُ وَسَدِمٌ<sup>(١)</sup>  
 دُنْيَاكَ بِالْأَحْبَابِ وَالْإِخْوَانِ \* كَثِيرَةَ الْآلَامِ وَالْأَحْزَانِ  
 وَهِيَ وَإِنْ نِيلَ بِهَا السَّرُورُ \* آفَاتُهَا وَغَمُّهَا كَثِيرٌ  
 يَا نَفْسُ لَا يَحْمِلُكَ حُبُّ أَهْبٍ \* وَلَا أَدَانِيكَ عَلَى أَنْ تَهْلِكِي  
 فِي جَمْعٍ مَا يَرْضِيهِمْ فَإِنَّهُ \* يَضْرِبُ مِنْ أَمْثَالِ ذَاكَ الدُّخْنَهُ<sup>(٢)</sup>  
 يَنْالُ قَوْمَ عَرَفَها وَتَحْتَرِقُ \* رَأَى بِهِ يَرْضَى أَخُو الرَّأْيِ الْحَقِّ  
 وَجَدْتُ ذَا النَّسِكِ الَّذِي قَدْ فَكَّرَا \* فزَادَهُ تَفَكُّرُهُ تَوْقُرَا  
 وَقَلَّ لَمَّا رَضِيَ أَهْتَامُهُ \* وَتَمَّ مِنْ سُرُورِهِ تَمَامُهُ

(١) ندم وحرز . (٢) الدخنة : نحو يدخن به الثياب أو البيت وفي الأصل : «الدخنة» بالجيم وهو تحريف .

وترك الدنيا لمن يشقّ بها \* ومن يقاسى الكدّ من أنصأها  
فعدّها نجاة من الشرور \* ونال أقصى غاية السرور  
ثم سحت عن كلّ فإن نفسه \* فلقى السعد وغاب نحسه  
وأبصر الثواب في القيامة \* فأمن الحسرة والندامة  
ومثل الدنيا كبرق الخلب \* من يغتر منه بسقي يكذب  
وهو قياسا مثل نوم النائم \* تُفرّحه أضغاث حلم الحالم  
حتى إذا استيقظ صار همًا \* ما كان في النوم به ألمًا  
فكيف بالصبر على أيام \* عما قليل هنّ لأنصرام  
وكيف والدنيا بلاء كلّها \* لا يأمن الآفات فيها أهلها  
أشهد أن الله فردّ واحد \* أقرّ أو أنكر ذلك جاحد  
ليس له كفوا ولا نداء أحد \* لم يخلد الله ولا له ولد  
وإنى بما عملت مرتين \* ما كان منه من قبيح وحسن

### من باب الأسد والثور

وإن من كان دنيّ النفس \* يرضى من الأرفع بالأخس  
كثيل الكلب الشقيّ البائس \* يفرح بالعظم العتيق اليأس  
وإن أهل الفضل لا يرضيهم \* شيء إذا ما كان لا يعينهم  
كالأسد الذي يصيد الأرنب \* ثم إلى العير<sup>(١)</sup> المجتهد هربا  
فيرسل الأرنب من أظفاره \* ويتبع العير على أدباره  
والكلب من رفته ترضيه \* بلقمة تقذفها في فيه  
فمن يعيش ما عاش غير خامل \* له سرور دائم ونائل  
فهو وإن كان قصير العمر \* أطول عمرا من حليف فقير  
ومن يعيش في وحشة وضيق \* وقلة المعروف في الصديق

(١) في الأصل "ثم للعير" والعير: الحمار.

فهو وإن عَمَّرَ طَوْلَ دَهْرِهِ \* ليس بمغبوطٍ بطولِ عمرِهِ  
وقيل أيضا إنه قد ينبغى \* للرجل الفاضل فيما يتبغى  
أَلَّا يُرَى إِلَّا مَعَ الْأَمْلَاقِ \* (١) أو يعْبُدَ اللهَ مَعَ النَّسَاكِ  
كالفيل لا يصاحُ إلا مَرَكَبًا \* لِمَكِّ أَوْ رَاعِيَا مَسِيبَا  
قال له السبعُ لقد سمعتُ \* وَكَلَّ مَا تَقُولُ قَدْ فَهَمْتُ  
لكننى لستُ أَظُنُّ مَا تَظُنُّ \* بِالثَّورِ مِنْ غَشٍّ بَلَى ظَنِّي حَسَنُ (٢)  
قال له دمنةٌ من ثمَّ أتى \* وَهَذِهِ مَنْ حَالُهُ هِيَ الَّتِي  
رَفَعْتَهُ حَتَّى تَعَدَى طَوْرَهُ \* وَكَانَ هَذَا لَكَ مِنْهُ شَكَرُهُ  
وتلك أخلاق اللئيم الفاجر \* الكافرِ المغرورِ غيرِ الشاكرِ  
ما إن يزال ناصحا نفاعا \* حَتَّى يَرَى مِنْ حَالِهِ آرْتِفَاعَا  
فَعِنْدَهَا يَسْمُو إِلَى مَا فَوْقَهَا \* إِلَى الَّتِي لَا تَسْتَطِيعُ أَوْقَهَا (٣)  
وربما كان هلاكُ الشجيرِ \* فِي حُسْنِ الْغَضَنِ وَطِيبِ الثَّمْرِ  
وَذَنْبِ الطَّائِفِ فَهُوَ زِينُهُ \* كَذَلِكَ أَحْيَانًا وَفِيهِ حِينُهُ  
وباذل النصح لمن لم يشكره \* كَطَارِحٍ فِي سَبِيحِ مَا يَبْدُرُهُ  
لا خير للعاقل في ذى المنظره \* إِنْ هُوَ لَمْ يَحْمَدْهُ عِنْدَ الْمَخْبَرَةِ  
وليس في الصديق ذى الصفاء \* خَيْرٌ إِذَا لَمْ يَكْ ذَا وِفَاءِ  
الرجلُ العاقلُ من لا تُسْكِرُهُ \* كَأْسُ سَمَوٍّ وَأَقْتِدَارِ يُبْطِرُهُ (٤)  
فالجبلُ الثابتُ في أصوله \* لَا تَقْدِرُ الرِّيحُ عَلَى تَحْوِيلِهِ  
والباقصُ العقلِ الذى لا رأى له \* يَطغى إِذَا مَا نَالَ أَدْنَى مَنْزِلَهُ  
مثلُ الحشيشِ أيماريج جرت \* مَالَتْ بِهِ فَأَقْبَلَتْ وَأَدْبَرَتْ  
الأهلُ والإخوانُ والأعوانُ \* عِنْدَ ذَوَى الْأَمْوَالِ حَيْثُ كَانُوا

(١) الأملاك : الملوك . (٢) كذا في الأصل ولعله : « بل الظن الحسن » .

(٣) أوقها : ثقلها . (٤) في الأصل هكذا "نطره" .

والمال هادى الرأى والمرؤه \* وهو على كل الأمور قوه  
 والمال فيه العز والجمال \* والذل حيث لا يكون المال  
 وربما دعا الفقير فقره \* الى التي يُجَبِّطُ فيها أجره  
 فيخسر الدين كما كان خسر \* دنياه والخسران ما لا يجبر  
 وليس من شيء يكون مدحا \* لذي الغنى إلا يكون برحا  
 على الفقير ويكون ذمًا \* كذاك يُدعى وبه يُسمى  
 فإن يكن نجداً يقولوا أهوج<sup>(١)</sup> \* كذاك عند الحرب لا يعرج  
 وهو إذا كان جواداً سيداً \* سُمي للفقير مضياً مُفْسِداً  
 أويك ذا حليم يُقل ضعيف \* أويك بساما يُقل سخيف  
 الرجل العاقل فيما يُسدى \* مقتبَطٌ بكسبه للحميد  
 لأنه باع قليلاً فانيا \* وأعتاض من ذاك كثيراً باقيا  
 فأغبطُ الناس الكثير نائله \* ومدركُ النجاح لديه سائله  
 فلا تعدن ذا غنى غنيا \* حتى يكون ماجداً سرياً  
 وأعلم بأن الملك المشاورا \* ذا العقل فيما نابه المؤازرا  
 فإنه يُعَضدُ بالتأييد \* يغنى به عن كثرة الجنود  
 والحازمُ التابع أمر الحزمه \* النصحاء غير أهل التهمه  
 يزداد حزماً بهم ورشداً \* زيادة البحر إذا ما مُدنا  
 بما يُصب فيه من أنهاره \* حتى يهيج الموج من تياره  
 والموت من مات كريماً صابراً \* خير من العيش ذليلاً صاغراً

ولم يتقل لنا الصولى في كتابه إلا هذه القطعة . وبعد أبان في هذا ناظلاً لكتاب  
 معروف، ولكنه قد تجاوز نظم الكتب المعروفة الى تأليف كتب منظومة ، فنظم قصيدة  
 طويلة في الصوم والزكاة، روى منها الصولى طرفاً .

(١) الهوج : الحق . وفي الأصل : «لهوج» باللام وهو تحريف .

فقيل لأبان بعد أن نظم كليله ودمته : ألا تعمل شعرا في الزهد ؟ فعمل قصيدة مزدوجة في الصيام والزكاة . وترجمتها :

”قصيدة الصيام والزكاة \* نقل أبان من فم الرواة“

وها هي ذى القصيدة :

هذا كتاب الصوم وهو جامع \* لكل ما قامت به الشرائع  
من ذلك المنزل في القرآن \* فضلا على من كان ذا بيان  
ومنه ما جاء عن النبي \* من عهده المتبع المرضي  
صلى الإله وعليه سألنا \* كما هدى الله به وعلما  
وبعضه على اختلاف الناس \* من أثر ما مضى ومن قياس  
والجامع الذي إليه صاروا \* رأى أبي يوسف مما آخترأوا  
قال أبو يوسف أما المفترض \* فرمضان صومه إذا عرض  
والصوم في نقارة الأيمان \* من حيث ما يجري على اللسان  
ومعه الحج وفي الظهار<sup>(١)</sup> \* الصوم لا يدفع بالإنكار  
وخطأ القتل وحاق المحرم \* لرأسه فيه الصيام فأفهم  
فرمضان شهره معروف \* وصومه مفترض موصوف<sup>(٢)</sup>  
والصوم في الظهار إن لم يقدر \* مظاهر يوما على محرر  
والقتل إن لم يك عمدا قتله \* فإن ذلك في الصيام مثله  
شهران في العدة كاملان \* متصلان لا مفترقان  
والحنث في رواية مقبولة \* ثلاثة أيامها موصولة  
ومثلها في عدة الأيام \* للحريم الحائق في الإحرام  
ثلاثة يصومها إن حلقا \* لا بأس إن تابعها أو فترقا

(١) الظهار مصدر ظاهر الرجل من امرأته إذا قال لها : أنت على كظهر أمي ، فكنتي بالظهر عن البطن تأديبا .

(٢) في الأصل : ”مطوف“ .

والصومُ في المُتعة ان لم يجِدِ \* هَدْيًا وكان بالصيام يفتدي  
صيامُ أيامِ مُؤَقَّاتٍ \* ثلاثة في الحج مفروضات  
وبعد ما يرجع صومُ سبعة \* عشرةً كاملة في المتعه  
أما الثلاثة التي في الحج \* فكان من أدركت من محتج  
أو غيره ممن يرى أن يرويه \* يقول يوما قبل يوم التروية  
ويومها وصوم يوم عرفة \* مؤتلفات الصوم لا مختلفه  
قالوا وإن أحب أن يفارقا \* فذاك ما ليس عليه ضيقا  
إن كان ذلك الصوم منه بعدما \* يكون في عمرته قد أحرا  
ولو أراد الصوم في شؤال \* من بعد أن يوجب بالهلال  
عمرته لكان ذلك مجزيا \* بذاك يُفتى من أتى مستفتيا

وهي طويلة جدًا

ونحسب أن مكانه من البرامكة هو الذي حمله على اختراع هذا الفن؛ فقد كان مكانه منهم مكان المؤدب لصبيانهم وشبابهم، وكان من الحق عليه أن يسهل لهم العلم تسهلاً . وليس من شك في أن هذه الأموال التي أصابها من البرامكة حينما نظم كليله ودمنة قد أطمعته، فنظم القصائد الأخرى ليصيب مثل ما أصاب .

أخبار حمدان بن أبان بن عبد الحميد بن أبان ومختار من شعره

قال أبو بكر الصولي: حدثني محمد بن زياد قال: كانت في عبد الصمد بن المعدل عريضة إذا سكر، فعربد يوماً في مجلس فيه حمدان بن أبان بن عبد الحميد بن أبان، وكان أيداً<sup>(١)</sup>، فقال لهم: كلوه إلى وحدي، وأخذه وكتفه وجعله في بيت وأغلق بابه، وقال: إذا أصبحتم فأطلقوه، وأنصرف؛ فبلغه أن عبد الصمد حلف ليهجوته سنة، فقال حمدان يهجووه:

(١) أيدا: قويا .

قل لعبد الصمد الأح \* حق لا تغضب عليّة  
 وعلى أتمك فاغضب \* وأكوها في الهن كية  
 أمك العفلاء جاءت \* نى بسلمى ورقية  
 وهى ساق ليلة فا \* طمة أنحرى اليه  
 \*  
 ففضينا فيهم الحق \* وقلنا السوية

وقد ذكر الصولى فى كتابه الأوراق ما اختاره من قصيدة حمدان بن أبان بن عبد الحميد

ابن أبان فى وصف الحب وأهله وهى طويلة، قال :

ما بال أهل الأدب \* منا وأهل الكتب  
 قد وضعوا الآدابا \* وأتعبوا الكتابا  
 لكل فنٍ دفترٌ \* منقطٌ محبرٌ  
 ففرقت أجناسا \* وعلموها الناسا  
 بالحيل الرقيقه \* والفطن الدقيقه  
 فأرشدوا الضلّالا \* وعلموا الجهّالا  
 سوى المحبين فلم <sup>(١)</sup> \* يرعوا لهم حقّ الدّم  
 فى علم ما قد جهلوا \* وما به قد أبسلوا  
 قد غلقت رُهونهم \* وأستعبرت عيونهم  
 وحالفوا السهادا \* وخالفوا الرقادا  
 فليلهم طويلٌ \* ونومهم قليلٌ  
 أبدانهم نحيلة \* متعبّةٌ عليه  
 نفوسهم حزينة \* مشغوفةٌ رزينة  
 ظاهرةٌ غمومهم \* باطنةٌ كلومهم

(١) فى الأصل : "فم".

باكية عيونهم \* قريحة جفونهم  
 إن ظلموا لم يظلموا \* وإن شكوا لم يرحموا  
 أحبابهم في لعب \* وفي دوام الطرب  
 صافية ألوانهم \* ضاحكة أسنانهم  
 قد سكنوا القصورا \* وقارنوا السوروا  
 تفرغوا للهجر \* وللنوى والغدر  
 بعاشق يهواهم \* بالله ما أقسامهم  
 وعدهم وعيد \* إقرارهم بحود  
 بؤسى لأهل العشق \* أهل الضنا والرق  
 ليس لهم وسيلة \* ولا وجوه حيلة  
 رأيت لما خذلوا \* وفي هواهم وحلوا  
 أن أرشد المغفلا \* الجاهل المضللا  
 الى الطريق الواضح \* عند البلاء الفادح  
 وأبتدى كتابا \* للوصف بابا بابا  
 يا أيها الناس فعوا \* وصيتي وأستمعوا  
 ففي صفاتي عجب \* وفي كتابي أدب  
 قصيدتي مقومة \* ألفاظها منظمة  
 فيها هوى العشاق \* ومنية المشتاق  
 وصفت أهل العشق \* ولم أمل عن حق  
 فاستمع مقالا صادقا \* يا من بيت عاشقا  
 للحب خلتان \* هما اللتان  
 الصبر والرفق معا \* يوما إذا ما اجتمعا

في عاشقٍ مهجورٍ \* مباعِدٍ مغرورٍ  
 قَضَى قريبا وطَرا \* وبلغاهُ الوطرا  
 ما الحسنُ والإحسانُ \* والمملكُ والسلطانُ  
 يعدلُ وصلُ الإلفِ \* وكسرهُ للطرفِ  
 ما حسنٌ في العينِ \* أحسنُ منِ الفينِ  
 يوما إذا ما آتقيا \* في مجلسٍ فاشتقيا  
 مداومينَ للنظرِ \* قد أمنا كلَّ حذرِ  
 يادارانِ الخالوةِ \* ويُظهرانِ الصبوةِ  
 مساعدينِ آتفقا \* باتا ولم يفترقا  
 هواهما مخزونُ \* سرهما مدفونُ  
 مداريينَ أصبحا \* للناسِ لم يفتضحَا  
 منَ حربِ الحبِّ عرفَ \* ما بينَ ملكٍ وأسفِ  
 لن يبلغَ الصبُّ المنى \* إلا بصبرٍ وعنا  
 إن الهوى ضروبُ \* وأمره عجبُ  
 وأهله أطوارُ \* فيه لهم أوطارُ  
 للعاقِلِ الشريفِ \* والأحمقِ السخيفِ  
 فمنهم مرزوقُ \* محبٌّ معشوقُ  
 على اضطرابِ الخلقِ \* منه وسوءِ الخلقِ  
 تُقضى له الأوطارُ \* وتُعملُ الأشعارُ  
 مقربٌ ما يقصى \* مطاوعٌ ما يعصى  
 ومنهم محرومُ \* محارِفٌ مششومُ

على جمال هيئته \* وحسنه وبهجته  
 ومنهم من يتدا \* ينال عيشاً رغداً  
 من غير سعى وطلب \* وغير كد ونصب  
 فدُ ذاك الأسعد \* والبخت منه أجود  
 إذ فاز باللذات \* ودرك الحاجات  
 ومنهم من يتعب \* في حبه ويدأب  
 أسقمه طول الهوى \* وشقه وجد الهوى  
 فذاك صب قد شقى \* يؤسى له ما ذا لقي  
 ومنهم البصير \* العاقل النصير  
 يحتمل الهجرانا \* ويحمل الأحزانا  
 فلا يزال مبتلى \* حتى ينال أملاً  
 ومنهم العميد \* الجاهل البليد  
 يحب بالتضجر \* والجهل والتكبر  
 يلقي الحبيب باهتا \* فلا يزال ساكتا  
 ومنهم من يهوى \* بالغيب يأتي عفوا  
 فيزرع الغموما \* مستجلباً هموما  
 فذاك حب الغيب \* ليس به من عيب  
 من دونه حجاب \* ودونه أبواب  
 فما لذاك لبث \* وليس منه مكث  
 حتى يرى مقهورا \* في حبه محسورا  
 ومنهم جبار \* في حبه أزورار  
 يزهى إذا ما عشقا \* ورهنه قد غلغا

يلتزم أَلْبَجَاةً \* فليس يُبْدِي الْحَاجَةَ  
 فذاك حُبُّ الْقَوَاتِ \* وفيه كَرَبُ الْمَوْتِ  
 ومنهمُ منَ لِلنَّظَرِ \* يهوى ولم يعدُّ البَصَرَ  
 إذا رأى خَلِيلَهُ \* داوى به غليلَهُ  
 يكتُمُ ما يقاسي \* من أعين الجُلَّاسِ  
 ومنهمُ منَ آقْتَصَرَ \* على الحديث والنظرِ  
 غايته السَّلَامُ \* واللحظُ والكلامُ  
 مدافعٌ عن حبه \* يكتُمُ وجد قلبه  
 ينفي الهوى وينكره \* وبالتَّبري يستره  
 فذاك حُبُّ الْعَاقِلِ \* حُبُّ أَدِيبٍ كَامِلِ  
 وبعضهم لا يَقْنَعُهُ \* إلا عمودٌ يودعُهُ  
 قد طلبَ الحراما \* وألتمس الأثاما  
 فذاك حُبُّ النَّهْمِ \* الماجنِ المقتلِمِ  
 حقٌّ له الحرمانُ \* والمنعُ والخذلانُ  
 وبعضهم مَدَّاقُ \* معانتِ مَتَلَّاقِ  
 مستعملٌ للكذبِ \* مُحَرَّفٌ فِي الكُتُبِ  
 فذاك حُبُّ الزُّورِ \* يلسعُ كالزُّنْبُورِ  
 وبعضهم عميدُ \* غايته ما يريدُ  
 خلوةٌ من يهواه \* في مشهيدٍ يلقاهُ  
 لحظتهُ مُسَارِقَهُ \* مبيتهُ مُعَانِقَهُ  
 مكاتمٌ لحبه \* في بُعدهِ وقُربهِ  
 فذاك حُبُّ يَكْدُ \* نيرانُهُ لا تَحْجُدُ

وَمِنْهُمْ مَنْ يَهْتَفُ \* بِالْحَبِّ حِينَ يُشَعْفُ  
 إِذَا الْحَبِيبُ صَدًّا \* وَلَمْ يُنَلِّهِ وَدًّا  
 تَاهَ عَلَيْهِ وَحَزَقُ<sup>(١)</sup> \* وَصَدَّ عَنْهُ وَحِمَقُ

وقال في آخرها :

قَدِ تَمَّ مِنِّي وَصْفُ \* وَلَمْ يُحْنِي الرِّصْفُ  
 وَأَنْقَضَتِ الْقَصِيدَةَ \* مَجْبُوبَةً حَمِيدَةَ  
 وَالْحَمْدُ لِلرَّحْمَنِ \* ذِي الْعِزِّ وَالسُّلْطَانِ  
 وَالذَّمُّ لِلشَّيْطَانِ \* ذِي الْعَرَمِ<sup>(٢)</sup> وَالطُّغْيَانِ

(١) حَزَقُ : ضن عليه وبخل .

(٢) العرم : الشدة والشراسة . وفي الأصل : « العزم » .

٦ - منصور النمرى<sup>(١)</sup>

كان ذا حيلة سياسية ، فأدرك أن الرشيد يسره أن يُمدح بنفى الإمامة عن عليّ والطعن عليه ، لما كان يراه من تقديم مروان بن أبي حفصة بسبب ذلك ، فسلك مذهبه ونحا نحوه - والشعراء يومئذ انما يطلبون الكسب - لكنه لم يصرح بالهجاء والسب كما فعل مروان ؛ ومن قوله فيه قصيدة مطلعها :

أمير المؤمنين اليك خُضنا \* غمار الهول من بلد شطير  
 بجوِّص كالأهلة خافقات \* تلين على السرى وعلى الهجير  
 حَمَلن اليك أحمالا ثقالا \* ومثل الصخرة الذرّ النثير  
 فقد وَقَف المديح بمتناه \* وغايته وصار الى المصير  
 الى من لا تُشير الى رسول \* اذا ذكر الندى كَفّ المشير

وذكر في القصيدة يحيى بن عبد الله بن حسن فقال :

يذلل من رقاب بني عليّ \* ومن ليس بالمتّ الصغير  
 مننت عليّ ابن عبد الله يحيى \* وكان من الختوف على شفير

(١) هو منصور بن الزبرقان بن سلمة النمرى الربيعي ، من النمر بن قاسط ، ثم من ربيعة بن نزار . شاعر من شعراء الدولة العباسية . من أهل الجزيرة ، وهو تلميذ كلثوم بن عمرو العنابي ورايسته ، عنه أخذ ، ومن بحره استقى ، وبمذهبه تشبه . وصفه العنابي للفضل بن يحيى بن خالد وقرظاه عنده حتى استقدمه من الجزيرة واستصعبه ، ثم وصله بالرشيد وجرت بعد ذلك بينه وبين العنابي وحشة حتى تهاجرا وتناقضا وسعى كل واحد منهما في هلاك صاحبه ؛ وكان النمرى قد مدح الفضل بقصيدة وهو مقيم بالجزيرة ، فأوصلها العنابي اليه واسترفده له وسأله استصعبه ، فأذن له في القدوم ، فخطى عنده ، وعرف مذهب الرشيد في الشعر وإرادته أن يصل مدحه إياه بنفى الإمامة عن ولد علي بن أبي طالب عليهم السلام والطعن عليهم وعلم مغراه في ذلك مما كان يبلغه من تقديم مروان بن أبي حفصة وتفضيله إياه على الشعراء في الجوائز ، فسلك مذهب مروان في ذلك ونحا نحوه ، ولم يصرح بالهجاء والسب كما كان يفعل مروان ولكنه حام ولم يقع وأوما ولم يحقق ، لأنه كان يتشيع ، وكان مروان شديد العداوة لآل أبي طالب وكان يتناقض عن نية قوية يقصد بها طلب الدنيا فلا يبقى ولا يذرو . وتجد أخباره في الأغانى (ج ١٢ ص ١٦ وج ١٧ ص ٣٢ و ١٤١) .

ولقد تخلص الى شيء ليس عليه فيه شيء وهو قوله :

فإن شكروا فقد أنعمت فيهم \* وإلا فالندامة للكفور  
وإن قالوا بنو بنت فحق \* وردوا ما يناسب للذكور  
وما لبني بنات من تراث \* مع الأعمام في ورق الزبور

ومنها :

بني حسن ورهط بنى حسين \* عليكم بالسداد من الأمور  
فقد ذقم قراع بنى أبيكم \* غداة الروع بالبيض الذكور  
أحين شفوكم من كل وتر \* وصمواكم الى كيف ونير  
وجادوكم على ظما شديدا \* سقيتم من نوالهم الغزير  
فاكان العقوق لهم جزاء \* بفعلهم وأدى للشور  
وإنك حين تبلغهم أذاة \* وإن ظلموا محزون الضمير

فقال له : صدقت وإلا فعلى وعلى ، وأمر له بثلاثين ألف درهم .

وأشد الرشد يوما قصيدته التي أولها :

ما تنقضى حسرة منى ولا جزع \* إذا ذكرت شبابا ليس يرجع  
بان الشباب وفانتى بلذته \* صروف دهر وأيام لها خدع  
ما كنت أوفي شبابي كنه غرته \* حتى أنقضى فاذا الدنيا له تبع

فقال الرشيد : أحسن ! والله لا يتبني أحد بعيش حتى يحطري رداء الشباب .

ومن قوله فيها يمدح الرشيد :

أى أمرى بات من هارون في بخط \* فليس بالصلوات الخمس ينتفع  
إن المكارم والمعروف أوديه \* أحلك الله منها حيث تجتمع<sup>(١)</sup>

(١) رواية الأغاني : "تسع" .

إذا رفعت أمرًا فالله يرفعه \* ومن وضعت من الأقوام متضع  
نفسى فداؤك والأبطال معلمة \* يوم الوغى والمنايا صابها فزع

ومن قوله يمدح الرشيد :

يامنزل الحى ذا المغانى \* إنعم صباحا على بلاكا  
هارون ياخير من يرجى \* لم يطع الله من عصاكا  
فى خير دين وخير دنيا \* من آتقى الله وآتقاكا

وناهيك بقصيدته التى رفعت السيف عن ربيعة بنصيبين بعد أن جرده فيها الرشيد

وهى التى يقول فيها :

وقد علم العدوأن والجور والحنأ \* بأنك عياف لمن مزايل  
ولو عملوا فينا بأمرك لم يكن \* ينال بريأ بالأذى متناول  
لنا منك أرحام ونعتد طاعة \* وبأسا إذا أصطك القنا والقنابل<sup>(١)</sup>  
وما يحفظ الإحسان مثلك حافظ \* ولا يصل الأرحام مثلك واصل  
جعلناك فامعنا معادا ومفرعا \* لنا حين عصتنا الخطوب الحلائل  
لأنت إذا عادت بوجهك عود \* تطامن خوف وأستقرت بلابل

اجتمع جماعة من الشعراء ببغداد وفيهم منصور النمرى، وكانوا على نبيذ، فأبى منصور

أن يشرب معهم، فقالوا له : إنما تعاف الشراب لأنك رافضى، وتسمع وتضعى الى

الغناء، وليس تركك النبيذ من ورع، فقال :

خلا بين ندمائى موضع مجلسى \* ولم يبق عندى للإصال نصيب  
وردت على الساق تفيض وربما \* رددت عليه الكأس وهو سليب  
وأى أمرى لا يستهش إذا جرت \* عليه بنان كفهن خضيب

(١) مفردة قنبل بفتح فسكون ثم فتح : الطائفة من الناس .

قال النمري : كنت واقفا على جسر بغداد أنا وعبيد الله بن هشام ، وقد وخطبني الشيب يومئذ ، وعبد الله شابٌ حديث السن ، فاذا أنا بقصرية ظريفة قد وقفت ، فجعلت أنظر إليها وهي تنظر إلى عبيد الله ثم انصرفت ، وقلت فيها :

لما رأيت سوام الشيب منتشراً \* في لمّتي وعبيد الله لم يشب  
 سللت سهمين من عينيك فانتضلا \* على سبيّة ذى الأذيال والطرب  
 كذا الغواني نرى منهن قاصدة \* الى الفروع مِعْرَاة عن الحشب  
 لا أنت أصبحت تعقد بيننا أربا<sup>(١)</sup> \* ولا وعيشك ما أصبحت من أربي  
 إحدى وخمسين قد أنضيت جدتها \* تحول بيني وبين اللهو واللعب  
 لا تحسبني وإن أغضبت عن بصري \* غفأت عنك ولا عن شأنك العجب  
 غضب الرشيد على منصور النمري لما أنشد قصيدته في مدح العلويين وأولها :

شاء من الناس راتع هامل \* يعللون النفوس بالباطل

وفيها يقول :

ألا مساعير يفضبون لها<sup>(٢)</sup> \* بسلة البيض والقنا الذابل  
 فغضب من ذلك غضبا شديدا وقال للفضل بن الربيع : أحضره الساعة ، فبعث الفضل في ذلك ، فوجده قد توفى ، فأمر بنهبه ليحرقه ، فلم يزل الفضل يلطف له حتى كفف عنه .  
 واليك قصيدته في مدح العلويين نقلا عن الشعر والشعراء لابن قتيبة ، لأن صاحب الأغاني أغفلها ولم يذكر منها إلا البيتين السابقين :

شاء من الناس راتع هامل \* يعللون النفوس بالباطل  
 تُقتل ذرية النبي وير \* جون جنان الخلود للقاتل  
 ويالك يا قاتل الحسين لقد \* نوت بجمال يتوء بالامل

(١) كذا في الأصل ولعله : \* لا أنت أصبحت يعقد بيننا أرب \* بتسكين الفعل يعقد للضرورة وتسكين  
 الفعل في الضرورة واردة منه قول امرئ القيس :  
 فاليوم أشرب غير مستحب \* اثما من الله ولا واغل  
 (٢) في الشعر والشعراء "مصاليت" .

أَى حَيَاءٍ حَبَّوتَ أَحْمَدَ فِي \* حُفْرَتِهِ مِنْ حَرَارَةِ النَّاسِكِ  
 بَأَى وَجْهَ تَلَقَى النَّبِيَّ وَقَدْ \* دَخَلَتْ فِي قَتْلِهِ مَعَ الدَّاهِلِ  
 هَلُمَّ فَاطْلُبْ غَدًا شِفَاعَتَهُ \* أَوْ لَا فَرِدْ حَوْضَهُ مَعَ النَّاهِلِ  
 مَا الشُّكُّ عِنْدِي فِي حَالِ قَاتِلِهِ \* لَكِنِّي أَشُكُّ فِي أَخْلَاذِلِ  
 نَفْسِي فِدَاءَ الْحُسَيْنِ حِينَ غَدَا \* إِلَى الْمَنَابِيا غُدُوًّا لَا قَافِلِ  
 ذَلِكَ يَوْمٌ أَنْحَى بِشَفْرَتِهِ \* عَلَى سَنَامِ الْإِسْلَامِ وَالْكَاهِلِ  
 حَتَّى مَتَى أَنْتِ تَعَجِّينَ أَلَا \* تَتَزَلُّ بِالْقَوْمِ نِقْمَةَ الْعَاجِلِ  
 لَا يَعْجَلُ اللَّهُ إِنْ جَلَّتِ وَمَا \* رَبُّكَ عَمَّا يَرِيدُ بِالْغَافِلِ  
 وَعَاذِلِي أَنِّي أَحَبُّ بَنِي \* أَحْمَدَ فَاتْرَبِي فِي فِيمَ الْعَاذِلِ  
 قَدْ ذُقْتُ مَا دِينِكُمْ عَلَيْهِ فَمَا \* وَصَلْتُ مِنْ دِينِكُمْ إِلَى طَائِلِ  
 دِينِكُمْ جَفَوَةَ النَّبِيِّ وَمَا أَل \* جَافِي لَأَلِ النَّبِيِّ كَالْوَاوِصِلِ  
 مَظْلُومَةٌ وَالنَّبِيُّ وَالِدَاهَا \* نَذِيرُ أَرْجَاءِ مُقْلَةٍ حَافِلِ  
 أَلَا مَصَالِيْتُ يَغْضَبُونَ لَهَا \* بَسَلَةَ الْبَيْضِ وَأَلْقَنَّا الذَّائِلِ

وقال أيضا :

آل النَّبِيِّ وَمَنْ يُجِبُّهُمْ \* يَتَطَامَنُونَ مَخَافَةَ الْقَتْلِ  
 أَمِنُوا النَّصَارَى وَالْيَهُودَ وَهُمْ \* مِنْ أُمَّةِ التَّوْحِيدِ فِي أَرْضِ<sup>(١)</sup>  
 وَأُنشِدَ الرَّشِيدُ هَذَا بَعْدَ مَوْتِهِ فَقَالَ : لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ أُنْبِشَهُ ثُمَّ أَحْرَقَهُ .

ومن جيد شعره قوله في الرشيد :

يَا زَائِرِنَا مِنْ أَلْحِيَامِ \* حَيَا كَمَا اللَّهُ بِالسَّلَامِ  
 يُحِزُّنِي أَنْ أَطْفَأَ بِي \* وَلَمْ تَنَالَ سِوَى الْكَلَامِ

(١) الأزل : الضيق والشدة .

- \* لَمْ تَطْبُرْ قَانِي وَبِي حَرَاكُ \* إِلَى حَلَالٍ وَلَا حَرَامٍ  
 \* هَيَّاتِ لِلَّهِوِ وَالْتَصِمِي بِي \* وَللغَوَانِي وَللُدَامِ  
 \* أَقْضِرْ جَهَنِّي وَتَابِ عَلَيَّ \* وَنَهْنَهَ الشَّيْبُ مِنْ عُرَامِي <sup>(١)</sup>  
 \* عَمَّيْرُ أَبِيهَا لَقَدْ تَوَلَّتْ \* سَالِمَةَ الْخَدَّ مِنْ عِذَامِي <sup>(٢)</sup>  
 \* اللَّهُ حَبِيْبِي وَتَرْبِي حَبِيْبِي \* لَيْلَةَ أَعْيَاهَا مَرَامِي  
 \* أَذِنْتَانِي يَطْبُوهَا لَهْجِرِي \* وَعَرَّتَانِي مَعَ السَّوَامِ  
 \* وَأَبْطَشُونَا بِي عَلَى مَسَامِ \* وَالشَّيْبُ سَرٌّ مِنَ الْمَسَامِ  
 \* بُولُوكَ هَارُونَ مِنْ إِمَامِ \* بِطَاعَةِ اللَّهِ ذِي الْعِتْصَامِ  
 \* إِلَهِي إِلَى ذِي الْحَلَالِ قُرْبِي \* لَيْسَتْ لَعْدُلٌ وَلَا إِمَامِ  
 \* يَسْبَعِي عَلَى أُمَّةٍ تَمَنِّي \* أَنْ لَوْ تَقِيهِ مِنَ الْحِمَامِ  
 \* لَوْ اسْتَطَاعَتْ لِقَاسَمْتِيهِ \* أَعْمَارَهَا قِسْمَةَ السَّهَامِ  
 \* يَا خَيْرَ مَاضٍ وَخَيْرَ بَاقٍ \* بَعْدَ النَّبِيِّينَ فِي الْأَنَامِ  
 \* إِيَّاهَا اسْتَوْدِعَ الدِّينُ مِنْ إِمَامِ \* حَامِي عَلَيْهِ كَمَا تُحَامِي  
 \* يُؤْنَسُ مِنْ رَأْيِهِ بِرَأْيِ \* أَصْدَقَ مِنْ سَلَّةِ الْحُسَامِ

وقال :

- \* أَعْمِيرُ كَيْفَ حَاجَةٌ \* طَلَبْتُ إِلَى صَمِّ الصُّخُورِ  
 \* اللَّهُ دَرُّ عِدَائِكُمْ \* كَيْفَ انْتَسَبَ إِلَى الْغُرُورِ  
 \* أَنْ اللَّيَالِي صَمْنِي \* وَوَسَمْنِي سِمَةَ الْكَبِيرِ  
 \* أَطْفَانَ نُورَ شَيْبَتِي \* وَفَرَشْتَنِي كَنْفَ الْعَيْوَرِ  
 \* وَيُوقِدُ تَيْبَتِي أَنَا مِثْلِي \* يَجْنِينُ رَمَانَ الْيُحُورِ

(١) العرام : الخدّة . (٢) العدم الشفة كالعض بالأسنان .

٧ - السيد الحميري<sup>(١)</sup>

« لم يكن السيد الحميري من أنصار الحسن والحسين، أو بعبارة أصح لم يكن من أنصار ولد الحسن والحسين؛ وإنما كان من الكيسانية الذين كانوا ينصرون الأبن الثالث من أبناء علي: محمد بن خولة الحنفيّة؛ والذين كانوا يدينون بأنه لم يمت وإنما تغيب عن الناس واحتجب عنهم حيناً وسيعود فيملا الأرض عدلاً كما ملئت جوراً، فلم يكن على السيد الحميري بأس أن يمدح بني العباس ويتقرب منهم مادام صاحبه محمد بن الحنفيّة لم يعد من عييته بعد. ثم نستطيع أن نُميّز هذا الشاعر بخصلة لم نرها في شاعر من الذين تحدثنا عنهم، وهي أنه كان سخيفاً ضعيف العقل شديد الإيمان بالخرافات والأوهام، ويظهر أن هذه الخصلة جاءت من مذهبه نفسه في الرجعة، فقد أسرف في هذا المذهب كما أسرف في مدح العلويين والإيمان بهم حتى وصفهم من الخير والكرامة بما يقبل وما لا يقبل؛ فكان كل خير يمكن أن ينسب إلى العلويين، رضي العقل أم لم يرضه، وكان كل شر يمكن أن ينسب إلى خصوم العلويين، رضي العقل أم لم يرضه، وكان يكفي أن يسمع رجلاً من أهل القصص ورواة الأساطير يروي كرامة من الكرامات يُضيفها إلى أحد العلويين حتى ينظم فيها قصيدة طويلة جيدة، ويتخذ هذه القصيدة وسيلةً إلى دم السلف والنبي عليه.

(١) هو اسماعيل بن محمد بن يزيد بن ربيعة بن مقرخ الحميري والسيد لقبه ويكنى أبا هاشم، كان شاعراً متقدماً مطبوخاً، يقال إن أكثر الناس شعراً في الجاهلية والاسلام ثلاثة: بشار وأبو العتاهية والسيد، فانه لا يعلم أن أحداً قدر على تحصيل شعر أحد منهم أجمع، وإنما مات ذكره وهجر الناس شعره لما كان يقرط فيه من سب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأزواجه في شعره ويستعمله في قذفهم والظن عليهم فنحوى شعره من هذا الجنس وغيره لذلك وهجره الناس تخوفاً وتقرباً، وله طراز من الشعر ومذهب قلباً يلحق فيه أو يقارب، ولا يعرف له من الشعر كثير، وليس يخلو من مدح بني هاشم أو ذم غيرهم ممن هو عنده ضد لهم. توفي سنة ١٧٣ هـ. وتجد ترجمته وأخباره في الأغاني (ج ٧ ص ٢) وفوات الوفيات (ج ١ ص ١٩).

(٢) من بحوث صديقي الدكتور طه حسين أستاذ الآداب العربية بالجامعة المصرية.

وخصلة أخرى تقربه من الزنادقة الذين عاصروه ولكنها تجعل الصلة بينه وبينهم ضعيفة واهية في الوقت نفسه .

وهي أنه كان يستبيح ضروبا من اللهو والمنكر، ويسرف في شرب الخمر وغير ذلك من ألوان العَبَث، لا لأنه كان يمجّد الدين أو يزديريه بل لأنه كان يدلّ على صاحب الدين؛ كان يحبّ النبي صلى الله عليه وسلم وآله ويمتحنهم مودّته ونصّره، ويعتقد أنهم سيعرفون له ذلك وسيشفعون له في ذنوبه وآثامه لما قدّم بين يديه من مدح العلويين ونصّهم على خصومهم؛ وكان بنو هاشم وبنو عليّ خاصة يطعمونه في ذلك ويعترفون له به، فإذا ذُكر لهم أنه يلهو ويشرب الخمر قالوا: وأيّ ذنب يعظّم على الله أن يفضره لرجل من أنصار أهل البيت! بل قال أحدهم: إن من أحبّ آل عليّ لم تزلّ له قدمٌ إلا ثبتت له أخرى؛ وعلى هذا كان السيّد الحميريّ يلهو آمنّا في دينه ودُنياه، يعتمد في دينه على العلويّين، ويعتمد في دنياه على العباسيين، يقدر أنّ العلويين سيشفعون له عند الله، ويعلم أنّ العباسيين يتقون شرّه ويؤثرون مدحه على هجائه؛ وكان من معاصريه من يكره ذلك ويمقتّه كلّ المقت، ويضمر للسيّد عداً وحقداً لا يعدلها عداً ولا حقداً؛ ومن هؤلاء سوار بن عبد الله العنبري قاضي البصرة للمنصور، فقد كان العداً بينه وبين السيّد شديداً، وكان قد أجمع ألا يقبل للسيّد شهادة، وكان قد سعى بالسيّد عند المنصور غير مرّة؛ وكان السيّد قد هجاه فأسرف في هجائه، فشكا ذلك إلى المنصور فنهاه المنصور عنه وأمره أن يذهب إلى القاضي فيعتذر إليه، وأبى القاضي أن يقبل معذرتَه، فاستأنف السيّد الهجاء وألح فيه . ويقال إن سواراً أعدّ شهوداً يشهدون على السيّد بالسرقة ليقطع يده، فعلم السيّد ذلك فخرّج وفرّج إلى المنصور، فعزل المنصور سواراً من القضاء للسيّد أو عليه، ولم يلبث سوار أن مات فتبعه السيّد بعدائه وبغضه وهجائه .

قال أبو جعفر الأعرج: كان السيّد أسمر تامّ القامة، أشنب ذا وفرة، حسن الألفاظ جميل الخطاب، إذا تحدّث في مجلس قوم أعطى كلّ رجل في المجلس نصيبه من حديثه؛

وقال الفرزدق : إنا ههنا لرجلين لو أخذنا في معنى الناس لما كنا معهما في شيء : السيد الحميري  
وعمران بن حطان السدوسي ، ولكن الله عز وجل قد شغل كل واحد منهما بالقول  
في مذهبه ؛ وقال الأصمعي لما أنشد شيئا من شعره : ما أسلكه لطريق الفحول لولا مذهبه ،  
ولولا ما في شعره ما قدمت عليه أحدا من طبقته ؛ وكان أبو عبيدة يقول : أشعر المحدثين  
السيد الحميري وبشار .

وكان السيد يذهبُ مذهب الكيسانية ويقول بإمامة محمد بن الحنفية ، وله في ذلك  
شعر كثير .

وقف السيد على بشار وهو ينشد الشعر ، فأقبل عليه وقال :

أيها المادح العباد ليُعطى \* إن الله ما بأيدي العباد  
فاسأل الله ما طلبت اليهم \* وأرج نفع المئزر العواد  
لا تُقل في الجواد ما ليس فيه \* وتسمى البخيل باسم الجواد

قال بشار : من هذا؟ فعرفه ، فقال : لولا أت هذا الرجل قد شغل عنا بمدح بني هاشم  
لشغلنا ، ولو شاركنا في مذهبنا لتعبنا .

ومن قول السيد :

أتعرف رسما بالثويين قد دثر \* عفته أهاضيب السحاب والمطر  
وجرت به الأذيال ریحان خلفه \* صبا ودبور بالعشيات والبكر  
منازل قد كانت تكون بجوها \* هضيم الحشى ربا الشوى سحرها النظر  
قطوف الخطا محصانة بخترية \* كأن حياها سنا دارة القمر  
رمتي بعيد بعد قريب بها النوى \* فبانن ولما أقض من عبدة الوطر  
ولما رأني خشية البين موجعا \* أكفكف مني أدمعا ييضها دُرر  
أشارت بأطراف إلى ودمعها \* كنظم جمان خانة السلك فانتثر  
وقد كنت مما أحدث البين حاذرا \* فلم يغن عني منه خو في والحذر

لما استقام الأمر لبني العباس قام السيد إلى أبي العباس السفاح حين نزل عن المنبر فقال:  
 دُونِكُوهَا يَا بَنِي هَاشِمٍ \* جَدُّدُوا مِنْ عَهْدِهَا الدَّارِسَا  
 دُونِكُوهَا لَا عَلَا كَعْبُ مَنْ \* كَانَتْ عَلَيْكُمْ مُلْكُهَا نَافِسَا  
 دُونِكُوهَا فَالْبَسُوا تَاجَهَا \* لَا تَعْدَمُوا مِنْكُمْ لَهُ لَابِسَا  
 أَوْ خَيْرِ الْمَنْبَرِ فُرْسَانَهُ \* مَا آخَرَا إِلَّا مِنْكُمْ فَارِسَا  
 قَدْ سَنَسَهَا قَبْلَكُمْ سَاسَةً \* لَمْ يَتْرَكُوا رَطْبًا وَلَا يَابِسَا  
 وَلَسْتُ مِنْ أَنْ تَمْلِكُوهَا إِلَى \* مَهَبْتُ عَيْسَى فِيكُمْ آيَسَا

وبعث بهذه الأبيات إلى المهدي يسأله ألا يعطى آل بكر وعمر من مال الدولة :

قُلْ لِبَنِي عَبَّاسٍ مَبِيٍّ مُحَمَّدٍ \* لَا تُعْطِينَ بَنِي عَدِيِّ ذَرْهَمَا  
 أَحْرَمُ بَنِي تَيْمٍ بِنِ مَرْءَةٍ لِنَهْمٍ \* شَرَّ الْبَرِيَّةِ آخِرًا وَمُقَدِّمًا  
 إِنْ تُعْطِيَهُمْ لَنْ يَشْكُرُوا لَكَ نِعْمَةً \* وَيَكْفَأُوكَ بَأَنْ تُدَمَّ وَتُسْتَمَّا  
 وَإِنْ آتَيْتَهُمْ أَوْ اسْتَعْمَلْتَهُمْ \* خَانُوكَ وَأَتَّخَذُوا خَرَاجَكَ مَغْنَمًا  
 وَلَنْ مَنَعْتَهُمْ لَقَدْ بَدَعُواكُمْ \* بِالْمَنْعِ إِذْ مَلَكُوا وَكَانُوا أَظْلَمًا  
 مَنَعُوا تَرَاتٍ مُحَمَّدٍ أَعْمَامَهُ \* وَبَيْتِهِ وَأَبْنَتَهُ عَدِيلَةَ مَرْهَمًا  
 وَتَأَمَّرُوا مِنْ غَيْرِ أَنْ يُسْتَخْلَفُوا \* وَكَفَى بِمَا فَعَلُوا ذُنُوبًا مَائِمًا  
 لَمْ يَشْكُرُوا لِمُحَمَّدٍ إِنْعَامَهُ \* أَفِيَشْكُرُونَ لِمَنْ غَيْرِهِ إِنْ أَنْعَمَا  
 وَاللَّهُ مِنْ عَلَيْهِمْ مُحَمَّدٍ \* وَهَدَاهُمْ وَكَسَا الْجَنُوبَ وَأَطْعَمَا  
 ثُمَّ أَنْبَرُوا وَالْوَصِيَّةَ وَوَلِيَّتِهِ \* بِالْمَذْكُورَاتِ فَجَرَّعُوهُ الْعَلْقَمَا

أنشد السيد جعفر بن محمد هذه الأبيات يذكر فيها قبر الحسين :

أَمْرٌ عَلَى جَدِّتِ الْحُسَيْنِ \* مِنْ قَبْلِ لِأَعْظَمِهِ الزَّكِيَّةِ  
 أَعْظَمًا لَا زَلَّتْ مِنْ \* وَطَفَاءَ سَاكِبَةٍ رَوِيَّةِ  
 وَإِذَا مَرَّرْتَ بِقَبْرِهِ \* فَاطَّلْ بِهِ وَقَفَّ الْمَطِيَّةِ

وَأَبِكِ الْمُطَهَّرَ لِلطَّ \* هَرَّ وَالْمُطَهَّرَةَ التَّيَّبَةَ

كِبْكَاءٍ مُعْوَلَةٍ أَتَتْ \* يَوْمًا لَوَاحِدَهَا الْمَيْبَةَ

فانحدرت دموعُ جعفر على خديه وأرتفع الصراخُ والبكاءُ من داره حتى أمره بالإمساك فأمسك .

ومن قول السيد في إمامة ابن الحنفية :

أَلَا يَا أَيُّهَا الْجَدِيدُ الْمَعْنَى \* لَنَا مَا نَحْنُ وَيَحْكُ وَالْعَنَاءُ

أَبْصُرُ مَا تَقُولُ وَأَنْتَ كَهْلٌ \* تَرَكَ عَلَيْكَ مِنْ وَرَعٍ رِدَاءُ

أَلَا إِنَّ الْأئِمَّةَ مِنْ قُرَيْشٍ \* وَوَلَاةُ الْحَقِّ أَرْبَعَةٌ سَوَاءُ

عَلَى وَالثَّلَاثَةُ مِنْ بَنِيهِ \* هُمْ أَسْبَابُهُ وَالْأَوْصِيَاءُ

فَأَنَّى فِي وَصِيَّتِهِ الْيَهُمُ \* يَكُونُ الشُّكُّ مَنَا وَالْمِرَاءُ

بِهِمْ أَوْصَاهُمْ وَدَعَا إِلَيْهِ \* جَمِيعَ الْخَلْقِ لَوْ سَمِعَ الدَّعَاءُ

فَسَبَطَ سَبَطَ إِيْمَانٍ وَحِلْمٍ \* وَسَبَطَ غَيْبَتَهُ كَرَبْلَاءُ

سَقَى جَدًّا تَضَمَّنَهُ مُلْكٌ \* هَتُوفُ الرَّعْدِ مَرْتَجِزُ رَوَاءُ

تَظَلَّ مُظَلَّةً مِنْهَا عِزَالٍ \* عَلَيْهِ وَتَعْتَدِي أُخْرَى مِلاءُ

وَسَبَطَ لَا يَذُوقُ الْمَوْتَ حَتَّى \* يَقُودَ الْخَيْلَ يَقْدُمُهَا الْوَأَاءُ

مِنَ الْبَيْتِ الْمَحْجَبِ فِي سُرَاةٍ \* شِرَاةٍ لَفَّ بَيْنَهُمُ الْإِحْيَاءُ

عَصَائِبُ لَيْسَ دُونَ أَغْرَ أَجَلِي \* بِمِجْكَةٍ قَائِمٌ لَمْ يَنْتَهَاءُ

وَأَنشَدَ الْعَتَبِيَّ قَصِيدَتَهُ اللَّامِيَةَ الَّتِي أَوَّلُهَا :

هَلْ عِنْدَ مَنْ أَحْبَبْتَ تَتَوَيْلُ \* أَمْ لَا فَإِنَّ الْيَوْمَ تَضَلِيلُ

أَمْ فِي الْحَسَى مِنْكَ جَوَى بَاطِلُ \* لَيْسَ تُدَاوِيهِ إِلَّا بَاطِلُ

(١) هم الحسن والحسين ومحمد . (٢) العزلاء : مصب الماء من الراوية ونحوها ، ويقال : أنزلت

السماء عزالها إشارة إلى شدة وقوع المطر على التشبيه بنزوله من أفواه المرادات .

عَلِمْتَ يَا مَغْرُورُ خَدَاعَةً \* بِالْوَعْدِ مِنْهَا لَكَ تَحْيِيلُ  
 رِيًّا رِدَاحَ النَّوْمِ مُخْصَانَةً \* كَأَنَّهَا أَدْمَاءُ عُطْبُولُ  
 يَشْفِيكَ مِنْهَا حِينَ تَحْلُوبُهَا \* ضَمُّهُ إِلَى النَّحْرِ وَتَقْيِيلُ  
 وَذَوْقُ رِيْقٍ طَيِّبٍ طَعْمُهُ \* كَأَنَّهُ بِالْمَسْكِ مَعْلُولُ  
 فِي نَسْوَةٍ مِثْلِ الْمَهَا خُرْدٍ \* تَضْيِقُ عَنْهُنَّ الْخَلَائِلُ

يقول فيها :

أَقْسِمُ بِاللَّهِ وَالْآئِنَةِ \* وَالْمَرْءِ عَمَّا قَالَ مَسْئُولُ  
 إِنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ \* عَلَى التَّقَى وَالْبِرِّ مَجْبُولُ

فقال : أحسنَ والله ما شاء، هذا والله الشعرُ الذي يهجمُ على القلبِ بلا حجاب .

قيل للسيد : مالك لا تستعملُ في شعركُ من الغريب ما تُسأل عنه كما يفعل الشعراء؟

قال : لأنَّ أقول شعرا قريبا من القلوب يلذّه من سمعه، خير من أن أقول شيئا معقدا

تضللُ فيه الأوهام .

تقدم السيدُ الى سَوارِ القاضي ليشهد عنده، فلم يرضَ به، فقام مُغضبا من مجلسه،

وكتب رُقعة يقول فيها :

يَا أَمِينَ اللَّهِ يَا مَنْ \* صُورُ يَا خَيْرَ الْوَلَاةِ  
 إِنَّ سَوَّارَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ \* مِنْ شَرِّ الْقُضَاةِ  
 نَعْتَلِي جَمَلِي \* لَكُمْ غَيْرُ مَوَاتِ  
 جَدُّهُ سَارِقُ عَتْرِ \* بِحَجْرَةٍ مِنْ جُحْرَاتِ  
 لِرَسُولِ اللَّهِ وَالْقَا \* ذِفُّهُ بِالْمُنْكَرَاتِ  
 وَأَبْنُ مَنْ كَانَ يُنَادِي \* مِنْ وَرَاءِ الْحُجْرَاتِ  
 يَا هِنَاةُ أَنْخُرْجِ الْبِنَا \* إِنَّا أَهْلُ هِنَاتِ  
 مَدَحْنَا الْمَدْحُ وَمَنْ نَرَّ \* مِ يَصَّبُ بِالزَّفَرَاتِ  
 فَكَفَيْهِ لَأَكْفَاهُ اللَّهُ \* شَرَّ الطَّارِقَاتِ

قيل : فلما قرأها سوارٌ وثب من مجلسه وقصد أبا جعفر المنصور، وهو يومئذ نازل بالجسر، فسبقه السيد إليه فأنشده :

قل للإمام الذي يُنجى بطاعته \* يوم القيامة من مجبوحة النار  
لا تستعين وجزاك الله صالحاً \* ياخير من دب في حُكْمِ سَوارِ  
لا تستعين بنجيبث الرأي ذى صائف \* جم العيوب عظيم الكبر جبارِ  
يُضحى الخصوم لديه من تجرُّه \* لا يرفعون اليه لحظ أبصارِ  
تياً و كبراً ولولا ما رفعت له \* من ضبعه كان عين الجائع العارى

ودخل سوار، فلما رآه المنصور تبسم وقال : أما بلغك خبر إياس بن معاوية حيث قبل شهادة الفرزدق واستراد في الشهود؟ فما أحوجك للتعرض للسيد ولسانه ! ثم أمر السيد بمصالحته .

دخل السيد على المهدي لما بايع لأبيه موسى وهارون، فأنشأ يقول :

ما بال مجرى دمك الساجم \* أم من قدى بات بها لازم  
أم من هوى أنت له ساهر \* صباباً من قلبك الهائم  
آليت لا أمدح ذا نائل \* من معشير غير بنى هاشم  
أوليتهم عندى يد المصطفى \* ذى الفضل والمنّ أبى القاسم  
فإنها بيضاء محمودة \* جزاؤها الشكر على العالم  
جزاؤها حفظ أبى جعفر \* خليفة الرحمن والقائم  
وطاعة المهدي ثم أبنه \* موسى على ذى الإربة الحازم  
وللرشيد الرابع المرتضى \* مفترض من حقه اللازم  
ملكهم خمسون معدودة \* برغم أنف الحاسد الراغم  
ليس علينا ما بقوا غيرهم \* فى هذه الأمة من حاكم  
حتى يردوها الى هابط \* عليه عيسى منهم ناجم

ومن شعر السيد :

ما جرت خَطْرَةٌ على القلب مني \* فيك إلا استترتُ عن أصحابي  
من دموج تجرى فإن كنتُ وحدي \* خاليا أسعدتُ دموعي انتحابي  
إن حبِّي إياك قد سلَّ جسمي \* ورماني بالشيب قبل الشباب  
لو منحتُ اللقا شفى بك صبياً \* هائم القلب قد ثوى في التراب

ومما قاله في الحبس :

قَفْ بالديار وحيها يا مَرْبِعُ \* وأسأل وكيف يُجيب من لا يسمعُ  
إن الديار خلتُ وليس بجوِّها \* إلا الضوايحُ والحمامُ الوقعُ  
ولقد تكونُ بها أوانسُ كالدمي \* جُمْلُ وعزّةُ والرَّبابُ وبروعُ  
حورٌ نواعمٌ لا ترى في مثلها \* أمثالهن من الصيانة أربعُ  
فعرين بعد تأليفٍ وتجمع \* والدهر صاحٍ مُشَّتتٌ ما يجمعُ  
فاسلم فإنك قد نزلتَ بمنزلي \* عند الأمير تُضرّ فيه وتتفعُ  
تؤتى هواك إذا نطقتَ بحاجةٍ \* فيه وتشفّعُ عنده فتشفّعُ  
قل للأمر إذا ظفرتَ بحلوةٍ \* منه ولم يكُ عنده من يسمعُ  
هب لي الذي أحببته في أحمدٍ \* وبنيه إنك حاصد ما تزرعُ  
يخصُّ آل محمدٍ بحبّةٍ \* في الصدر قد طويتُ عليها الأضلعُ

وقال يهجو امرأة واريثي، مؤسّر من خلّانه، وكانت تعدّل زوجها على إسرافه :

أقول ياليت ليلى في يدي حنقٍ \* من العداوة من أعدى أعاديها  
يعلوها فوق رعين<sup>(١)</sup> ثم يُحدرها \* في هوةٍ فتدهدي يومها فيها  
أوليتهما في غمار البحر قد عصفتُ \* فيه الرياحُ فهاجتُ من أواديا<sup>(٢)</sup>

(١) الرعين : أنف يتقدم الجبل جمعه رعين ورعان . والجبل : الطويل ودهدي الحجر فتدهدي ، أى دحرجه

فتدحرج . (٢) الأواذي : أمواج البحر مفردتها آذى .

أُولَيْتَهَا قَدَدَنْتَ يَوْمًا إِلَى فَرَسِي \* قَدْ شُدَّ مِنْهُ إِلَى هَادِيهِ هَادِيهَا  
 حَتَّى يُرَى لِحْمُهَا مِنْ حَضْرِهِ زَيْمًا<sup>(١)</sup> \* وَقَدْ أَتَى الْقَوْمَ بَعْدَ الْمَوْتِ نَاعِيهَا  
 فَمَنْ بَكَاهَا فَلَا جَفَّتْ مَدَامِعُهُ \* لَا أَسْخَنَ اللَّهُ إِلَّا عَيْنَ بَاكِهَا

وقيل : إن آخر قصيدة له هي قوله :

أَشَاقِئَكَ الْمَنَازِلُ بَعْدَ هِنْدٍ \* وَتَرْبِيهَا وَذَاتِ الدَّلِّ دَعْدٍ  
 مَنَازِلُ أَقْفَرَتْ مِنْهُنَّ مَحْتٌ \* مَعَالِمُهُنَّ مِنْ سَيْلٍ وَرَعْدٍ  
 وَرِيحٍ حَرَجِفٍ تَسْتَنُّ فِيهَا \* بَسَافَى التُّرْبِ تُلْجِمُ مَا تُسَدِّي  
 أَلَمْ يَبْلُغْكَ وَالْأَنْبَاءُ تَنْبِي \* مَقَالٌ مُحَمَّدٌ فِيمَا يُؤَدِّي  
 إِلَى ذِي عَلَيْهِ الْهَادِي عَلَى \* وَخَوْلَةَ خَادِمٍ فِي الْبَيْتِ تَرْدِي  
 أَلَمْ تَرَ أَنَّ خَوْلَةَ سَوْفَ تَأْتِي \* بَوَارِي الزُّنْدِ صَافِي الْخَلِيمِ نَجْدِي  
 يَفُوزُ بِكُنْيَتِي وَأَسْمَى لِأَتِي \* نَحْلُهُمَا هُوَ الْمَهْدِيُّ بَعْدِي  
 يَغِيبُ عَنْهُمْ حَتَّى يَقُولُوا \* تَضَمَّنَهُ بِطِينَةِ بَطْنٍ لَحْدِ  
 سَنِينَ وَأَشْهَرًا وَيُرَى بَرَضَوِي \* بِشَعْبٍ بَيْنَ أَمَارٍ وَأُسْدِ  
 مَقِيمٌ بَيْنَ آرَامٍ وَعَيْنِي \* وَحَقَافٍ تَرُوحُ خِلَالِ رُبْدِ<sup>(٢)</sup>  
 تُرَاعِيهَا السَّبَاعُ وَلَيْسَ مِنْهَا \* مُلَاقِيهِمْ مُقْتَرِسًا بِجَدِّ  
 أَمِنْ بِهِ الرَّدَى فَرْتَعَنَ طَوْرًا \* بَلَا خَوْفٍ لَدَى مَرْعَى وَوَرْدِ  
 حَلَفْتُ رَبِّ مَكَّةَ وَالْمُصَلَّى \* وَبَيْتِ طَاهِرِ الْأَرْكَانِ فَرْدِ  
 يَطُوفُ بِهِ الْحَجِيجُ وَكُلِّ عَامٍ \* يَجِلُّ لَدَيْهِ وَقَدْ بَعْدَ وَفْدِ  
 لَقَدْ كَانَ ابْنُ خَوْلَةَ غَيْرَ شَكٍّ \* صَفَاءَ وَوَلَايَتِي وَخُلُوصَ وَدِي  
 فَا أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيَّ فِيمَا \* أُسْرُومًا أَبُوحَ بِهِ وَأَبْدِي  
 سَوَى ذِي الْوَحْيِ أَحْمَدَ أَوْ عَلِيَّ \* وَلَا أَزْكَى وَأَطْيَبَ مِنْهُ عِنْدِي

(١) الزيم : المنتزق من اللحم . (٢) الحفان : صفار النعام .

وَمَنْ ذَا يَأْبَنَ خَوْلَةَ إِذْ رَمْتَنِي \* بِأَسْهَمِهَا الْمَنِيَّةُ حِينَ وَعَدْتِي  
 يُدَبِّبُ عِنْدَكُمْ وَيَسُدُّ مَا \* تَسَلَّمُ مِنْ حَصُونِكُمْ كَسَدْتِي  
 وَمَالِي أَنْ أَمُرَّ بِهِ وَلَكِنْ \* أُؤَمِّلُ أَنْ يُؤَخَّرَ يَوْمُ فَقْدِي  
 فَأُدْرِكُ دَوْلَةَ لَكَ لَسْتَ فِيهَا \* بِجَبَّارٍ فَتُوصَفَ بِالْتَعْدِي  
 عَلَى قَوْمٍ بَغَوْا فِيكُمْ عَلَيْنَا \* لَتُعْدَى مِنْكُمْ يَا خَيْرَ مُعَدٍ  
 لَتَعْلُنَا بِنَا عَلَيْهِمْ حَيْثُ كَانُوا \* بَغَوْرٍ مِنْ تَهَامَةَ أَوْ بَنَجْدٍ  
 إِذَا مَا سِرَّتَ مِنْ بَلَدٍ حَرَامٍ \* إِلَى مَنْ بِالْمَدِينَةِ مِنْ مَعَدٍ  
 وَمَاذَا عَزَّهُمْ وَالْخَيْرَ مِنْهُمْ \* بِأَشْوَسَ أَعْصَلَ الْأَنْيَابَ وَرَدٍ  
 وَأَنْتَ لِمَنْ بَغَى وَعَدَا وَأَذْكَى \* عَلَيْكَ الْحَرْبَ وَأَسْتَرْدَاكَ مُرْدٍ

٨ - سلم بن عمرو الخاسر<sup>(١)</sup>

كان منقطعاً الى البرامكة والى الفضل بن يحيى خصوصاً من بينهم ، وفيه يقول  
أبو العتاهية :

إنما الفضل لسلمٍ وحده \* ليس فيه لسوى سلمٍ دركٌ

وكان هذا أحد الأسباب الى فساد ما بينه وبين أبي العتاهية . ولسلم يقول أبو العتاهية  
وقد حجَّ مع عُتْبَةَ :

والله والله ما أبالي متى \* ما متُّ يا سلمٌ بعد ذا السفرِ  
أليس قد طُفَّتْ حيث طافت وقب \* لتُ الذي قبَّلت من الحجرِ

وله يقول أبو العتاهية وقد حيس إبراهيم الموصلي :

سَلْمٌ يا سَلْمٌ ليس دونك سرٌ \* حيس الموصلي فالعيش مرٌ  
ما استطاب اللذات ، مُدسكن المَطْ \* جق رأس اللذات والله ، حرٌ  
ترك الموصلي من خلق اللد \* هُ جميعاً وعيشهم مُقشعرٌ

(١) هو سلم (ويقال سالم) بن عمرو أحد موالى أبي بكر الصديق ، نشأ في البصرة ، وكان شاعراً مطبووعاً متصرفاً  
في فنون الشعر ، وكان مظاهراً بالخلاعة والفسوق والحجون ، وزاد شاعرية وتمرساً بالشعر على يد بشار ، لأنه كان راوياً  
وتلميذه ، أخذ عنه واعترف من بحره ونسج على منواله ، وكثيراً ما كان يأخذ أقواله فيسلخها ويمسخها كما مسخ  
هذا البيت :

من راقب الناس لم يظفر بحاجته \* وقاز بالطيبات الفاتك الهج

فعله :

من راقب الناس مات غماً \* وقاز باللذة الجسور

فبلغ بيته بشاراً فغضب وأقسم ألا يدخل عليه ولا يفيدته مادام حياً ، فاستشفع اليه بكل صديق حتى رضى ووبخه  
وقنعه بمحصرة كانت بيده . وكان صديقاً لابراهيم الموصلي المعنى المشهور ولأبي العتاهية . وكان يمدح البرامكة  
وخصوصاً الفضل بن يحيى . توفي سنة ١٨٦ هـ . وتجد ترجمته في الأغاني ج ٢١ ص ١١٠ . وابن خلكان

لما قال بشار قصيدته الميمية في عمر بن العلاء وهي التي يقول فيها :

إذا نَهَبْتَكَ صَعَابَ الْأُمُورِ \* فَنَبَّهْتُهَا عُمَرًا ثُمَّ نَمَّ

فَتَى لَا يَبِيتُ عَلَى دِمْنَةٍ \* وَلَا يَشْرَبُ الْمَاءَ إِلَّا بَدَمَ <sup>(١)</sup>

بعث بها مع سلم الى عمر بن العلاء، فوافاه، فأنشدته إياها، فأمر لبشار بمائة ألف درهم،

فقال له سلم : ان خادمك - يعني نفسه - قد قال في طريقه فيك قصيدة؛ قال : فإنك

لهناك ! قال : تسمع ثم تحكم؛ قال : هات، فأنشدته :

قد عَزَّنِي الداءُ فَمَا لِي دَوَاءُ \* مِمَّا آلَى مِنْ حِسَانِ النِّسَاءِ

قَلْبٌ صَحِيحٌ كُنْتُ أَسْطُو بِهِ \* أَصْبَحُ مِنْ سَأَمَى بَدَاءِ عِيَاءِ

أَنْفَاسُهَا مِسْكٌ وَفِي طَرْفِهَا \* سِحْرٌ وَمَا لِي غَيْرُهَا مِنْ دَوَاءِ

وَعَدْتَنِي وَعَدًّا فَأَوْفَى بِهِ \* هَلْ تَصْلُحُ الْحَمْرُ إِلَّا بِمَاءِ

ويقول فيها :

كَمْ كُرْبِيَّةٌ قَدْ مَسَّنِي ضَرْهَا \* نَادَيْتُ فِيهَا عُمَرَ بْنَ الْعَلَاءِ

فأمر له بعشرة آلاف درهم، فكانت أول عطية سنيته وصلت إليه .

ومن قوله يرثي بأقونته بنت المهدي :

أَوْدَى بِبِاقُونَةٍ رَيْبُ الزَّمَانِ \* مُؤَنَسَةِ الْمَهْدِيِّ وَالْخَيْرِزَانِ

لَمْ تَشْطُو الْأَرْضَ عَلَى مِثْلِهَا \* مَوْلُودَةٍ حَنَّ لَهَا الْوَالِدَانُ

بِأَقُونُ يَا بِنْتَ إِمَامِ الْمَهْدِيِّ \* أَصْبَحْتَ مِنْ زِينَةِ أَهْلِ الْحَنَانِ

بَكَتْ لِكَ الْأَرْضُ وَسَكَانُهَا \* فِي كُلِّ أَفْقٍ بَيْنَ إِنْسٍ وَجَانِ

دخل سلم على الفضل بن يحيى في يوم تيروز والهدايا بين يديه، فأنشد :

أَمِنْ رَيْبِ تَسَائِلُهُ \* وَقَدْ أَقَوْتُ مَنَازِلُهُ

بِقَلْبِي مِنْ هَوَى الْأَطْلَالِ \* لِ حُبِّ مَا يَزَايِلُهُ

رُوَيْدُكُمْ عَنِ الْمَشْعُو \* فِإِنْ الْحَبَّ قَاتِلُهُ  
 بَلَّائِلُ صَدْرِهِ تَسْرَى \* وَقَدْ نَامَتْ عَوَازِلُهُ  
 أَحَقُّ النَّاسِ بِالْتَفْضِيهِ \* لِمَنْ تَرْجَى فَوَاضِلُهُ  
 رَأَيْتُ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ \* قِ مَا صَمَّتْ حَمَائِلُهُ  
 فَلَسْتُ أَرَى قَتْلِي فِي النَّاسِ \* سِ إِلَّا الْفَضْلُ فَاضِلُهُ  
 يَقُولُ لِسَانُهُ خَيْرًا \* فَتَفْعَلُهُ أَنَامِلُهُ  
 وَمَهْمَا يُرْجَى مِنْ خَيْرٍ \* فَإِنَّ الْفَضْلَ فَاعِلُهُ

وكان إبراهيم الموصلي وابنه إسحاق حاضرين، فقال لإبراهيم: كيف ترى وتسمع؟ قال: أحسن مرئي ومسموع، وفضل الأمير أكثر منه؛ فقال: خذوا جميع ما أهدى إلي اليوم فاقسموه بينكم أثلاثاً إلا ذلك التمثال، فإني أريد أن أهديه اليوم إلى دنانير؛ ثم قال: لا والله ما هكذا تفعل الأحرار، يقوم ويدفع إليهم ثمته ثم نهديه، فقوم بالنفي ديناراً، فحملها إلى القوم من بيت ماله وأقسموا جميع الهدايا بينهم.

كان المهدي يعطي مرواناً وسلمة الخاسر عطية واحدة، فكان سلم يأتي باب المهدي على البرذون الفاره، قيمته عشرة آلاف درهم بسرج ولحام مفضضين، ولباسه الخبز والوشى وما أشبه ذلك من الثياب الغالية الأثمان، ورائحة المسك والطيب والغالية تفوح منه، ويحيى مروان بن أبي حفصة عليه فروج<sup>(١)</sup> وقيص<sup>(٢)</sup> كرايس وعمامة كرايس<sup>(٣)</sup> وحقاً كل وكساء غليظ، وهو من الثياب الغالية، وكان لا يأكل اللحم حتى يقرم إليه بخلاً، فإذا قرم أرسل غلامه فاشترى له رأساً فأكله، فقال له قائل: أراك لا تأكل إلا الرأس، قال: نعم أعرف سعره فأمن خيانة الغلام ولا اشتري لحمًا فيطبخه فيأكل منه، والرأس أكل منه ألواناً: أكل من عينيه لوناً ومن غلصمته لوناً ومن دماغه لوناً.

(١) قصير . (٢) الكرايس : جمع كرابس وهو القطن . (٣) أي خفا فرو كثير الصوف

غليظه . (٤) الغلصمة : أصل اللسان . (٥) كرايس : كرايس

كان سلمٌ قد بُيَّ بالكيمياء، فكان يذهب بكلِّ شيء له باطلاً، فلما أراد الله عز وجل أن يصنع له عَرَفَ أن يباب الشام صاحبَ كيمياء عجيباً، وأنه لا يصل إليه أحد إلا ليلاً، فسأل عنه، فدَلَّوه عليه . قال : فدخلت إليه الى موضعٍ معورٍ،<sup>(١)</sup> فدققتُ البابَ فخرج إلى، فقال : من أنت عافاك الله؟ فقلت : رجل معجبٌ بهذا العلم؛ قال : فلا تشهرني فإني رجل مستورٌ إنما أعمل القوتَ، قلت : إني لا أشمرك إنما أفتبس منك، قال : فاكتم ذلك، وبين يديه كوزٌ شبيهٌ صغيرٌ، فقال لي : اقلعْ عُروته، فهلعتُها، فقال : اسبُكها في البوتقة<sup>(٢)</sup>، فسبُكها، فأخرج شيئاً من تحت مصلاه فقال : ذره عليه، ففعلت، فقال : أفرغه، فأفرغته، فقال : دعه معك، فاذا أصبحت فإخرج فبعه وعدْ إلى، فأخرجته إلى باب الشام فبعته المتقال بأحد وعشرين درهماً ورجعتُ إليه فأخبرته، فقال : اطلب الآن ما شئت؛ قلت : تُفيدني؟ قال : بخمسة درهمٍ على ألا تعلمه أحداً، فأعطيته وكتب لي صفةً فامتحنتها فاذا هي باطلة، فعدتُ إليه، فقيل لي : قد تحوّل وإذا عُرو الكوزِ الشبه من ذهبٍ مركبةً عليه، والكوزِ شبه، ولذلك كان يدخلُ إليه من يطلبه ليلاً ليخفي عليه، فانصرفت وعلمت أن الله عز وجل أراد بي خيراً وأن هذا كله باطلٌ .

قال أبو المستهل : دخلت يوماً على سلمٍ واذا بين يديه قراطيسٌ فيها أشعارٌ يرثي ببعضها أم جعفر، وبعضها جاريةٌ غير مسماة، وبعضها أقواماً لم يموتوا، وأم جعفر يومئذ باقية؛ فقلت له : ويحك ما هذا؟ فقال : تحدثت الحوادث فيطالبوننا بأن نقول فيها ويستعجلوننا ولا يجمل بنا أن نقول غير الجيد، فنعد لهم هذا قبل كونه، فمتى حدثت حادثةً أظهرنا ما قلناه فيه قديماً على أنه قيل في الوقت .

دخل سلمٌ على الرشيد فأنشده : \* حَيَّ الأَحِبَّةَ بِالسَّلامِ \* فقال الرشيد : حياهم الله بِالسَّلامِ؛ فقال سلم : \* أَعَلَى وَدَاعِجِ أُمِّ مَقَامِ \* فقال الرشيد : حياهم الله على أَى ذلك كان، فأنشده :

لَمْ يَبْقَ مِنْكَ وَمِنْهُمْ \* غَيْرُ الْجُلُودِ عَلَى الْعِظَامِ

(١) معور : مخوف . (٢) الشبه : النحاس الأصفر . (٣) البوتقة : الوعاء الذي يذيب فيه الصائغ .

فقال له الرشيد : بَلْ مِنْكَ ، وأمر بإخراجه ، وتطير منه ومن قوله ، فلم يسمع منه باقى الشعر ولا أتابه بشيء .

استوهب اسحاق الموصلي من الرشيد تركة سلم ، وكان قد مات عن غير وارث ، فوهبها له قبل أن يتسلمها صاحب الموارث ، فحصل منها على خمسين ألف دينار ، وروى أنه رفع الى الرشيد ألف سلما قد توفى وحلف مما أخذه منه خاصة ومن زبيدة ألف وخمسمائة ألف درهم سوى ما خلفه من عقار وضيئه مما اعتقده قديما ، فقبضه الرشيد وتظلم اليه مواليه من آل أبي بكر الصديق رضوان الله عليه ؛ فقال : هذا خادمى وندبى ، والذي خلفه من مالى فأنا أحق به ، فلم يعطهم إلا شيئا يسيرا من قديم أملاكه .

(١) املكه .

٩ - رِبِيعَةُ الرَّقِيِّ<sup>(١)</sup>

كان مُنْقَطِعًا عن الحضارة ، بعيدًا عن مُجَالَسَةِ الخلفاء ، فَأُنْجِلَ ذِكْرُهُ بسبب ذلك ؛ لكنهم كانوا يستقدمونه اليهم . وأوّل من فعل ذلك المهديّ ، فدحه ونال جوائزَه ؛ وكان ابنُ المُعْتَرِي ربيعةَ أشعرَ غَزَلًا من أبي نُوَاس ، لأن في غَزَلِ أبي نُوَاس بردًا كثيرًا ، وغَزَلُ هذا سليمٌ عذب سهل ، ولذلك فإن شهرته بلغت إلى بلاط الخليفة . وكان يمدح غير الخلفاء وينال جوائزهم ويعود إلى بلده ، وإن قصر أحد في إعطائه هجاء ، وله في ذلك حديثٌ مع العباس بن محمد بن علي من أمراء بني العباس .

ومن قوله يمدح يزيد بن حاتم المهلبي ويهجو يزيد بن أسيد السلمي :

حَلَفْتُ يَمِينًا غَيْرَ ذِي مَثْوِيَّةٍ<sup>(٢)</sup> \* يمينَ امرئِ آلِي بها غيرِ آثمٍ  
لَشَتَانِ مَا بَيْنَ الزَّيْدَيْنِ فِي النَّدَى \* يَزِيدِ سُلَيْمٍ وَالْأَغْرَّ ابْنَ حَاتِمِ  
يَزِيدُ سُلَيْمٍ سَالِمُ الْمَالِ ، وَالْفَقِي \* أَخُو الْأَزْدِ لِلْأَمْوَالِ غَيْرُ مُسَالِمِ  
فَهْمُ الْفَقِي الْأَزْدِيُّ إِتْلَافُ مَالِهِ \* وَهْمُ الْفَقِيِّ الْقَيْسِيُّ جَمْعُ الدَّرَاهِمِ  
فَلَا يَحْسَبُ التَّمَتُّمُ أَنِّي هَجَوْتُهُ \* وَلَكِنِّي فَضَّلْتُ أَهْلَ الْمَكَارِمِ

قال رجلٌ لربيعه : يا أبا أسامة ، ما حملك على أن هجوت رجلاً من قومك وفضلت عليه رجلاً من الأزد؟ فقال : أخبرك ، أملتُ فلم يبق لي إلا دارى ، فرهنتها على خمسمائة درهم ، ورحلتُ إليه إلى أرمينية ، فأعلمته بمكاني ومدحتُه ، وأقمتُ عنده حولاً ، فوهب لي

(١) هو أبو أسامة ربيعة بن ثابت من موالى سليم ، ويكنى أبا شباية ، وكان يزل الرقة ، وبها مولده ومنشؤه ، فأخصه المهدي إليه ، فدحه بعدة قصائد وأتابه عليها ثواباً كبيراً ، وهو من المكثرين المجدين ، وكان ضريباً وإنما أحمل ذكره وأسقطه عن طبقته بعده عن العراق وتركه خدمة الخلفاء ومخالطة الشعراء ومع ذلك فاعدم مفضلاً مقدماً له . وتجد أخباره في الأغاني (ج ١٥ ص ٣٨) ونزاهة الأدب للبغدادى (ج ٣ ص ٥٥) .

(٢) أى لا استثناء فيها .

(٣) هو يزيد بن أسيد (بضم الهمزة) من بهيمة بن سليم ، وأخو الأزد هو يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب .

نعمائة درهم ، فحملتُ وصرتُ بها الى منزلي ، فلم يبقَ معي كبيرُ شيء ، فنزلتُ في دارِ يكرَاء ، فقلتُ : لو أتيتُ يزيدَ بنَ حاتم ، ثم قلتُ : هذا ابن عمي فعل بي هذا الفعل فكيف بغيره ! ثم حملتُ نفسي على أن آتيه ، فأعلم بمكاني ، فتركني أشهرا حتى صحرتُ ، فأكرمتُ نفسي من الجمالين . وكتبتُ بيتاً في رُقعة فألقيته في دهليزه ، والبيتُ :

أرأني ولا كُفْرانَ لله راجِعاً \* بَحْفَى حُنينٍ من يزيد بن حاتم

فوقعت الرقعةُ في يد حاجبه ، فأوصلها اليه من غير علمي ولا أمرى ، فبعث خَلْفِي ، فلما دخلتُ عليه قال : هيه أنشدني ما قلت ، فتمنعتُ ، فقال : والله لتُنشدني ، فأنشدته ، فقال : والله لا ترجع كذلك ، ثم قال : أنزعوا خُفيه ، فنزعوا خُشاهما دانيرَ وأمر لي بغلمانٍ وجوارٍ وكسبي ، ألا ترى لي أن أمدح هذا وأهجو ذاك ؟ قلتُ : بلى والله ، وسار شعري حتى بلغ المهدي ، فكان سبب دخولي اليه .

قيل لأبي زيد النحوي : إن الأصمعي قال : لا يقال شتان ما بينهما ، وإنما يقال : شتان ما هما ، وأنشد قول الأعشى : \* شتان ما يومى على كورها \* فقال : كذب الأصمعي ، يقال : شتان ما هما وشتان ما بينهما ، وأنشد لربيعة الرقي : « لشتان ما بين اليزيديين » وفي آستشهاد مثل أبي زيد على دفع قول مثل الأصمعي بشعر ربيعة كفاية له في تفضيله .

أمتدح ربيعة العباس بن محمد بن علي بقصيدة لم يسبق إليها حسناً ، وهي طويلة ، يقول فيها :

لو قيل للعباس يا بن محمد \* قل « لا » وأنت مخلد ما قالها

ما إن أعد من المكارم خصلة \* إلا وجدتك عمها أو خالها

وإذا الملوك تسايروا في بلدة \* كانوا كواكبها وكنت هلالها

إن المكارم لم تزل معقولة \* حتى حلت براحتك عقالها

فبعث اليه بدينارين ، وكان يُقدَّر فيه ألفين ، فلما نظر الى الدينارين كاد يُجثَّ غيظاً وقال للرسول : خذ هذين الدينارين فهما لك على أن تردَّ الرقعة الي من حيث لا يدري العباس ، ففعل الرسول ذلك ، فأخذها ربيعة وأمر من كتب في ظهرها :

مدحتك مدحة السيف المحل \* لتجري في الكرام كما جريت  
فهبها مدحة ذهب ضيها \* كذبت عليك فيها وأفترت  
فأنت المرء ليس له وفاء \* كأنى إن مدحتك قد زنت

ثم دفعها الى الرسول وقال : ضعها في الموضع الذي أخذتها منه ، فردّها الرسول ؛ فلما كان من الغد أخذها العباس فنظر فيها ، فلما قرأ الأبيات غضب وقام من وقته فركب إلى الرشيد ، وكان أثيراً<sup>(١)</sup> عنده يبجله ويقدمه ، وكان قد هم أن يخطب إليه آتته ، فرأى الكراهة في وجهه ، فقال : ما شأنك ؟ فقال : هجاني ربيعة الرقي ، فأحضر ، فقال له الرشيد : تهجو عمي وآثر الخلق عندي ؟ لقد هممت أن أضرب عنقك ، فقال : والله يا أمير المؤمنين لقد مدحتك بقصيدة ما قال مثلها أحد من الشعراء في أحد من الخلفاء ، ولقد بالغت في الثناء وأكثر في الوصف ، فإن رأى أمير المؤمنين أن يأمره بإحضارها ! فلما سمع الرشيد ذلك منه سكن غضبه وأحب أن ينظر الى القصيدة ، فأمر العباس بإحضار الرقعة ، فتلكأ عليه العباس ، فقال له الرشيد : سألتك بحق أمير المؤمنين إلا أمرت بإحضارها ، فعلم العباس أنه قد أخطأ وغلط ، فأمر بإحضارها ، فأحضرت ، فأخذها الرشيد وإذا فيها القصيدة بعينها ، فاستحسنها وأستجدها وأعجب بها وقال : والله ما قال أحد من الشعراء في أحد من الخلفاء مثلها ، لقد صدق ربيعة وبر ؛ ثم قال للعباس : يم آتته عليها ؟ فسكت العباس وتغير لونه وجرض بريقه<sup>(٢)</sup> ، فقال ربيعة : أتابني عليها يا أمير المؤمنين بدينارين ، فتوهم الرشيد أنه قال ذلك من الموجدة على العباس ، فقال : بحياتي يا رقي بكم أتابك ؟ قال : وحياتك يا أمير المؤمنين ما أتابني عليها إلا بدينارين ، فغضب الرشيد غضباً شديداً ونظر في وجه العباس وقال : سوءة لك ! أى حال قعدت بك عن إتابته ؟ الأموال ؟ فوالله لقد مؤلتك جهدى ، أم أنقطع المادة عنك ؟ فوالله ما أنقطعمت ، أم أصلك ؟ فهو الأصل لا يدانيه شيء ، أم نفusk فعلت ذلك بك حتى فضحت آباءك وأجدادك وفضحتني

(١) أثيراً : مكرماً . (٢) جرض بريقه : ابتلعه بالجهد على هم وحرن .

وَنَفْسَكَ؟ فَتَكَسَّ الْعَبَّاسُ رَأْسَهُ وَلَمْ يَنْطِقْ، فَقَالَ الرَّشِيدُ: يَا غَلَامُ، أَعْطِ رُبْعَةَ ثَلَاثِينَ أَلْفَ دَرَاهِمٍ وَخِزْمَةً وَأَخْلِمْهُ عَلَى بَغْلَةٍ، فَلَمَّا حُمِلَ الْمَسْأَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ وَالْبَيْسُ الْخَلْعَةَ قَالَ: بِحَيَاتِي يَارِاقِي لَا تَذْكُرْهُ فِي شِعْرِكَ لِأَتَعْرِضَ وَلَا تَصْرِيحًا، وَقَتَرَ الرَّشِيدُ عَمَّا كَانَ هَمُّهُ بِهِ أَنْ يَتَرَوَّجَ إِلَيْهِ، وَظَهَرَ لَهُ مِنْهُ بَعْدَ ذَلِكَ جَهَاءٌ كَثِيرٌ وَأَطْرَاحٌ لَهُ .

قال أبو بشر: كنت حاضراً ربعة الرقي يوماً وجاءته امرأة فتالت: تقول لك فلانة إن بنت مولاي محومة فإن كنت تعرف لها عوذة<sup>(١)</sup> فافعل، فقال آكتب لها أبا بشر هذه العوذة:

تُقُوا تَقُوا بِأَسْمِ إلهِي الَّذِي \* لَا يَعْزِضُ السُّقْمَ لِمَنْ قَدِ شَفَى  
أَعِيدُ مَوْلَاتِي وَمَوْلَاتَهَا \* وَأَبْتَهَا بِعَوْدَةِ الْمُصْطَفَى  
مَنْ شَرٌّ مَا يَعْزِضُ مِنْ عَلَّةٍ \* فِي الصَّبْحِ وَاللَّيْلِ إِذَا أُسْدَفَا

فقلت له: يا أبا ثابت، لست أحسن أن آكتب تقوا تقوا، فكيف آكتبها؟ قال أنضح المداد من رأس القلم في موضعين حتى يكون كالنفت<sup>(٢)</sup>، وأدفع العوذة إليها فإنها نافعة، ففعلت ودفعتها إليها، فلم تلبث أن جاءت الجارية وهي لا تتمالك صحكاً، فقالت له: يا مجنون ما فعلت بنا! كدنا نفتضح بما صنعت! قال: فما أصنع! أشاعر أنا أم صاحب تعاويد! .

وأتفق للزقي أيضاً مثل ذلك مع معن بن زائدة، وقد لقيه في بعض قدماته إلى العراق، فمدحه، فلم يهش له، فهجاه بقصيدة مطلعها:

مَعْنُ يَا مَعْنُ يَا بَنَ زَائِدَةَ الْكَلْبِ الَّذِي فِي الذَّرَاعِ لَا فِي الْبَنَانِ  
لَا تُفَاحِرْ إِذَا نَحَرْتَ يَا بَا \* بِكَ وَأَنْفَرُ بِعَمِّكَ الْحَوْفَرَانِ<sup>(٣)</sup>

(١) العوذة: الرقية - في بها الانسان من فزع أو جنون أو مرض . (٢) النفث البصاق اليسير ينفثه

الراقى في العقدة عند الرقية .

(٣) الحوفران هو الحارث بن شريك الشيباني، سمي بذلك لأن قيس بن عاصم التميمي حفره بالرح حين خاف

أن يفوته، وقد نخر بذلك سوار بن حبان المنقري فقال:

ونحن حفزنا الحوفران بطعنة \* سقته نجيعا من دم الجوف أشكلا

ومن غزله أبياتٌ يغني بها، وهي :  
 وتزعم أنني قد تبدلتُ خُلَّةً<sup>(١)</sup> \* سواها وهذا الباطل المتكول  
 لنا الله من باع الصديق بغيره \* فقالت نعم حاشاك إن تكُ تفعل  
 ستصيرم إنسانا إذا ما صرمتني \* بجبك فأنظر بعده من تبدل

(١) الخلة : الخلية .

١٠ - الرقاشي<sup>(١)</sup>

كان سهل الشعر مطبوعاً ، وكان مُتَقَطِّعاً إلى آل بَرَمَك ، مُسْتَغْنِيّاً بهم عن سواهم ، وكانوا يَصُولون به على الشعراء ، وَيُرَوِّون أولادهم أشعاره ، وَيُدَوِّنونها القليل والكثير منها ، تَعَصُّباً له ، وَحِفْظاً لخدمته ، وَتَنْوِيهاً باسمه ، وَتَحْرِيكاً لِنشاطه ، فَحَفِظَ ذلك لهم . فلما نُكِبوا صار إليهم في حُبسهم ، فأقام معهم مَدَّةَ أيامهم يُنْشِدُهم وَيُسامِرهم حتى ماتوا ، ثم رثاهم فأكثر من رثائهم ؛ فمن ذلك قوله في جعفر :

كَمْ هَاتِفٍ بِكَ مِنْ بَاكِ وَبَاكِئَةٍ \* يَا طِيبَ اللَّضِيفِ إِذْ تُدْعَى وَبِالْحَارِ  
إِنْ يُمَدَّمِ الْقَطْرُ كُنْتَ الْمُزْنَ بَارِقَهُ \* لَمَعُ الدَّنَانِيرِ لَا مَا حَيْلُ السَّارِي

وقوله :

لَعَمْرُكَ مَا بِالْمَوْتِ عَارٌّ عَلَى الْفَتَى \* إِذَا لَمْ تُصَبِّهْ فِي الْحَيَاةِ الْمَعَارِ<sup>(٢)</sup>  
وَمَا أَحَدٌ حَيٌّ وَإِنْ كَانَ سَالِمًا \* بِأَسْلَمِ مِمَّا غَيَّبَتْهُ الْمَقَابِرُ  
وَمَنْ كَانَ مِمَّا يُحَدِّثُ الدَّهْرُ جَارِعًا \* فَلَا بَدَّ يَوْمًا أَنْ يَرَى وَهُوَ صَابِرُ  
وَلَيْسَ لَذَى عَيْشٍ عَنِ الْمَوْتِ مُقَصِّرٌ \* وَلَيْسَ عَلَى الْأَيَّامِ وَاللَّهْرِ غَايِرُ  
وَكُلُّ شَبَابٍ أَوْ جَدِيدٍ إِلَى الْبَلِي \* وَكُلُّ أَمْرِيٍّ يَوْمًا إِلَى اللَّهِ صَائِرُ  
فَلَا يُبْعِدُنكَ اللَّهُ عَنِّي جَعْفَرًا \* يَرُوحِي وَلَوْ دَارَتْ عَلَى الدَّوَائِرِ  
فَأَلَيْتُ لَا أَنْفَكَ أَبْيَكُ مَا دَعَتْ \* عَلَى فَنَنِ وَرَقَاءٍ أَوْ طَارِ طَائِرُ

ومن ذلك قوله لما صلب الفضل بن يحيى وأجتاز به الرقاشي وهو مصلوبٌ على

الحِذْع ، فوقف يبكي ثم قال :

(١) هو الفضل بن عبد الصمد مولى رقاش ، وهو من أهل البصرة . توفي سنة ٢٠٠ هـ . وتجد ترجمته

في الأغاني (ج ١٥ ص ٣٥) ووفيات الوفيات (ج ٢ ص ١٢٥) والشعر والشعراء (ص ٥١٥) .

(٢) المعابر : المعايير .

أما والله لولا خَوْفُ وإِشٍ \* وَعَيْنٌ لِلخَلِيفَةِ لَا تَتَّامُ  
 لَطْفَنَا حَوْلَ جِذَعِكَ وَأَسْتَلَمْنَا \* كَمَا لِلنَّاسِ بِالْحَجَرِ أَسْتَلَامُ  
 فَمَا أَبْصَرْتُ قَبْلَكَ يَا بَنَ يَحْيَى \* حُسَامًا حَقَّقَهُ السِّيفُ الْحُسَامُ  
 عَلَى اللَّذَائِ وَالدُّنْيَا جَمِيعًا \* وَدَوْلَةَ آلِ بَرْمَكٍ السَّلَامُ

فكتب أهل الأخبار بذلك إلى الرشيد، فأحضره فقال : ما حملك على ما قلت ؟ فقال :  
 يا أمير المؤمنين كان إلى مُحْسِنًا ، فلما رأيته على الحال التي هو عليها حرّكني إحسانه فما ملكتُ  
 نفسي حتى قلتُ الذي قلته ؛ قال : ولم كان يُجرى عليك ؟ قال : ألف دينارٍ في كلِّ سنةٍ ،  
 قال : إنا قد أضعفناها لك .

ومن قوله يَصِفُ جَارِيَةً :

صِفَاتٌ وَحُسْنٌ أَوْرَثَا الْقَلْبَ لَوْعَةً \* تَضَرَّمُ فِي أَحْشَاءِ قَلْبٍ مُتِيمٍ  
 تُمَثِّلُهَا نَفْسِي لِمِثْنِي فَأَنْتَنِي \* عَلَيْهَا بَطْرَفُ النَّاطِرِ الْمُتَيْمِّمِ  
 يُجَمِّلُنِي حُبِّي لَهَا فَوْقَ طَاقِي \* مِنْ الشُّوقِ دَأْبَ الْحَائِرِ الْمُتَقَسِّمِ

١١ - أبو العتاهية<sup>(١)</sup>

قال أحمد بن زهير: سمعت مصعب بن عبد الله يقول: أبو العتاهية أشعر الناس،  
فقلت له: بأى شيء أستحق ذلك عندك؟ فقال بقوله:

تعلّقتُ بآمالٍ \* طَوَالِ أَىِّ آمَالٍ

وأقبلتُ على الدنيا \* مُلِحًا أَىِّ إِقْبَالٍ

أيا هذا تَجَهَّزًا \* فِرَاقِ الأَهْلِ وَالْمَالِ

فلا بد من الموت \* على حال من الحال

ثم قال مصعب: هذا كلام سهل حق لا حشو فيه ولا نقصان، يعرفه العاقل ويقتربه  
الجاهل. وكان الأصمعي يستحسن قوله:

(١) هو أبو إسحاق اسماعيل بن القاسم بن سويد، أطبع أهل زمانه شعرا وأكثرهم قولاً وأسهلهم لفظاً،  
وأسرعهم بديهة وأرتجالاً، وأول من فتح للشعراء باب الوعظ والترهيد في الدنيا والنهي عن الاعتراها، وأكثر  
من الحكمة.

ولد بعين التمر سنة ١٣٠ هـ ونشأ بالكوفة في عمل أهله. وكانوا باعة جرار، إلا أنه ربأ بنفسه عن عمله وقال  
الشعر في صباه وامتزج بلحمه ودمه حتى صار كما قال هو عن نفسه «لوشئت أن أجعل كلامي كله شعرا لفعلت»  
فذاع صيته وسلك طريق خلفاء الكوفة. ثم قدم بغداد وودع المهدي وتعرف ببعض خدم قصر الخلافة  
وجواربه فعتق منهن فتاة تدعى عتبة، ولما ينس منها لها عنها بعض الشيء. ودرس كثيراً من مذاهب المتكلمين  
والشيعة والجزرية والزهاد فكان يسلك كل مذهب منها مدة ثم ينتقل عنه إلى الآخر حتى اختار له من كل ذلك  
عقيدة مختلطة أفضت به إلى العبادة والزهد في الدنيا قولاً ومعيشة على إفراط منه في حب المال والجمع له  
واليجل به على الأهل والولد والخدم.

ولم يأت عصر الرشيد حتى أضرب عن الغزل وقصر قوله على الزهد في الدنيا والتذكير بالموت وأهواله، وهو في خلال  
ذلك يمدح الخليفة وملوك الدولة ويأخذ جوائزهم، ثم عرضت له حال امتنع فيها عن قول الشعر البتة حتى حبسه الرشيد  
لعدم تلبية ما أقرحه عليه من القول فيه ثم أطلقه بعد أن أجاب طلبه، وعاد إلى قول الشعر على عادته فيه وترك الغزل  
والهجاء، وبقى على ذلك مدة الرشيد والأمين وأكثر أيام المأمون. توفي سنة ٢١١ هـ.

وله ديوان مطبوع في بيروت سنة ١٨٨٧ وتجد أخباره في الأغاني ج ٣ ص ١٢٦ وج ٦ ص ١٨٦

وج ٨ ص ٢٤ وابن خلكان ج ١ ص ٧١ وطبقات الشعراء ص ٤٩٧ والفهرست ص ١٦٠.

أنت ما استغنيت عن صا \* حيك الدهر أخوه  
فاذا آحتجت إليه \* ساعة يجك فوه

وأنشد له سلم الخاسر :

سكن يبق له سكن \* ما بهذا يؤذن الزمن  
نحن في دار يخبرنا \* ببلاها ناطق لسن  
دار سوء لم يدم فرح \* لأمرىء فيها ولا حزن  
في سبيل الله أنفسنا \* كلنا بالموت مرتهن  
كل نفس عند ميقتها \* حظها من مالها الكفن  
إن مال المرء ليس له \* منه إلا ذكره الحسن

وقال عبد الله بن عبد العزيز العمري : أشعر الناس أبو العتاهية حيث يقول :

ما ضر من جعل التراب مهاده \* ألا ينام على الحرير اذا قنع

وقيل لأبي العتاهية : كيف تقول الشعر؟ قال : ما أردته قط إلا مثل لي ، فأقول

ما أريد وأترك ما لا أريد . وكان يقول : لو شئت أن أجعل كلامي شعرا كله لفعلت .

حم الرشيد فصار أبو العتاهية الى الفضل بن الربيع برقة فيها :

لو علم الناس كيف أنت لهم \* ماتوا اذا ما أت أجمعهم  
خليفة الله أنت ترحح بالناس \* سب اذا ما وزنت أنت وهم  
قد علم الناس أن وجهك يغد \* نبي اذا ما رآه معدمهم

فأنشدها الفضل بن الربيع الرشيد ، فأمر بإحضار أبي العتاهية ، فما زال يسأله ويحدثه

الى أن برى ، ووصل اليه بذلك السبب مال جليل . وقد حدث ابن الأعرابي بهذا

الحديث ، فقال له رجل بالجلس : ما هذا الشعر بمستحق لما قلت ، قال : ولم؟ قال :

لأنه ضعيف ، فقال ابن الأعرابي ، وكان أحد الناس ، الضعيف والله عقلك لا شعر

أبي العتاهية، الأبي العتاهية تقول إنه ضعيف الشعر! فوالله ما رأيتُ شاعراً قطّ أطبع  
ولا أقدر على بيت منه، وما أحسب مذهبه إلا ضرباً من السحر؛ ثم أنشد له :

فَطَعْتُ مِنْكَ حَبَائِلَ الْأَمَالِ \* وَحَطَّطْتُ عَنْ ظَهْرِ الْمَطَى رِحَالِي  
وَيَسْتُ أَنْ أَبْقَى لَشَيْءٍ نِلْتُ مَمَّ \* مَا فِيكَ يَا دُنْيَا وَأَنْ يَبْقَى لِي  
فَوَجَدْتُ بَرْدَ الْيَأْسِ بَيْنَ جَوَانِحِي \* وَأَرْحْتُ مِنْ حَلٍّ وَمِنْ تَرْحَالِ  
يَأْيَاهَا الْبَطْرُ الَّذِي هُوَ مِنْ عَدِّ \* فِي قَبْرِهِ مَتَمَزَّقَ الْأَوْصَالِ  
حَدَفَ الْمُنَى عَنْهُ الْمُشَمَّرُ فِي الْهَدَى \* وَأَرَى مِنْكَ طَوِيلَةَ الْأَذْيَالِ  
حَيْلُ ابْنِ آدَمَ فِي الْأُمُورِ كَثِيرَةٌ \* وَالْمَوْتُ يَقْطَعُ حَيْلَةَ الْمُحْتَالِ  
مَا لِي أَرَاكَ لِحُرِّ وَجْهِكَ مُحْلِقًا \* أَحْلَقْتَ يَا دُنْيَا وَجُوهَ رِجَالِ  
فَسْتُ السُّؤَالِ فَكَانَ أَعْظَمَ قِيَمَةً \* مِنْ كُلِّ عَارِفَةٍ جَرَتْ بِسُؤَالِ  
فَإِذَا أَبْتُلِيَتْ يَبْدُلُ وَجْهَكَ سَائِلًا \* فَا بَدَّلْهُ لِلتُّكْرَمِ الْمِفْضَالِ  
وَإِذَا خَشِيَتْ تَعَدُّرًا فِي بَلَدَةٍ \* فَاشْدُدْ يَدَيْكَ بِعَاجِلِ التَّرْحَالِ  
وَأَصْبِرْ عَلَى غَيْرِ الزَّمَانِ فَإِنَّمَا \* فَرَجُ الشَّدَائِدِ مِثْلُ حَلِّ عَقَالِ

ثم قال للرجل : هل تعرف أحداً يُحسن أن يقول مثل هذا الشعر؟ فقال له الرجل :  
يا أبا عبد الله، جعلني الله فداك، إني لم أردد عليك ما قلت، ولكن الزهد مذهب  
أبي العتاهية، وشعره في المديح ليس كشعره في الزهد؛ فقال: أفليس الذي يقول في المديح:

وَهَارُونَ مَاءُ الْمَزْنِ يَسْفِي مِنَ الصَّدَى \* إِذَا مَا الصَّيْدِي بِالرِّيقِ غَضَّتْ حَنَابِرُهُ  
وَأَوْسَطُ بَيْتٍ فِي قَرِيشٍ لَبِيَّتُهُ \* وَأَوَّلُ عَزٍّ فِي قَرِيشٍ وَآخِرُهُ  
وَزَحْفٌ لَهُ تَحْكِي الْبُرُوقَ سَيُوفُهُ \* وَتَحْكِي الرُّعُودَ الْقَاصِفَاتِ حَوَافِرُهُ  
إِذَا حَمِيَتْ شَمْسُ النَّهَارِ تَضَا حَكَّتْ \* إِلَى الشَّمْسِ فِيهِ يَبْضُهُ وَمَغَافِرُهُ  
إِذَا نَكَبَ الْإِسْلَامُ يَوْمًا بِنَكْبَةٍ \* فَهَارُونَ مِنْ بَيْنِ الْبَرِيَّةِ نَائِرُهُ  
وَمَنْ ذَا يَفُوتُ الْمَوْتَ وَالْمَوْتُ مُدْرِكٌ \* كَذَا لَمْ يَفُتْ هَارُونَ ضِدُّ يَنَافِرُهُ

فتخلص الرجل من شرّ ابن الأعرابي بأن قال له : القول كما قلت ، وما كنت سمعت له مثل هذين الشعرين ، وكتبهما عنه .

قال ثُمّامة بن أُشْرَس أنشدني أبو العتاهية :

إذا المرء لم يُعْتِقْ من المال نفسه \* تملكه المأل الذي هو مالكة

ألا إنما مالى الذى أنا مُنْفِقٌ \* وليس لي المأل الذى أنا تاركة

إذا كنت ذا مال فبادر به الذى \* يَحِقُّ وإلا آستهلكته مهالكه

فقلت له : من أين قضيت بهذا؟ فقال : من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : "إنما لك من مالك ما أكلت فأفנית أو لپست فألبیت أو تصدقت فأمضيت" . فقلت له : أتؤمن بأن هذا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنه الحق؟ قال : نعم ؛ قلت : فلم تحبس عندك سبعا وعشرين بَدْرَةً في دارك ولا تأكل منها ولا تشرب ولا تزني ولا تقدمها ذنخرا ليوم فقرك وفاقتك؟ فقال : يا أبا معن ، والله إن ما قلت لهو الحق ، ولكنى أخاف الفقر والحاجة إلى الناس ؛ فقلت : وِمَ تريد حال من أفتقر على حالك وأنت دائم الحرص ، دائم الجمع ، شحيح على نفسك ، لا تشتري القم إلا من عيد إلى عيد؟ فترك جواب كلامي كله ، ثم قال لي : والله لقد اشتريت في يوم عاشوراء لحما وتوابله وما يتبعه بخمسة دراهم ؛ فلما قال هذا القول أضحكني حتى أذهلني عن جوابه ومعاتبته ، فأمسكت عنه وعلمت أنه ليس ممن شرح الله صدره للإسلام .

زار مرة عمرو بن مسعدة فحجب عنه ، فلزم منزله ، فاستبطاه عمرو ، فكتب إليه :

كسّلتى اليأس عنك فما أُر \* فع طرفى اليك من كسّيل

إني إذا لم يكن أنعى ثقة \* قطعتُ منه حبال الأمل

وكتب إليه مرة أخرى :

مالك قد حلت عن إخوانك وأسد \* تبدلت يا عمرو شيمة كدره

إني إذا الباس تاه حاجبه \* لم يك عندي في هجره نظره<sup>(١)</sup>

(١) النظرة : التأخير والإمهال .

لستم تُرَجَوْنَ للحساب ولا \* يوم تكون السماء منهطرة  
 لكن لدنيا كالظل بهجتها \* سريرة الإنقضاء مُشْمِرِه  
 قد كان وجهي لديك معرفة \* فاليوم أضى حُرُفا من النكرة

جلس المهدي\* للشعراء يوما فأذن لهم، وفيهم بشار وأشجع، وكان أشجع يأخذ عن بشار ويعظمه، وكان في القوم غير هذين أبو العتاهية، قال أشجع: فلما سمع بشار كلام أبي العتاهية قال: يا أخا سليم، أهذا ذلك الكوفي الملقب؟ قلت: نعم، قال: لا جرى الله خيرا من جمعنا معه، ثم قال له المهدي: أنشد، فقال: ويحك! أو يستنشد أيضا قبلنا؟ فقلت: قد ترى، فأنشد:

ألا ما لسيدتي ما لها \* أدلا فأحيل إذلاها  
 وإلا ففيم تجنت وما \* جنيت سقى الله أطلاها  
 ألا إن جارية للإما \* م قد أسكن الحسن سرهاها  
 مشت بين حور قصار الخطا \* تُجاذب في المشي أكفاهها  
 وقد أتعب الله نفسي بها \* وأتعب باللوم عداهها

فقال بشار لأشجع: ويحك يا أخا سليم! ما أدري من أي أمرية أعجب، أمن ضعف، شعره أم من تشبيهه بجارية الخليفة وهو يسمع ذلك بأذنه؟ حتى أتى على قوله:

أنته الخليفة مُنْقَادَةٌ \* إليه تُجَرَّر أذياها  
 فلم تك تصلح إلا له \* ولم يك يصلح إلا لها  
 ولورامها أحد غيره \* لزلزلت الأرض زلزالها  
 ولولم تطعه بنات القلوب \* لما قيل الله أعمالها  
 وإن الخليفة من بعض "لأ" \* إليه ليُنْغِضُ مَنْ قَالها

فقال بشار لأشجع وقد آهتر طربا: ويحك يا أخا سليم، أترى الخليفة لم يطرح عن فراشه طربا لما يأتي به هذا الكوفي!

ولما آتته منصور بن عمار بالزندقة، لأنه لا يذكر في شعره الجنة والنار وإنما يذكر الموت، قال فيه :

يا وأعظ الناس قد أصبحت متهما \* إذ عبت منهم أمورا أنت تأتيها  
كالمليس الثوب من عرى وعورته \* للناس بادية ما إن يوارىها  
فأعظم الإثم بعد الشرك نعلمه \* في كل نفس عمّاها عن مساويها  
عرفانها بعيوب الناس تبصرها \* منهم ولا تبصر العيب الذي فيها

وقيل له : زعم الناس أنك زنديق، فقال : والله ما ديني إلا التوحيد ، فقيل له قل شيئاً يتحدث به عنك، فقال :

ألا إنا كلنا بائد \* وأى بنى آدم خالد  
وبدؤهم كان من ربهم \* وكل إلى ربه عائد  
فياعجباً كيف يعصى الإله \* أم كيف يحمد الجاحد  
وفي كل شيء له آية \* تدل على أنه واحد

وسمع الجاحظ مرة من ينشد أرجوزة أبي العتاهية التي سماها "ذوات الأمثال" حتى أتى على قوله :

بالشباب المرح التصابي \* روائح الجنة في الشباب

فقال للشهد : قف، ثم قال : أنظروا إلى قوله : «روائح الجنة في الشباب» فإن له معنى كعنى الطرب لا يقدر على معرفته إلا القلوب، وتمعز عن ترجمته الألسنة إلا بعد التطويل وإدامة التفكير، وخير المعاني ما كان القلب إلى قبوله أسرع من اللسان إلى وصفه . وهذه الأرجوزة من بدائع أبي العتاهية، ويقال : إن فيها أربعة آلاف مثل، منها قوله :

حسبك مما تبغيه القوت \* ما أكثر القوت لمن يموت  
الفقر فيما جاوز الكفافا \* من أتقى الله رجا وخافا  
هي المقادير فأمني أو قدر \* إن كنت أخطأت فما أخطا القدر

لِكُلِّ مَا يُؤْذِي وَإِنْ قَلَّ أَلَمٌ \* مَا أَطْوَلَ اللَّيْلَ عَلَى مَنْ لَمْ يَنَمْ  
مَا أَنْتَفَعَ الْمَرْءُ بِمَثَلِ عَقْلِهِ \* وَخَيْرُ دُنُورِ الْمَرْءِ حُسْنُ فِعْلِهِ  
إِنَّ الْفَسَادَ ضِدُّهُ الصَّلَاحُ \* وَرُبَّ جِدِّ جَرَّهُ الْمُنْزَاحُ  
مَنْ جَعَلَ التَّمَامَ عَيْنًا هَلَكَ \* مُبْلِغُكَ الشَّرَّ بِنَاغِيهِ لَكَ  
إِنَّ الشَّبَابَ وَالْفِرَاقَ وَالْحَدَّةَ \* مَفْسَدَةٌ لِلرَّءِ أَى مَفْسَدَةٌ  
يُغْنِيكَ عَنْ كُلِّ قَبِيحٍ تَرْكُهُ \* يَرْتَهِنُ الرَّأْيَ الْأَصِيلَ شَكُّهُ  
مَا عَيْشُ مَنْ آفَتْهُ بَقَاؤُهُ \* نَغَصَّ عَيْشًا كَلَّهُ فَنَاؤُهُ  
يَارُبُّ مَنْ أَسْخَطْنَا بِجَهْدِهِ \* قَدْ سَرَّنَا اللَّهُ بِغَيْرِ حَمْدِهِ  
مَا تَطْلُعُ الشَّمْسُ وَلَا تَغِيْبُ \* إِلَّا لِأَمْرِ شَأْنُهُ عَجِيْبُ  
لِكُلِّ شَيْءٍ مَعْدِنٌ وَجَوْهَرٌ \* وَأَوْسَطُ وَأَصْفَرُ وَأَكْبَرُ  
مَنْ لَكَ بِالْمَحْضِ وَكُلُّ مُمْتَرِحٍ \* وَسَاوِسٌ فِي الصَّدْرِ مِنْهُ تَعْتَلِجُ  
وَكَأَنَّ شَيْءَ لَاحِقٍ بِجَوْهَرِهِ \* أَصْغَرُهُ مُتَّصِلٌ بِأَكْبَرِهِ  
مَا زَالَتِ الدُّنْيَا لَنَا دَارَ أَدَى \* مَمْزُوجَةَ الصَّفْوِ بِالْوَانِ الْقَدَى  
الْخَيْرُ وَالشَّرُّ بِهَا أَزْوَاجُ \* لِذَا نِتَاجُ وَلِذَا نِتَاجُ  
مَنْ لَكَ بِالْمَحْضِ وَليْسَ مَحْضُ \* يَجِبُ بَعْضُ وَيَطِيبُ بَعْضُ  
لِكُلِّ إِنْسَانٍ طَبِيعَتَانِ \* خَيْرٌ وَشَرٌّ وَهُمَا ضِدَّانِ  
إِنَّكَ لَوْ تَسْتَنَشِقُ الشَّحِيحَا \* وَجَدْتَهُ أَنْتَنَ شَيْءَ رِيحَا  
وَالْخَيْرُ وَالشَّرُّ إِذَا مَا عَدَا \* بَيْنَهُمَا بَوْنٌ بَعِيدٌ جَدَا  
عَجِبْتُ حَتَّى غَمَمَنِي السُّكُوتُ \* صِرْتُ كَأَنِّي حَائِرٌ مَهْبُوتُ  
كَذَا قَضَى اللَّهُ فَكَيْفَ أَصْنَعُ \* الصَّمْتُ إِنْ ضَاقَ الْكَلَامُ أَوْ سَعُ

ومن قول أبي العتاهية في الوحدة والتبرم بالناس :

بَرِمْتُ بِالنَّاسِ وَأَخْلَاقِهِمْ \* فَصِرْتُ أَسْتَأْنِسُ بِالوَحْدَةِ

مَا أَكْثَرَ النَّاسَ لِعَمْرِي وَمَا \* أَقْلَهُمْ فِي حَاصِلِ الْعِدَّةِ

قال الأصمعيّ : شِعْرُ أَبِي الْعَتَاهِيَةِ كَسَاحَةِ الْمُلُوكِ ، يَقَعُ فِيهَا الْجَوْهَرُ وَالذَّهَبُ وَالتَّرَابُ

وَالخَرْفُ وَالتَّوْبَى .

كان أبو العتاهية لا يفارق الرشيد في سَفَرٍ وَلَا حَضْرًا إِلَّا فِي طَرِيقِ الْحَجِّ ، وَكَانَ يُجْرِي

عَلَيْهِ فِي كُلِّ سَنَةٍ خَمْسِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ سِوَى الْجَوَائِزِ وَالْمَعَاوِنِ ، فَلَمَّا قَدِمَ الرَّشِيدُ الرَّقَّةَ لَيْسَ

أَبُو الْعَتَاهِيَةِ الصُّوْفَ وَتَزْهَدًا ، وَتَرَكَ حَضْرَةَ الْمُنَادِمَةِ وَالْقَوْلَ فِي الْغَزْلِ ، وَأَمَرَ الرَّشِيدُ بِجَبْسِهِ

فُجِّيسَ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ مِنْ وَقْتِهِ :

أَنَا الْيَوْمَ لِي وَالْحَمْدُ لِلَّهِ أَشْهُرُ \* يَرُوحُ عَلَيَّ الْهَمُّ مِنْكُمْ وَيَبْكُ

تَذَكَّرَ أَمِينَ اللَّهِ حَقِّي وَحُرْمَتِي \* وَمَا كُنْتُ تُؤَلِّبُنِي كَذَلِكَ يُذَكِّرُ

لِيَالِي تَدْنِي مِنْكَ بِالْقُرْبِ مَجْلِسِي \* وَوَجْهَكَ مِنْ مَاءِ الْبَشَاشَةِ يَقْطُرُ

فَقَنَّ لِي بِالْعَيْنِ الَّتِي كُنْتُ مَرَّةً \* إِلَىٰ بِهَا فِي سَالِفِ الدَّهْرِ تَنْظُرُ

فَلَمَّا قَرَأَ الرَّشِيدُ الْأَبْيَاتَ قَالَ : قَوْلُوا لَهُ : لَا بَأْسَ عَلَيْكَ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ :

أَرِقْتُ وَطَارَ عَن عَيْنِي التَّنَاسُ \* وَنَامَ السَّاهِرُونَ وَلَمْ يُوَأْسُوا

أَمِينَ اللَّهِ أَمْنُكَ خَيْرُ أَمِينٍ \* عَلَيْكَ مِنَ التَّقِي فِيهِ لِبَاسٌ

تُنَاسُ مِنَ السَّمَاءِ بِكُلِّ يَرٍ \* وَأَنْتَ بِهِ تَسُوسُ كَمَا تُنَاسُ

كَأَنَّ الْخَلْقَ رَكَّبَ فِيهِ رُوحَهُ \* لَهُ جَسَدٌ وَأَنْتَ عَلَيْهِ رَاسٌ

أَمِينَ اللَّهِ إِنْ الْحَبْسَ بَاسٌ \* وَقَدْ أَرْسَلْتَ : لَيْسَ عَلَيْكَ بَاسٌ

وَكَتَبَ إِلَيْهِ أَيْضًا فِي الْحَبْسِ :

وَكَلَّفْتَنِي مَا حَلَّتْ بَيْنِي وَبَيْنَهُ \* وَقَلْتُ سَأَبْغِي مَا تُرِيدُ وَمَا تَهْوَى

فَلَوْ كَانَ لِي قَلْبَانُ كَلَّفْتُ وَاحِدًا \* هَوَاكَ وَكَلَّفْتُ الْخَلِيْلَ لِمَا يَهْوَى

فَأَمَرَ بِاطْلَاقِهِ .

كان الهادي واجدا على أبي العتاهية ملازمته أخاه هارون في خلافة المهدي، فلما ولي

موسى الخلافة قال أبو العتاهية يمدحه :

يَضْطَرِبُ الخَوْفُ والرَّجَاءُ إِذَا \* حَرَّكَ موسى القَضِيبَ أَوْ فَكَّرَ  
 مَا أَيْبِنَ الفَضْلَ فِي مَغِيبٍ وَمَا \* أَوْرَدَ مِنْ رَأْيِهِ وَمَا أَصْدَرَ  
 فَكَمْ تَرَى عَزَّ عِنْدَ ذَلِكَ مِنْ \* مَعْشَرِ قَوْمٍ وَذَلَّ مِنْ مَعْشَرٍ  
 يُثْمِرُ مِنْ مَسِّهِ القَضِيبُ وَلَوْ \* يَمْسُهُ غَيْرُهُ لِمَا أُمِّرَ  
 مَنْ مِثْلَ موسى وَمِثْلَ والدهِ الـ \* مَهْدِيٍّ أَوْ جَدِّهِ أَبِي جَعْفَرِ

فرضى عنه . فلما دخل عليه أنشده :

لَهْفِي عَلَى الزَّمَنِ القَصِيرِ \* بَيْنَ الخَوْرَنِقِ والسَّيْدِ  
 إِذْ نَحْنُ فِي غَرْفِ الحِنَا \* نَ نَعُومُ فِي بَحْرِ السَّرُورِ  
 فِي فِتْيَةٍ مَلَكُوا عِنَا \* نَ الدَّهْرِ أَمْثَالِ الصُّقُورِ  
 مَا مِنْهُمْ إِلَّا الجَسُورُ \* رُ عَلَى الهَوَى غَيْرِ الحَصُورِ  
 يَتَعَاوَرُونَ مُدَامَةً \* صَهْبَاءَ مِنْ حَلْبِ العَصِيرِ  
 عَذْرَاءَ رَبَّاهَا شُعَا \* عُ الشَّمْسِ فِي حَرِّ المَهِجِرِ  
 لَمْ تَدْنِ مِنْ نَارٍ وَلَمْ \* يَعلُقْ بِهَا وَضْرُ القَدُورِ  
 وَمُقَرَّبَ قِي يَمْشِي أَمَا \* مِ القُومِ كَالرَّشَا الغَرِيرِ  
 بِزِجَاجَةٍ تَسْتَخْرِجُ الـ \* سِرَّ الدِّفِينِ مِنَ الضَّمِيرِ  
 زَهْرَاءَ مِثْلِ الكُوكَبِ الـ \* دُرِّيِّ فِي كَفِّ المُؤَدِّرِ  
 تَدْعُ الكَرِيمَ وَلَيْسَ يَدُ \* رِي مَا قَيْسَلُ مِنْ دَبِيرِ  
 وَمُحْصَرَاتٍ زُرْتَنَا \* بَعْدَ المَدُودِ مِنَ الخَدُورِ  
 رِيًّا رَوَادِفَهُنَّ يَدُ \* بَسْنِ الخَوَاتِمِ فِي الخَصُورِ  
 غُرَّ الوُجُوهِ مُجْجِبَا \* تِ قَاصِرَاتِ الطَّرْفِ حُورِ

مُتَنَعَّمَاتٍ فِي النَّعْمِ \* يَمِ مَضْمَنَاتٍ بِالْبَعِيرِ  
 يَرْفُلْنَ فِي حُلَلِ الْحَا \* سَنَ وَالْمَجَاسِدِ وَالْحَرِيرِ  
 مَا إِنْ يَرَيْنَ الشَّمْسَ إِلَّا \* الْقُرْطُ مِنْ حَلَلِ السُّتُورِ  
 وَإِلَى أَمِينِ اللَّهِ مَهْ \* رَبُّنَا مِنَ الدَّهْرِ الْعَثُورِ  
 وَإِلَيْهِ أَتَعَبْنَا الْمَطَا \* يَا بِالرَّوَّاحِ وَالْبُكُورِ  
 صُعَرَ الْخُدُودِ كَأَنَّمَا \* جُنْحُنْ أَجْنَحَةَ النُّسُورِ  
 مُتَسَرِّبَاتٍ بِالظُّلَا \* مَ عَلَى السُّهُولَةِ وَالْوُوعُورِ  
 حَتَّى وَصَلْنَ بِنَا إِلَى \* رَبِّ الْمَدَائِنِ وَالْقُصُورِ  
 مَا زَالَ قَبْلَ فِطَامِهِ \* فِي سِنِّ مُكْتَهَلٍ كَبِيرِ

استنشده المأمون أحسن ما قال في الموت فأنشده :

أَنَسَاكَ مَحْيَاكَ الْمَمَاتَا \* فَطَلَبْتُ فِي الدُّنْيَا التَّبَاتَا  
 أَوْتَقَتَ بِالدُّنْيَا وَأَز \* تَ تَرَى جَمَاعَتَهَا شَتَاتَا  
 وَعَزَمْتَ مِنْكَ عَلَى الْحَيَا \* ةَ وَطَوَّلَهَا عَزْمًا بَتَاتَا  
 يَا مَنْ رَأَى أَبُوَيْهِ فِي \* مَنْ قَدْ رَأَى كَانَا فَمَاتَا  
 هَلْ فِيهِمَا لَكَ عِبْرَةٌ \* أَمْ خَلَّتْ أَنْ لَكَ أَنْفِلَاتَا  
 وَمَنْ الَّذِي طَلَبَ التَّفَلُّ \* تَ مِنْ مَنِيَّتِهِ فَفَاتَا  
 كُلُّ تَصَبَّحَهُ الْمَنِي \* ةُ أَوْ تَبَيَّتَهُ بَيَاتَا

دخل أبو العتاهية على المأمون فأنشده :

مَا أَحْسَنَ الدُّنْيَا وَإِقْبَالَهَا \* إِذَا أَطَاعَ اللَّهُ مَنْ نَالَهَا  
 مَنْ لَمْ يُوَأَسِ النَّاسَ مِنْ فَضْلِهَا \* عَرَّضَ لِلْإِدْبَارِ إِقْبَالَهَا

فقال له المأمون : ما أجودَ البيتِ الأولُ، فأما الثاني فما صنعتَ فيه شيئاً، الدنيا تُدْرِعُ عَمَّنْ وَاسَى مِنْهَا أَوْضَنَ بِهَا، وَإِنَّمَا تُوجِبُ السَّمَاحَةَ بِهَا الْأَجْرَ وَالضَّنَّ بِهَا الْوِزْرَ، فقال : صدقتَ

يا أمير المؤمنين ، أهل الفضل أولى بالفضل وأهل النقص أولى بالنقص ، فلما كان بعد أيام عاد فأنشده :

كم غافلٍ أودى به الموتُ \* لم يأخذ الأهبَةَ للفوتِ  
من لم تزل نعمته قبله \* زال عن النعمة بالموت

فقال له : أحسنت ، طيبت المعنى ، وأمر له بعشرين ألف درهم :

كان أبو العتاهية يَحج كل سنة ، فاذا قدم أهدى الى المأمون بُرداً ومُطرفاً ونعلاً سوداء ومسأويك أراك ، فيبعث اليه بعشرين ألف درهم ، فأهدى مرة له كما كان يهدى كل سنة إذا قدم ، فلم يثبه ولا بعث اليه بالوظيفة ، فكتب اليه أبو العتاهية :

خبروني أن من ضرب السنّة \* جدداً بيضا وصُفرا حسنة  
أحدثت لكنني لم أرها \* مثل ما كنت أرى كل سنه

فأمر المأمون بحمل العشرين الألف وقال : أغفلناه حتى ذكّرنا .

أنشد المأمون بيت أبي العتاهية يخاطب سلماً الخاسر :

تعالى الله يا سلم بن عمرو \* أدل الحرص أعناق الرجال

فقال المأمون : إن الحرص لمفسد للدين والمرءة ، والله ما عرفت من رجلٍ قط حرصاً ولا شرها فوجدت فيه مُصطنعاً ، فبلغ ذلك سلماً فقال : ويلي على الحرار الزنديق جمع الأموال وكنزها وعباً البدور في بيته ثم ترهد مُراءاة ونفاقاً ، فأخذ يهتف بي اذا تصدّيت للطلب .

كان الرشيدُ مما يعجبه غناء الملاحين في الزلازل اذا ركبها ، وكان يتأذى بفساد كلامهم ولحنهم ، فقال : قولوا لمن معنا من الشعراء : يعملوا لهؤلاء شعرا يغنون فيه ، فقيل : ليس أحد أقدر على هذا من أبي العتاهية وهو في الحبس ، فوجه اليه الرشيدُ : قل شعرا حتى أسمعته منهم ، ولم يأمر بإطلاقه ، فغاضه ذلك وقال : والله لأقولن شعرا يحزنه ولا يسرّبه ، فعمل شعرا ودفعه الى من حفظه من الملاحين ، فلما ركب الحرّاقة سمعه وهو :

حَانَكَ الطَّرْفُ الطَّمُوحُ \* أَيُّهَا الْقَلْبُ الْجَمُوحُ  
 لدواعي الخير والشـ \* دُنُوْ وُنُزُوح  
 هل لمطلوبٍ بذنبٍ \* توبهٌ منه نصُوح  
 كيف إصلاحُ قلوبٍ \* إنما هنَّ قُروح  
 أحسن الله بنا \* إنَّ الخطايا لا تفوح  
 فإذا المستورُ منَّا \* بين تَوْبَيْهِ فُضُوح  
 كم رأينا من عزيزٍ \* طُوِيَتْ عنه الكُشُوح  
 صاحٍ منه برحيلٍ \* صاخُّ الدهر الصُّدُوح  
 موتٌ بعض الناس في الأر \* ض على قوم قُروح  
 سيصير المرء يوما \* جَسَدا ما فيه رُوح  
 بين عَيْنِي كُلِّ حَيٍّ \* عَلمُ الموت يَلُوح  
 كلُّنا في غفلةٍ والـ \* موتٌ يغدو ويُروح  
 لبني الدنيا من الدنـ \* يا غَبُوقٌ وصَبُوح  
 رُحْنٌ في الوشي وأصبحـ \* من عليهمُ المُسُوح  
 كلُّ نطّاجٍ من الدهـ \* مر له يوماً نَطُّوح  
 نُحِّ على نفسك يا مسـ \* كين إن كنت تتُوح  
 تَمُوتَنَّ وإن عمَّـ \* يرت ما عمَّر نُوح

فلما سمع ذلك الرشيد جعل يبكي وينتحب ، وكان الرشيد من أغزر الناس دموعا  
 في وقت الموعظة ، وأشدّهم عسفاً في وقت الغضب والغلظة ؛ فلما رأى الفضل بن الربيع  
 كثرة بكائه أوماً الى الملاحين أن يسكتوا .

لما عقد الرشيد العهد لبنيه الثلاثة : الأمين والمأمون والمؤمن ، قال أبو العتاهية :

رَحَلْتُ عن الرَّبِّعِ المُجِيلِ قَعُودِي \* الى ذِي زُحُوفٍ جَمَّةٍ وَجُنُودِ  
 ورَاعٍ يُراعى اللَّيْلَ في حَفْظِ أُمَّةٍ \* يدافع عنها الشَّرَّ غير رُقُودِ

بِالْوَيْةِ جَبْرِيْلُ يَقْدُمُ أَهْلَهَا \* وِرَايَاتِ نَصْرِ حَوْلِهِ وَبُنُودِ  
 تَجَافَى عَنِ الدُّنْيَا وَيَقْنُ أَنَّهَا \* مُفَارِقَةً لَيْسَتْ بِدَارِ خُلُودِ  
 وَشَدَّ عُرَى الإِسْلَامِ مِنْهُ بِفَتِيَّةِ \* ثَلَاثَةَ أَمْلَاقٍ وَوَلَاةِ عُهُودِ  
 هُمْ خَيْرُ أَوْلَادِهِمْ خَيْرُ وَالِدِ \* لَهُ خَيْرُ آبَاءٍ مَضَّتْ وَجُدُودِ  
 بَنُو المِصْطَفَى هَارُونَ حَوْلَ سَرِيرِهِ \* نَخِيرُ قِيَامِ حَوْلِهِ وَقُعُودِ  
 تَقَلَّبَ أَلْحَاطُ المِهَابَةِ بَيْنَهُمْ \* عِيُونَ ظَبَاءٍ فِي قُلُوبِ أُسُودِ  
 جُدُودِهِمْ شَمْسٌ أَتَتْ فِي أَهْلَةٍ \* تَبَدَّتْ لِرَاءِ فِي نَجُومِ سُعُودِ  
 فَوْصِلُهُ الرِّشِيدُ بِصِلَةِ مَا وَصَلَ مِثْلَهَا شَاعِرًا قَطَّ .

١٢ - مُسْلِمُ بْنُ الْوَلِيدِ<sup>(١)</sup>

أحد الشعراء المفلكين والبلغاء المبدعين

قال الشعْرُ في صباه، ولم يتجاوز به الأمراء والرؤساء، مكتفياً بما يناله من قليل العطاء، ويُنفقه على ملاذّه مع إخوانه من خلّاء الشعراء، ثم أنقطع الى يزيد بن مزيد الشيباني قائد الرشيد، ثم أتصل بالخليفة هارون الرشيد وعُدّ من شعرائه، ومدّحه ومدّح البرامكة وحسّن رأيهم فيه . ولما أصبح الحَلّ والعقد بيد ذى الرّياستين الفضل بن سهل وزير المأمون في أوّل خلافته قرّبه وأدناه : لأنه كان من خاصّته قبل وزارته، وولاه أعمالاً يجرّجان اكتسب منها ألف ألف درهم ثم لزم منزله الى أن أنفقها في اللذات ، وعاد إلى الفضل فقلّده الضياع بأصبهان فاكتسب منها ألف ألف أيضاً . ولما قُتِل الفضل لزم منزله وتَسَكَّ ولم يمدح أحداً إلى أن مات بجرجان .

ومسلمٌ أوّل من تكلف البديع في شعره وأستكثر منه في قوله ، وسبقه بشار الى ذلك إلا أنه لم يبلغ شأو مسلم فيه . وقد عدّ العلماء هذا التصنّع والتكلف إفساداً للشعر، إذ قد تبعه في ذلك الشعراء مثل البحترى وأبي تمام وابن المعتز وغيرهم .

(١) هو مسلم بن الوليد مولى الأنصار يلقب صريع الفواني ، شاعر متقدّم من شعراء الدولة العباسية ، منشؤه ومولده الكوفة . وهو فيما زعموا أوّل من قال الشعر المعروف بالبديع ، وهو لقب هذا الجنس البديع واللطيف ، وتبعه فيه جماعة ، وأشهرهم فيه أبو تمام الطائي ، فانه جعل شعره كله مذهبا واحداً فيه ، ومسلم كان متفننا متصرفا في شعره . قال محمد بن يزيد : كان مسلم شاعرا حسن النظم ، جيسد القول في الشراب ، وكثير من الرواة يقرّنه بأبي نواس في هذا المعنى ، وهو أوّل من عقد هذه المعاني الطريقة واستخرجها . وقال القاسم بن مهرويّه : أوّل من أفسد الشعر مسلم بن الوليد ، جاء بهذا الفن الذي سماه الناس البديع ثم جاء الطائي بعده ففتن فيه . توفي بجرجان سنة ٢٠٨ هـ وله ديوان مطبوع في ليدن سنة ١٨٧٥ م . وتجد أخباره في الأغاني (ج ١٣ ص ٩) والشعر والشعراء (ص ٥٢٨) والعقد الفريد (ج ١ ص ١٤٢) .

وقد مزج مسلم كلام البدويين بكلام الحضريين ، فضمّنه المعاني اللطيفة ، وكساه الألفاظ الظريفة ، فله جزالة البدويين ، ورقة الحضريين .

لقى مسلم أبو نواس فقال له : ما أعرف لك بيتا إلا فيه سقط ؛ قال له : فما تحفظ من ذلك ؟ قال : قل أنت ماشئت حتى أريك سقطك فيه ؛ فأنشد :

ذَكَرَ الصُّبُوحَ بِسُحُورَةِ فَارِتَاخَا \* وَأَمَلَهُ دَيْكُ الصَّبَاحِ صِيَاخَا

فقال له مسلم : فلم أمله وهو الذى أذكره وبه أرتاح ؟ فقال أبو نواس : فأنشدنى شيئا من شعرك ليس فيه خلل ؛ فأنشده مسلم :

عَاصَى الشَّابِّ فَرَاخَ غَيْرِ مُفَنَّدٍ \* وَأَقَامَ بَيْنَ عَزِيمَةٍ وَتَجَلَّدٍ

فقال له أبو نواس : قد جعلته رائحا مقبلا فى حالة واحدة وبيت واحد ، فتنشأ غبا وتسابا ساعة . وكلا البيتين صحيح المعنى .

أجتمع أصحاب المأمون عنده يوما ، فأفاضوا فى ذكر الشعر والشعراء ، فقال له بعضهم : أين أنت يا أمير المؤمنين من مسلم بن الوليد ؟ قال : حيث يقول ماذا ؟ قال : حيث يقول وقد رنى رجلا :

أَرَادُوا لِيُخْفُوا قَبْرَهُ عَنْ عَدُوِّهِ \* فَطِيبُ تَرَابِ الْقَبْرِ دَلَّ عَلَى الْقَبْرِ

وحيث مدح رجلا بالشجاعة فقال :

يَجُودُ بِالنَّفْسِ إِذْ صَنَّ الْجَوَادُ بِهَا \* وَالْجُودُ بِالنَّفْسِ أَقْصَى غَايَةِ الْجُودِ

وهما رجلا بقبح الوجه والأخلاق فقال :

قَبِحَتْ مَنَاطِرُهُ فَمِنْ خَبَرَتِهِ \* حَسَنَتْ مَنَاطِرُهُ لِقُبْحِ الْمَخْبَرِ

وتعازل فقال :

هَوَى يَجِدُ وَحَيْبٌ يَلْعَبُ \* أَنْتَ لَقِيَ بَيْنَهُمَا مَعْدَبُ

فقال المأمون : هذا أشعر من خضتم اليوم فى ذكره .

قال يزيد بن مزيّد : أرسل إلى الرشيد يوماً في وقت لا يرسل فيه إلى مثل ، فأثبته  
لابساً سلاحاً مستعداً لأمر إن أراده مني ، فلما رأني ضحك إلى ثم قال : يا يزيد ، خبرني  
من الذي يقول فيك :

تراه في الأمن في دِرْعٍ مُضَاعَفَةٍ \* لا يأمن الدهر أن يدعى على عَجَلٍ  
ضَافٍ العِنانِ طَمُوحَ العينِ هَمَّتْهُ \* فَكَّ العِناةَ وأسرُ الفاتكِ الخَطَلِ

فقال : لا أعرفه يا أمير المؤمنين ؛ فقال : سَوَّءَ لك من سيّد قومٍ يُمدِّحُ بمثل هذا  
الشعر ولا يعرف قائله ، وقد بلغ أمير المؤمنين فرواه ووصل قائله ، وهو مسلم بن الوليد !  
فانصرفت فدعوتُ به ووصلته ووليته .

وروى أنه دخل على الرشيد فقال له : يا يزيد ، من الذي يقول فيك :

لا يَعْبَقُ الطَّيْبُ خَدْيَهُ وَمَفْرَقَهُ \* ولا يَمَسُّ عَيْنَهُ مِنَ الكَحْلِ  
إذا آتَتْ سَيْفَهُ كانتِ مَسالِكُهُ \* مَسالِكِ المَوْتِ في الأبدانِ والأَقْلِ  
وإن خَلَّتْ بِحَسَدِثِ النَفْسِ فِكْرُهُ \* حَيَّ الرِّجاءُ وماتِ الخوفُ من وجَلِ  
كأَلَيْثِ إن هَجَّتْهُ فالْموتِ راحَتُهُ \* لا يَسْتَرِيحُ إلى الأيَّامِ والدُّوَلِ

فقال : لا أعرف قائله يا أمير المؤمنين ، فقال له هارون : أيقال فيك مثل هذا الشعر  
ولا تعرف قائله ! فخرج من عنده تجملاً ، فلما صار إلى منزله دعا حاجبه فقال له : من  
بالباب من الشعراء ؟ قال : مسلم بن الوليد ؛ قال : وكيف حجبتني عني ، فلم تعلمني بمكانه !  
فقال : أخبرته أنك مُضَيِّقٌ ، وأنه ليس في يدك شيء تعطيه إياه ، وسألته الإمساك والمقام  
أياماً إلى أن تُتَّسَعِ ؛ فأنكر ذلك وقال : أدخِله ، فأدخله إليه ، فأنشده قوله فيه :

أَجْرَتُ حَبْلِ خَلِيعٍ في الصِّبَا غَزِيلِ \* وَشَمَّرَتْ هِمُّ العُدَّالِ في عَدَلِي  
هاجَ البكاءُ على العينِ الطُّمُوحِ هَوَى \* مُفْرَقٌ بينِ توديعِ ومُحْتَمَلِ  
كَيْفَ السُّلُوقِ لِقَلْبِ راحِ مُحْتَبَلَا \* يَهْدِي بِصاحبِ قلبٍ غيرِ مُحْتَبَلِ

(١) أجرت فلانا رسته : تركته وشأنه ، والخليع : الذي خلع عذاره في الصبا . (٢) الطموح :

المرتفعة في النظر إلى الأجرة . ومفروق : مقسم .

عَاصِيَ الْعِزَاءِ غَدَاةَ الْبَيْنِ مُنْهِمِلٌ \* من الدموع جرى في إثر منهِمِلِ  
 لولا مُدَارَاةَ دَمْعِ الْعَيْنِ لَأَنْكَشَفْتُ \* متى سرائرٌ لم تظْهَرِ ولم تُخَلِّ<sup>(١)</sup>  
 أَمَا كَفَى الْبَيْنَ أَنْ أُرْمَى بِأَسْهُمِهِ \* حتى رمانى بلحظ الأعين النُّجُلِ  
 مِمَّا جَنَى لِي وَإِنْ كَانَتْ مِنِّي صَدَقَتْ \* صَبَابَةٌ خُلِسَ التَّسْلِيمَ بِالْمُقَلِّ  
 مَاذَا عَلَى الدَّهْرِ لَوْلَا لَنْتَ عَرِيكَتُهُ \* وَرَدَّ فِي الرَّأْسِ مِنِّي سَكْرَةَ الْفَزْلِ  
 جُرْمُ الْحَوَادِثِ عِنْدِي أَنَا اخْتَلَسْتُ \* متى بناتِ غِذَاءِ الْكِرْمِ وَالْكِكَلِ<sup>(٢)</sup>  
 وَرُبَّ يَوْمٍ مِنَ اللَّذَاتِ مُحْتَضِرٌ \* قَصْرْتُهُ بِلِقَاءِ الرَّاحِ وَالْحُلَلِ<sup>(٣)</sup>  
 وَبِلَاةٍ خُلِسْتُ لِلْعَيْنِ مِنْ سِنَةٍ \* هَتَكْتُ فِيهَا الصَّبَا عَنْ بَيْضَةِ الْحَجَلِ  
 قَدْ كَانَ دَهْرِي وَمَا بِي الْيَوْمَ مِنْ كِبَرٍ \* شَرِبَ الْمَدَامَ وَعَزَفَ الْقَيْنَةَ الْعُطْلِ  
 إِذَا شَكُوْتُ إِلَيْهَا الْحَبَّ خَفَرَهَا \* شِكْوَايَ فَاحْمَرَّ خَدَاهَا مِنْ انْجَمَلِ<sup>(٤)</sup>  
 كَمْ قَدْ قَطَعْتُ وَعَيْنُ الدَّهْرِ رَاقِدَةٌ \* أَيَامَهُ بِالصَّبَا وَاللَّهُوِ وَالْحَدَلِ  
 وَطَيْبِ الْفَرْعِ أَصْفَانِي مَوْدَتُهُ \* كَافَأْتُهُ بِمَدِيحٍ فِيهِ مُتَخَلِّ<sup>(٥)</sup>  
 وَبِلَدَةٍ لِمَطَايَا الرِّكَبِ مُنْضِيَةٌ \* أَنْضِيْتُهَا بِوَجِيفِ الْإَيْنِقِ الدُّلِّ<sup>(٦)</sup>  
 فِيهِمِ الْمَقَامُ وَهَذَا النِّجْمُ مُعْتَرِضًا \* دَنَا النَّجَاءُ وَحَانَ السَّيْرُ فَارْتَجَلِ<sup>(٧)</sup>  
 يَا مَائِلَ الرَّأْسِ إِنْ اللَّيْثُ مُفْتَرَسٌ \* مَيْلَ الْجَمَاحِمِ وَالْأَعْنَاقِ فَاعْتَدِلِ  
 حَذَارٍ مِنْ أَسَدٍ ضِرْغَامَةٍ بَطَّلِ \* لَا يُوَلِّغُ السَّيْفَ إِلَّا مَهْجَةَ الْبَطَّلِ  
 لَوْلَا يَزِيدُ لِأَضْحَى الْمُلُوكِ مُطَّرِدًا \* أَوْ مَائِلَ السَّمَكِ أَوْ مُسْتَرْنِحِي الطُّوَلِ<sup>(٨)</sup>  
 سَلَّ الْخَلِيفَةُ سَيْفًا مِنْ بَنِي مَطَرٍ \* أَقَامَ قَائِمُهُ مِنْ كَانَ ذَا مَيْلِ  
 كَمْ صَائِلٍ فِي ذَرَا تَمْهِيدِ مَمْلُوكَةٍ \* لَوْلَا يَزِيدُ بَنِي شَيْبَانَ لَمْ يَصُلِّ

(١) أى لم تظن بي . (٢) يريد النجر والجواري . (٣) محتضر، أى حضرته اللذات . والخلل : جمع خلة وهى الصديقة . (٤) خفرها ، أى ولد عليها الخفر وهو شدة الحياء . (٥) أى مختار . (٦) منضية : متعبة . والوجيف : ضرب من السير . والدلل : الضامرات . (٧) يريد بالنجم : الثريا . ومعترضا : متصبا . (٨) مطردا ، أى مخذولا . وضرب السمك والطول مثلا .

ناب الإمام الذي يفتّر عنه اذا \* ما أفتّرت الحرب عن أنيابها العُصَل  
 من كان يَحْتَمِل قَرْنَا عند موقفه \* فإن قرن يزيد غير مُحْتَمَل  
 سَد الثغور يزيدُ بعد ما أنفَرجت \* بقاء السيف لا بالحتل والحيل  
 كم قد أذاق حِمام الموت من بطل \* حامي الحقيقة لا يُؤتَى من الوهل  
 أغرَّ أبيضُ يغشى البيضُ أبيضُ لا \* يرضى لمولاه يوم الرُوع بالفشل  
 يغشى الوغى وشهابُ الموت في يده \* يرمى الفوارس والأبطال بالشعل  
 يفتّر عند أفتّار الحرب مبتسماً \* اذا تغيّر وجه الفارس البطل  
 مؤفٍ على مهج واليوم ذو رَهج \* كأنه أجل يسعى الى أمل  
 ينال بالرّفق ما يعيا الرجال به \* كالموت مستعجلاً يأتي على مهل  
 لا يلقحُ الحرب إلا ريثَ ينتجها \* من هالك وأسير غير مُحْتَمَل  
 إن شيم بارقه حالت خلاثقه \* بين العطيّة والإمساك والعلل  
 يغشى المنايا المنايا ثم يفرجها \* عن النفوس مُطلات على الهبل<sup>(١)</sup>  
 لا يرحل الناس إلا نحو حَجْرته \* كالبيت يضحى إليه مُلتقى السبل<sup>(٢)</sup>  
 يقرى المنية أرواح الكماة كما \* يقرى الضيوف سُحُوم الكُوم والبزل<sup>(٣)</sup>  
 يكسو السيوف دماء الناكثين به \* ويجعل الهام تيجان القنا الذُّبَل  
 يفتدو فتغدو المنايا في أسنته \* شوارعا تتحدى الناس بالأجل  
 اذا طغت فئة عن غب طاعتها \* عبي لها الموت بين البيض والأسل  
 قد عود الطير عادات وثقن بها \* فهنّ يدبّعه في كلّ مرّتحل  
 تراه في الأمن في درع مضاعفة \* لا يأمن الدهر أن يدعى على عجل  
 ضافي العنان طموح العين همته \* فكّ العناة وأسّر الفاتك الخطل<sup>(٤)</sup>  
 لا يعبق الطيب خديّه ومفرّقه \* ولا يمسح عينيه من الكحل

(١) الهبل : الفقدان . (٢) يعني البيت الحرام . (٣) الكوم : العظام الأسننة واحدا كوما .  
 والبزل : جمع بزل وهو ماله تسعة أعوام . (٤) جمع عان وهو الأسير . والخطل : ذو الخطل وهو الخطأ .

إذا أنتهى سيفه كانت مسالكه \* مسالك الموت فى الأبدان والقُلل  
 وإن خلت بحديث النفس فكرته \* حتى الرجاء ومات الخوف من وجل  
 كالليث إن هجته فالموت راحتته \* لا يستريح الى الأيام والدول  
 إن الحوادث لما رُمن هضبتة <sup>(١)</sup> \* أزمن عن جار شيان بمثقل  
 فالدهر يقبض أولاه أوآخره \* اذ لم يكن كان فى أعصاره الأول  
 إذا الشريكي لم يفخر على أحد \* تكلم الفخر عنه غير متحل  
 لا تكذبن فإن الحلم معدنه \* ورائته فى بنى شيان لم تنزل  
 سلوا السيوف فأغشوا من يحاربهم \* خبطا بها غير ما نكل ولا وكل  
 الزائديون قوم فى رماحهم \* خوف الخيف وأمن الخائف الوجل  
 كبيرهم لا تقوم الراسيات له \* حلما وطفلهم فى هدى مكتهل  
 أسلم يزيد فى الدين من أود <sup>(٢)</sup> \* اذا سلمت وما فى الملك من خال  
 أثبت سوق بنى الإسلام فطادت <sup>(٣)</sup> \* يوم الخليج وقد قامت على زل  
 لولا دفاعك بأس الروم اذ بكرت \* عن عترة الدين لم تأمن من الثكل  
 ويوسف البرم قد صبحت عسكره <sup>(٥)</sup> \* بعسكر يلفظ الأقدار ذى زجل  
 غافضته يوم عبر النهر مهلتته <sup>(٦)</sup> \* وكان محتجزا فى الحرب بالمهل  
 والمارق ابن طريف قد دلفت له <sup>(٧)</sup> \* بعسكر للنايا مسيل هطل  
 لما رآك مجدا فى منيته \* وأن دفعك لا يسطاع بالحيل  
 شام التزال فأبرقت اللقاء له \* مقدم الخطو فيها غير متكل  
 ماتوا وأنت غليل فى صدورهم \* وكان سيفك يستشفى من الغلل

(١) هذا مثل ، يريد لما رامت الحوادث من استجاره . (٢) نسبة الى شريك ، وهو أحد أجداد يزيد .  
 (٣) هكذا فى الأصل . وعندنا أن الكلمة محرفة عن ( انطدت ) أى ثبتت . وهى وزان افعل من وطد .  
 وكانت ارتطد ثم قلبت فاء الافعال تاء وأدغم المثل فى المثل . (٤) عترة الدين : جماعة الاسلام .  
 (٥) أحد الخوارج على الرشيد . (٦) غافضه : فاجاه على غرة . (٧) هو الوليد بن طريف الشارى .

لو أن غير شريكٍ أطاف به \* فاز الوليدُ بقدحِ الناضلِ الخِصَلِ<sup>(١)</sup>  
 وقتَ الدينِ يومَ الرِّسِّ فأعدلت \* منه قوائمُ قد أوفت على ميسل  
 ما كان جمعُهُم لما لقيتهم \* إلا كمثل نعامِ ربيعٍ مُنجفَلِ  
 تابوا ولو لم يتوبوا من ذنوبهم \* لأب جيشك بالأسرى وبالنفلِ  
 كم آمن لك نأى الدار مُمتنع \* أخرجته من حصون الملكِ والخولِ  
 يابى لك الدَّمُ في يوميك إن دُكرا \* عَضِبَ حُسامٌ وعرض غير مُبتدلِ  
 وما ريقين غزاةٍ من بيوتهم \* لا ينكحون ولا يؤتون من نكَلِ  
 خَلَفَتْ أجسادهم والطيرُ عاكفةً \* فيها وأقفلتهم هاما مع القفلِ  
 فانخرها لك في شيبان من مثل \* كذلك ما لبني شيبان من مثلِ  
 كم مشهدٍ لك لا تُحصي ماثره \* قَسَمْتَ فيه كرزقِ الإنسِ والخبَلِ  
 لله من هاشم في أرضه جيل \* وأنت وأبناك رُكنا ذلك الجبلِ  
 قد أعظموك فما تُدعى لهينة \* إلا للمُعْضلةِ تَسْتَنُّ<sup>(٣)</sup> بالعضلِ  
 يارب مكرمة أصبحت واحدا \* أعيت صناديدَ راموها فلم تُتَلِ  
 تَسَاغَلِ الناسُ بالدينا وزُخرفها \* وأنت من بذاك المعروفِ في شُغْلِ  
 أقسمت ما دُبَّ عن جدواك طالبها \* ولا دفعتَ اعتزامِ الحدِّ بالهزلِ  
 يابى لسائك منَعَ الجود سائله \* فما يلجج بين الجود والبخلِ  
 صدقت ظني وصدق الظنون به \* وحطَّ جودك عقْدَ الرُّحْلِ عن جملي

فقال له يزيد : قد أمرنا لك بخمسين ألف درهم فاقبضها وأعدر ، فخرج الحاجب فقال  
 لمسلم : قد أمرني أن أرهن ضيعة من ضياعه على مائة ألف درهم : خمسون ألفا منها لك  
 وخمسون ألفا لنفقته ، فأعطاه إياها . وكتب صاحب الخبر بذلك الى الرشيد ، فأمر ليزيد  
 بمائتي ألف درهم وقال : أفض الخمسين ألفا التي أخذها الشاعر وزده مثلها ، وخُذْ

(١) الناضل : المصيب . والخصل مثله . (٢) الرس : وادى أذربيجان . (٣) تستن بالعضل :

تتابع بالسر . والمعضلة : الداهية .

مائة ألف لنفقتك، فافتكّ ضيّعته وأعطى مسالما خمسين ألفا أخرى . ولما أنشده :  
« لا يعبق الطيب » البيت . قال بخاريتته : حرم علينا مسلم الطيب .

كان داود بن يزيد بن حاتم المهلبي يجلس للشعراء في السنة مجلسا واحدا، فيقصدهونه لذلك اليوم وينشدونه، فوجه إليه مسلم راويته بقصيدته التي أولها : « لا تدعُ بي الشوق » فقدم عليه يوم جلوسه للشعراء ولحقه بعقب خروجهم عنه ، فتقدم الى الحاجب وحسّر لثامه عن وجهه، ثم قال له : أستاذن لي على الأمير؛ قال : ومن أنت ؟ قال : شاعر ، قال : قد أنصرم وقتك وأنصرف الشعراء وهو على القيام؛ فقال له : ويحك ! إني قد وفدتُ على الأمير بشعر ما قالت العرب مثله، وكان مع الحاجب أدبٌ يفهم به ما يسمع، فقال : هاتِ حتى أسمع، فإن كان الأمر كما ذكرت أوصلتك إليه؛ فأنشده بعض القصيدة، فسمع شيئا يقصر عنه الوصف، فدخل على داود فقال له : قدم على الأمير شاعر بشعر ما قيل فيك مثله؛ فقال : أدخل قائله؛ فلما مثل بين يديه سلّم وقال : قدمت على الأمير — أعزّه الله — بمدح يسمعه فيعلم تقدّمى على غيرى ممن أمتدحه؛ فقال : هات، فلما أفتتح القصيدة وقال : « لا تدعُ بي الشوق » أستوى جالسا وأطرق حتى أتى الرجل على آخر الشعر، ثم رفع رأسه إليه فقال : أهذا شعرك؟ قال : نعم أيها الأمير؛ قال : في كم قلته يا قتي؟ قال : في أربعة أشهر أبقاك الله؛ قال : لو قلته في ثمانية أشهر لكنت محسنا، وقد أتممتك، لجودة شعرك وحمول ذكرك، فان كنت قائل هذا الشعر فقد أنظرتك أربعة أشهر في مثله، وأمرت بالإجراء عليك، فان جئتنا بمثل هذا الشعر وهبتُ لك مائة ألف درهم وإلا حرمتك، فقال : أو الإقالة أعزّ الله الأمير، قال : قد أقتك؛ قال : الشعر لمسلم بن الوليد وأنا راويته والوافد عليك بشعره؛ فقال : أنا ابن حاتم، إنك لما أفتتحت شعره فقلت : « لا تدعُ بي الشوق إني غير معمود » سمعت كلام مسلم يناديني، فأجبت نداءه وأستويت جالسا؛ ثم قال : يا غلام، أعطه عشرة آلاف درهم، وأحمل الساعة الى مسلم مائة ألف درهم . وهذه هي القصيدة :

- (١) لا تدعُ بي الشوقَ إلى غير معمود \* نهي النهي عن هوى الهيف الرعايد  
 لو شئتُ لاشتتُ راجعتُ الصبا ومشتُ \* في العيون وفانتني يجلود<sup>(٢)</sup>  
 سل ليلة الخيف هل أمضيتُ آخرها \* بالراح تحت نسيم الخرد الغيد  
 شججتُها بلعاب المزن فاعتزلتُ<sup>(٣)</sup> \* نسجين من بين محلول ومعقود  
 كلا الحديدين قد أطعمتُ حبرته<sup>(٤)</sup> \* لوال حي إلى عمرٍ وتخلد  
 أهلا بوافدة للشيب واحدة \* وإن ترأتُ بشخص غير مودود  
 لا أجمع الحلم والصهبا قد سكنتُ \* نفسى إلى الماء عن ماء العنايد  
 لم ينهني فند<sup>(٥)</sup> عنها ولا كبر \* لكن صحوتُ وغصني غير محضود  
 أوفى بي الحلم وأقتاد النهي طلقا \* شأوى وعفتُ الصبا من غير تفنيد  
 إذا تجافت بي إلهات عن بلد \* نازعت أرضا ولم أحفل بتمهيد  
 لا تطيبني المني عن جهد مطب<sup>(٦)</sup> \* ولا أحول لشيء غير موجود  
 ومجهل كاطراد السيف محتجز \* عن الأدلاء مسجور الصياخيد  
 تمشي الرياح به حسرى مؤهة \* حيرى تلوذ بأطراف الجلاميد  
 موقف المتين لا تمضي السبيل به \* إلا التخلل ريثا بعد تجهيد  
 قرينه الوخذ من خطارة سرج<sup>(٧)</sup> \* تفرى الفلاة بإرفال وتوخيد  
 اليك بادرتُ إسفار الصباح بها \* من جنح ليل رحيب الباع ممدود  
 وبلدة ذات غول لا سبيل بها \* إلا الظنون وإلا مسرح السيد  
 كأن أعلامها والآل يركبها \* بذن توافي بها نذر إلى عيد

(١) لا تدع بي الشوق، أى لا تدعنى مشتاقا . وسأله دعبل عن معنى ذلك فقال : لا تدعنى صريع الغواني فلست كذلك ، وكان لهذا اللقب كارها . ومعمود : عاشق . والهيف : الضامرات المحصور . (٢) أى ذهبت بجلدى . (٣) اعتزلت : اختلطت ، ويريد بالنسجين : ما ولى الماء من الخمر أسرع فيه الماء لخله ، وما ولى منها القاع بقى على حاله لم يخله الماء بعد . (٤) الحبرة : النعيم . (٥) الفند : اللوم . والمخضود : الواهن . (٦) أى لا تدعونى إلى نفسها . (٧) الخطارة : الناقة تحرك ذنبها . والسرج : الخفيفة .

كَلَّفَتْ أَهْوَالَهَا عَيْنًا مَوْرَقَةً \* إِلَيْكَ لَوْلَاكَ لَمْ تُكْحَلْ بِتَسْمِيدِ  
 حَتَّى أَتَيْتَ بِي الْأَمَالَ مُطْلَعًا \* لِلْيَسْرِ عِنْدَكَ فِي سِرْبَالِ مَحْسُودِ  
 مِنْ بَعْدِ مَا أَلْقَيْتَ الْأَيَّامَ لِي عَرَضًا \* مُلْقَى رَهِينٍ لِحَدِّ السَّيْفِ مَصْفُودِ  
 وَسَاوَرَتْنِي بِنَاتُ الدَّهْرِ فَأَمْتَحَنْتُ \* رَبْعِي بِمُحَلَّةٍ شَهْبَاءَ جَارُودِ  
 إِلَى بَنِي حَاتِمٍ أَدَى رِكَائِبِنَا \* خَوْضُ الدَّجَى وَسُرَى الْمَهْرِيَّةِ الْقُودِ  
 تَطْوِي النَّهَارَ فَإِنْ لَيْلٌ تَحْمَطُهَا \* بَاتَتْ تَحْمَطُهَا مَاتِ الْقَرَادِيدِ  
 مِثْلَ السَّمَامِ بَعِيدَاتِ الْمَقِيلِ إِذَا \* أَلْقَى الْمُهْجِيرُ يَدًا فِي كَلِّ صَيْخُودِ  
 حَلَّتْ بِدَاوُدَ فَاْمَتَحَتْ وَأَعْجَلَهَا \* حَذْوِ النَّعَالِ عَلَى أَيْنٍ وَتَحْرِيدِ  
 أَعْطَى فَأَفْنَى الْمُنَى أَدْنَى عَطِيَّتِهِ \* وَأَرْهَقَ الْوَعْدَ نُجْحًا غَيْرَ مَنْكُودِ  
 وَاللَّهُ أَطْفَأَ نَارَ الْحَرْبِ إِذْ سُعِرَتْ \* شَرْقًا بِمُوقِدِهَا فِي الْغَرْبِ دَاوِدِ  
 لَمْ يَأْتِ أَمْرًا وَلَمْ يَظْهَرْ عَلَى حَدَثٍ \* إِلَّا أَعْيَنَ بِتَوْفِيقٍ وَتَسَدِيدِ  
 مُوَحَّدِ الرَّأْيِ تَنْشَقُّ الظُّنُونُ لَهُ \* عَنْ كُلِّ مُلْتَبِسٍ مِنْهَا وَمَعْقُودِ  
 ثَمَنِي الْأُمُورُ لَهُ مِنْ نَحْوِ أَوْجُوهِهَا \* وَإِنْ سَلَكَنَّ سَبِيلًا غَيْرَ مَوْرُودِ  
 إِذَا أَبَاحَتْ حِمَى قَوْمٍ عَقُوبَتُهُ \* غَادَى لَهُ الْعَفْوُ قَوْمًا بِالْمَرَاصِيدِ  
 كَاللَّيْثِ بِلِ مِثْلِهِ اللَّيْثُ الْمَهْصُورِ إِذَا \* غَنَى الْحَدِيدُ غِنَاءً غَيْرَ تَغْرِيدِ  
 يَلْقَى الْمَنِيَّةَ فِي أَمْثَالِ عُدَّتِهَا \* كَالسَّيْلِ يَقْدِفُ جُلُودًا بِجَاهُودِ  
 إِنْ قَصَرَ الرَّيْحُ لَمْ يَمْسِ الْخَطَا عُدَا \* أَوْ عَمَّرَدَ السَّيْفُ لَمْ يَهْمَمْ بِتَغْرِيدِ  
 إِذَا رَعَى بَلَدًا دَانَى مَنَاهِلَهُ \* وَإِنْ بَنِينَ عَلَى شَحْطٍ وَتَبْعِيدِ  
 جَرَى فَادْرَكَ لَمْ يُعْنَفْ بِمِهْلَتِهِ \* وَأَسْتَوْدَعُ الْبَهْرَ أَنْفَاسَ الْمَجَاوِيدِ

(١) الرهين : الأسير . والمصفود : الموثق بالحديد . (٢) المحللة : السنة الجديدة . والجارود :  
 المنجردة من النبات . (٣) تحمطها : سال بها . والقرايد : جمع قردد ، وهو المرتفع من الجبال .  
 (٤) السمام : طائر يشبه القطا . والصيخود : شدة الحر . (٥) التحريد من الحرد ، وهو داء يصيب الإبل  
 في قوائمها . والأين : التعب . (٦) البهر : هو ما يعترى الإنسان عند العدو من اللهث وثنابغ النفس .

آلُ الْمُهَابِ قَوْمٌ لَا يَزَالُ لَهُمْ \* رِقِّ الصَّرِيحِ وَأَسْلَابُ الْمَدَاوِدِ <sup>(١)</sup>  
 مُظْفَرُونَ يُصِيبُ الْحَرْبُ أَنْفُسَهُمْ \* إِذَا الْفِرَارُ تَمَطَّى بِالْمَحَايِدِ <sup>(٢)</sup>  
 نَجَلٌ مَنَاجِبَ لَمْ يَعْدَمِ تِلَادُهُمْ \* فَتَى يَرْجَى لِنَقِضِ أَوْ لِتَوْكِيدِ  
 قَوْمٌ إِذَا هَدَاةٌ شَامَتْ سَيُوفَهُمْ <sup>(٣)</sup> \* فَإِنهَا عُقْلُ الْكُومِ الْمَقَاحِيدِ  
 نَفْسِي فِدَاؤُكَ يَا دَاوُدَ إِذْ عَلِقْتَ \* أَيَدِي الرَّدَى بِنَوَاصِي الضَّمْرِ الْقُودِ  
 دَاوَيْتَ مِنْ دَائِهَا كَرْمَانَ وَأَنْتَصَفْتَ \* بِكَ الْمُنُونِ لِأَقْوَامٍ مَجَاهِيدِ  
 مَلَأَتْهَا فَزَعًا أَخْلَى مَعَاقِلَهَا \* مِنْ كُلِّ أَبْلَغِ سَامِي الطَّرْفِ صَنِيدِ <sup>(٤)</sup>  
 لَمَّا نَزَلَتْ عَلَى أَدْنَى بِلَادِهِمْ \* أَلْقَى إِلَيْكَ الْأَقَاصِي بِالْمَقَالِيدِ  
 لَمَسْتَهُمْ بِيَدٍ لِلْعَفْوِ مُتَّصِلِ \* بِهَا الرَّدَى بَيْنَ تَلْيِينٍ وَتَشْدِيدِ  
 أَيْتَهُمْ مِنْ وَرَاءِ الْأَمْنِ مُطَّلَعًا \* بِالْخَيْلِ تَرْدِي بِأَبْطَالٍ مَنَاجِيدِ  
 وَطَارَ فِي إِثْرٍ مِنْ طَارَ الْفِرَارُ بِهِ \* خَوْفٌ يِعَارِضُهُ فِي كُلِّ أُخْدُودِ  
 فَاتُوا الرَّدَى وَظُبَاتُ الْمَوْتِ تَنْشُدُهُمْ \* وَأَنْتَ نَضَبُ الْمَنَايَا غَيْرُ مَنْشُودِ  
 وَلَوْ تَلَبَّثَ دِيَانَ لَهَا رَوَيْتُ <sup>(٥)</sup> \* مِنْهُ وَلَكِنْ شَآهَا عَدُوٌّ مَرءُودِ  
 أَحْرَزَهُ أَجَلٌ مَا كَادَ يُحْرِزُهُ \* فَتَرَّ يَطْوِي عَلَى أَحْشَاءِ مَفْؤُودِ <sup>(٦)</sup>  
 وَرَأْسُ مِهْرَانَ قَدْ رَكَّبتَ قَلْبَهُ \* لَدُنَّا كَفَاهُ مَكَانَ اللَّيْلِ وَالْحِيَدِ  
 قَدْ كَانَ فِي مَعزِلٍ حَتَّى بَعَثَتْ لَهُ \* أُمَّ الْمَنِيَّةِ فِي أَبْنَائِهَا الصَّيْدِ  
 أَجْنٌ أُمَّ أَسْلَمَتْهُ الْفَاضِحَاتُ إِلَى \* حَدٍّ مِنَ السَّيْفِ مِنْ يِعْلَاقِ بِهِ يُودِ  
 الْحَفْتَهُ صَاحِبِيهِ فَاسْتَمَرَّ بِهِمْ \* ضَرْبٌ يَفْرُقُ ضَبَاتِ الْقَمَاحِيدِ <sup>(٧)</sup>

(١) رِقِّ الصَّرِيحِ، أى استعباد الحر . والمداويد : الانجناد واحده مذود . (٢) المحاييد : الجبناء .

جمع محياد . (٣) الهداة : الفترة . (٤) الأبلغ : المتكبر .

(٥) شآها : سبقها . ومرءود : مرعوب . (٦) المنشود : الذى أصيب فواده . (٧) الضبات :

أوصال الرأس . والقماحيد : جمع قحودة وهى العظم الناقى فى مؤخر الرأس بين القفا وأعلى الرأس .

- أَعْدِرُ مِنْ قَرَمٍ مِنْ حَرْبٍ صَبَرْتُ لَهَا \* يَوْمَ الْحُصَيْنِ شِعَارٌ غَيْرُ مَجْحُودٍ <sup>(١)</sup>
- يَوْمَ اسْتَضَيْتُ سِجِسْتَانَ طَوَائِفُهَا \* عَلَيْكَ مِنْ طَالِبٍ وَتِرًا وَمَحْقُودٍ <sup>(٢)</sup>
- نَاهَضْتَهُمْ ذَائِدَ الْإِسْلَامِ تَقَرَّعَهُمْ \* عَنْهُ ثَلَاثٌ وَمِثْنِي بِالْمَوَاحِيدِ
- تَجُودُ بِالنَّفْسِ إِذْ أَنْتَ الضَّيْنُ بِهَا \* وَالْجُودُ بِالنَّفْسِ أَقْصَى غَايَةِ الْجُودِ
- تَلِكِ الْأَزَارِقِ إِذْ ضَلَّ الدَّلِيلُ بِهَا \* لَمْ يُخْطِهَا الْقَصْدُ مِنْ أَسْيَافِ دَاوُدَ
- كَانَ الْحُصَيْنُ يُرَجَى أَنْ يَفُوزَ بِهَا \* حَتَّى أَخَذَتْ عَلَيْهِ بِالْأَخَادِيدِ
- مَا زَالَ يَعْزِفُ بِالنُّعْمَى وَيَغْمِطُهَا \* حَتَّى اسْتَقَلَّ بِهِ عَوْدٌ عَلَى عَوْدِ
- وَضَعَتْهُ حَيْثُ تَرْتَابُ الزِّيَاحُ بِهِ <sup>(٣)</sup> \* وَتَحْسُدُ الطَيْرَ فِيهِ أَضْبَعُ الْبِيدِ
- تَغْدُو الضَّوَارِي فِتْرَمِيهِ بِأَعْيُنِهَا \* تَسْتَشِيقُ الْجَوَّ أَنْفَاسًا بِتَصْعِيدِ
- يَتَبَعْنَ أَفْيَاءَهُ طَوْرًا وَمَوْقِعَهُ <sup>(٤)</sup> \* يَلْبَغْنَ فِي عَلَقِي مِنْهُ وَتَجْسِيدِ
- فَكَانَ فَارِطٌ قَوْمٍ حَانَ مَكْرَهُمْ \* بِأَرْضِ زَادَانَ شَقِيٍّ فِي الْمَوَارِيدِ
- يَوْمَ جَرَّاشَةَ إِذْ شِيَانٌ مُوَجِّفَةٌ <sup>(٥)</sup> \* يَنْجُونَ مِنْكَ بِشَلْوِ مِنْهُ مَقْدُودِ
- زَاحَفْتَهُ بَابِنِ سَفِيَانٍ فَكَانَ لَهُ \* شَاءَ يَوْمَ بَطَّهَرَ الْغَيْبِ مَشْهُودِ
- نَجَا قَلِيلًا وَوَأَى زَجْرُ عَائِفِهِ \* بِيَوْمِهِ طَيْرَ مَنْحُوسٍ وَمَسْعُودِ
- وَلَّى وَقَدْ جَرَعَتْ مِنْهُ الْقَنَا جُرْعًا \* حَىَّ الْخَافَةَ مَيْتًا غَيْرَ مَوْدُودِ
- زَالَتْ حُشَاشَتُهُ عَنْ صَدْرٍ مُعْتَدِلِ \* دَانِي الْكُحُوبِ بَعِيدِ الصَّدْرِ أُمْلُودِ <sup>(٦)</sup>
- إِذَا السُّيُوفُ أَصَابَتْهُ تَقَطَّعَ فِي \* سُرَادِقِ بَحْوَامِي الْخَيْلِ مَمْدُودِ
- يَفْدِي بِمَا نَحَلَّتْهُ مِنْ خِلَافَتِهِ \* حُشَاشَةَ الرُّكُضِ مِنْ جَرْدَاءِ قَيْدُودِ <sup>(٧)</sup>
- حَلَّ اللَّوَاءِ وَخَالَ الْخُدْرَ عَائِدَهُ \* فَعَاذَ بِالْخُدْرِ تَرْبُ الْكَاعِبِ الرُّودِ

(١) أعذر: جاء بما يعذر عليه . (٢) أي أغرت طوائفها . (٣) ترتاب: أي تستنكر .

(٤) الأفياء: جمع فيء وهو الظل آخر النهار . والجسد: الدم . (٥) موجفة: سريعة .

(٦) أملود: أملس . (٧) الجرداء: قصيرة الشعر . والقيدود: الناقة الطويلة الظهر .

(١) وإن يكن شبيهاً حرباً وقد نحمدت \* فنائباً حيث لا هيد ولا هيد  
كل مثلت به في مثل خطته \* قتلاً وأجمعته في غير ملحد  
عافوا رضاك فعاقتهم بعقوتهم (٢) \* عن الحياة مناياهم لمعود  
وأنت بالسند اذ هاج الصريح بها \* وأستفدت حربها كيد المكايد  
وأستغزرت القوم كأساً من دماهم (٣) \* وأحدق الموت بالكرار والحيد  
رددت أهملها القصوى مخيسة \* وشمت بالبيض عورات المراسيد  
كنت المهلب حتى شك عالمهم \* ثم انفردت ولم تسبق بتسويد  
لم تقبل السلم إلا بعد مقدره \* ولا تألفت إلا بعد تبديد  
حتى أجابوك من مستأمن حذر \* راج ومتظير حتماً ومثود  
أهدى اليك على الشحاء ألفتهم \* موت تفرق في شتى عباديد  
وفي يدك بقايا من سراتهم \* هم لديك على وعد وتوعيد  
إن تعف عنهم فأهل العفو أنت وإن \* تمض العقاب فأمر غير مردود  
اسمع فإنك قد هيجت ملحمة \* وفدت منها بأرواح الصناديد  
أذف أبا مالك فيها يكك بها \* ويسع فيها يحد منك محدود  
يمضى بعزمك أو يجرى بشأوك أو \* يفرى بحدك كل غير محدود  
لا يعدمنك حمى الإسلام من ملك \* أقت قلته من بعد تأويد  
كفيت في الملك حتى لم يقف أحد \* على ضياع ولم يحزن لفقود  
أعطيتهم منك نصحا لا كفاء له \* وأيدوك بركن غير مهدود  
لم يبعث الدهر يوماً بعد ليلته \* إلا أنبعثت له بالبأس والجود  
أجرى لك الله أيام الحياة على \* فعيل حميد وجد غير منكود

(١) كلمتان يجرهما الإبل . (٢) بعقوتهم، أى بفنائهم . (٣) الأهمال : جمع همل ، وهو

الشيء المسيب ، ويراد به الصعب . ومخيسة : مذلة .

لا يفقد الدين خيلاً أت قائدها \* يُعهدن في كل ثغر غير معهود  
 محلات إذا آبت غنائمها \* ومقدمات على نصر وتأيد  
 هناك أنك مَعْدَى كَلِّ ملتبس \* جوداً وأنك مأوى كل مطرود  
 تستأنف الحمد في دهر أوائله \* موسومة بفعال منك محمود  
 إذا عزمتم على أمر بطشت به \* وإن أنلت فيلًا غير تصريد  
 عودت نفسك عادات خلقت لها \* صدق الحديث وإنجاز المواعيد

دخل الوليد على الفضل بن سهل لينشده شعراً، فقال له : أيها الكهل ، إني أجلك

عن الشعر فسل حاجتك ؛ قال : بل تستتم اليد عندي بأن تسمع ، فأنشده :

دُموعها من حذار البين تنسكب \* وقلبها مغرم من حرها يجب  
 جد الرحيل به عنها ففارقها \* لبينه اللهو واللذات والطرب  
 يهوى المسير إلى مرو ويحزنه \* فراقها فهو ذو نفسين يرتقب

فقال له الفضل : إني لأجلك عن الشعر ؛ قال : فأعني بما أحببت من عملك ، فولاه  
 البريد بجرجان<sup>(١)</sup> .

هجا مسلم قريشاً ونخر بالأنصار بشعر يمثل لك ناحية من نواحي العصبية بين القبائل

وهو يعتبر، إلى حد ما ، من الشعر السياسي ، فقال :

قل لمن تاه إذ بنا عز جهلا \* ليس بالتيه يفخر الأحرار  
 فتناهوا وأقصرُوا فلقد جا \* رت عن القصد منكم الأبصار  
 أيكم حاط ذا جوارٍ بعز \* قبل أن تحتويه من الدار  
 أوجبا أن يفوت قوما بوتر \* لم تزل تمتطيهم الأوتار  
 لم يكن ذلك فيكم فدعوا الفخر \* ربما لا يسوغ فيه افتخار  
 ونزارا ففاحروا تفضلهم \* ودعوا من له عبيد نزار

(١) بلدة عظيمة كانت بالقرب من بحر قرين إلى الجنوب الشرق منه .

فبنا عزّ منكم الذلّ والده \* سرّ عليكم برينه كزار  
 حاذروا دولة الزمان عليكم \* إنه بين أهله أطوار  
 فترّدوا ونحن للحالة الأو \* لى وللأوحد الأذلّ الصغار  
 فاخرتنا لما بسطنا لها الفخ \* رقريش ونفرها مستعار  
 ذكرت عزّها وما كان فيها \* قبل أن تستجيرنا مستجار  
 إنما كان عزّها في جبال \* ترتقيها كما ترتقى الوبار  
 أيها الفاخرون بالعز والعد \* زلقوم سواهم والفقار  
 أخبرونا من الأعزّ أألمد \* صور حتى أعتلى أم الأنصار  
 فلنا العز قبل عزّ قريش \* وقريش تلك الدهور تجار

فانبرى له ابن قنبر يحميه فقال :

ألا أمثل أمير المؤمنين بمسلم \* وأقلق به الأحشاء من كل مجرم  
 ولا ترجع عن قتله باستنابة \* فما هو عن شتم النبي مجرم  
 ولا عن مساواة له ولقومه \* قريشا بأصداء لِعَادِ وَجْهِهِمْ  
 ويفخر بالأنصار جهلا على الذي \* بنصرته فازوا بحظّ ومغنم  
 وسمّوا به الأنصار لا عزّ قائل \* أراد قريشا بالمقام المدمّم  
 ومنهم رسول الله أزي من أنتمى \* الى نسب زكّ ومجد مقدّم  
 وما كانت الأنصار قبل اعتصامها \* بنصر قريش في المحلّ المعظم  
 ولا بالألى يُعلون أقدار قومهم \* صداءٍ وخولانٍ ونخمٍ وسلهم  
 ولكمهم بالله عاذوا ونصرهم \* قريشا ومن يستعصم الله يعصم  
 فعزّوا وقد كانوا وطيون فيهم \* من الذل في باب من العزم بهم  
 يسومهم الفطيون مالا يسامه \* كريم ومن لا ينكر الظلم يظلم  
 وإن قريشا بالماثر فضلت \* على الخلق طرا من فصيح وأعجم

- فما بال هذا العليج ضلّ ضلاله \* يمد اليهم كف أجدم أغتم  
يُسامي قرينشا مسلم وهُم هم \* بمولى يمانى وبيت مهتم  
إذا قام فيه غيرهم لم يكن لهم \* مقام به من لؤم مبنى ومدعم  
جماسيس<sup>(١)</sup> أشباه القرود لو أنهم \* يباعون ما أتبعوا جميعا بدرهم  
وما مسلم من هؤلاء ولا ألى \* ولكنه من نسل عليج ملكم  
تولى زمانا غيرهم ثم ادعى \* اليهم فلم يكرم ولما يكرم  
فإن يك منهم فالنضير ولفهم \* مواليه لا من يدعى بالترثم  
وإن تدعه الأنصار مولى أسمهم \* بقافية تستكره الجلد بالدم  
عقابا لهم في إفكهم وأدعاهم \* لأقلف متقشوش الذراع مؤشم  
فلا تدعوه وأنفوا منه تسلموا \* بنفكوه من مقال وماثم  
وإلا فغضوا الطرف وانتظروا الردى \* إذا أختلفت فيكم صوارد أسهمى  
ولم تجدوا عنها مجنا يحنكم \* إذا أطلعت من كل فيج ومعلم  
وأنتم بنو أذئاب من أنتم له \* ولستم بأبناء السنام المقدم  
ولا بينى الرأس الرفيع محله \* فيسمو بكم مولى مسام ويتسمى  
فكيف رضيت أن يسامى نبيكم \* ببيتكم الرث القصير المهدم  
سأحطم من سامى النبي تطأولا \* عليه وأكوى منتهاء بميسى  
أعدل بيت يثربى بكعبة \* ثوتها قرينش فى المكان المحترم  
قرينش خيار الله والله خصهم \* بذلك فأتعس أيها العليج وأرغم  
ومن تدعى منه الولاء مؤثر \* إذا قيل للجارى الى المجد أقدم

وكان مسلم قال قصيدته فى قرينش وكتماها، فوَقعت إلى ابن قنبر وأجابه عنها، فاستعمل عليه وهتكه وأغرى به السلطان، فلم يكن عند مسلم فى هذا جواب أكثر من الانتفاء منها

(١) الجماسيس؛ اللطام فى الخلق والخلق.

ونسبها الى ابن قنبر والادعاء عليه أنه ألصقها به ونسبها اليه ليعرضه للسلطان وخافه ، فقال  
يتنفي من هذه القصيدة :

دعوت أمير المؤمنين ولم تكن \* هناك ولكن من يخف يجشم  
وانك اذ دعوا الخليفة ناصرا \* لكلمتني في السماء بسلم  
كذلك الصدى تدعوه من حيث لا ترى \* وان تتوهمه تمت في التوهم  
هجوت قريشا عامدا ونحلتني \* رؤيدك يظهر ما تقول فيعلم  
اذا كان مثلي في قبلي فإنه \* على ابن لوى قصرة غير منهم  
سيكشفك التعديل عما قذفتني \* به فتأخر عارفا أو تقدم  
فان قريشا لا يفادر ودها \* ولا يستمال عهدا بالترحم  
مضى سلف منهم وصلى بعقبهم \* لنا سلف في الأول المتقدم  
جروا بغيرنا سابقين بسبقهم \* كما أتبعك كف نواشر معضم  
وان الذي يسعى ليقطع بيننا \* كتمس اليربوع في حجر أرقم  
أضلك قرع الآبدات طريقها \* فأصبحت من عميائها في تهم  
وخانتك عند الجرى لما أتبعها \* تمم فحاولت العلاء بالتقحم  
فأصبحت ترميني بسهمي وتسبق \* يدى بيدي أصليت نارك فاضرم

ثم هجاه ابن قنبر بقصيدة أولها :

قل لعبد النضير مسلم الوغد \* يد الدني اللئيم سنخ النصاب  
أخس يا كلب اذ نجحت فاني \* لست ممن يجيب نبج الكلاب  
أفأرضي ومنصبي منصب العز \* وبيتي في ذروة الأحساب  
إن أخط الرفيع من ستمك بيتي \* بمهاجاة أوشب الاوشاب  
من اذا سئل من أبوه بدا مند \* به حياه يحميه رنجع الحساب

وإذا قيل حين يُقِيل من أذ \* ست ومن تعتريه في الأنساب  
 قلت ها هي ابن قنبر فتسر بد \* ست بذكري نخرألدی النسب  
 وهي قصيدة طويلة فلم يجبه عنها مسلم بشيء فقال فيه ابن قنبر أيضا :  
 لست أنفيك إن سواي نفاكا \* عن أبيك الذي له منماكا  
 ولماذا أنفيك يا بن الوليد \* من أب إن ذكرته أخراكا  
 ولو أني طلبت الأم منه \* لم أجده إن لم تكن أنت ذاكا  
 لو سواه أبوك كان جعلنا \* ه اذا الناس طاوعونا أبأكا  
 حاك دهرأ بغير حدق لبرد \* وتحكوك الأشعار أنت كذاكا

ثم هجاه بشعر أقدع فيه ، فبشئ إليه قوم من مشايخ الأنصار وأستعانوا بمشيخة من قراء  
 تميم وذوى الفضل والعلم ، فمشوا معهم إليه ، فقالوا : ألا تستحي من أن تهجو من لا يجيبك !  
 أنت بدأت الرجل فأجابك ، ثم عدت فكف ، وتجاوزت ذلك الى ذكر أعراض الأنصار التي  
 كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحميها ويذب عنها ويصونها لغير حال أحلت ذلك منهم ،  
 فما زالوا به يعظونه ويقولون له كل قول حتى أمسك عن المناقضة لمسلم فانقطعت .

ولسلم بن الوليد :

وإني وإسماعيل يوم وداعه \* لكالعمد يوم الروع فارقه النصل  
 أما والحبالات المترات بيننا \* وسائل أدتها المودة والوصل  
 لما خنت عهدا من إحاء ولا نأى \* بذكرك نأى عن ضميري ولا شغل  
 وإني في مالي وأهلي كأنني \* لنأيك لا مال لدى ولا أهل  
 يدركنيك الدين والفضل والحجا \* وقيل الخنا والخلم وألعم والجهل  
 فألفاك عن مذمومها متزها \* وألفاك في محمودها ولك الفضل  
 وأحمد من أخلاقك البخل إنه \* يعرضك لا بالمسال حاشا لك البخل  
 أمتيجمعأ تمرأ بانفقال هممة \* دغ الثقل وأحمل حاجة ما لها ثقل

ثناء كعرف الطيب يهدى لأهله \* وليس له إلا بنى خالد أهل  
فإن أغش قوما بعدهم أو أزورهم \* فكالوحش يستدنيه للقنص المحل

وله يرثي يزيد بن مزيد :

أحقُّ إنه أودى يزيد \* تأمل أيها الناعي المشيد  
أتدرى من نعت فكيف فاهت \* به شفتاك كان به الصعيد  
أحامي المجد والإسلام أودى \* فما للأرض ويحك لا تيمد  
تأمل هل ترى الاسلام مالت \* دعائمه وهل شاب الوليد  
وهل شيمت سيوف بنى نزار \* وهل وضعت عن الخيل اللبود  
وهل تسقى البلاد عشار مزن \* بدرتها وهل يخضر عود  
أما هدت لمصرعه نزار \* بلى وتقوض المجد المشيد  
وحل ضريحه إذ حل فيه \* طريف المجد والحسب التليد  
أما والله ما تنفك عيني \* عليك بدمعها أبدا تجود  
فإن تجد دموع لئيم قوم \* فليس لدمع ذى حسب جمود  
أبعد يزيد تختزن البواكي \* دموعا أو تُصان لها حدود  
لتبكت قبّة الإسلام لما \* وهت أطابها ووهى العمود  
ويبكك شاعر لم يبق دهر \* له نسبا وقد كسد القصيد  
فمن يدعوا الإمام لكل خطب \* ينوب وكل معضلة تؤود  
ومن ينجى الخميس إذا تعايا \* بحيلة نفسه البطل النجيد  
فإن تهلك يزيد فكل حي \* فريس للنية أو طريد  
ألم تعجب له أن المنايا \* فتكن به وهن له جنود  
لقد عزى ربيعة أن يوما \* عليها مثل يومك لا يعود

١٣ - العباس بن الأحنف<sup>(١)</sup>

قال إبراهيم بن العباس يصفه : كان والله من اذا تكلم لم يجب سامعه أن يسكت ، وكان فضيحا جميلا ظريف اللسان ، لو شئت أن تقول كلامه كله شعر لقلت .

وقال صالح بن عبد الوهاب : كان العباس من عرب نخراسان ومنشؤه ببغداد ، ولم تزل العلماء تقدمه على كثير من المحدثين ، ولا تزال قد ترى له الشيء البارع جدا حتى تلحقه بالمحسنين .

وقال الجاحظ : لولا أن العباس بن الأحنف أخذق الناس وأشعرهم ، وأوسعهم كلاما وخطارا ، ما قدر أن يكثر شعره في مذهب واحد لا يجاوزه ، لأنه لا يهجو ولا يمدح ولا يتكسب ولا يتصرف ، وما نعلم شاعرا ألزم فنا واحدا لزومه فأحسن فيه وأكثر .

أنشد الحرمازي للعباس بن الأحنف :

لا جزي الله دمع عيني خيرا \* وجزي الله كل خير لساني

تم دمي فليس يكتم شيئا \* ورأيت اللسان ذا كتمان

كنت مثل الكتاب أخفاه طي \* فاستدلوا عليه بالعنوان

ثم قال : هذا والله طراز يطلب الشعراء مثله فلا يقدرون عليه .

(١) كان العباس شاعرا غزلا مطبوعا من شعراء الدولة العباسية ، وله مذهب حسن ، ولد بياجة شعره رونق ، ولعانيه عدوية ولطف ، ولم يكن يجاوز الغزل الى مدح ولا هجاء ، ولا يتصرف في شيء من هذه المعاني . وقدمه أبو العباس المبرد في كتاب الروضة على نظرائه وأطب في وصفه ، وقال : رأيت جماعة من الرواة للشعر يقدمونه ، قال : وكان العباس من الظرفاء ولم يكن من الخلفاء ، وكان غزلا ولم يكن فاسقا ، وكان ظاهر النعمة ملوكي المذهب شديد النظر ، وذلك بين في شعره ، وكان قصده الغزل وشغله النسيب ، وكان حلوا مقبولا غزلا غزير الفكر واسع الكلام كثير التصرف في الغزل وحده ، ولم يكن هجاء ولا مدحا ، وله ديوان طبع مع ديوان ابن مطروح بالأستانة سنة ١٢٩٨ هـ ويجد أخباره وأشعاره في الأغاني (ج ٨ ص ١٥) وابن خلكان (ج ١ ص ٣٤٦) والشعر والشعراء (ص ٥٢٥) .

وكان أبو الهذيل العلاف يُغضبه ويلعنه لقوله :

إذا أردتُ سلواً كان ناصركم \* قلبي وما أنا من قلبي بمتصر  
فأكثرُوا أو أقلوا من إساءتكم \* فكل ذلك محمولٌ على القدر

فكان أبو الهذيل يلعنه ويقول : يعقد الكفر والفجور في شعره ، فقال العباس — وقال

محمد بن يحيى : وأظن أنه يهجو به أبا الهذيل وما سمعت للعباس هجاء غيره — :

يامن يكذب أخبار الرسول لقد \* أخطأت في كل ما أتى وما تذر  
كذبت بالقدر الحارى عليك فقد \* أذاك منى بما لا تشهى القدر

قيل للأصمعي : ما أحسن ما تحفظ للحدثين؟ قال : قول العباس بن الأحنف :

لو كنت عاتبة لسكن روعتي \* أملى رضاك وزرت غير مراقب  
لكن مللت فلم تكن لي حيلة \* صد الملول خلاف صد العاتب

ومما أنشده له إبراهيم بن العباس :

قالت ظلوم سمية الظلم \* مالى رأيتك ناحل الجسم  
يامن رمى قلبي فأقصده \* أنت العليم بموضع السهم

ولشعره الغزلي وقع في النفس ، فانهم كانوا يغنون كثيرا منه كقوله :

لو كنت عاتبة لسكن روعتي \* أملى رضاك وزرت غير مراقب  
لكن مللت فلم تكن لي حيلة \* صد الملول خلاف صد العاتب

وأنشده الأصمعي :

أأذنون لصب في زيارتكم \* فعندكم شهوات السمع والبصر  
لايضمر السوء إن طال الجلوس به \* عف الضمير ولكن فاسق النظر

فقال : ما زال هذا الفتى يدخل يده في جرابه فلا يخرج شيئا حتى أدخلها فأخرج هذا ،

ومن أدمن طلب شيء ظفر ببعضه .

وقال سعيد بن جُنَيْدٍ : ما أعرف أحسنَ من شعر العباس في إخفاء أمره حيث يقول :

أُرِيدُكَ بِالسَّلَامِ فَأَتَقِيمُهُم \* فَأَعْمِدُ بِالسَّلَامِ إِلَى سِوَاكَ  
وَأَكْثُرُ فِيهِمْ ضَحْكَى لِيَحْفَى \* فَسِنَى ضَاكًا وَالْقَلْبُ بَاكٍ

ومما تمثَّلَ به الواثقُ في شرَّكَانٍ بَيْنَهُ وَبَيْنَ بَعْضِ جِوَارِيهِ :

عَدَلٌ مِنَ اللَّهِ أَبْكَانِي وَأَضْحَكُنِي \* فَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَدَلٌ كُلُّ مَا صَنَعَا  
الْيَوْمَ أَبْكَى عَلَى قَلْبِي وَأَنْدَبَهُ \* قَلْبٌ أَلْحَ عَلَيْهِ الْحُبُّ فَانْصَدَعَا

ومما تمثَّلَ به أيضًا في مثل ذلك :

أَمَا تَحْسِينِي أَرَى الْعَاشِقِينَ \* بَلَى ثُمَّ لَسْتُ أَرَى لِي نَظِيرًا  
لَعَلَّ الَّذِي بِيَدَيْهِ الْأُمُورُ \* سَيَجْعَلُ فِي الْكُرْهِ خَيْرًا كَثِيرًا

وقال الزُّبَيْرُ : ابنُ الْأَحْنَفِ أَشْعَرُ النَّاسِ فِي قَوْلِهِ :

تَعْتَلُّ بِالشُّغْلِ عَنَا مَا تَكَلَّمْنَا \* الشُّغْلُ لِلْقَلْبِ لَيْسَ الشُّغْلُ لِلْبَدَنِ

ويقول : لا أعلم شيئًا من أمور الدنيا خيرها وشرها إلا وهو يصلح أن يتمثل فيه بهذا النصف الأخير .

وقال إسحاق : لقد ظُفِرَ ابْنُ الْأَحْنَفِ فِي قَوْلِهِ — يَصِفُ طَوْلَ عَهْدِهِ بِالنُّومِ — :

قِفَا خَبْرَانِي أَيُّهَا الرَّجُلَانِ \* عَنِ النَّوْمِ إِنْ الْمَجْرَعُ عَنْهُ نَهَانِي

وَكَيْفَ يَكُونُ النَّوْمُ أَمْ كَيْفَ طَعْمُهُ \* صِفَا النَّوْمَ لِي إِنْ كُنْتُمْ تَصِفَانِ

على قلة إعجابه بمثل هذه الأشعار .

قال أحمد بن إبراهيم : رأيت سامة بن عاصم ومعه شعر العباس بن الأحنف ، وقلت

مثلك أعزك الله يحمل هذا ! فقال : ألا أحمل شعر من يقول :

أَسَأْتُ إِذْ أَحْسَنْتُ ظَنِّي بِكُمْ \* وَالْحَزْمُ سَسْوَةُ الظَّنِّ بِالنَّاسِ

يُقَلِّقُنِي الشُّعُوقُ فَاتِيكُمْ \* وَالْقَلْبُ مَمْلُوءٌ مِنَ الْيَاسِ

وقال أحمد بن إبراهيم: أتاني أعرابي فصيحٌ ظريف، فجعلتُ أكتب عنه أشياءً حسناً،  
ثم قال: أنشدني لأصحابكم الحَضْرِيَّين، فأنشدته للعباس بن الأحنف:  
ذَكَرْتُكَ بِالتَّفَاحِ لِمَا شَمِمْتُهُ \* وَبِالرَّاحِ لِمَا قَابَلْتُ أَوَّجَهُ الشَّرِيبِ  
تَذَكَّرْتُ بِالتَّفَاحِ مِنْكَ سَوَالِفًا \* وَبِالرَّاحِ طَمَعًا مِنْ مَقْبَلِكِ العَدْبِ  
فقال: هذا عندك وأنت تكتب عني! لا أنشدك حرفاً بعد هذا.

وقال عبد الله بن العباس بن الفضل: ما أعرف في العراق أحسن من قول ابن الأحنف:  
سَبَحَانَ رَبِّ العِلا مَا كَانَ أَغْفَلَنِي \* عَمَّا رَمَنِي بِهِ الأَيَّامُ وَالزَّمَنُ  
مَنْ لَمْ يَدُقْ فِرْقَةَ الأَحْبَابِ ثُمَّ يَرَى \* آثَارَهُمْ بَعْدَهُمْ لَمْ يَدْرِ مَا الحَزَنُ  
قال حُسين بن الضَّحَّاك: لوجاء العباس بقول ماقاله في بيتين في أبياتٍ لُعدِر، وهو قوله:  
لَعَمْرُكَ مَا يَسْتَرِيحُ المَحَبُّ حَتَّى يَبُوحَ بِأَسْرَارِهِ  
فَقَدْ يَكْتُمُ المَرْءُ أَسْرَارَهُ \* فَتَنْظَهُرُ فِي بَعْضِ أَشْعَارِهِ  
ثم قال: أما قوله في هذا المعنى الذي لم يتقدمه فيه أحد فهو:

الحبُّ أَمَلُكَ لِلذَّوَادِ بِقَهْرِهِ \* مِنْ أَنْ يُرَى لِلسَّتْرِ فِيهِ نَصِيبُ  
وَإِذَا بَدَأَ سُرَّ اللَّيْبُ فَإِنَّهُ \* لَمْ يَسُدُّ إِلَّا وَالتَّقَى مَغْلُوبُ

وقال أبو العتاهية: ما حسدتُ أحداً إلا العباس بن الأحنف في قوله:  
إِذَا امْتَنَعَ القَرِيبُ فَلَمْ تَنَلْهُ \* عَلَى قَرَبٍ فَذَلِكَ هُوَ البَعِيدُ

وقال الكندي: العباس بن الأحنف مَلِيحٌ ظريفٌ حَكِيمٌ جَزَلٌ فِي شَعْرِهِ، وَكَانَ قَلِيلًا  
مَا يُرِضِينِي الشَّعْرَ، فَكَانَ يُنْشِدُهُ كَثِيرًا:

أَلَا تَعَجَّبُونَ كَمَا أُعْجِبُ \* حَبِيبٌ يُسِيءُ وَلَا يُعْتَبُ  
وَأَبْنَى رِضَاءٍ عَلَى سُخْطِهِ \* فَيَأْبَى عَلَيَّ وَيَسْتَصْعِبُ  
فَيَأْتِي حَظِّي إِذَا مَا أَسَأُ \* تَأْتِيكَ تَرْضَى وَلَا تَغْضَبُ

وكان ابراهيم الموصلي مشغولاً بشعر العباس فيغني في كثير من شعره، فما غني فيه :  
 وقد مُلئت ماء الشباب كأنها \* قضيبٌ من الرِّيحان رِيَّانٍ أَخْضَرُ  
 هم كَتَمُونِي سِرِّهِمْ حِينَ أَزَمَعُوا \* وقالوا اتَّعَدْنَا لِلرَّوَّاحِ وَبَكَرُوا  
 ومنه :

تَمَنَّى رَجُلًا مَا أَحْبَبُوا وَإِنَّمَا \* تَمَنَيْتُ أَنْ أَشْكُوَ إِلَيْكَ وَتَسْمَعَا  
 أَرَى كُلَّ مَعْشُوقِينَ غَيْرِي وَغَيْرَهَا \* قَدْ اسْتَعَذَبَا طَوْلَ الْهَوَى وَتَمَتَّعَا  
 ومنه :

يَكْتُ عَيْنِي لِأَنْوَاعٍ \* مِنَ الْحُزْنِ وَأَوْجَاعٍ  
 وَإِنِّي كُلَّ يَوْمٍ عَنْكُمْ \* يَحْطِي بِي السَّاعِي  
 أَعِيشِ الدَّهْرَ إِنْ عَشْتُ \* بِقَلْبِ مَنْكِ مُرْتَاعٍ  
 وَإِنْ حَلَّ بِي الْبَعْدُ \* سَيَنَعَانِي لِكَ النَّاعِي

وقال الواثق جلسائه : أريد أن أصنع لحناً في شعر معناه أن الإنسان كائناً من كان لا يقدر على الاحتراس من عدوه، فهل تعرفون في هذا شيئاً؟ فأشددوه ضرورياً من الأشعار، فقال : ما جئتم بشيء مثل قول العباس بن الأحنف :

قَلْبِي إِلَى مَا ضَرَّنِي دَاعِي \* يَكْثُرُ أَسْقَامِي وَأَوْجَاعِي  
 كَيْفَ احْتَرَّاسِي مِنْ عَدُوِّي إِذَا \* كَانَ عَدُوِّي بَيْنَ أَضْلَاعِي  
 أَسْلَمْنِي لِلْبِّ أَشْيَاعِي \* لِمَا سَعَى بِي عِنْدَهَا السَّاعِي  
 لَقَلَّمَا أَبْتَقِي عَلَى كُلِّ ذَا \* يُوشِكُ أَنْ يَنَعَانِيَ النَّاعِي  
 ومما غني فيه من شعره :

أَبْيَكِي الَّذِينَ أَذَاقُونِي مَوْتَهُمْ \* حَتَّى إِذَا أَيَقْظُونِي لِلْهَوَى رَقَدُوا

وقال ابراهيم بن العباس : ما رأيت كلاماً محدثاً أجزل في رقة ، ولا أصعب في سهولة ، ولا أبلغ في إيجاز ، من قول العباس بن الأحنف :

تَعَالَى نَجْدُ دَارِسِ الْعَهْدِ بَيْنَنَا \* كَلَّانَا عَلَى طَوْلِ الْحَفَاءِ مَلُومُ

وأشده إبراهيم بن العباس للأحنف :

إن قال لم يفعل وإن سئل لم \* يسئد وإن عوتب لم يعتب  
صب بعضياني ولو قال لي \* لا تشرب البارد لم أشرب  
إليك أشكور رب ما حل بي \* من صد هذا المذنب المغضب

ثم قال : هذا والله الكلام الحسن المعنى ، السهل المورد ، القريب المتناول ، المليح اللفظ ، العذب المستمع .

ومما غنى فيه من شعره :

نام من أهدى لي الأرقا \* مستريحا سامني قلعا  
لو بييت الناس كلهم \* بسهادي بيص الحدقا  
كان لي قلب أعيش به \* فاصطلي بالحب فاحترقا  
أنا لم أرزق مودتكم \* إنما للعبد ما رزقا

وقال ابن المعتز : لو قيل : ما أحسن شيء تعرفه لقلت : شعر العباس بن الأحنف :

قد سحب الناس أذيال الظنون بنا \* وفرق الناس فينا قولهم فرقا  
فكاذب قد رمى بالحب غيركم \* وصادق ليس يدرى أنه صدقا

ومما تمثل به الفضل بن الربيع في أمر كان بينه وبين إحدى جواريه :

تمثل عظيم الذنب ممن تجبه \* وإن كنت مظلوما فقل أنا ظالم  
فإنك إلا تغفر الذنب في الهوى \* يفارقك من تهوى وأنفك راغم

أشده محمد الموصلي قصيدته التي يقول فيها :

كل شيء أقوى عليه ولكن \* ليس لي بالفراق منك يدان

بفعل يستحسنه ويردده ، فقال له عبد الله بن ربيعة الرقي : أنت الفداء لمن ابتدأ هذا

المعنى فأحسن فيه حيث يقول — وهو العباس بن الأحنف — :

سلبتني من السرور ثياباً \* وكسنتني من الهموم ثياباً  
كلما أغلقت من الوصل باباً \* فتحت لي الى المنية باباً  
عدتني بكل شيء سوى الصدق \* فذقت كالصدود عذاباً

قال الرياشي - وقد ذكر عنده العباس بن الأحنف - : والله لو لم يقل من الشعر  
إلا هذين البيتين لكفياً :

أحرم منكم بما أقول وقد \* نال به العاشقون من عشقوا  
صرت كأي ذبالة نصبت \* تضيء للناس وهي تحترق

ألف الرشيد العباس بن الأحنف، فلما خرج الى خراسان طال مقامه بها، ثم خرج الى  
أرمينية والعباس معه، فاشتاق الى بغداد، فعارضه في طريقه، فأنشده :

قالوا خراسان أقصى ما يراد بنا \* ثم القول فقد جئنا خراساناً  
ما أقدر الله أن يدني علي شحيط \* سكان دجلة من سكان جیحاناً  
مضى الذي كنت أرجوه وأمله \* أما الذي كنت أخشاه فقد كانا  
عين الزمان أصابتنا فلا نظرت \* وعدت بصنوف الهجر ألوانا

فقال له الرشيد : قد اشتقت يا عباس، وأذنت لك خاصة، وأمر له بثلاثين ألف درهم .

وقال مصعب الزبيري : العباس بن الأحنف وعمر بن أبي ربيعة ما ابتدلا شعرهما  
في رغبة ولا رهبة، ولكن فيما أحباه، فلزما فناً واحداً لولزمه غيرهما ممن يكثر إكثارهما  
لضعف فيه .

١٤ - ابن مناذر<sup>(١)</sup>

كان يَحْوِي حَوْعَدِيَّ بن زَيْدٍ في شِعْرِهِ، وَيَمِيلُ إِلَيْهِ وَيَقْدَمُهُ، وَقَدْ مَدَحَ آلَ بَرْمَكٍ وَغَيْرِهِمْ . وَلَمَّا نَكَبَتِ الْبَرَامِكَةُ وَالَّتِ الْوِزَارَةُ إِلَى عَدُوِّهِمُ الْفَضْلِ بنِ الرَّبِيعِ أَصْبَحَ شِعْرَاءُ الْبَرَامِكَةِ فِي خَطَرٍ، فَأَرَادَ ابْنُ مُنَازِرٍ أَنْ يَتَقَرَّبَ إِلَى الرَّشِيدِ طَلَبًا لِلرِّزْقِ، فَأَعْتَمَ ذَهَابَهُ إِلَى الْحَجِّ وَتَقَدَّمَ إِلَيْهِ يَوْمَ التَّرْوِيَةِ بِقَصِيدَةٍ، فَالْحَ الْبِشْرُ فِي وَجْهِ الرَّشِيدِ؛ فَقَالَ الْفَضْلُ بنِ الرَّبِيعِ لِلرِّشِيدِ : هَذَا شَاعِرُ الْبَرَامِكَةِ ! فَعَبَسَ الرَّشِيدُ؛ فَقَالَ الْفَضْلُ : مُرَّهْ أَنْ يُشِدَّكَ قَوْلَهُ فِيهِمْ : أَنَا نَا بَنُو الْأَمْلَاقِ مِنْ آلِ بَرْمَكٍ؛ فَأَمْرُهُ، فَاعْتَذَرَ، فَالْحَ عَلَيْهِ، فَانْشَدَهُ هَذِهِ الْقَصِيدَةَ الَّتِي يُطْرَى بِهَا الْبَرَامِكَةُ :

أَنَا نَا بَنُو الْأَمْلَاقِ مِنْ آلِ بَرْمَكٍ \* فَيَا طَيْبَ أَخْبَارٍ وَيَا حَسَنَ مَنَظَرٍ  
إِذَا وَرَدُوا بِطَحَاءِ مَكَّةَ أَشْرَقَتْ \* بِيحْيَى وَبِالْفَضْلِ بنِ يَحْيَى وَجَعْفَرَ  
فَنَظُمَ بَغْدَادٌ وَيَجْلُونَا الدَّجَى \* بِمَكَّةَ مَا حَجَّوْا ثَلَاثَةَ أَفْئُرٍ  
فَمَا صَلَّحَتْ إِلَّا بِالْجُودِ أَكْفُهُمْ \* وَأَرْجُلُهُمْ إِلَّا لِأَعْوَادِ مَنَبَرٍ  
إِذَا رَاضَ بِحْيَى الْأَمْرَ ذَلَّتْ صِعَابُهُ \* وَحَسْبُكَ مِنْ رَاعٍ لَهُ وَمُدَبِّرٍ  
تَرَى النَّاسَ إِجْلَالًا لَهُ وَكَانَهُمْ \* غَرَانِيقَ مَاءٍ تَحْتَ بَازٍ مُصْرَصِرٍ<sup>(٢)</sup>

وَلَمَّا فَرَّغَ مِنْهَا أَتَبَعَ ذَلِكَ قَوْلُهُ : « كَانُوا أَوْلِيَاءَكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لِمَا مَدَحْتُهُمْ » فَأَمَرَ الرَّشِيدُ أَنْ يُلْطَمَ، فَلَطَمُوهُ، وَأَمَرَ أَنْ يُسْحَبَ، فَسَحَبُوهُ وَخَرَجَ لَا يَلْوِي عَلَى شَيْءٍ؛ فَلَقِيَهُ

(١) هو محمد بن مناذر، مولى لبنى يربوع، ويكنى أبا جعفر، شاعر فصيح، مقدم في العلم باللغة وإمام فيها، حتى أخذ عنه أكابر أهلها. وكان في أول أمره يتعبد ثم عدل عن ذلك، فبهجا الناس وتهتك وخلع وقذف أعراض أهل البصرة حتى نفى عنها إلى الحجاز، فمات هناك سنة ١٩٨ هـ. وتجد أخباره في الأغاني (ج ١٧ ص ٩) والشعر والشعراء (ص ٥٥٣).  
(٢) الغرائيق: جمع غرنوق، وهو طائر مائي أسود وقيل أبيض يشبه الكركي.  
(٣) مصرصر: صائح بشدة.

أبو نواس فدفن إليه صرة فيها ثلاثمائة دينار ، وقال له : استعن بهذه وأعدرنى . ولم يعد  
أبن مناذر يرى خيراً بعد البرامكة .

قال الحسن بن علي كما عند باب سُفْيَان بن عُيَيْنَةَ وقد هَرَبَ منا وعنده الحسن بن علي  
التَّخْتَاخَ ورجلٌ من أصحاب الرشيد ، فخلا بهم وليس يأذن لنا ، فجاء أبن مناذر فقرب من  
الباب ثم رفع صوته فقال :

بِعَمْرٍو وَبِالزُّهْرِيِّ وَالسَّلَفِ الْأُلَى \* بِهِمْ ثَبَّتَ رِجْلَاكَ عِنْدَ الْمُقَادِمِ  
جَعَلْتَ طَوَالَ الدَّهْرِ يَوْمًا لِصَالِحٍ \* وَيَوْمًا لِصَبَّاحٍ وَيَوْمًا لِلْحَاتِمِ  
وَلِلْحَسَنِ التَّخْتَاخَ يَوْمًا وَدُونِهِمْ \* خَصَصْتَ حَسِينًا دُونَ أَهْلِ الْمَوَاسِمِ  
نَظَرْتُ وَطَالَ الْفِكْرُ فَيْكَ فَلَمْ أَجِدْ \* رَحَاكَ جَرْتُ إِلَّا لِأَخْذِ الدَّرَاهِمِ

فخرج سُفْيَانُ وفي يده عصا وصاح : خذوا الفاسق ، فهرب أبن مناذر منه وأذن لنا فدخلنا .  
كان الرشيد قد وصل أبن مناذر مَرَاتٍ صَلَاتٍ سِنِيَّةً ، فلما مات الرشيد رثاه بقوله :

مَنْ كَانَ يَبْكِي لِلْعَلَا \* مَلِكًا وَلِلْهِمَمِ الشَّرِيفِ  
فَلْيَكِ هَارُونَ الْخَلِيدِ \* فَتَةً لِلْخَلِيفَةِ لِلْخَلِيفِ

قال علي بن محمد النَّوْفَلِيُّ : رأيتُ أبن مناذر في الحج سنة ثمان وتسعين ومائة وهو قد كُفِّ  
بصره تقوده جويرية حرة وهو واقف يشتري ماء قربة ، فرأيتُه وريح الثوب والبدن ، فلما  
صرنا إلى البصرة أُنْتَنَا وفاته في تلك الأيام .

كان يحيى بن زياد يُرمَى بالزندقة ، وكان من أظرف الناس وأنظفهم ، فكان يقال :  
أظرف من الزنديق ، وكان الحاركي ، واسمه محمد بن زياد ، يُظهر الزندقة تطارفاً ، فقال فيه  
أبن مناذر :

يَا أبن زِيَادٍ يَا أَبَا جَعْفَرٍ \* أَظْهَرْتَ دِينَا غَيْرَ مَا تُخْفِي  
مُزِنْدَقُ الظَّاهِرِ بِاللَّفْظِ فِي \* بَاطِنِ إِسْلَامٍ فَتَى عَفِّ  
لَسْتَ زِنْدِيقِي وَلَكِنَّا \* أَرَدْتَ أَنْ تُوسَمَ بِالظَّرْفِ

ومن قوله يرى سفيان بن عيينة :

يُجِنِّي مِنَ الْحِكْمَةِ نُورَهَا \* مَا تَشْتَهَى الْأَنْفُسُ أَلْوَانَا  
 يَا وَاحِدَ الْأُمَمَةِ فِي عِلْمِهِ \* لَقِيتَ مِنْ ذِي الْعَرْشِ غُفْرَانَا  
 رَاحُوا بِسُفْيَانَ عَلَى نَعْشِهِ \* وَالْعِلْمُ مَكْسُوسِينَ أَكْفَانَا  
 إِنْ الَّذِي غُوْدِرَ بِالْمُنْحَنِ \* هَدَّ مِنَ الْإِسْلَامِ أَرْكَانَا  
 لَا يُبْعِدُنكَ اللَّهُ مِنْ مَيِّتٍ \* وَوَرَّثَنَا عَلِمًا وَأَحْزَانَا

خطب أبو أمية امرأة من تقيف فرد عنها، وتصدى للقاضي أن يضمه مالا من أموال

اليتامى فلم يجبه الى ذلك ولم يثق به، فقال فيه ابن مناذر :

أَبَا أُمِيَّةَ لَا تَغْضَبْ عَلَيَّ فَا \* جَزَاءُ مَا كَانَ فِيَا بَيْنَنَا الْغَضَبُ  
 إِنْ كَانَ رَدَّكَ قَوْمٌ عَنْ فَتَاهُمْ \* فَفِي كَثِيرٍ مِنَ الْخَطَابِ قَدْ رَغِبُوا  
 قَالُوا عَلَيْكَ دِيُونٌ مَا تَقُومُ بِهَا \* فِي كُلِّ عَامٍ بِهَا تُسْتَحَدَّثُ الْكُتُبُ  
 وَقَدْ تَقَحَّمُ مِنْ نَحْسِينَ غَايَتَهَا \* مَعَ أَنَّهُ ذُو عِيَالٍ بَعْدُ مَا أَنْشَعُوا  
 وَفِي الَّتِي فَعَلَ الْقَاضِي فَلَا تَجِدُنْ \* فَلَيْسَ فِي تِلْكَ لِي ذَنْبٌ وَلَا ذَنْبُ  
 أُرِدْتُ أَمْوَالَ أَيْتَامٍ تُضَمُّنُهَا \* وَمَا يُضَمَّنُ إِلَّا مَنْ لَهُ تَسَبُّ

قال له جعفر بن يحيى قل في وفي الرشيد شعرا تصف فيه الألفة بيننا، فقال :

قَدْ تُقَطِّعُ الرَّحِمَ الْقَرِيبُ وَتُكْفِرُ النَّدْ \* نَعْمَى وَلَا كَتَقَارِبِ الْقَابِلِينَ  
 يُدْنِي الْهَوَى هَذَا وَيُدْنِي ذَا الْهَوَى \* فَإِذَا هُمَا نَفْسٌ تُرَى نَفْسَيْنِ

١٥ - صالح بن عبد القدوس<sup>(١)</sup>

كان متهما بالزندقة، فبلغ إلى المهديّ - خبرُ زندقته، فبعث إليه يستقدمه من دمشق، وكان قد رحل إليها وهو شيخ طاعن في السن، فلما جاء بغداد ومثّل بين يدي المهديّ قال له المهديّ: ألسنت القائل:

والشيخ لا يترك أخلاقه \* حتى يُورَى في ثرى رمسه

قال: بلى يا أمير المؤمنين! قال: وأنت لا تترك أخلاقك حتى تموت؛ فأمر به، فقتل وصُلب على جسر بغداد سنة ١٦٧ هـ. وأكثر شعره في الحكم الفلسفية.

ومن أحسن أقواله القصيدة التي منها ذلك البيت، وهو يقول فيها:

لا يبلغ الأعداء من جاهل \* ما يبلغ الجاهل من نفسه

والشيخ لا يترك أخلاقه \* حتى يُورَى في ثرى رمسه

إذا أرعوى عاد إلى جهله \* كذي الضنا عاد إلى نكسه

وإن من أدبته في الصبا \* كالعود يسقى الماء في غرسه

حتى تراه مورقا ناضرا \* بعد الذي أبصرت من يسه

وقوله:

لا يعجبك من يصون ثيابه \* حذر الغبار وعرضه مبدول

ولربما أفقر الفتى فرأيتَه \* دنس الثياب وعرضه مغسول

(١) هو صالح بن عبد القدوس بن عبد الله بن عبد القدوس، من حكاة الشعراء، متهم بالزندقة، قوي الحجّة، له منزلة سامية عند أهل مذهبه. نشأ في البصرة، وكان يقص على الناس ويعظهم. توفي سنة ١٦٧ هـ. وتجد أكثر أخباره في فوات الوفيات (ج ١ ص ١٩١) والدميري (ج ١ ص ٢٦).

وكان فيه ميل الى العزلة والانتقاطع عن الناس شأن الفلاسفة؛ ومن ذلك قوله :

أَنْسَتْ بَوَحْدَتِي وَلَزِمْتُ بَيْتِي \* فَتَمَّ الْعِزُّ لِي وَتَمَّ السَّرُورُ  
وَأَدْبَنِي الزَّمَانُ فَلَيْتَ أَنِّي \* هُجِرْتُ فَلَا أَزَارُ وَلَا أَزُورُ  
وَلَسْتُ بِقَائِلٍ مَا دَمْتُ حَيًّا \* أَقَامَ الْجُنْدُ أَمَ نَزَلَ الْأَمِيرُ

وهو القائل :

إذا لم تستطع شيئاً فدعه \* وجاوزه الى ما تستطيع

وله قصيدة حكيمة أخلاقية بديعة، وهي التي يقول فيها :

الْمَرْءُ يَجْعُ وَالزَّمَانُ يُفْرَقُ \* وَيُظَلُّ يَرْقَعُ وَالْخَطُوبُ تُمْرَقُ  
وَلَأَنْ يُعَادِيَ عَاقِلًا خَيْرٌ لَهُ \* مِنْ أَنْ يَكُونَ لَهُ صَدِيقٌ أَحْمَقُ  
فَارْبَابًا بِنَفْسِكَ أَنْ تَصَادِقَ أَحَقًّا \* إِنْ الصَّدِيقَ عَلَى الصَّدِيقِ مُصَدِّقُ  
وَزِنِ الْكَلَامَ إِذَا نَطَقْتَ فَإِنَّمَا \* يُبْدِي عَقُولَ ذَوِي الْعُقُولِ الْمُنْطِقُ  
وَمِنَ الرِّجَالِ إِذَا آسَتُوا أَخْلَافَهُمْ \* مَنْ يُسْتَشَارُ إِذَا اسْتُشِيرَ فَيُطْرَقُ  
حَتَّى يُحَلَّ بِكُلِّ وَادٍ قَلْبُهُ \* فَيَرَى وَيَعْرِفُ مَا يَقُولُ فَيَنْطِقُ  
لَا أَلْفِينِكَ ثَاوِيَا فِي غَرْبَةٍ \* إِنْ الْغَرِيبَ بِكُلِّ سَهْمٍ يَرْشِقُ

وله منها :

مَا النَّاسُ إِلَّا عَامِلَانِ فَعَامِلٌ \* قَدَمَاتٍ مِنْ عَطِيشٍ وَأَخْرَبَعَرَقُ  
وَالنَّاسُ فِي طَلْبِ الْمَعَاشِ وَإِنَّمَا \* بِالْجَدِّ يُرْزَقُ مِنْهُمْ مَنْ يُرْزَقُ  
لَوْ يُرْزَقُونَ النَّاسُ حَسَبَ عَقُولِهِمْ \* أَلْفَيْتَ أَكْثَرَ مَنْ تَرَى يَتَصَدَّقُ  
لَكِنَّهُ فَضْلُ الْمَلِكِ عَلَيْهِمْ \* هَذَا عَلَيْهِ مُوسَعٌ وَمُضِيقُ  
وَإِذَا الْجَنَازَةُ وَالْعَرُوسُ تَلَاقِيَا \* وَرَأَيْتَ دَمْعَ نَوَائِحٍ يَتَرَقَّرَقُ  
سَكَتَ الَّذِي تَبِعَ الْعَرُوسَ مُبَهَّتًا \* وَرَأَيْتَ مَنْ تَبِعَ الْجَنَازَةَ يَنْطِقُ  
بَقِيَ الَّذِينَ إِذَا يَقُولُوا يَكْذِبُوا \* وَمَضَى الَّذِينَ إِذَا يَقُولُوا يَصَدِّقُوا

وله من قصيدته المعروفة بالزينية :

وَأَبْدَأُ عَدُوَّكَ بِالتَّحِيَّةِ وَتَكُنْ \* مِنْهُ زَمَانُكَ خَائِفًا تَتَرَقَّبُ  
 وَأَحْذَرُهُ إِنْ لَاقَيْتَهُ مُتَبَسِّمًا \* فَالليث يَبْدُو نَابُهُ إِذْ يَغْضَبُ  
 إِنْ العَدُوَّ وَإِنْ تَقَادَمَ عَهْدُهُ \* فَالْحَقْدُ بَاقٍ فِي الصَّدُورِ مُغَيَّبُ  
 وَإِذَا الصَّديقُ لَقِيتهُ مُتَمَلِّقًا \* فَهُوَ العَدُوُّ وَحَقُّهُ يُتَجَنَّبُ  
 لَا خَيْرَ فِي وُدِّ أَمْرِي مُتَمَلِّقِي \* حُلُوِّ اللِّسَانِ وَقَلْبُهُ يَتَلَهَّبُ  
 يَلْقَاكَ يَحْلِفُ أَنَّهُ بِكَ وَائِقُ \* وَإِذَا تَوَارَى عَنْكَ فَهُوَ العَقْرَبُ  
 يُعْطِيكَ مِنْ طَرْفِ اللِّسَانِ حَلَاوَةَ \* وَيُرْوِعُ مِنْكَ كَمَا يُرْوِعُ التَّلْعَبُ  
 وَصِلِ الكِرَامَ وَإِنْ رَمَوَكَ بِجَفْوَةٍ \* فَالصَّفْحُ عَنْهُمْ وَالتَّجَاوُزُ أَصْوَبُ  
 وَأَخْتَرِ قَرِينَكَ وَاصْطَفِيهِ تَفَانِحًا \* إِنْ القَرِينِ إِلَى المُقَارِنِ يُنْسَبُ  
 إِنْ الغنى مِنَ الرِّجَالِ مُكْرَمٌ \* وَتَرَاهُ يُرْجَى مَا لَدَيْهِ وَيُرْهَبُ  
 وَيَبْشُرُ بِالتَّرْحِيبِ عِنْدَ قُدُومِهِ \* وَيُقَامُ عِنْدَ سَلَامِهِ وَيُقَرَّبُ  
 وَالفقر شَيْنٌ لِلرِّجَالِ فَإِنَّهُ \* حَقًّا يَهُونُ بِهِ الشَّرِيفُ الأَنْسَبُ  
 وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلأَقَارِبِ كُلِّهِمْ \* بِتَذَلُّلٍ وَأَسْمَحْ لَهُمْ إِنْ أَذْنَبُوا  
 وَدَعْ الكَذُوبَ فَلَا يَكُنْ لَكَ صَاحِبًا \* إِنْ الكَذُوبُ يَشِينُ حَرًّا يَصْحَبُ  
 وَزِنِ الكَلَامَ إِذَا نَطَقْتَ وَلَا تَكُنْ \* ثَرثارَةً فِي كُلِّ نَادٍ تَحْطُبُ  
 وَأَحْفَظْ لِسَانَكَ وَأَحْتَرِزْ مِنْ لَفْظِهِ \* فَالمرءُ يَسْلَمُ بِاللِّسَانِ وَيَعْطَبُ  
 وَالسَّرُّ فَكُتْمُهُ وَلَا تَنْطِقْ بِهِ \* إِنْ الزُّجَاجَةُ كَسَرَهَا لَا يُشْعَبُ  
 وَكَذَلِكَ سَرُّ المَرْءِ إِنْ لَمْ يَطْوِهِ \* نَشْرَتِهِ أَلْسِنَةً تَرِيدُ وَتَكْذِبُ  
 لَا تَحْرِصَنَّ فَالحِرْصُ لَيْسَ بِزَائِدٍ \* فِي الرِّزْقِ بَلْ يُسْقِي الحَرِيصَ وَيُتَعِبُ

وَأَزَعِ الْأَمَانَةَ وَالْحَيَانَةَ فَاجْتَنِبْ \* وَأَعِدِّ وَلَا تَتَّظِلْ بِطَبِّكَ لَكَ مَكْسَبٌ  
 وَإِذَا أَصَابَكَ تَكْبَةٌ فَاصْبِرْ لَهَا \* مَنْ ذَا رَأَيْتَ مُسَلِّمًا لَا يُنْكَبُ  
 وَإِذَا رُمِيَ مِنَ الزَّمَانِ بِرِييَةٍ \* أَوْ نَالَكَ الْأَمْرُ الْأَشَقُّ الْأَضْعَبُ  
 فَاضْرَعْ لِرَبِّكَ إِنَّهُ أَذْنَى لِمَنْ \* يَدْعُوهُ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ وَأَقْرَبُ  
 وَأَحْذَرُ مَصَاحِبَةَ اللَّئِيمِ فَإِنَّهُ \* يُعِدِّي كَمَا يُعِدِّي الصَّحِيحَ الْأَجْرَبُ  
 وَأَحْذَرُ مِنَ الْمَظْلُومِ سَهْمًا صَائِبًا \* وَأَعْلَمُ بَأَنَّ دُعَاءَهُ لَا يُجِيبُ  
 وَلَقَدْ نَصَحْتِكَ إِنْ قَبِلْتَ نَصِيحَتِي \* وَالنُّصْحُ أَعْلَى مَا يُبَاعُ وَيُوهَبُ

## ١٦ - سَعِيدُ بْنُ وَهَبٍ (١)

كان شاعراً مطبوعاً ومات في أيام المأمون، وأكثر شعره في الغزل والتشبيب بالمدح، وكان مشغولاً بالعلمان والشراب، ثم تنسك وتاب ورجع راجلاً على قدميه ومات على توبة وإقلاع ومذهب جميل، ومات وأبو العتاهية حي وكان صديقه فراه .

أخبر علي بن سليمان الأخفش عن محمد بن مزيد قال : حدثت عن بعض أصحاب أبي العتاهية قال : جاء رجل إلى أبي العتاهية ونحن عنده، فسأره في شيء، فبكى أبو العتاهية، فقلنا له : ما قال لك هذا الرجل يا أبا إسحاق فأبكاك؟ فقال - وهو يحدثنا لا يريد أن يقول شعرا - :

قال لي مات سعيد بن وهب \* رحم الله سعيد بن وهب  
يا أبا عثمان أبكيت عيني \* يا أبا عثمان أوجعت قلبي

قال : فعجبنا من طبعه، وإنه يحدث فكان حديثه شعرا موزونا .

وكان سعيد بن وهب الشاعر البصري مولى بني سامة قد تاب وتهد وتترك قول الشعر، وكان له عشرة من البنين وعشر من البنات، فكان إذا وجد شيئا من شعره نحره وأحرقه، وكان أمراً صدق، كثير الصلاة، يزكي في كل سنة عن جميع ما عنده، حتى إنه ليزكي عن فضة كانت على امرأته .

وكان سعيد بن وهب يتعشق غلاما يتشطر يقال له سعيد، فبلغه أنه توعد أنه يجرحه،

فقال فيه :

(١) هو سعيد بن وهب أبو عثمان مولى بني سامة بن لؤي بن نصر، مولده ومنشؤه بالبصرة ثم صار إلى بغداد

فأقام بها . وكانت الكتابة صناعته، فتصرف مع البرامكة فاصطنعوه وتقدم عندهم . وتجد أخباره في الأغاني (ج ٢١

ص ١٠٤) .

مَنْ عَذِيرِي مِنْ سَمِيٍّ \* مَنْ عَذِيرِي مِنْ سَعِيدِ  
أَنَا بِاللَّحْمِ أَجَاهُ \* وَيَجَانِي بِالْحَدِيدِ<sup>(١)</sup>

ونظر سعيد بن وهب إلى قوم من كُتَّاب السلطان في أحوال جميلة، فأنشأ يقول :

مَنْ كَانَ فِي الدُّنْيَا لَهُ شَارَةٌ \* فَتَحْنُ مِنْ نَظَارَةِ الدُّنْيَا  
نَزْمُهَا مِنْ كَثْبِ حَسْرَةٍ \* كَأَنَّا لَقَطُّ بِلَا مَعْنَى  
يَعْلُو بِهَا النَّاسُ وَأَيُّمْنَا \* تَذْهَبُ فِي الْأَرْدَلِ وَالْأَدْنَى

وحدث حماد بن إسحاق عن أبيه قال : كان سعيد بن وهب لى صديقا، وكان له ابن يكنى أبا الخطاب من أكيس الصبيان، وأحسنهم وجها وأدبا، فكان لا يكاد يفارقه في كل حال، لشدة شغفه به ورقته عليه، فمات وله عشر سنين، فجزع عليه جزعا شديدا وأقطع عن لذاته، فدخلت إليه يوما لأعاتبه على ذلك وأستعطفه، فحين رأى ذلك في وجهي فاضت دموعه، ثم أنتحب حتى رحمته، وأنشدني :

عَيْنِ جُودِي عَلَى أَبِي الْخَطَّابِ \* إِذْ تَوَلَّى غَضًّا بِمَاءِ الشَّبَابِ  
لَمْ يُقَارِبْ ذَنْبًا وَلَمْ يَبْلُغِ الْحُدَّ \* سِتَّ مَرْجِيٍّ مُطَهَّرِ الْأَثْوَابِ  
فَقَدَّتْهُ عَيْنِي إِذَا مَا سَعَى أَتَّ \* رَابُهُ مِنْ جَمَاعَةِ الْأَتْرَابِ  
إِنْ غَدَا مُوَحِّشًا لِدَارِي فَقَدْ أَصَدَّ \* بَحَّ أَنْسِ الثَّرَى وَزَيْنِ التَّرَابِ  
أَحْمَدُ اللَّهِ يَا حَبِيبِي فَإِنِّي \* بَكَ رَاحٍ مِنْهُ عَظِيمِ الثَّوَابِ

ثم ناشدني ألا إذا كره بشيء مما جئتُ إليه، فقممتُ ولم أخاطبه بحرف .

دخل سعيد بن وهب على الفضل بن يحيى في يوم قد جلس فيه للشعراء، فجعلوا ينشدونه ويأمر لهم بالحوائر حتى لم يبق منهم أحد، فالتفت الى سعيد بن وهب كالمستنطق، فقال له : أيها الوزير، إني ما كنت أستعددتُ لهذه الحال، ولا تقدمتُ لها عندي مُقدِّمةٌ فأعزُّها،

(١) وجاءه يوجاهه ويجاهه : ضربه باليد أو بالسكين . وخففت الهدزة ها هنا للشعر .

ولكن قد حضرني بيتان أرجو أن ينوبا عن قصيدة؛ فقال : هاتهما، فربّ قليل أبلغ من الكثير؛ فقال سعيد :

مَدَحَ الْفَضْلُ نَفْسَهُ بِالْمَعَالِي \* فَعَلَا عَن مَدِيحِنَا بِالْمَقَالِ  
أَمْرُونِي بِمَدْحِهِ قَلْتُ كَلًّا \* كَبَّرَ الْفَضْلُ عَن مَدِيحِ الرِّجَالِ

قال : فطرب الفضل وقال له : أحسنت والله وأجذت، ولئن قلّ القول ونزّر، لقد أتسع المعنى وكثُر، ثم أمر له بمثل ما أعطاه كلّ من أنشده مديحا يومئذ، وقال : لا خير فيما يجيء بعد بيتك، وقام من المجلس، وخرج الناس يومئذ بالبيتين لا يتناشدون سواهما .

وحدث الحرّيمي قال : كان الفضل بن يحيى ينافس أخاه جعفرا وينافسه جعفر ، وكان أنس بن ابي شيخ خاصا بجعفر، ينادمه ويأنس به في خلواته، وكان سعيد بن وهب بهذه المنزلة للفضل ، فدخلت يوما إلى جعفر ودخل إليه سعيد بن وهب فحدثه وأنشده وتنادر له ، وحكى عن المتنادرين وأتى بكل ما يسر ويطرب ويضحك ، وجعفر ينظر إليه لا يزيد على ذلك ، فلما خرج سعيد من عنده تجاهلت عليه وقلت له : من هذا الرجل الكثير الهديان ؟ قال : أو ما تعرفه ؟ قلت : لا ؛ قال : هذا سعيد بن وهب صديق أنحى أبي العباس وخلصانه وعشيقه ؛ قلت : وأى شيء رأى فيه ؟ قال : لا شيء والله إلا القدر والبرد والغشاة ، ثم دخلت بعد ذلك إلى الفضل ، ودخل أنس بن أبي شيخ فحدث وندر وحكى عن المضحكين وأتى بكل طريفة ، فكانت قصة الفضل معه قصة جعفر مع سعيد ، فقلت له بعد أن خرج من حضرته : من هذا المبرم ؟ قال : أو لا تعرفه ؟ قلت : لا ؛ قال : هذا أنس بن أبي شيخ صديق أنحى الفضل وعشيقه وخاصته ، قلت : وأى شيء أعجبه فيه ؟ قال : لا أدري والله إلا القدر والبرد وسوء الاختبار ؛ قال : وأنا والله أعرف بسعيد وأنس من الناس جميعا ، ولكني تجاهلت عليهما وساعدتهما على هواهما .

وحدث عمرو بن بانه قال : كان في جوارى رجل من البرامكة ، وكانت له جارية شاعرة طريفة يقال لها حسناء ، يدخل إليها الشعراء ويسألونها عن المعاني ، فتأتى بكل

مُسْتَحْسِنٍ مِنَ الْجَوَابِ ؛ فَدَخَلَ إِلَيْهَا سَعِيدُ بْنُ وَهَبٍ يَوْمًا وَجَلَسَ إِلَيْهَا فَخَادَتْهَا طَوِيلًا  
ثُمَّ قَالَ لَهَا بَعْدَ ذَلِكَ :

حَاجِيَتِكَ يَا حَسَنًا \* ءُ فِي جِنْسٍ مِنَ الشَّعْرِ  
وَفِيمَا طُولُهُ شِبْرٌ \* وَقَدْ يُوفِي عَلَى الشَّيْبِ  
لَهُ فِي رَأْسِهِ شَقٌّ \* نَطُوفٌ بِالنَّدَى يَجْرِي  
إِذَا مَا جَفَّ لَمْ يَجْرِ \* لَدَى بَرٍّ وَلَا بَحْرِ  
وَأَنْ بُلَّ أَتَى بِالْعَا \* جَبِ الْعَاجِبِ وَالسَّحْرِ  
أَجِينِي لَمْ أُرِدْ مُخْشَا \* وَرَبَّ الشَّفْعِ وَالْوِثْرِ  
وَلَكِنْ صُفَّتْ أَيْبَاتًا \* لَهَا حَظٌّ مِنَ الزَّجْرِ

قال : فغضب مولاها وتغير لونه وقال : أتفحش على جاريتي تخاطبها بالحنى؟ فقالت  
له : خفف عليك، فما ذهب إلى ما ظننت وإنما يعني القلم؛ فسرى عنه، وضحك سعيد  
وقال : هي أعلم منك بما سمعت .

## ١٧ - الحسن بن وهب

حدث ميمون بن هارون : قال : كما عند الحسن بن وهب فقال لِنَّانَ : غَنَّبِنِي :  
 أَتَأذِنُونَ لَصَبِّ فِي زِيَارَتِكُمْ \* فعندكم شهواتُ السَّمْعِ والبَصْرِ  
 لَا يُضْمِرُ السُّوءَ إِنْ طَالَ الْجُلُوسُ بِهِ \* عَفَّ الضَّمِيرِ وَلَكِنْ فَاسَقُ النُّظْرُ  
 قال فضحكت ، ثم قالت : فأى خير فيه إن كان كذا أو أى معنى ؟ فخجل الحسن من  
 بادرتها عليه ، وعجبنا من حدة جوابها وفطنتها .

وحدث محمد بن عيسى قال : جاء عبد الله بن العباس بن الفضل بن الربيع إلى الحسن  
 ابن وهب ، وعنده بنان جارية محمد بن حماد ، وهى نائمة سكرى وهو يبكي عندها ، فقال له :  
 مالك ؟ قال : قد كنت نائما بقاءتى فأنبهتنى وقالت : اجلس حتى تشرب بخلست ،  
 فوالله ما غنت عشرة أصوات حتى نامت ، وما شربت إلا قليلا ، فتذكرت قول أشعر  
 الناس وأظرفهم العباس بن الأحنف :

أبكي الذين أذاقوني مودتهم \* حتى إذا أيقظوني للهوى رقدوا

فانا أبكى وأنشد هذا البيت .

وحدث محمد بن موسى بن حماد قال : دعا الحسن بن وهب إبراهيم بن العباس فقال  
 له : اركب وأجيك عشيًا فلا تنتظرنى بالغداة ، فأبطأ عليه ، وأسرع الحسن فى شربه فسكروا  
 ونام ، وجاء إبراهيم فرآه على تلك الحال ، فدعا بدواة وكتب :

رُحْنَا إِلَيْكَ وَقَدْ رَاحَتْ بِكَ الرَّاحُ \* وَأَسْرَعَتْ فِيكَ أَوْتَارُ وَأَفْرَاحُ

وحدث أيضا محمد بن موسى قال : نظر إبراهيم بن العباس الحسن بن وهب وهو

مخمور فقال له :

عيناك قد حكتنا مبيد \* تنك كيف كنت وكيف كانا

ولرب عين قد أرت \* لك مبيت صاحبها عيانا

فأجابه الحسن بن وهب بعشرين بيتا وطالبه بمثلها ، فكتب إليه أربعة أبيات وطالبه بأربعين بيتا . وأبيات إبراهيم :

أبا عليَّ خيرُ قولك ما \* حصلت أنجمه ومُختصره  
 ما عندنا في البيع من غبنٍ \* للمستقلِّ بواحد عشره  
 أنا أهلُ ذلك غيرُ محتشمٍ \* أرضى القديم وأقننى أثره  
 ها نحن وفيناك أربعة \* والأربعون لديك منتظره

وقال عبيد الله بن سليمان : لعمري ما في الكتاب أشعرُ من أبي إسحاق وأبي عليَّ

(يعني عمه الحسن بن وهب) .

حدث عليُّ بن يحيى قال : قلت لإسحاق بن إبراهيم الموصليَّ ، وقد جرى ذكرُ أحمد بن يحيى المكيِّ ، : يا أبا محمد ، لو كان أبو جعفر أحمد بن يحيى المكيِّ مملوكا كم كان يساوى؟ فقال : أخبرك عن ذلك ، انصرفت ليلةً من دار الوائق ، فاجتزتُ بدار الحسن بن وهب فدخلتُ إليه ، فإذا أحمد عنده ، فلما قام لصلاة العشاء الآخرة قال لي الحسن بن وهب : وكم يساوى أحمد لو كان مملوكا؟ قلت : يساوى عشرين ألف دينار . قال : ثم رجعتُ فغنيَّ صوتا ، فقال لي الحسن بن وهب : يا أبا محمد ، أضعفها . قال : ثم تغنيَّ صوتا آخر ، فقلت للحسن : يا أبا عليَّ أضعفها ، ثم أردتُ الانصراف فقلت لأحمد غنيَّ :

لولا الحياءُ وأن السير من خُلُقٍ \* إذا قعدتُ اليك الدهر لم أقم  
 أليس عندك سُكْرٌ للتي جعلت \* ما أبيض من قادمات الرأس كالحمم

فغناه أحمد بن يحيى المكيُّ فأحسن فيه كلَّ الإحسان ، فلما قمتُ للانصراف قلت للحسن : يا أبا عليَّ ، أضعف الجميع ، فقال له أحمد : ما هذا الذي أسمعُكم تقولانه ولستُ أدري ما معناه؟ قال نحن نبيعُك ونشترُك منذ الليلة وأنت لا تدري .

وحدث محمد بن موسى قال : كان أبو تمام يعشقُ غلاما تحريرا للحسن بن وهب ، وكان الحسن يتعشقُ غلاما روميا لأبي تمام ، فرآه أبو تمام يوما يعبثُ بغلامه ، فقال له :

(١) والله لئن أعنقت إلى الروم لتركضن إلى الخزر؛ فقال له الحسن: لو شئت حكمتنا واحتكمت؛ فقال له أبو تمام: أنا أشبهك بداود عليه السلام وأشبهه نفسي بخصمه؛ فقال الحسن: لو كان هذا منظوما خفناه، فأما وهو مشهور فلا، لأنه عارض لا حقيقة له؛ فقال أبو تمام:

(٢)  
 أبا علي بصرف الدهر والغير \* وبالحوادث والأيام فاعتير  
 أذكرتني أمر داود وكنت فتى \* مصرف القلب في الأهواء والفكر  
 أعندك الشمس لم يحظ المغيب بها \* وأنت مضطرب الأحشاء للقمر  
 إن أنت لم تترك السير الحديث إلى \* جاذر الروم أعنقتنا إلى الخزر  
 إن القطوب له مني محل هوى \* يحمل مني محل السمع والبصر  
 ورب أمنع منه جانباً وحمي \* أمسى وتكتمه مني على خطر  
 جردت فيه جنود العزم فأنكشفت \* عنه غيابه عن بقره هدير  
 سبحان من سبحته كل جارحة \* ما فيك من طمحان العين بالنظر  
 أنت المقيم فما تغدر واحله \* وفعله أبدا منه على سفر

وحدث وهب بن سعيد قال: جاء دُعيل إلى الحسن بن وهب في حاجة بعد موت أبي تمام، فقال له رجل في المجلس: يا أبا علي، أنت الذي تطعن على من يقول: شهدت لقد أقوت مغانيم بعدى \* ومحت كما محت وشائع من برد وأنجدتم من بعد إتهام دارم \* فيادمع أنجدني على ساكني نجد فصاح دُعيل: أحسن والله! وجعل يردد:

\* فيادمع أنجدني على ساكني نجد \*

ثم قال: رحمه الله، لو كان ترك لي شيئاً من شعره لقلت: إنه أشعر الناس.

(١) أعنقت: أسرعت. (٢) وردت هذه الأبيات في الأغاني وفيها بعض ألفاظ تخل بالآداب،

فأثبتناها هنا كما وردت في ديوان أبي تمام.

وحدث أحمد بن عبيد الله بن ناصح قال : قلت لدعبل وقد عرض عليّ قصيدة له  
يمدح بها الحسن بن وهب أوتها :

\* أعاذتني ليس الهوى من هوانيا \*

فقلت له : ويحك أتقول فيه هذا بعد قولك :

أين محلّ الحى يا حادى \* خبر سقاك الريح الغادى

وبعد قولك :

قالت سلامة أين المأل قلت لها \* المال ويحك لاقى الحمد فاصطحبا

وبعد قولك :

فعلى أيماننا يجرى الندى \* وعلى أسيافنا تجرى المهج

والله إني أراك لو أنشدته إياها لأمر لك بصفع؛ فقال : صدقت والله، ولقد نبتني  
وحدرتني، ثم مرّ قها .

وحدث محمد بن موسى قال : أنشدني الحسن بن وهب لمحمد بن عبد الملك أبياتا

يرثي بها سكرانة أمّ ابنه عمر، وجعل الحسن يتعجب من جودتها ويقول :

يقول لي الخلال لو زرت قبرها \* فقلت وهل غير الفؤاد لها قبر  
على حين لم أحدث فأجهل قدرها \* ولم أبلغ السن التي معها الصبر

وحدث محمد بن يزيد قال : دامت الأمطار بـ«سرم من رأى» ، فتأنح الحسن بن وهب

عن محمد بن عبد الملك الزيات ، وهو يومئذ وزير والحسن يكتب له ، فاستبطأه محمد ،

فكتب إليه الحسن يقول :

أوجب العذر في تراخي اللقاء \* ما توالى من هذه الأنواء

لست أدري ماذا أقول وأشكو \* من سماء تعوقني عن سماء

غير أنى أدعو على تلك بالثك \* لي وأدعو لهذه بالبقاء

فسلام الإله أهديه غصبا \* لك منى ياسيد الوزراء

وحدث محمد بن موسى قال : اغتسل الحسن بن وهب فتأخر عن محمد بن عبد الملك

أياماً كثيرة، فلم يأته رسوله، ولا تعرف خبره، فكتب إليه الحسن قوله :

أيها الوزير أيدك الله \* به وأبقالك لي بقاء طويلاً  
أجيباً تراه يا أكرم الناس \* س لكما أراه أيضاً جميلاً  
إنني قد أفتت عشرًا عليلاً \* ما ترى مرسلاً إلى رسولاً  
إن يكن موجب التعمد في الصبر \* حجة منّا على منك طويلاً  
فهو أولى ياسيد الناس برأ \* وافتقاراً لمن يكون عليلاً  
فلماذا تركتني عرضة الظن \* من الحاسدين جيباً بجيباً  
الذنب؟ فاعلمت سوى الشك \* بر قريباً لنتي ودخيلاً  
أم ملال؟ فما علمتك للصبر \* حب مثلي على الزمان ملولاً  
قد أتى الله بالشفاء فما أع \* ريف مما أنكرت إلا قليلاً  
وأكلت الدرّاج وهو غذاء \* أفلت علتى عليه أفولاً  
بعد ما كنت قد حملت من العدا \* لمة عبّاً على الطّباع ثقيلاً  
ولعلّى قدمت قبلك آتياً \* لك غذا إن وجدت فيه سبيلاً

فأجابه محمد بن عبد الملك :

دفع الله عنك نائبة الدهر \* بر وحاشاك أن تكون عليلاً  
أشهد الله ما علمت وما ذا \* لك من العذر جائزاً مقبولاً  
ولعمري أن لو علمت فلازم \* تنك حولا لكان عندي قليلاً  
إنني أرتجى وإن لم يكن ما \* كان مما تقمت إلا جليلاً  
أن أكون الذي إذا أضمر الإخ \* بلاص لم يلتمس عليه كفيلاً  
ثم لا يندل المودة حتى \* يجعل الجهد دونها مبدولاً  
فاذا قال كان ما قال إذ كا \* ن بعيداً من طبعه أن يقولاً

فاجعلن لي إلى التعلق بالعد \* رسيلا إن لم أجد لي سبيلا  
فقد يما ما جاد بالصفح والعف \* يو وما سآح الخليل الخليلا

وكتب محمد بن عبد الملك إلى الحسن بن وهب وقد تأخر عنه :

قالوا جفاك فلا عهد ولا خبر \* ما ذا تراه دهاه قلت أيلول  
شهر تجد جبال الوصل فيه فما \* عقد من الوصل إلا وهو محلول

وكان محمد قد نذبه لأن يخرج في أمر مهم فأجابه الحسن فقال :

إني بحول أمري أعليت ربتة \* فظنه منك تعظيم وتيجيل  
وأنت عده في نيل همته \* وأنت في كل ما يهواه مأمول  
ما غالني عنك أيلول بلدته \* وطيبه ولنعم الشهر أيلول  
الليل لا قصر فيه ولا طول \* والجو صاف وظهر الكأس مرحول  
والعود مستنطق عن كل معجبة \* يضحى بها كل قلب وهو متبول  
لكن توقع وشك البين عن بلد \* تحله فوكاء العين محلول  
مالي إذا شمرت بي عنك مبتكرا \* دهم البغال أو الهوج المراسيل  
إلا رعاياتك اللاتي يعود بها \* حده الحوادث عني وهو مفلول

وكان الحسن بن وهب يسأير محمدا على مسنة<sup>(١)</sup>، فعدل عن المسنة لئلا يضيق محمد

الطريق، فظن محمد أنه أشفق على نفسه من المسنة، فعدل عنها ولم يساعده على طريقه،

وظن بنفسه أن يصيبها ما يصيبه، فقال له محمد :

قد رأيناك إذ تركت المسنة \* وحاذيتني يسار الطريق  
ولعمري ما ذاك منك وقد جدت بك الحد من فعال الشفيق

فقال له الحسن :

إن يكن خوفي الختوف أراني \* أن ترائي مشبها بالعقوق  
فلقد جارت الظنون على المشد \* بفق والظن مولع بالشفيق

(١) المسنة : ما يبني في وجه السيل .

عَدَّرَ السَّيِّدَ الْأَجَلَّ وَقَدَّسَا \* رَعَى الْخَوْفَ مِنْ يَمِينِ الطَّرِيقِ  
فَأَخَذَتْ الشَّمَالَ بُقِيًّا عَلَى السَّيِّدِ \* إِذْ هَانِي سُلُوكِ الْمِضْيِيقِ  
إِنْ عِنْدِي مَوَدَّةٌ لَكَ حَازَتْ \* مَا حَوَى عَاشِقٌ مِنَ الْمَعشُوقِ  
طَوْدٌ عَزَّ حُصِّصَتْ مِنْهُ بَيْرٌ \* صَارَ قَدْرِي بِهِ مَعَ الْعَيْشِيقِ  
وَبِنَفْسِي وَإِخْوَتِي وَأَبِي الْبِرِّ \* وَعَمِّي وَأُسْرَتِي وَصَدِيقِي  
مَنْ إِذَا مَا رَوَّعَتْ أَمَّنَ رَوْعِي \* وَإِذَا مَا شَرَّفَتْ سَوَّغَ رَيْقِي

وحدَّث المبرد قال : استسقى الحسن بن وهب من محمد بن عبد الملك نبيذا ببلد الروم

وهو مع المعتصم ، فسقاه وكتب إليه :

لَمْ تَلْقُ مِثْلِي صَاحِبًا \* أَنْدَى يَدًا وَأَعْمَ جُودًا  
يَسِقُ النَّدِيمَ بَقْفَرَةٍ \* لَمْ يَسِقْ فِيهَا الْمَاءُ عُودًا  
صَفْرَاءَ صَافِيَةٍ كَأَنَّ \* بَكَاسِهَا دُرًّا نَضِيدًا  
وَأَجُودٌ حِينَ أَجُودُ لَا \* تَحْصِرًا بِذَلِكَ وَلَا بَلِيدًا  
وَإِذَا اسْتَقَلَّ بِشِكْرِهَا \* أَوْجِبْتُ بِالشُّكْرِ الْمَزِيدًا  
حُذِّهَا إِلَيْكَ كَأَنَّ \* كَسَيْتُ زُجَاجَتَهَا عُقُودًا  
وَأَجْعَلُ عَلَيْكَ بِأَنْ تَقُو \* مَ بِشِكْرِهَا أَبَدًا عُهُودًا

ومن جيد شعره قوله :

بِأَبِي كَرِهْتُ النَّارَ لَمَّا أُوقِدْتُ \* فَعَرَفْتُ مَا مَعْنَاكَ فِي إِبْعَادِهَا  
هِيَ ضَرَّةٌ لَكَ بِالتَّمَاعِ ضَيَائِهَا \* وَبِحَسَنِ صَوْرَتِهَا لَدَى إِيقَادِهَا  
وَأَرَى صَنِيعَكَ بِالْقُلُوبِ صَنِيعَهَا \* بِسَيِّئِهَا وَأَرَاكِهَا وَعَرَادِهَا  
شَرِّكَكَ فِي كُلِّ الْأُمُورِ بِحَسَنِهَا \* وَضَيَائِهَا وَصَلَاحِهَا وَفَسَادِهَا

ومات الحسن بن وهب فرثاه أخوه سليمان بن وهب :

مَضَى مَضَى عَزُّ الْمَعَالَى وَأَصْبَحَتْ \* لِأَلِي الْحِجَا وَالْقُبُوبِ لَيْسَ لَهَا نَظْمٌ  
وَأَضْحَى نَجْمُ الْفِكْرِ بَعْدَ فِرَاقِهِ \* إِذَا هُمْ بِالْإِفْصَاحِ مَنَظَّمُهُ كَظْمٌ

وكتب الحسن بن وهب يشكر:

مَنْ شَكَرَكَ عَلَى دَرَجَةٍ رَفَعْتَهُ إِلَيْهَا، أَوْ ثَرْوَةٍ أَقْدَرْتَهُ عَلَيْهَا، فَإِنَّ شُكْرِي لَكَ عَلَى مُهْنَجِيهِ  
أَحْيَيْتَهَا، وَحُشَّاشَةِ أَبْقِيَّتِهَا، وَرَمَقِي أَمْسَكَتَ بِهِ، وَقَمَتَ بَيْنَ التَّلْفِ وَبَيْنِهِ؛ فَلِكُلِّ نِعْمَةٍ مِنْ  
نِعْمِ الدُّنْيَا حَدٌّ تَنْتَهِي إِلَيْهِ، وَمَدَى يُوقِفُ عِنْدَهُ، وَغَايَةٌ مِنَ الشُّكْرِ يَسْمُو إِلَيْهَا الطَّرْفُ، خَلَا  
هَذِهِ النِّعْمَةُ الَّتِي فَاقَتْ الوَصْفَ، وَأَطَالَتِ الشُّكْرَ وَتَجَاوَزَتْ قَدْرَهُ، وَأَتَتْ مِنْ وَرَاءِ كُلِّ غَايَةٍ؛  
رَدَدَتْ عَنَّا كَيْدَ العَدُوِّ، وَأَرْغَمَتْ أَنْفَ الحَسُودِ، فَنَحْنُ نَلْجَأُ مِنْكَ إِلَى ظِلِّ ظَلِيلٍ، وَكَنْفِ  
كَرِيمٍ، فَكَيْفَ يَشْكُرُ الشَّاكِرُ، وَأَيْنَ يَبْلُغُ جُهْدَهُ المَجْتَهِدُ؛ - .

١٨ - أشجع السلمي<sup>(١)</sup>

كان متصلا بالبرامكة وله فيهم أشعار كثيرة، منها قوله في يحيى بن خالد وكان قد غاب:

قد غاب يحيى فما أرى أحدا \* يأنس إلا بذكركه الحسين  
أوحشت الأرض حين فارقتها \* من الأيادي العظام والمنين  
لولا رجاء الإياب لأنصدعت \* قلوبنا بعده من الحزن

وقال أيضا:

رايت بغاة الخير في كل وجهة \* لغيبة يحيى مستكين خضعا  
فإن يمس من في الرقتين مؤملا \* لأوبة يحيى نحوها متطلعا  
فما وجه يحيى وحده غاب عنهم \* ولكن يحيى غاب بالخير أجمعا

وقال فيه أيضا:

إذا غاب يحيى عن بلاد تغيرت \* وتشرق إن يحتلها فتطيب  
وإن فعال الخير في كل بلدة \* إذا لم يكن يحيى بها لغريب

وقال فيه حين اعتل:

لقد قرعت شكاة أبي علي \* قلوب معاشر كانت صحاحا  
فإن يدفع لنا الرحمن عنه \* صروف الدهر والأجل المتاحا

(١) هو أشجع بن عمرو بن ولد الشريد بن مطرود السلمي، وكان يكنى أبا الوليد، شاعر إسلامي عباسي، نشأ بالبصرة، وقال الشعر وأجاد فيه حتى عد من الفحول؛ وكان الشعر يومئذ في ربيعة واليمن، ولم يكن لقيس شاعر، فلما نجم أشجع وقال الشعر افتخرت به قيس. وأقطع إلى البرامكة ومدحهم وأخص بجعفر فأصفاه مدحه، فأعجب به جعفر ووصله إلى الرشيد ومدحه فأعجب به أيضا وأمدّه بالمال فأثرى وحسنت حاله في أيامه، وتقدم عنده، وله فيه الملاحح المختارة، والقصائد السائرة. وتجد أشعاره وأخباره في الأغاني (ج ١٧ ص ٣٠) والشعر والشعراء (ص ٥٦٢).

فقد أمسى صلاح أبي علي \* لأهل الأرض كلهم صلاحاً  
إذا ما الموت أخطاه فلَسْنَا \* نبأ الموت حيث غدا وراحاً

وهو القائل ،

ليس للحاجات إلا \* من له وجه وقَّاحُ  
ولسانٌ طرْمَدَارٌ<sup>(١)</sup> \* وغدوٌ ورواحُ  
إن أكن أبطأ بالحا \* جهٌ عنى فاللَّحاحُ  
فعلتُ الجهدُ فيها \* وعلى الله النجاحُ

ويستجاده في مدح الرشيد :

وصلت يدك السيف يوم تقطعت \* أيدي الرجال وزلت الأقدامُ  
وعلى عدوك يا ابن عم محمد \* رصَدانِ ضوء الصبح والإظلامُ  
فإذا تنبه رُعتَه وإذا غفا \* سلَّت عليه سيوفك الأحلامُ

ويُستجاده أيضاً قوله :

غداً يتفرَّق أهلُ الهوى \* ويكثرُ بكِ ومسترجعُ  
وتختلف الأرضُ بالطاعنين \* وجوهاً تُشَدُّ<sup>(٢)</sup> ولا تُجمَعُ  
وتفنى الطلولُ ويبقى الهوى \* ويصنع ذو الشوق ما يصنعُ  
وأنت تُبكي وهم جيرةٌ \* فكيف يكون إذا ودَّعوا  
أتطمع في العيش بعد الفراق \* فبئسَ لعمرك ما تطمعُ

وفيها يقول في جعفر بن يحيى :

بديهته مثلُ تديره \* متى هجته فهو مستجمعُ  
إذا همَّ بالأمر لم يئنَّه \* هجوعٌ ولا شادنٌ أفرعُ  
ففي كفه للغنى مطبٌ \* وللسر في صدره موضعُ

(١) الطرمذار: المتكثر بما لا يفعل . (٢) تفرق .

وكم قائل إذ رأى بهجتي \* وما في فُضُوبِ الغنى أصنعُ  
غدا في ظلالِ ندى جعفر \* يُثْرِيَابِ الغنى أشجعُ  
وما خلفه لأمرئٍ مطمع \* ولا دونه لأمرئٍ مقنعُ

وهو القائل في محمد بن منصور بن زياد يرثيه :

أنى قتي الجودِ الى الجودِ \* ما مثلُ من أنى بوجودِ  
أنى قتي أصبح معروفه \* منتشرا في البيض والسودِ  
أنى قتي مصّ الثرى بعده \* بقية الماء من العودِ  
قد نلّم الدهرُ به نُلمة \* جانبها ليس بمسدودِ  
أنى قتي كان ومعرفة \* يملأ ما بين ذرى اليدِ  
فأصبحا بعد تساميهما \* قد جُمعا في بطن ملحودِ  
الآن نخشى عثراتِ الندى \* وعدوة البخلِ على الجودِ

ويُستجاد له قوله في إبراهيم بن عثمان بن نهيك وكان صاحب شرط الرشيد وكان

جبارا عبوسا :

في سيف إبراهيم خوف واقع \* بذوى التفاق وفيه أمن المسلم  
ويبيت يكلأ والعيون هواجع \* مال المضيع ومهجة المستسلم  
جعل الخطام بأنف كل مخالف \* حتى استقام له الذي لم يُحطم  
لا يُصلح السلطان إلا شدة \* تنشى البرى بفضل ذنب المجرم  
ومن الولاة مقعّم لا يتقى \* والسيف تقطر سفرتها من الدم  
منعت مهابتك النفوس حديثها \* بالأمر تكهه وإن لم تعلم

وقال لأخيه :

أبت غفلات قلبك أن تُروحا \* وكأس لا تزالها صَبُوحَا  
كأنك لا ترى حسنا جميلا \* بعينك يا أخى إلا قبيحا

ويستجاده قوله في الرشيد :

لا زلت تنشر أعيادًا وتطويها \* تمضي بها لك أيام وتثنيها  
مستقبلًا جدّة الدنيا وبهجتها \* أيامها لك نظم في لياليها  
العيد والعيد والأيام بينهما \* موصولة لك لا تفتى وتفتيها  
وليهنك النصر والأيام مقبلة \* إليك بالفتح معقودًا نواصيها

ويستجاده قوله يمدح اسماعيل بن صبيح :

له نظرًا لا يغمض الأمر دونه \* تكاد ستور الغيب عنه تمزق

وهو القائل :

وما ترك المدّاح فيك مقالة \* ولا قال إلا دون ما فيك قائل

وقال أيضا :

مضى ابن سعيد حين لم يبق مشرق \* ولا مغرب إلا له فيه مادح  
وما كنت أدري ما فواضل كفه \* على الناس حتى غيبتة الصفايح<sup>(١)</sup>  
فأصبح في لحد من الأرض ميتا \* وكانت به حيا تضيق الصباح<sup>(٢)</sup>  
سأبكيك ما فاضت دموعي فإن تغض \* فحسبك مني ما تُجيب الجوائح<sup>(٣)</sup>  
فأنا من رزء وإن جل جازع \* ولا بسرور بعد موتك فارح  
كأن لم يمّت حتى سواك ولم يقم \* على أحد إلا عليك النوائح  
لئن حسنت فيك المرأى وذكرها \* لقد حسنت من قبل فيك المدائح

(١) الصفايح : أجماع عراض تغطي بها القبور . (٢) الصباح : جمع صحصح : وهي الأرض

الجرداء المستوية الواسعة ذات حصى صغار . (٣) الجوائح : الضلوع .

١٩ - علي بن الجهم<sup>(١)</sup>

كان علي بن الجهم قد هجا بختيشوع، فسبه عند المتوكل فحبسه المتوكل . فقال علي بن الجهم في حبسه عدة قصائد كتب بها الى المتوكل، فأطلقه بعد سنة ثم نفاه بعد ذلك الى خراسان . فقال أول ما حبس قصيدة كتب بها الى أخيه، أولها قوله :

توَكَّلْنَا على ربِّ السماء \* وسأَمْنَا لأسباب القضاء  
وَوَطَّنَا على غيرِ الليالي \* نفوسًا ساحتْ بعد الإباء  
وأفنيةُ الملوكِ محجَّباتٌ \* وبابُ الله مبذولُ الفناء  
هي الأيامُ تَكُفُّمُنَا ونأسو \* وتأتى بالسعادة والشقاء  
وما يُجِدِي الثراءُ على غنيٍّ \* إذا ما كان محظورَ العطاء  
حَلَبْنَا الدهرَ أشطره ومررت \* بنا عقبُ الشدائدِ والرخاء  
وجربنا وجرب أوْلونا \* فلا شيءٌ أعزُّ من أوفاء  
ولم ندعِ الحياءَ لمسَّ ضررٍ \* وبعضُ الضررِ يذهب بالحياء  
ولم نحزنْ على دُنْيَا تولَّتْ \* ولم تُسبِقْ الى حسن العزاء  
تَوَقَّ النَّاسَ يابنَ أبي وأُمي \* فهم تبعُ المخافة والرجاء

(١) هو عربي قرشي شاعر فصيح مطبوع، وقد خصص بالمتوكل حتى صار من جلسائه ثم أبغضه لأنه كان كثير السعاية اليه بندمائه فكان اذا خلا به عرفه أنهم يعيرونه ويثلبونه، فيكشف الخليفة عن ذلك فلا يجد له حقيقة، ففناه الى خراسان بعد أن حبسه مدة . وكان مذهبه في الشعر مذهب مروان بن أبي حفصة في هجاء آل أبي طالب وذمهم والإغراء بهم وهجاء الشيعة كقوله :

ورافضة تقول بشعب رضوى \* إمام، خاب ذلك من إمام

إمام من له عشرون ألفا \* من الأتراك مشرعة السهام

وله أقوال في الغزل والعتاب وفي الوصف، توفي سنة ٢٤٩ هـ . وتجد أخباره في الأغاني (ج ٩ ص ١٠٤)

وابن خلكان (ج ١ ص ٤٩٧) .

ولا يغررك من وغد إخاء \* لأمرٍ ما غدا حسن الإخاء  
 ألم تر مظهرين على عتبا \* وهم بالأمس إخوان الصفاء  
 فلما أن بليت غدوا وراحوا \* على أشد أسباب البلاء  
 أبت أخطارهم أن ينصروني \* بماي أو يجاه أو نراء  
 وخافوا أن يقال لهم خذتم \* صديقا فادعوا قدم الجفاء  
 نظافت الروافض والنصارى \* وأهل الاعتزال على هجائي  
 وعابوني وما ذنب إليهم \* سوى علمي بأولاد الزناء  
 فبختيشوع يشهد لأبن عمرو \* وعزون لهارون المرأى  
 وما أجدماء بنت أبي سمير \* يجذماء آللسان على الخنفاء  
 إذا ما عد مثلكم رجالا \* فا فضل الرجال على النساء  
 عليكم لعنة الله ابتداء \* وعودا في الصباح وفي المساء  
 إذا سميت للناس قالوا \* أولئك شر من تحت السماء  
 أنا المتوكلي هوى رأيا \* وما بالواقية من خفاء  
 وما حبس الخليفة لي بعار \* وليس بمؤيسى منه التناي

كان سبب حبس المتوكل على بن الجهم أن جماعة من الجلساء سَعَوْا به إليه وقالوا له :  
 إنه ينجس الخدم ويغمزهم ، وإنه كثير الطعن عليك والعيب لك والإزرء على أخلاقك ،  
 ولم يزالوا به يُوغرون صدره عليه حتى حبسه ، ثم أبلغوه عنه أنه هجاه ، فنفاه الى خراسان  
 وكتب بأن يُصلب اذا وردھا يوماً الى الليل ، فلما وصل الى الشاذيآخ حبسه طاهر بن  
 عبد الله بن طاهر بها ، ثم أخرج فُصلب يوماً الى الليل مجرداً ثم أنزل ، فقال في ذلك :

لم ينصبوا بالشاذيآخ عشيّة الإثنين \* مسبوقة ولا مجهولا  
 نصبوا بحمد الله ملء قلوبهم \* شرفا وملء صدورهم تجيلا  
 ما أزداد إلا رفعة بنكوله \* وأزدادت الأعداء عنه نُكولا

هل كان إلا الليث فارق غيَّله \* فرأيتَه في مجمل محمولا  
لا يَأْمَنُ الأعداءُ من شدَّاته \* شدًّا يفصِّلُ هامهم تفصيلا  
ما عابه أن بزَّعه لبأسه \* فالسيفُ أهولُ ما يرى مسلولا  
إن يُتَدَلَّ فالبدْرُ لا يُزرى به \* إن كان ليلة تمَّه مبذولا  
أو يسلبوه المالَ يُحزِنُ فقده \* ضيفا ألم وطارقا ونزيلا  
أو يحبسوه فليس يُحسَّ سائرُ \* من شعره يدعُ العزيرَ ذليلا  
إن المصائبُ ما تعدت دِينه \* نَعْمَ وإن صعبت عليه قليلا  
والله ليس بغافلٍ عن أمره \* وكفى بربك ناصرا ووكيلا  
ولتعلمن إذا القلوب تكشفت \* عنها الأكنة من أضل سبيلا

وكتب المتوكل الى طاهر بن عبد الله بإطلاق علي بن الجهم، فلما أطلقه قال :

أطاهرُ إني عن نُرَّسانَ راحلُ \* ومُسْتَخْبِرُ عنها فما أنا قائلُ  
أأصدقُ أم أكني عن الصدق أيا \* تحيرتُ أدته اليك المحافلُ  
وسارت به الركبَانُ وأصطفقتُ به \* أكفُّ قِيَانٍ وأجبتته القبائلُ  
وإني بعالي الحمد والذمِّ عالمُ \* بما فيهما نامى الرميَّة ناضلُ  
وحقاً أقولُ الصدقُ إني لمائلُ \* اليك وإن لم يحظَّ بالودِّ مائلُ  
ألا حرمةٌ تُرعى إلا عقدُ ذمَّةٍ \* لجارٍ إلا فعلٌ لقسولٍ مُشاكلُ  
ألا منصفٌ إن لم نجد متفضلاً \* علينا إلا قاضٍ من الناس عادلُ  
فلا تقطعن غيظاً على أناملاً \* فقبلك ما عُضت على الأناملُ  
أطاهر إن تُحسنُ فإني محسنُ \* إليك وإن تجسَّل فإني باحلُ

فقال له طاهر : لا تقل إلا خيراً، فإني لا أفعل بك إلا ما تحب، فوصله وحمله

وقال علي بن الجهم للتوكل :

عفا الله عنك ! ألا حرمة \* تجود بعفوك أن أبعدا  
 لئن جلّ ذنبٌ ولم أعتد \* لأنت أجل وأعلى يدا  
 ألم تر عبداً عدّا طوره \* ومولى عفا ورشيداً هدى  
 ومفسداً أمرٍ تلافيته \* فعاد فأصلح ما أفسدا  
 أقلىني أقالك من لم يزل \* يقيك ويصرف عنك الردى

وأحسن شعر قاله في الحبس قصيدته التي أوطأ :

قالوا حُيِّسَتْ فقلتُ ليس بضائري \* حبسي وأى مهتدٍ لا يغمد  
 أو ما رأيت الليث يألف غياله \* كبيراً وأوباش السباع تردد  
 والشمس لولا أنها محجوبة \* عن ناظرِك لما أضاء الفرقد  
 والبدر يُدرِكُه السرار فتنجلي \* أيامه وكأنه متجدد  
 والغيثُ يحضُرُه الغمامُ فما يرى \* إلا وريقه يراع ويرعد  
 والزاعية لا يُقيم كعوبها \* إلا الثفاف وجذوة شوقد  
 والنارُ في أحجارها مخبوءة \* لا تُصطلي إن لم تُثرها الأزند  
 والحبس ما لم تغشه لندية \* شنعاء نعم المنزل المتودد  
 بيت يجتد للكريم كرامة \* ويزار فيه ولا يزور ويحمد  
 لو لم يكن في الحبس إلا أنه \* لا يستدلك بالحجاب الأعبد  
 كم من عليلٍ قد تخطاه الردى \* فنجاً ومات طبيبه والعود  
 يا أحمد بن أبي دؤادٍ إنما \* تدعى لكل عظمة يا أحمد  
 أبلغ أمير المؤمنين ودونه \* خوض الردى ومخاوف لا تنفد  
 أنتم بنو عم النبي محمد \* أولى بما شرع النبي محمد  
 ما كان من كريم فاتم أهله \* كرمت مغارسكم وطاب المحمد

أَمِنَ السَّوِيَّةَ يابن عم محمد \* خَصْمٌ تَقَرَّبَهُ وَأَخْرُ تَبِعْدُ  
 إِنْ الَّذِينَ سَعَوْا إِلَيْكَ بِيَاظِل \* حَسَادٌ نَعْمَتِكَ الَّتِي لَا تُجْحَدُ  
 شَهَدُوا وَغَبْنَا عَنْهُمْ فَتَحَكَّمُوا \* فِينَا، وَلَيْسَ كِفَائِيٍّ مِنْ يَشْهَدُ  
 لَوْ يَجْمَعُ الْخَصْمَاءَ عِنْدَكَ مَجْلَسٌ \* يَوْمًا لَبَانَ لَكَ الطَّرِيقُ الْأَقْصَدُ  
 فَبَأَى جُرْمٌ أَصْبَحَتْ أَعْرَاضُنَا \* نَهَبًا تَقَسَّمَهَا اللَّئِيمُ الْأَوْغَدُ

خرج علي بن الجهم إلى الشام في قافلة فخرجت عليهم الأعراب في حُصاف، فهرب من  
 كان في القافلة من المُقَاتِلَةِ وَثَبَتَ علي بن الجهم، فقاتلهم قتالا شديدا وثاب الناس إليه  
 فدفعهم ولم يَحْظُوا بشيء . فقال في ذلك :

صَبْرْتُ وَمِثْلِي صَبْرُهُ لَيْسَ يُنْكَرُ \* وَلَيْسَ عَلَيَّ تَرْكُ النَّقْمِ يَعْدَرُ  
 غَرِيزَةٌ حَرًّا لَا آخْتَلِقُ تَكْلُفٌ \* إِذَا خَامَ فِي يَوْمِ الْوَعْيِ الْمُتَصَبِّرُ<sup>(٢)</sup>  
 وَلَمَّا رَأَيْتَ الْمَوْتَ تَهْفُو بِنُودِهِ \* وَبَانَتِ عِلَامَاتُ لَهْ لَيْسَ تَتَكَّرُ  
 وَأَقْبَلْتَ الْأَعْرَابُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ \* وَثَارَ عَجَّاجٌ أَسْوَدُ اللَّوْنِ أَكْدَرُ  
 بِكُلِّ مُشِيحٍ مُسْتَمِيَةٍ مُشْمَرٍ \* يَحْوِلُ بِهِ طَرْفُ أَقْبُ مُشْمَرُ<sup>(٣)</sup>  
 بَارِضٌ حُصَافٍ حِينَ لَمْ يَكْ دَافِعٌ \* وَلَا مَانِعٌ إِلَّا الصَّفِيحُ الْمَذْكُرُ  
 فَقَلَّ فِي عَيْنِي عَظِيمَ جَمْعِهِمْ \* عَزِيمَةٌ قَلْبٍ فِيهِ مَا جَلَّ يَصْغُرُ  
 بِمَعْتَرِكٍ فِيهِ الْمَنَايَا حَوَاسِرُ \* وَنَارُ الْوَعْيِ بِالْمَشْرِيفَةِ تُسْعَرُ  
 فَمَا صُنْتُ وَجْهِي عَنْ طُبَاتِ سِيوفِهِمْ \* وَلَا أَنْحَزْتُ عَنْهُمْ وَالْقَنَا تَتَكَسَّرُ  
 وَلَمْ أَكْ فِي حَزِّ الْكَرِيهَةِ مُحْجَا \* إِذَا لَمْ يَكُنْ فِي الْحَرْبِ لِلْوَرْدِ مَصْدَرُ  
 إِذَا سَاعَدَ الطَّرْفُ الْفَتَى وَجَنَانُهُ \* وَأَسْمَرُ خَطِيٌّ وَأَبْيَضُ مِبْتَرُ  
 فَذَلِكَ وَإِنْ كَانَ الْكَرِيمُ بِنَفْسِهِ \* إِذَا أَصْطَلَتِ الْأَبْطَالُ فِي النَّعْعِ عَسْكَرُ

(١) برية بين بالس وحلب . (٢) خام : نكص وجبن .

(٣) المشيح : المانع لما وراء ظهره . والأقب من الخيل : الدقيق انحصر الضامر البطن .

منعهم من أن ينالوا قلاماً \* وكنت شجاهم والأسيئة تقطُر  
وتلك سجايانا قديماً وحادثاً \* بها عُرف الماضي وعزَّ المؤخَّر  
أبت لي قروم أنجبتني أن أرى \* وإن جَلَّ حَطْبُ حاشعاً أتضجَّر  
أولئك آل الله فهِرُ بن مالك \* بهم يُخبرُ العظمُ الكسيرُ ويُكسر  
هم المنكبُ العالى على كل منكبٍ \* سيوفهم تُفني وتُغني وتُفقر

كان على بن الجهم يعاشر جماعة من فتيان بغداد لما أُطلق من حبسه ورد من النفي،  
وكانوا يتقانون ببغداد ويلزمون منزل مغنٍ بالكرخ يقال له المفضل، فقال فيه علي بن الجهم:

زلنا بباب الكرخ أطيّب منزلٍ \* على مُحسناتٍ من قِيانِ المفضل  
فلا بن سُرَيْحٍ والغريضِ ومعبُدٍ \* بدائعُ في أسماعنا لم تبدل  
أوانس ما للضيف منهن حشمةٌ \* ولا رهنٌ بالجليل المجل  
بسرّ إذا ما الضيفُ قلّ حياؤه \* ويغفل عنه وهو غير مغفل  
ويكثر من ذم الوقار وأهله \* إذا الضيفُ لم يأنس ولم يتبدل  
ولا يدفع الأيدي المريية غيره \* إذا نال حظاً من لبوسٍ وهما كل  
ويطرق إطراق الشجاع مهابةً \* ليطلق طرف الناظر المتأمل  
أشريدٍ وأعزمٍ بطرفٍ ولا تحف \* رقيباً إذا ما كنت غير مبجل  
وأعرض عن المصباح وألهج بمنله \* فإن حمد المصباح فادن وقبل  
وسل غير ممنوع وقل غير مسكتٍ \* ونم غير مذعور وقم غير معجل  
لك البيت ما دامت هداياك جمّةً \* وكنت ملياً بالبيذ المعسل  
فبادرُ بأيام الشباب فإنها \* تقضى وتفنى والغواية تجلى  
ودع عنك قول الناس ألتف ماله \* فلان فأضحى مدبراً غير مُقبل  
هل الدهر إلا ليلة طرحت بنا \* وأخرها في يوم لهوٍ معجل  
سقى الله باب الكرخ من منزله \* الى قصرٍ وصاح فبركة زلزل

مَسَاحِبِ أَذْيَالِ الْقِيَانِ وَمَسْرُحِ الْ \* حَسَانٍ وَمَثْوَى كُلِّ خَرْقٍ مُعَدَّلٍ  
 لَوْ أَنَّ أَمْرًا الْقَيْسِ بْنِ حَجْرٍ يَجْلُهَا \* لِأَقْصَرَ عَنْ ذِكْرِ الدُّخُولِ وَحَوْمَلِ  
 إِذَا لَرَأَى أَنْ يَمْنَحَ الْوَدَّ شَادَنَا \* مُقْصِرِ أَذْيَالِ الْقَنَا غَيْرِ مُسْبِيلِ  
 إِذَا اللَّيْلُ أَذَى مَضْجَعِي مِنْهُ لَمْ أَقُلْ \* ”عَقَرْتَ بَعِيرِي يَا أَمْرَأَ الْقَيْسِ فَأَنْزِلِ“

دخل علي بن الجهم يوما على عبد الله بن طاهر في غداة من غدوات الربيع وفي السماء  
 غيم رقيق، والمطر يهيج قليلا ويسكن قليلا، وقد كان عبد الله عزم على الصبح ففاضته  
 حَظِيَّةً لَهُ، فتنغص عليه عزمه وقتراً، فخبّر علي بن الجهم بالخبر وقيل له : قل في هذا المعنى  
 لعله ينشط للصبح؛ فدخل عليه فأنشده :

أَمَا تَرَى الْيَوْمَ مَا أَحْلَى شَمَائِلَهُ \* حَخْوٌ وَغَيْمٌ وَإِبْرَاقٌ وَإِرْعَادُ  
 كَأَنَّهُ أَنْتَ يَا مَنْ لَا شَبِيهَ لَهُ \* وَصَلُّ وَهَجْرٌ وَتَغْرِيْبٌ وَإِبْعَادُ  
 فَبَاكِرِ الرِّيحِ وَأَشْرِبِهَا مُعْتَقَةً \* لَمْ يَدْنُرْ مِثْلَهَا كِنْسَرَى وَلَا عَادُ  
 وَأَشْرَبَ عَلَى الرُّوضِ إِذْ لَاحَتْ زَخَارِفُهُ \* زَهْرٌ وَنُورٌ وَأُورَاقٌ وَأُورَادُ  
 كَأَنَّمَا يَوْمُنَا فَعَلَّ الْحَيْبُ بِنَا \* بَدَلٌ وَبُجْلٌ وَإِعَادٌ وَمِعَادُ  
 وَلَيْسَ يَذْهَبُ عَنِّي كُلُّ فَعْلِكُمْ \* عَنِّي وَرُشْدٌ وَإِصْلَاحٌ وَإِفْسَادُ

فاستحسن الأبيات وأمر له بثلاثمائة دينار وحمله وخلع عليه .

لما أطلق عبد الله بن طاهر علي بن الجهم من الحبس أقام معه بالشاذياخ مدة، فخرجوا  
 يوما الى الصيد . واتفق لهم مَرَجٌ كثير الطير والوحش وكانت أيام الزعفران، فاصطادوا  
 صيدا كثيرا حسنا، وأقاموا يشربون على الزعفران، فقال علي بن الجهم يصف ذلك :

وَطِئْنَا رِيَاضَ الزَّعْفَرَانِ وَأَمْسَكْتُ \* عَلَيْنَا الْبُرْزَةُ الْبَيْضُ حَمْرَ الدَّرَاجِ<sup>(١)</sup>  
 وَلَمْ تَحْمِهَا الْأَدْغَالُ مِنَّا وَإِنَّمَا \* أَبْجَنَّا حِمَاهَا بِالْكَلابِ الْبَوَارجِ  
 بِمَسْتَرِوْحَاتٍ سَابِحَاتٍ بِطَوْنِهَا \* عَلَى الْأَرْضِ أَمْثَالُ السَّهَامِ الْزَوَارجِ<sup>(٢)</sup>

(١) واخذه دَرَج (بضم الدال وتشديد الراء) وهو طائر على خلقة القطا إلا أنه أطف .

(٢) الزواج من السهام : الذي يمشى على وجه الأرض ثم يمضى .

ومستشرفات بالهوادي كأنها \* وما عَقِفَتْ منها رؤوس الصَّوَالجِ  
ومن دالعاتِ ألسنًا فكأنها \* لِحَى من رجال خاضعين كوايِّجِ  
فَلَيْنا بها الغِيْطَانُ قَلِيًّا كأنها \* أناملُ إحدى الغانياتِ الحَوَالجِ  
فقل لبُغَاةِ الصَّيْدِ هل من مُفاحِرٍ \* بصيْدٍ وهل من واصفٍ أو مخارجِ  
قَرْنَا بُرَاةً بالصقورِ وَحَوْمَتْ \* شواهيننا من بعد صيد الرواحِ (١)

لما فُلِحَ ابنُ أبي دُوادٍ سَمِيَتْ به عليّ بن الجهم وأظهر ذلك له وقال فيه :

لم يبقَ منك سوى خيالكَ لامعًا \* فوق الفِراشِ مَهْدًا بوسادِ  
فِرِحَتْ بِمَصْرَعِكَ البريئةُ كلُّها \* مَنْ كانَ منهم مُوقِنًا بمَعادِ  
كم مجلسُ الله قد عَطَّته \* كي لا يُحَدِّثَ فيه بالإِسنادِ  
ولكم مصاييحَ لنا أطفأتها \* حتى نزولَ عن الطَّرِيقِ الهادِي  
ولكم كريمةٍ مَعَشِرٍ أرملتها \* ومحدِّثِ أوثقتَ في الأقيادِ  
إنَّ الأَسارى في السجونِ تَفْرَجُوا \* لما أنتَ مَوَاصِبُ العوادِ  
وَعَدًا لمصرعِكَ الطيبُ فلم يجد \* شيئا لَدائِكَ حيلةَ المَرْتادِ  
فُدُقِ الهوانَ مَعْجَلًا ومُؤَجَّلًا \* والله ربَّ العرشِ بالمرصادِ  
لا زالَ فالجُكُ الذي بك دائبًا \* ويُفَعِّتَ قَبْلَ المَوتِ بالأولادِ

ومن جيد شعره قوله :

نطقَ الهوىَ بجوى هو الحقَّ \* وملكتني فليمنك الرُّقُّ  
رِفْقًا بقلبي يا معدَّبه \* رِفْقًا وليس لظالم رِفْقُ  
وإذا رأيتك لا تُكَلِّمُنِي \* ضاقت على الأرض والأفُقُ

وله أيضا :

يا رحمةً للغريبِ بالبلدِ النَّا \* زجِ ما ذا بنفسه صنعا  
فَارَقَ أَحبابه فما أنتفعوا \* بالعيشِ من بعده وما أنتفعا

(١) الراج : الملوحة الذي يصاد به الصقور ونحوها من جوارح الطير .

٢٠ - علي بن جبلة<sup>(١)</sup>

قال المأمون يوماً لبعض جلسائه : أقسم علي من حضر ممن يحفظ قصيدة علي بن جبلة الأعمى في القاسم بن عيسى إلا أنقذنيها ؛ فقال له بعض الجلساء : قد أقسم أمير المؤمنين ولا بد من إبرار قسمه ، وما أحفظها ولكنها مكتوبة عندي ؛ قال : قم فحطني بها ، فمضى وأتاه بها وأنشده إياها ، وهي :

ذاد رد النحي عن صدره \* وأرعوى واللهو من وطيره  
وأبت إلا البكاء له \* صحكات الشيب في شعره  
ندمي أن الشباب مضى \* لم أبلغه مدى أشره  
وأنقضت أيامه ساهماً \* لم أجد حولاً على غيره  
حسرت عني بشاشته \* وذوى المحمود من ثمرة  
ودم أهدرت من رشاً \* لم يرد عقلاً على هدره  
فأت دون الصبا هنة \* قلبت فوق علي وتيره  
جارتا ليس الشباب لمن \* راح مخنياً على كبره  
ذهبت أشياء كنت لها \* صارها حامى الى صوره<sup>(٢)</sup>

(١) هو علي بن جبلة الأنباري والمعكوك لقبه ، وهو من الموالى أبناء الشيعة الخراسانية من أهل بغداد ، ولد في الحرية منها ونشأ فيها ، وكان ضريراً منذ ولادته مثل بشار بن برد ، وهو شاعر مطبوع عذب اللفظ جزله ، لطيف المعاني ، مداح حسن التصرف ، وقد استنفد شعره في مدح أبي دلف العجلي وأبي غانم حميد بن عبد الحميد الطوسي ، وزاد في تفضيلهما وتفضيل أبي دلف خاصة حتى فضل ربيعة على مضر ، فاستاء المأمون من ذلك وبلغه أبيات قالها المعكوك في أبي دلف منها :

كل من في الأرض من عرب \* بين يديه إلى حضره  
مستعير منك مكربة \* يكتسيها يوم مفتخره

توفي سنة ٢١٣ هـ . وتجد أكثر أخباره في الأغاني (ج ١٨ ص ١٠٠) وابن خلكان طبع بولاق (ج ١ ص ٤٩٥) والشعر والشعراء (ص ٥٥٠) (٢) صارها : أمالها .

دَعَّ جَدَا حَقَطَانَ أَوْ مُضِيرَ \* فِي يَمَانِيهِ وَفِي مُضِيرِهِ  
 وَامْتَدَّ مِنْ وَائِلِ رَجُلًا \* عَصْرُ الْآفَاقِ فِي عَصْرِهِ  
 الْمَنَائِيَا فِي مَنَاقِبِهِ \* وَالْعَطَايَا فِي ذَرَا حُجْرِهِ  
 مَلِكٌ تَنَدَى أَنَامِلُهُ \* كَانِبِ السَّجَّادِ النَّوَى عَنْ مَطْرِهِ  
 مُسْتَهْلٌ عَنْ مَوَاهِبِهِ \* كَابْتِسَامِ الرُّوضِ عَنْ زَهْرِهِ  
 جِبَلٌ عَزَّتْ مَنَاقِبُهُ \* أَمِنَتْ عَدْنَانُ فِي ثَمَرِهِ  
 إِنَّمَا الدُّنْيَا أَبُو دُلْفٍ \* بَيْنَ مَبْدَاهِ وَمُحْتَضِرِهِ  
 فَإِذَا وَلَّى أَبُو دُلْفٍ \* وَلَّتِ الدُّنْيَا عَلَى أَثَرِهِ  
 لَسْتُ أَدْرِي مَا أَقُولُ لَهُ \* غَيْرَ أَنَّ الْأَرْضَ فِي حَقَرِهِ  
 يَأْدُوهُ الْأَرْضُ إِنْ فَسَدَتْ \* وَمَدِيلَ الْيُسْرِ مِنْ عُسْرِهِ  
 كُلُّ مَنْ فِي الْأَرْضِ مِنْ عَرَبٍ \* بَيْنَ بَادِيهِ إِلَى حَضَرِهِ  
 مُسْتَعِيرٌ مِنْكَ مَكْرَمَةٌ \* يَكْتَسِبُهَا يَوْمَ مُفْتَحِرِهِ

وفيها يقول :

وَزُحُوفٍ فِي صَوَاهِلِهِ \* كَصِيَاحِ الْحَشْرِ فِي أَنْرِهِ  
 قُدَّتْهُ وَالْمَوْتُ مَكْتَمٌ \* فِي مَدَاكِيهِ وَمُشْتَجِرِهِ  
 فَرَمْتُ حَقْوِيهِ مِنْهُ يَدٌ \* طَوَّيْتُ الْمَنْشُورَ مِنْ نَظَرِهِ  
 زَرْتَهُ وَالْحَيْلُ عَابِسَةٌ \* تَحْمِلُ الْبُؤْسَ عَلَى عَقْرِهِ  
 خَارِجَاتٍ تَحْتَ رَايَتِهَا \* نَخْرُوجُ الطَّيْرَ مِنْ وَكْرِهِ  
 وَعَلَى النِّعَانِ نُجَّتْ بِهِ \* عَوَجَةٌ زَادَتْهُ عَنْ صَدْرِهِ  
 تَحْمَطُ النِّعَانُ صَفْوَتَهَا \* فَسَرَدَتْ الصَّفْوَةَ فِي كَدْرِهِ  
 وَلَقَرَقُورٍ أَدْرَتْ رَحًا \* لَمْ تَكُنْ تَرْتَدُّ فِي فِكْرِهِ

قد تَأَيَّنَتِ البقاءَ له \* فأبى المحتومُ من قَدَرِه  
 وطغى حتى رفعتَ له \* خُطَّةً شنعاءَ من ذِكرِه  
 فغضب المأمون وأغتاظ، وقال : لست لأبى إن لم أقطع لسانه أو أسفك دمه .

وكان يمدح حميد بن عبد الحميد، فلما سمع حميد هذا في أبي دلف قال : أى شىء  
 بَقِيَتْ لنا بعد هذا من مدحك؟ فقال :

إنما الدنيا حميدٌ \* وأياديه الحسامُ  
 فاذا ولَّى حميدٌ \* فعلى الدنيا السلامُ

وهو القائل في حميد :

دِجْلَةٌ تَسْقِي وَأبو غانم \* يُطْعِمُ مَنْ تَسْقِي من الناس  
 والناسُ جسمٌ وإمامُ الهدى \* رأسٌ وأنت العينُ فى الراس

وقال للحسن بن سهل :

أعطينى يا ولى الحق مبتدئاً \* عطيةً كافأت مدحى ولم تَرِنِ  
 ما شمتُ بركك حتى نلتُ ريقه \* كأنما كنت بالجدوى تُبادرنى

وهو القائل في حميد :

إلى أكرم قَطَانٍ \* وصلنا السَّهَبَ بالسَّهَبِ  
 الى مجتمع النِّيل \* ومُلِقَ أَرْحُلِ الرِّكَبِ  
 حميدٌ مَفْرَعُ الأُمَد \* فى الشرق وفى الغرب  
 كأنَّ الناسَ جسمٌ وهـ \* وِمنه موضعَ القلبِ  
 اذا سَأَلَمَ أرضاً غـ \* نِيَتْ أَمْنَةَ السَّرْبِ  
 وإن حارَ بها حَلَّت \* بها رَاغِيَةَ السَّقْبِ  
 اذا لَاقَى رَعِيْلَ المُو \* تِ بالشَّطْبَةِ والشَّطْبِ  
 وبالمأذية الخُضْرِ \* وبالهنادية القُضْبِ

غدا مجتمع القلب \* له جند من الرعب  
 فيافوز الذي والى \* ويا بؤسى أذى الذنب  
 أياذا الجود فاسلم ما \* جرت حطب الى حطب  
 فانت الغيث في السلم \* وأنت الموت في الحرب  
 وأنت الجامع الفار \* ق بين البعد والقرب  
 بك الله تلافى النا \* س بعد العثر والنكب  
 ورد البيض والبيض \* الى الأعماد والمجب  
 بإقدامك في الحرب \* وإطعامك في اللزب  
 فكم أمنت من خوف \* وكم أشعبت من شغب  
 وكم أصلحت من خطب \* وكم أيمت من خطب  
 وما تمهها إلا \* دراك الطعن والضرب  
 تناهت بك قطاب \* الى الغاية والحسب  
 ففانت شرف الأحياء \* ء فوت الرأس للعجب<sup>(١)</sup>

وما أسرف فيه فكفر أو قارب الكفر قوله في أبي دلف :

أنت الذى تنزل الأيام منزلها \* وتتقل الدهر من حال الى حال  
 وما مدت مدى طرف الى أحد \* إلا قضيت بأرزاق وآجال  
 تزور سخطا فتمسى البيض راضية \* وتستهل فنبكى أوجه المال

وقال فيها :

كأن خيلك فى أثناء عمرتها \* أرسل قطر تهاى فوق إرسال  
 يخرجن من غمرات الموت سامية \* نشر الأنامل من ذى القرة الصالى

(١) العجب : أصل الذنب .

وقال أيضا :

جلاء مشيبٍ نَزَل \* وأُنسُ شبابٍ رَحَل  
طوى صاحبٌ صاحبًا \* كذاك اختلافُ الدُول  
أعاذلتى أَقْصِرِي \* كفالك المشيبُ العَدْلُ  
بدا بدلًا بالشبا \* ب ليت الشبابَ البدل  
جلا لٌ ولكنه \* تحاماه حُورُ المَقْلُ

وقد كان حميد ركب يوم عيد في جيش عظيم لم ير مثله ، فقال على بن جبلة يصف ذلك :

غدا بأمير المؤمنين ويمنه \* أبو غانم غدو الندى والسحاب  
وضاقت فجاج الأرض عن كل موكب \* أحاط به مستعلياً للواكب  
كأن سماء النقع والبيض فوقهم \* سماوة ليل قرنت بالكواكب  
فكان لأهل العيد عيدٌ بنسكهم \* وكان حميدٌ عيدهم بالمواهب  
ولولا حميد لم تبلج عن الندى \* يمينٌ ولم يدرك غنى كسب كاسب  
ولو ملك الدنيا لما كان سائلٌ \* ولا أعتام فيها صاحبٌ فضل صاحب  
له سخكة تستغرق المال بالندى \* على عبسة تُسجى القنا بالترائب  
ذهبت بأيام العلاء فإردا بها \* وصرمت عن مسعاك شأو المطالب  
وعدلت ميل الأرض حتى تعدلت \* فلم يئاً منها جانبٌ فوق جانب  
بلغت بأدنى الحزم أبعدها قطرها \* كأنك منها شاهدٌ كل غائب

شخص على بن جبلة إلى عبد الله بن طاهر إلى نراسان ، وقد مدحه فأجزل صلته ، واستأذنه في الرجوع فسأله أن يقيم ، وكان برّه يتصل عنده ؛ فلما طال مقامه اشتاق إلى أهله فدخل إليه فأنسده :

راعه الشيبُ إذ نزل \* وكفاه من العَدْلُ  
وأنقضت مدة الصبأ \* وأنقضى اللهو والغزلُ

قد لعمري دَمَلْتُهُ \* بِخِضَابٍ فَا آتَدَمَل  
 فَايَكِ لِلشَّيْبِ إِذْ بَدَا \* لَا عَلَى الرَّبْعِ وَالطَّلَل  
 وَصَلِ اللهُ لِلْأَمِي \* رِعْرَى الْمَلِكِ فَاتَّصَل  
 مَلِكٌ عَزَمَهُ الزَّمَا \* نُ وَأَفْعَالُهُ الدُّوَل  
 كَسْرُوِيٌّ، يَجِدُهُ \* يَضْرِبُ الضَّارِبُ الْمَثَل  
 وَإِلَى ظِلِّ عَزَّة \* يَلْجَأُ الْخَائِفُ الْوَجَل  
 كُلُّ خَلْقٍ سِوَى الْإِمَا \* مِ لِإِنْعَامِهِ خَوْل  
 لَيْتَهُ حِينَ جَادَلِي \* بِالْغِنَى جَادَ بِالْقَفَل

فضحك وقال : آيَّتَ إِلَّا أَنْ تُوحِشَنَا، وَأَجْزَلِ صَلَاتِهِ وَأُذُنِ لَهُ .

دخل على بن جبلة العكوك على حميد الطوسي في أول يوم من شهر رمضان، فأنشده :

جَعَلَ اللهُ مَدْخَلَ الصُّومِ فَوْزًا \* مُحْمِدٍ وَمُتَعَّةً فِي الْبَقَاءِ  
 فَهُوَ شَهْرُ الرَّبِيعِ لِلْقُرَاءِ \* وَفِرَاقِ النَّدْمَانِ وَالصَّهْبَاءِ  
 وَأَنَا الضَّامِنُ الْمَلِي لِمَنْ عَا \* قَرَهَا مُفْطِرًا بِطُولِ الظَّهَاءِ  
 وَكَأَنِّي أَرَى النَّدَامَى عَلَى الْخَسَاءِ \* نَفٍ يَرْجُونَ صَبْحَهُمْ بِالْمَسَاءِ  
 قَدْ طَوَى بَعْضُهُمْ زِيَارَةَ بَعْضِ \* وَاسْتَعَاذُوا مَصَاحِقًا بِالْغِنَاءِ

وفيها يقول :

بُجَيْدٍ - وَأَيْنَ مِثْلُ حَمِيدٍ - \* نَفَخَتْ طِيَّءٌ عَلَى الْأَحْيَاءِ  
 جُودُهُ أَظْهَرَ السَّاحَةَ فِي الْأُر \* ضِ وَأَغْنَى الْمُقْوَى عَنِ الْإِقْوَاءِ  
 مَلِكٌ يَأْمُلُ الْعِبَادُ نَدَاهُ \* مِثْلَ مَا يَأْمُلُونَ قَطْرَ السَّمَاءِ  
 صَاغَهُ اللهُ مُطْعِمَ النَّاسِ فِي الْأُر \* ضِ وَصَاغَ السَّحَابَ لِلْإِسْقَاءِ

فأمر له بخمسة آلاف درهم، وقال : استعن بهذه على نفقة صومك ؛ ثم دخل إليه ثانياً

شؤال فأنشده :

عللاني بصفو ما في الدنان \* وأترك ما يقوله العاذلان  
 وأسيقا فاجع المية بالعيد \* ش فكل على الحديد فاني  
 عللاني بشربة تذهب اله \* م وتنفى طوارق الأخران  
 والقيبا في مسمع سدها الصو \* م رقي الموصلي أودحمان  
 قد أانا شوال فاقبل العيد \* ش وأعدى قسرا على رمضان  
 نعم عون الفتى على نوب الده \* ير سماع القيان والعيان  
 وكؤوس تجرى بماء كروم \* ومطى الكؤوس أيدى القيان  
 من عقار تميم كل احتشام \* وتسر الندمان بالندمان  
 وكان المزاج يقدر منها \* شررا في سبائك العيان  
 فاشرب الراح وأعص من لام فيها \* إنها نعم عدة الفتيان  
 وأحصب الدهر بارتحال وحل \* لا تخف ما يمره الحدان  
 حسب مستظهر على الدهر ركنا \* بجهد ردها من الحدان  
 ملك يقتنى المكارم كترا \* وتراه من أكرم الفتيان  
 خلقت راحتها للجود والبأ \* س وأمواله لشكر اللسان  
 ملكته على العباد معد \* وأقرت له بنو حطان  
 أريحي النداء جميل الحيا \* يده والسماح معتقدان  
 وجهه مشرق الى معتفيه \* ويده بالغيث تنفجران  
 جعل الدهر بين يومية قسيم \* ين بعرف جزل وحر طعان  
 فاذا سار بالخمس لحرب \* كل عن نص جيه الخافقان  
 واذا ما هزته لنوال \* ضاق عن ربح صدره الأفقان  
 غيث جدب إذا أقام ربيع \* يتغشى بالسائب كل مكان  
 يا أبا غانم بقيت على الدهر \* ير وخلدت ما جرى العصران

ما بُبَالِي إِذَا عَدَّتْكَ الْمَنَايَا \* مَنْ أَصَابَتْ بِكَ كَلْبِي وَجِرَانِ  
 قَدْ جَعَلْنَا إِلَيْكَ بَعَثَ الْمَطَايَا \* هَرَبًا مِنْ زَمَانِنَا الْخَوَانِ  
 وَحَلَمْنَا الْحَاجَاتِ فَوْقَ عِتَاقِي \* ضَامِنَاتِ حَوَائِجِ الرِّبَاكِانِ  
 لَيْسَ جُودٌ وَرَاءَ جُودِكَ يُنْتَا \* بٌ وَلَا يَعْتَنِي لَغَيْرِكَ عَانِي

فأمر له بعشرة آلاف درهم، وقال: تلك كانت للصوم تخففت وخففنا، وهذه للفطر  
 فقد زدتنا وزدناك .

ولما مات حميد الطوسي رثاه بقصيدته العينية المشهورة التي تعدّ من نادر الشعر

وبديعه، وهي :

الدهر تبيكي أم على الدهر تجزعُ \* وما صاحب الأيام إلا مُفَجَّعُ  
 ولو سهلت عنك الأسي كان في الأسي \* عزاء معزّ لليب ومقنعُ  
 تعزّ بما عزيت غيرك إنها \* سهام المنايا حائمات ووقعُ  
 أمينا بيوم في حميد لو أنه \* أصاب عروش الدهر ظلت تصضعُ  
 وأدبنا ما أدب الناس قبلنا \* ولكنه لم يبق للصبر موضعُ  
 ألم تر للأيام كيف تصرمت \* به ، وبه كانت تُذاد وتُدفعُ  
 وكيف التقى مثنوى من الأرض ضيقُ \* على جبل كانت به الأرض تمنعُ  
 ولما أنقضت أيامه أنقضت الملا \* وأضحى به أنف الندى وهو أجدعُ  
 وراح عدو الدين جدلان يتحى \* أمانى كانت في حشاه تقطعُ  
 وكان حميد معقلا ركعت به \* قواعد ما كانت على الضم تركعُ  
 وكنت أراه كالرزايا رزيتها \* ولم أدر أن الخلق تبيكه أجمعُ  
 حمام رماه من مواضع أمنه \* حمام، كذاك الخطب بالخطب يُقدعُ  
 وليس بغرو أن تُصيب مية \* حمى أختها أو أن يدل المنعُ  
 لقد أدركت فينا المنايا بثأرها \* وحلت بخطب وهيسه ليس يرقعُ

- نَعَاءٌ حَمِيدًا لِلسَّرَايَا إِذَا غَدَتْ \* تَذَادُ بِأَطْرَافِ الرِّمَاحِ وَتُوزَعُ  
 وَللرَّهَقِ المَكْرُوبِ ضَلَّتْ بِأَمْرِهِ \* فَلَمْ يَدْرِ فِي حَوْمَاتِهَا كَيْفَ يَصْنَعُ  
 وَلِلبَيْضِ خَلَّتْهَا البَعُوبُ وَلَمْ يَدِعْ \* لَهَا غَيْرَهُ دَاعِيَ الصَّبَاحِ المَفْرَعُ  
 كَأَنَّ حَمِيدًا لَمْ يُقَدِّ جَيْشَ عَسْكَرٍ \* إِلَى عَسْكَرِ أَشْيَاعِهِ لَا تَرَوَعُ  
 وَلَمْ يَبْمَثِ الخَيْلَ المَغِيرَ بِالنُّضْحَى \* مِرَاحًا وَلَمْ يَرْجِعْ بِهَا وَهِيَ ظَلَعُ  
 رَوَاجِعِ يَحْمَلُ النَّهَابَ لَمْ تَكُنْ \* كَتَابَتُهُ إِلَّا عَلَى النَّهْبِ تَرْجِعُ  
 هُوَى جِبَلِ الدُّنْيَا المُنْبَغِ وَغَيْثُهَا الـ \* مَرْبِعُ وَحَامِيهَا الكَمِيُّ المَشِيعُ  
 وَسَيْفُ أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ وَرَمْحُهُ \* وَمِفْتَاحُ بَابِ الخُطْبِ وَالخُطْبُ أَفْطَعُ  
 فَاقْنَعَهُ مِنْ مُلْكِهِ رِبَاعُهُ \* وَنَائِلُهُ قَفَرٌ مِنَ الأَرْضِ بَلَقَعُ  
 عَلَى أَى شَجْوٍ تَشْتَكِي النَّفْسُ بَعْدَهُ \* إِلَى شَجْوِهِ أَوْ يَذْخُرُ الدَّمْعُ مَدْمَعُ  
 أَلَمْ تَرَ أَنَّ الشَّمْسَ حَالَ ضَيَاؤِهَا \* عَلَيْهِ وَأَضْحَى لَوْنُهَا وَهُوَ أَسْفَعُ  
 وَأَوْحَشَتِ الدُّنْيَا وَأَوْدَى بِهَاؤِهَا \* وَأَجْدَبَ مَرَعَاها الَّذِي كَانَ يَمْرُعُ  
 وَقَدْ كَانَتْ الدُّنْيَا بِهِ طَمَثْنَةً \* فَقَدْ جَعَلَتْ أَوْتَادُهَا نُتْقَلَعُ  
 بَكَى فَقَدَهُ رُوحَ الحَيَاةِ كَمَا بَكَى \* نَدَاهُ النَّدَى وَأَبْنُ السَّبِيلِ المُدْفَعُ  
 وَفَارَقَتِ البَيْضُ الخُدُودَ وَأَبْرَزَتْ \* عَوَاطِلَ حَسْرَتِي بَعْدَهُ لَا تَقْنَعُ  
 وَأَيَقُظُ أَجْفَانًا وَكَانَ لَهَا الكَرَى \* وَنَامَتْ عَيُونٌ لَمْ تَكُنْ قَبْلَ تَهَجُّعُ  
 وَوَالِكُنْهُ مَقْدَارُ يَوْمِ نَوَى بِهِ \* لِكُلِّ أَمْرٍ مِنْهُ نِهَالٌ وَمَشْرَعُ  
 وَقَدْ رَأَى اللهُ المَلَا بِمُحَمَّدٍ \* وَبِالأَصْلِ يَنْمَى فِرْعَهُ المَتَفَرِّعُ  
 أَغْرَى، عَلَى أَسْيَافِهِ وَبِمَاحِهِ \* تُقَسِّمُ أَنْفَالُ الخَمِيسِ وَتُجْمَعُ  
 حَوَى عَنْ أَبِيهِ بَدَلُ رَاحَتِهِ النَّدَى \* وَطَعَنَ الكُلَى وَالزَّاعِيَةَ شُرْعُ

# عصر المأمون

بقلم

الدكتور

أحمد فرند زفامى

المفتش بوزارة الداخلية

المجلد الثانى

(حقوق الطبع محفوظة للؤلف)

[ الطبعة الثانية ]

مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة

١٩٢٧م - ١٣٤٦هـ



# فهرس

## المجلد الثاني من عصر المأمون

### ملحق الكتاب الأول - عصر بني أمية

صفحة	بياب المنشور :
١	رسالتا أبي بكر على
١٢	كلام عائشة رضی الله عنها في الانتصار لأبيها
١٤	كلمة أم الخير بنت الحريش
١٧	كلمة الزرقاء بنت عدی
١٨	كلمة عكرشة بنت الأطرش
٢٠	رسالة لعبد الحميد الكاتب كتبها عن مروان بن محمد لبعض من ولاء
٥٣	رسالة ثانية لعبد الحميد الكاتب أوصى فيها الكتاب
٥٧	رسالة ثالثة لعبد الحميد الكاتب في الشطرنج
٦٠	رسالة رابعة لعبد الحميد الكاتب وصف بها الصيد

### بياب المنظوم :

٦٣	أنواع الغزل وزعيم كل نوع
٦٤	الغزل الإباحي - عمر بن أبي ربيعة
١٠٣	الغزل العذري - جميل
١٢٤	الغزل الصناعي - كثير
١٣٨	الغزل القصصي - قيس بن الملقح (المجنون)
١٥٢	قيس بن ذريح
١٦٤	الشعر السياسي - النعمان بن بشير

### ملحق الكتاب الثاني - عصر بني العباس

### بياب المنشور :

١٦٩	مشاورة المهدي لأهل بيته في حرب خراسان
١٨٨	رسالة أبي الربيع محمد بن الليث التي كتبها للرشيد الى قسطنطين ملك الروم

صفحة	
٢٣٧	رسالة يحيى بن زياد في تقرير الرشد
٢٤٤	كتب الرشد
٢٤٤	كتاب عهد البيعة
٢٤٧	نسخة الشرط الذى كتب عبد الله بن أمير المؤمنين بخط يده فى الكعبة
٢٤٩	نسخة كتاب الرشد الى العمال

## باب المنظوم :

٢٥٢	بشار بن برد
٢٧٧	حماد مجرد
٢٨٧	مروان بن أبى حفصة
٣٠٠	أبو دلامة
٣١٧	أبان بن عبد الحميد اللاحق
٣٢٦	أخبار حمدان بن أبان
٣٣٣	منصور النمرى
٣٣٩	السيد الحميرى
٣٤٩	سلم بن عمرو الخاسر
٣٥٤	ربيعة الرقى
٣٥٩	الرقاشى
٣٦١	أبو العتاهية
٣٧٤	مسلم بن الوايد
٣٩٣	العباس بن الأحنف
٤٠٠	ابن مناذر
٤٠٣	صالح بن عبد القدوس
٤٠٧	سعيد بن وهب
٤١١	الحسن بن وهب
٤١٩	أشجع السلى
٤٢٣	على بن الجهم
٤٣١	على بن جبلة

مطبعة دار الكتب المصرية ٥٤٩/١٩٢٧/٣١٥٠